موسوعة

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

الجزء الثاني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موسوعة الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني، علمي، فني، تاريخي، أدبي، أخلاقي

مبتكر في موضوعه، فريد في بابه، يبحث فيه عن حديث الغدير كتابا وسنة وأدبا، ويتضمن تراجم أئمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة من العلم وغيرهم

الجزء التاسع

العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
(١٣٢٠-١٣٩٠هـ)

تحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

باشراف
آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
۵۵۵۶۸
شماره مدال:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موسوعة الغدير
في
الكتاب والسنة والأدب

اميني، عبدالحسين، ۱۲۸۱ ـ ۱۳٤۹هـ.
موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: كتاب ديني، علمي، فني ... / عبدالحسين أحمد الأميني النجفي. تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية [موسسه دائرة معارف الفقه الاسلامي، طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام]: اشراف محمود الهاشمي الشاهرودي. ـ قم: مؤسسه دائرة معارف الفقه الإسلامي، طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ۱٤۳۰ق = ۲۰۰۹م = ۱۳۸۸.
۱٤ ج.
ISBN: 964 - 8360 - 03 - 0 (دوره)
ISBN: 964 - 8360 - 13 - 8 (ج. ۱۰)
فهرستنويسي بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي.
جلد سيزدهم وچهاردهم كتاب حاضر "الفهارس الفنية" مي‌باشد.
كتاب حاضر در سالهاي مختلف توسط ناشرين مختلف منتشر شده است.
چاپ پنجم: ۱۳۸۸.
كتابنامه:
۱. غدير خم. ۲ ـ علي ابن أبي طالب عليه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤۰ق ـ ـ اثبات خلافت. الف. هاشمي شاهرودي، محمود، ۱۳۲۸ ـ ب. مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامي. ج. مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامي. مركز الغدير للدراسات الاسلاميه. د. عنوان.
۸م ۱۸الف/٥٤/۲۲۳BP ۲۹۷/٤٥۲
۱۳۸۲
كتابخانه ملي ايران
۸۲ـ۲۰۱۹۹م

الطبعة الخامسة
١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م
وتشتمل على تصحيحات وإضافات تحقيقية مفيدة

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة هذه الطبعة إلّا بترخيص من مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: محمّد

الناشر:

مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي
Islamic jurisprudence Encyclopedia Institute

ايران ـ قم المقدسة
ص. ب: ٣٧١٨٥/٣٧٩٦
هاتف: ٧٧٣٩٩٩٩/فاكس: ٧٧٤٤٩٦٣

Iran - Qum
P.O. Box 3796/37185
Tel. +982517739999/ Fax +982517744963

وكلاء التوزيع:

لبنان: بيروت ـ حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري ـ مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع
هاتف: ٩٦١١٥٥٨٣١٥ + نقال: ٩٦١٣٦٤٤٦٦٢ + تلفاكس: ٩٦١١٥٥٢٢٦٢ +

العراق: النجف الأشرف ـ دار الغدير للطباعة والنشر. تلفون ٩٦٤٣٣٣٧٣٥٦٣ +

۴۰۴۵۹

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا الجزء يتضمّن:

تراجم جمع من أعاظم الصحابة رجال الدعوة الصالحة .

والبحث عمّا لفّقته يد الافتعال من التاريخ المزوّر ، وما ألّفته سماسرة الجهل والدجل من الكتب .

والإعراب عن صحيح ما في قصّة قتيل الصحابة عثمان ..

وإخفاق ما هنالك من جلبة ولغط ، أو مكاء وتصدية .

والله وليّ التوفيق .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبحانَكَ ما كانَ يَنبَغي لَنا أن نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِن أولِياء ، فَالحَقُّ وَالحَقَّ أقُولُ .

حَقيقٌ عَلَيَّ أنْ لا أقُولَ عَلى اللهِ إلّا الحَقَّ ، وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغيرِ عِلمٍ ولا هُدىً ولا كِتابٍ مُنيرٍ ، وَلَدَينا كِتابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ ، كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيّاً ، إذهَبْ بِكِتابِي هذا فألقِهِ إلَيهِم ثُمَّ تَوَلَّ عَنهُمْ ، وقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً ، ولَقَدْ وَصَّلنا لَهُمُ القَولَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أوتُوا العِلمَ أنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ، إنَّما كانَ قَولَ المُؤمِنِينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُمْ أنْ يَقُولُوا سَمِعنا وَأطَعْنا ، الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ أولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَأولئِكَ هُم أولُوا الألبابِ ، وَيا قَومِ لا أسألُكُمْ عَلَيهِ مالاً إنْ أجرِيَ إلّا عَلَى اللهِ ، لا أسألُكُمْ عَلَيهِ أجراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُربى ، وَمَا عَلَينا إلّا البَلاغُ المُبِينُ ، إنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وَهُم راكِعُون .

فَالحَمدُ للهِ وَسلامٌ عَلى المُرسلينَ .

الأميني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- ٤٢ -

الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً

٣/٩ أخرج البلاذري في الأنساب[١](٣٦/٥) قال: حدّثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما: أنّ عبدالله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: من غيّر غيّر الله ما به، ومن بدّل أسخط الله عليه، وما أرىٰ صاحبكم إلّا وقد غيّر وبدّل، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقّاص ويولّى الوليد؟ وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو:

إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأُمور مُحدَثاتها، وكلّ مُحدَث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار[٢].

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يعيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه، فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: إنّ له عليّ حقّ الطاعة ولا أُحبّ أن أكون أوّل من فتح باب الفتن. وفي لفظ أبي عمر: إنّها ستكون أُمور وفتن لا أُحبّ أن أكون أوّل من فتحها. فردّ الناس وخرج إليه[٣].

قال البلاذري: وشيّعه أهل الكوفة، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن، فقالوا له: جُزِيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا، وثبّتّ عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل. ثمّ ودّعوه وانصرفوا.

---

(١) أنساب الأشراف: ١٤٦/٦.

(٢) هذه جملة من كلمة ابن مسعود، وقد أخرجها برمّتها أبو نُعَيم في حلية الأولياء: ١٣٨/١ [رقم٢١] وهي كلمة قيّمة فيها فوائد جمّة. (المؤلّف)

(٣) الاستيعاب: ٣٧٣/١ [القسم الثالث/٩٩٣ رقم١٦٥٩]. (المؤلّف)

وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ. فلمّا رآه قال: ألا إنّه قد قدمت عليكم دُويبة سوء، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح. فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكنّي صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان. ونادت عائشة: أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله؟ ثمّ أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبدالله بن زمعة[1] الأرض. ويقال: بل احتمله ـ يحموم ـ غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدَقّ ضلعه. فقال عليّ: «يا عثمان ـ أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد ابن عقبة؟» فقال: ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجّهت زُبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال. فقال عليّ: «أحسنت عن زبيد على غير ثقة». ٤٠٩

وفي لفظ الواقدي: إنّ ابن مسعود لمّا استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة. فلمّا علم عثمان بدخوله قال: يا أيّها الناس إنّه قد طرقكم الليلة دويبة: من يمشي على طعامه يقيء ويسلح، فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكنّني صاحب رسول الله يوم بدر، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين. قال: وصاحت عائشة: يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله؟ فقال عثمان: اسكتي.. ثمّ قال لعبدالله بن زمعة: أخرجه إخراجاً عنيفاً. فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه. فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان.

قال البلاذري[2]: وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين

---

(١) هو عبدالله بن زمعة بن الأسود القرشي الأسدي، قُتل مع عثمان يوم الدار.

(٢) أنساب الأشراف: ١٤٧/٦.

برئ الغزو، فمنعه من ذلك وقال له مروان: إنّ ابن مسعود أفسد عليك العراق. أفتريد أن يُفسد عليك الشام؟ فلم يبرح المدينة حتى توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين.

وقال قوم: إنّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقّاص، ولمّا مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي. قال: ألا أدعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا آمر لك بعطائك[1]؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغنٍ عنه؟ قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله. قال: استغفر لي يا أبا عبدالرحمن. قال: أسأل الله أن / يأخذ لي منك بحقّي، وأوصى أن لا يصلّي عليه عثمان. فدفن بالبقيع ٥٠٩
وعثمان لا يعلم. فلمّا علم غضب وقال: سبقتموني به؟ فقال له عمّار بن ياسر: إنّه أوصى أن لا تصلّي عليه. فقال ابن الزبير[2]:

لأعرفنّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وفي لفظ ابن كثير في تاريخه[3]: (١٦٣/٧): جاءه عثمان في مرضه عائداً فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطائك؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال: لا حاجة لي. فقال: يكون لبناتك من بعدك، فقال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إنّي أمرت بناتي أن يقرأن كلّ ليلة سورة الواقعة، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

---

(١) قال ابن كثير في تاريخه: ١٦٣/٧ [١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢ هـ]: كان قد تركه سنتين. (المؤلف)

(٢) كذا، والصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد: ٢٣٦/١ [٤٢/٣ خطبة ٤٣]: فتمثل الزبير. (المؤلف)
[وفي أنساب الأشراف: وقال الزبير. وسيأتي في صفحة ٢٠١ أنّ البيت لعَبيد بن الأبرص].

(٣) البداية والنهاية: ١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢هـ.

وقال البلاذري[١]: كان الزبير وصيّ ابن مسعود في ماله وولده، وهو كلّم عثمان في عطائه بعد وفاته حتى أخرجه لولده، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر، وقوم يزعمون أنّ عمّاراً كان وصيّه، ووصيّة الزبير أثبت.

وأخرج البلاذري[٢] من طريق أبي موسى القروي بإسناده: أنّه دخل عثمان على ابن مسعود في مرضه فاستغفر كلّ واحد منهما لصاحبه، فلمّا انصرف عثمان قال بعض من حضر: إنّ دمه لحلال. فقال ابن مسعود: ما يسرّني أنّني سدّدت إليه سهماً يخطئه وأنّ لي مثل أُحد ذهباً.

وقال الحاكم وأبو عمر وابن كثير: أوصى ابن مسعود إلى الزبير بن العوام، فيقال: إنّه هو الذي صلّى عليه ودفنه بالبقيع ليلاً بإيصائه بذلك إليه ولم يعلم عثمان بدفنه، ثمّ عاتب عثمان الزبير على ذلك، وقيل: بل صلّى عليه عثمان، وقيل: عمّار[٣].

وفي رواية توجد في شرح ابن أبي الحديد[٤] (١/٢٣٦): لمّا حضره الموت قال: من يتقبّل منّي وصيّة أوصيه بها على ما فيها؟ فسكت القوم وعرفوا الذي يريد. فأعادها، فقال عمّار: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: أن لا يصلّي عليّ عثمان. قال: ذلك لك. فيقال: / إنّه لمّا دفن جاء عثمان منكراً لذلك، فقال له قائل: إنّ عمّاراً ولي الأمر. فقال لعمّار: ما حملك على أن لم تؤذنّي؟ فقال: عهد إليّ أن لا أوذنك... إلخ. وذكر كلّ ما رويناه عن البلاذري مع زيادة، فراجع. ٦/٩

وفي لفظ اليعقوبي: اعتلّ ابن مسعود، فأتاه عثمان يعوده، فقال له: ما كلام

---

(١) أنساب الأشراف: ١٤٨/٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المستدرك: ٣١٢/٣ [٣٥٣/٣ ح٥٣٦٣]، الاستيعاب: ٣٧٣/١ [القسم الثالث/٩٩٤ رقم١٦٥٩] تاريخ ابن كثير: ١٦٣/٧ [١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢هـ]. (المؤلّف)

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤٢/٣ خطبة ٤٣.

بلغني عنك؟ قال: ذكرت الذي فعلته بي، إنّك أمرت بي فوُطئ جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي. قال: فإنّي أقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فُعل بك. قال: ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء. قال: فهذا عطاؤك فخذه، قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا غنيّ عنه، لا حاجة لي به، فانصرف. فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتىٰ توفّي. تاريخ اليعقوبي[١] (١٤٧/٢).

وأخرج محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي: إنّ عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر. شرح ابن أبي الحديد[٢] (٢٣٧/١).

وفي تاريخ الخميس (٢٦٨/٢): حبس ـ عثمان ـ عن عبدالله بن مسعود وأبي ذر عطاءهما، وأخرج أباذر إلى الربذة وكان بها إلى أن مات. وأوصىٰ ـ عبدالله ـ إلى الزبير وأوصاه أن يصلّي عليه ولا يستأذن عثمان لئلّا يصلّي عليه، فلمّا دفن وصل عثمان ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين. وأجاب بأنّ عثمان كان مجتهداً ولم يكن من قصده حرمانه، إمّا التأخير إلى غاية أدباً، وإمّا مع حصول تلك الغاية أو دونها وصل به ورثته ولعلّه كان أنفع له.

وفي السيرة الحلبية[٣] (٨٧/٢): من جملة ما انتقم به علىٰ عثمان أنّه حبس عبدالله بن مسعود وهجره، وحبس عطاء أُبيّ بن كعب، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لمّا شكاه معاوية، وضرب عمّار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلىٰ بعض الجبال، وقال لعبدالرحمن بن عوف: إنّك منافق... إلخ.

قال الأميني: لعلّك لا تستكنه هذه الجرأة ولا تبلغ مداها حتىٰ تعلم أنّ ابن مسعود من هو، فهنالك تؤمن بأنّ ما فعل به حوب كبير لا يبرّر فعل مرتكبه أيّ

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٧٠/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤٤/٣ خطبة ٤٣.

(٣) السيرة الحلبية: ٧٨/٢.

عذر معقول فضلاً عن التافهات.

١ ـ أخرج[١] مسلم وابن ماجه من طريق سعد بن أبي وقّاص، قال: نزل قوله
٧/٩ تعالى: / ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَٱلعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ مَا عَلَيكَ مِن حِسَابِهِم مِن شَيءٍ وَمَا مِن حِسَابِكَ عَلَيهِم مِن شَيءٍ فَتَطرُدَهُم فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٢].

في ستة نفر منهم عبدالله بن مسعود.

راجع[٣]: تفسير الطبري (١٢٨/٧)، المستدرك للحاكم (٣١٩/٣)، تاريخ ابن عساكر (١٠٠/٦)، تفسير القرطبي (٤٣٢/١٦، ٤٣٣)، تفسير ابن كثير (١٣٥/٢)، تفسير ابن جزي (١٠/٢)، تفسير الدرّ المنثور (١٣/٣)، تفسير الخازن (١٨/٢)، تفسير الشربيني (٤٠٤/١)، تفسير الشوكاني (١١٥/٢).

٢ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى[٤] (١٠٨/٣) طبع ليدن، من طريق عبدالله بن مسعود نزول قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱستَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن بَعدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلقَرحُ لِلَّذِينَ أَحسَنُوا مِنهُم وَٱتَّقَوا أَجرٌ عَظِيمٌ ﴾[٥]. في ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم.

وذكر ابن كثير والخازن في تفسيرهما[٦]: أنّ ابن مسعود ممّن نزلت فيهم الآية.

---

(١) صحيح مسلم: ٣١/٥ ح٤٥ كتاب فضائل الصحابة، سنن ابن ماجه: ١٣٨٣/٢ ح٤١٢٨.

(٢) الأنعام: ٥٢.

(٣) جامع البيان: ج٥/ج٢٠٢/٧، المستدرك على الصحيحين: ٣٦٠/٣ ح٥٣٩٣، تاريخ مدينة دمشق: ٣٣٠/٢٠ رقم٢٤٢٦ و٣٣ ٧٤ رقم٣٥٧٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٨/٦، الدرّ المنثور: ٣٧٤/٣، فتح القدير: ١٢١/٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ١٥٢/٣ ـ ١٥٣.

(٥) آل عمران: ١٧٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٠/١، تفسير الخازن: ٣٠٥/١.

٣ ـ ذكر الشربيني والخازن[١] نزول قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحذَرُ الآخِرَةَ﴾[٢] في ابن مسعود وعمّار وسلمان. يأتي تفصيله بُعيد هذا في ترجمة عمّار.

٤ ـ عن عليّ ﷺ مرفوعاً: «عبدالله يوم القيامة في الميزان أثقل من أُحد».

وفي لفظ: «والذي نفسي بيده لهما ـ يعني ساقَي ابن مسعود ـ أثقل في الميزان من أُحد».

وفي لفظ: «والذي نفسي بيده لساقا عبدالله يوم القيامة أشدّ وأعظم من أُحد وحراء».

راجع[٣]: مستدرك الحاكم (٣١٧/٣)، حلية الأولياء (١٢٧/١)، الاستيعاب (٣٧١/١) صفة الصفوة (١٥٧/١)، تاريخ ابن كثير (١٦٣/٧)، الإصابة (٣٧٠/٢)، مجمع الزوائد للهيثمي (٢٨٩/٩)، وقال: أخرجه أحمد وأبو يعلىٰ والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أُمّ موسىٰ وهي ثقة، ورواه من طريق البزّار والطبراني، فقال[٤]: رجالهما رجال الصحيح، كنز العمّال (١٨٠/٦، ١٨١ و ٥٥/٧) نقلاً عن الطبراني والضياء وابن خزيمة وصحّحه.

٥ ـ عن علقمة وعمر في حديث عن رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يقرأ

---

(١) تفسير الخازن: ٥٠/٤.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣٥٨/٣ ح ٥٣٨٥، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٨٩ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ٣٩٩/١ رقم ١٧، البداية والنهاية: ١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢هـ، مسند أحمد: ٦٩٣/١ ح ٣٩٨١، مسند أبي يعلى: ٢٠٩/٩ ح ٥٣١٠، المعجم الكبير: ٧٨/٩ ح ٨٤٥٢ ـ ٨٤٥٤، كنز العمّال: ٧٠٩/١١ ح ٣٣٤٥٦ و ٣٣٤٥٧ و ٤٦٦/١٣ ح ٣٧٢١٢.

(٤) أي: الهيثمي في مجمع الزوائد.

٨/٩ القرآن / غضّاً أو رطباً كما أُنزِل، فليقرأه على قراءة ابن أُمّ عبد».

أخرجه[١]: أبو عبيد في فضائله، أحمد، الترمذي، النسائي، البخاري في تاريخه، ابن خزيمة، ابن أبي داود، ابن الأنباري، عبدالرزاق، ابن حبّان، الدارقطني، ابن عساكر، أبو نعيم، الضياء المقدسي، البزّار، الطبراني، أبو يعلى، وغيرهم.

راجع[٢]: سنن ابن ماجه (٦٣/١)، حلية الأولياء (١٢٤/١)، مستدرك الحاكم (٣١٨/٣)، الاستيعاب (٣٧١/١)، صفة الصفوة (١٥٦/١)، طرح التثريب (٨٥/١)، الإصابة (٣٦٩/٢)، مجمع الزوائد (٢٨٧/٩)، كنز العمّال (١٨١/٦).

٦ ـ عن أبي الدرداء مرفوعاً في حديث: «رضيت لأُمّتي ما رضي الله لها وابن أُمّ عبد، وسخطت لأُمّتي ما سخط الله لها وابن أُمّ عبد».

أخرجه[٣] البزّار والطبراني، ورجال البزّار ثقات كما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٠/٩)، ورواه الحاكم في المستدرك (٣١٧/٣، ٣١٨)، وأبو عمر في الاستيعاب (٣٧١/١) ويوجد في كنز العمّال (١٨١/٦ و ٥٦/٧).

---

(١) مسند أحمد: ٤٤/١ ح١٧٦، السنن الكبرى: ٧١/٥ ح٨٢٥٥، التاريخ الكبير: ج١٩٩/٧ رقم٨٧٥، صحيح ابن خزيمة: ١٨٦/٢ ح١١٥٦، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٥٤٢/١٥ ح٧٠٦٦، تاريخ مدينة دمشق: ٦٢/٣٣ رقم٣٥٧٣، مسند البزّار (البحر الزخار): ٢٣٩/٤، المعجم الكبير: ٦٧/٩ ح٨٤١٥، مسند أبي يعلى: ١٧٢/١ ح١٩٣، ١٩٤.

(٢) سنن ابن ماجه: ٤٩/١ ح١٣٨، المستدرك على الصحيحين: ٣٥٩/٣ ح٥٣٩٠، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٩٠ رقم١٦٥٩، صفة الصفوة: ٣٩٩/١ رقم١٩، طرح التثريب: ٧٥/١، كنز العمّال: ٧١٠/١١ ح٣٣٤٦١ ـ ٣٣٤٦٣ و٤٦٠/١٣ ح٣٧١٩٧.

(٣) مسند البزّار (البحر الزخار): ٣٥٤/٥، المعجم الكبير: ٨٠/٩ ح٨٤٥٨، المستدرك على الصحيحين: ٣٥٩/٣ و ٣٦٠ ح٥٣٨٧ و ٥٣٩٤، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٨٩ رقم١٦٥٩، كنز العمّال: ٧١٠/١١ ح٣٣٤٦٠ و ٤٦٦/١٣ ح٣٧٢١٣.

٧ ـ عن عبدالله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «آذنك على[١] أن ترفع الحجاب وتسمع سِوادي[٢] حتىٰ أنهاك». قال ابن حجر: أخرجه أصحاب الصحاح.

مسند أحمد (٣٨٨/١)، سنن ابن ماجه (٦٣/١)، حلية الأولياء (١٢٦/٢)، الاستيعاب (٣٧١/١)، تاريخ ابن كثير (١٦٢/٧)، الإصابة (٣٦٩/٣)[٣].

٨ ـ أخرج الترمذي[٤] من طريق عبدالله في حديث قال: قال رسول‌الله ﷺ: «تمسّكوا بعهد ابن أُمّ عبد».

وفي لفظ أحمد: «تمسّكوا بعهد عمّار، وما حدّثكم ابن مسعود فصدّقوه».

راجع[٥]: مسند أحمد (٣٨٥/٥)، حلية الأولياء (١٢٨/١)، تاريخ ابن كثير (١٦٢/٢)، الإصابة (٣٦٩/٢)، كنز العمّال (٥٥/٧).

٩ ـ سُئل عليّ أمير المؤمنين عن ابن مسعود، قال: «علم القرآن وعلم السنّة ثمّ انتهىٰ وكفىٰ به علماً».

راجع[٦]: حلية الأولياء لأبي نُعَيم (١٢٩/١)، المستدرك للحاكم (٣١٨/٣)، ٩/٩

---

(١) كذا في الحلية، وفي غيرها: إذنك عليّ.

(٢) كذا في جميع المصادر، والسواد بالكسر: السرار. يقال: ساودت الرجل أي سارررته. وحسبه ناشر حلية الأولياء غلطاً فجعله في المتن: سراري. وقال في التعليق: في الأصلين: سوادي. (المؤلّف)

(٣) مسند أحمد: ٦٤٢/١ ح ٣٦٧٥، سنن ابن ماجه: ٤٩/١ ح ١٣٩، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٨٨ رقم ١٦٥٩، البداية والنهاية: ١٨٢/٧ حوادث سنة ٣٢هـ.

(٤) سنن الترمذي: ٦٣٠/٥ ح ٣٨٠٥.

(٥) مسند أحمد: ٥٣٣/٦ ح ٢٢٧٦٥، البداية والنهاية: ١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢هـ، كنز العمّال: ٤٦٥/١٣ ح ٣٧٢١١.

(٦) المستدرك على الصحيحين: ٣٦٠/٣ ح ٥٣٩٢، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٩٣ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ٤٠١/١ رقم ١٩.

الاستيعاب (٣٧٣/١)، صفة الصفوة (١٥٧/١).

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[١] (٣١٥/٣) من طريق حبّة العرني قال: إنّ ناساً أتوا عليّاً فأثنوا على عبدالله بن مسعود، فقال: «أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل: من قرأ القرآن وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنّة».

١١ ـ أخرج الترمذي[٢] بإسناد رجاله ثقات من طريق حذيفة بن اليمان: أنّ أشبه الناس هدياً ودلّاً وسمتاً بمحمد ﷺ عبدالله.

وفي لفظ البخاري: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلّاً برسول الله ﷺ من ابن أُمّ عبد، وزاد الترمذي: ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ ابن أُمّ عبد أقربهم إلى الله زلفى. وفي لفظ أبي نعيم: إنّه من أقربهم وسيلة يوم القيامة. وفي لفظ أبي عمر: سمع حذيفة يحلف بالله: ما أعلم أحداً أشبه دلّاً وهدياً برسول الله ﷺ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبدالله بن مسعود، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنّه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة.

وفي لفظ علقمة: كان يشبّه بالنبيّ في هديه ودلّه وسمته.

راجع[٣]: صحيح البخاري كتاب المناقب، مسند أحمد (٣٨٩/٥)، المستدرك (٣١٥/٣، ٣٢٠)، حلية الأولياء (١٢٦/١، ١٢٧)، الاستيعاب (٣٧٢/١)، مصابيح السنّة (٢٨٣/٢)، صفة الصفوة (١٥٦/١، ١٥٨)، تاريخ ابن كثير (١٦٢/٧)، تيسير الوصول (٢٩٧/٣) الإصابة (٣٦٩/٢)، كنز العمّال (٥٥/٧).

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣٥٧/٣ ح ٥٣٨٠.

(٢) سنن الترمذي: ٦٣١/٥ ح ٣٨٠٧.

(٣) صحيح البخاري: ١٣٧٣/٣ ح ٣٥٥١، مسند أحمد: ٥٣٨/٦ ح ٢٢٧٩٧، المستدرك على الصحيحين: ٣٥٦/٣ و ٣٦١ ح ٥٣٧٦ و ٥٣٩٦، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٩١ رقم ١٦٥٩، مصابيح السنّة: ٢٠٤/٤ ح ٤٨٥٥، صفة الصفوة: ٣٩٨/١ و ٤٠٢ رقم ١٩، البداية والنهاية: ١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢هـ، تيسير الوصول: ٣٢٤/٣ ح ١، كنز العمّال: ٤٦٥/١٣ رقم ٣٧٢١٠.

١٢ ـ أخرج[١] الشيخان والترمذي عن أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن وما نرى ابن مسعود إلّا أنّه رجل من أهل بيت النبيّ ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أُمّه على النبيّ ﷺ.

راجع[٢]: المستدرك للحاكم(٣١٤/٣)، مصابيح السنّة(٢٨٤/٢)، تيسير الوصول (٢٧٩/٣) نقلاً عن الشيخين والترمذي، تاريخ ابن كثير (١٦٢/٧)، مرآة الجنان لليافعي (٨٧/١)، الإصابة (٣٦٩/٢) قال: عند البخاري في التاريخ بسند صحيح[٣].

١٣ ـ أخرج أحمد في مسنده[٤] (٢٠٣/٤) من طريق عمرو بن العاصي قال: مات / رسول الله ﷺ وهو يحبّ عبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر. ١٠/٩

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٠/٩) بلفظ: مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهما. حكاه عن أحمد والطبراني فقال: رجال أحمد رجال الصحيح. وأخرجه ابن عساكر[٥] من طريق عثمان بن أبي العاص الثقفي كما في كنز العمّال[٦] (٥٦/٧).

---

(١) صحيح البخاري: ١٣٧٣/٣ ح٣٥٥٢، صحيح مسلم: ٦٣/٥ ح١١٠ كتاب فضائل الصحابة، سنن الترمذي: ٦٣١/٥ ح٣٨٠٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٥٥/٣ ح٥٣٧٥، مصابيح السنّة: ٢٠٤/٤ ح٤٨٥٦، تيسير الوصول: ٣٢٤/٣، البداية والنهاية: ١٨٣/٧ حوادث سنة ٣٢هـ.

(٣) قال ابن حجر في الإصابة: وعند البخاري في التاريخ [الصغير: ٦٠/١] بسند صحيح عن حريث ابن ظهير: جاء نعي عبدالله بن مسعود إلى أبي الدرداء فقال: ما ترك بعده مثله. انتهى.
فما ورد في المتن من نسبة العبارة المذكورة إلى ابن حجر وإلحاقها بما أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي موسى، سهو من قلمه الشريف منشؤه مجيء العبارة في الإصابة عقيب ما أُخرج عن أبي موسى مباشرة وبلا فصل.

(٤) مسند أحمد: ٢٣٠/٥ ح١٧٣٥١.

(٥) مختصر تاريخ دمشق: ٢١٣/١٨.

(٦) كنز العمّال: ٤٦٨/١٣ ح٣٧٢١٨.

١٤ ـ أخرج البخاري[١] من طريق عبدالله بن مسعود، قال: أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإنّ زيد بن ثابت لصبيّ من الصبيان. وفي لفظ: أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت وله ذؤابة يلعب مع الغلمان. وفي لفظ: ما ينازعني فيها أحد[٢].

حلية الأولياء (١٢٥/١)، الاستيعاب (٣٧٣/١)، تهذيب التهذيب (٢٨/٦) وصحّحه، كنز العمّال (٥٦/٧) نقلاً عن ابن أبي داود.

١٥ ـ أخرج البغوي من طريق تميم بن حرام[٣]، قال: جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبّ إليّ أن أكون في صلاحه من ابن مسعود، الإصابة لابن حجر (٣٧٠/٢).

وأخرجه البخاري في تاريخه (١/قسم ٢/ص ١٥٢) ولفظه: أدركت أبا بكر وعمر وأصحاب محمد ﷺ فما رأيت أحداً... إلى آخره.

١٦ ـ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة: كان عبدالله صاحب سِواد رسول الله ﷺ يعني سرّه. وعن أبي الدرداء: ألم يكن فيكم صاحب السِّواد عبدالله؟ وعن عبدالله بن شدّاد: إنّ عبدالله كان صاحب السِّواد والوِساد والسواك والنعلين[٤].

راجع[٥]: طبقات ابن سعد (١٠٨/٣)، حلية الأولياء (١٢٦/١)، الاستيعاب (٣٧١/١)، صفة الصفوة (١٥٦/١)، طرح التثريب (٧٥/١).

---

(١) التاريخ الكبير: ج ٢٢٧/٣ رقم ٧٦٢.

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/٩٩٣ رقم ١٦٥٩، تهذيب التهذيب: ٢٥/٦، كنز العمّال: ٤٦٨/١٣ ح ٣٧٢١٧.

(٣) في تاريخ البخاري: حذلم. (المؤلّف)

(٤) كان يلزم رسول الله ﷺ ويحمل نعليه. قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٢٨/٦ [٢٥/٦]. (المؤلّف)

(٥) الطبقات الكبرى: ١٥٣/٣، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٨٨ رقم ١٦٥٩، صفة الصفوة: ٣٩٧/١ رقم ١٩.

١٧ ـ عن أبي وائل، قال ابن مسعود: إنّي لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم وما في كتاب الله سورة ولا آية إلّا وأنا أعلم فيم أُنزلت ومتى نزلت. قال أبو وائل: فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه. ١١/٩

أخرجه[١] الشيخان والنسائي كما في تيسير الوصول (٢٧٩/٣)، وأبو عمر في الاستيعاب (٣٧٢/١)، وذكره اليافعي في مرآته (٨٧/١).

هذا ابن مسعود:

وهذا علمه وهديه وسمته وصلاحه وزلفته إلى نبيّ العظمة ﷺ، أضف إلى ذلك كلّه سابقته في الإسلام وهو سادس ستة، وهجرته إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة، وشهوده بدراً ومشاهد النبيّ ﷺ كلّها، وهو أحد العشرة المبشّرة بالجنّة كما في رواية أبي عمر في الاستيعاب، ولعلّك لا تشكّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة والتاريخ في أنّه لم يكن له دأب إلّا على نشر علم القرآن وسنّة الرسول وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، وتثبيت القلوب، وشدّ أزر الدين، في كلّ ذلك هو شبيه رسول الله ﷺ في هديه وسمته ودلّه، فلا تجد فيه مغمزاً لغامز، ولا محلّاً لِلَمز لامز، وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلّمهم أُمور دينهم، وبعث عمّاراً أميراً وكتب إليهم: إنّهما من النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي[٢]. وقد سمعتَ ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم: جُزيت خيراً، فلقد علّمت جاهلنا وثبّتَ عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل.

---

(١) صحيح البخاري: ١٩١٢/٤ ح٤٧١٦، صحيح مسلم: ٦٥/٥ ح١١٥ كتاب فضائل الصحابة: السنن الكبرى: ٧٢/٥ ح٨٢٦٠، تيسير الوصول: ٣٢٤/٣ ح٢، الاستيعاب: القسم الثالث/٩٩١ رقم١٦٥٩.

(٢) الاستيعاب: ٣٧٣/١ و ٤٣٦/٢ [القسم الثالث/٩٨٨ رقم١٦٥٩ و ١١٤٠ رقم١٨٦٣]، الإصابة: ٣٦٩/٢ [رقم٤٩٥٤]. (المؤلّف)

كان ابن مسعود أوّل من جهر بالقرآن بمكة، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قطّ، فمن رجلٌ يسمعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا. قالوا: إنّا نخشاهم عليك، إنّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإنّ الله سيمنعني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثمّ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ـ رافعاً بها صوته ـ الرحمن علّم القرآن. قال: ثمّ استقبلها يقرؤها، قال: وتأمّلوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أُمّ عبد؟ قال: ثمّ قالوا: إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأُغادينّهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[1]. ١٢/٩

وقد هذّبته تلكم الأحوال وكهربته، فلم يُسق لمغضبة على باطل، ولم يحدهُ طيش إلى غاية، فهو إن قال فعن هدىً، وإن حدّث فعن الصادع الكريم صدقاً، وإن جال ففي مستوى الحقّ، وإن صال فعلى الضلالة، وعرفه بذلك من عرفه من أوّل يومه، وكان معظّماً مبجّلاً لدى الصحابة وكانوا يحذرون خلافه والردّ عليه ويعدّونه حوباً. قال أبو وائل: إنّ ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال: ارفع إزارك. فقال: وأنت يابن مسعود فارفع إزارك. فقال: إنّي لست مثلك إنّ بساقي حموشة وأنا آدم[2] الناس. فبلغ ذلك عمر، فضرب الرجل ويقول[3]: أتردّ على ابن مسعود[4]؟

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣٣٧/١ [٣٣٦/١]. (المؤلّف)

(٢) كذا في الإصابة، وفي كنز العمّال: أوْم.

(٣) كذا في الإصابة، وفي تاريخ دمشق: ١٤٩/٣٣ رقم ٣٥٧٣، وسير أعلام النبلاء: ٤٩١/١ ـ ٤٩٢ رقم ٨٧، وكنز العمّال: فجعل يضرب الرجل ويقول.

(٤) الإصابة: ٣٧٠/٢ [رقم ٤٩٥٤]، كنز العمّال: ٥٥/٧ [٤٦٤/١٣ رقم ٣٧٢٠٦]. (المؤلّف)

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب[1] (٣٧٢/١) بالإسناد عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات فقال: جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه، فغضب عمر غضباً شديداً وقال: ويحك ومن هو؟ قال: عبدالله بن مسعود. قال: فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله، وقال: والله ما أعلم من الناس أحداً هو أحقّ بذلك منه.

فلماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاءه سنين؟ ثمّ يأتيه من سامه سوء العذاب وقد خالجه الندم ولات حين مندم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها ابن مسعود وهو في منصرم عمره، ويسأل ربّه أن يأخذ له منه بحقّه، ثمّ يتوجّه إلى النعيم الخالد مُعرضاً عن الحطام الزائل، موصياً بأن لا يصلّي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع.

لماذا فُعل به هذا؟ ولماذا شُتم على رؤوس الأشهاد؟ ولماذا أُخرج من مسجد رسول الله ﷺ مُهاناً عنفاً؟ ولماذا ضُرب به الأرض فدُقّت أضالعه؟ ولماذا بطشوا به بطش الجبّارين؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كلّ ذلك لأنّه امتنع عن أن يبيح للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال
١٣/٩ الكوفة يوم كان عليه ما أُمر به، فألقى مفاتيح بيت المال لمّا لم يجد من الكتاب والسنّة ـ وهو العليم بهما ـ مساغاً لهاتيك الإباحة ولا لأثرة الآمر بها، وعلم أنّها سوف تتبعها من الأعطيات التي لا يقرّها كتاب ولا سنّة، فتسلّل عن عمله وتنصّل، وما راقه أن يبوء بذلك الإثم، فلهج بما علم، وأبدى معاذيره في إلقاء المفاتيح، فغاظ تلكم الأحوال داعية الشهوات، وشاخص الهوى الوليد بن عقبة، فكتب في حقّه ونمّ وسعى، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ما عرفت، ولم تمنع عن ذلك سوابقه في الإسلام وفضائله وفواضله وعلمه وهديه وورعه ومعاذيره وحججه، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كلّه، فأوجب نقمة الصحابة على من نال ذلك منه،

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/٩٩٢ رقم ١٦٥٩.

وإنكار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيحة أُمّ المؤمنين في خدرها، ولم تزل البغضاء محتدمة على هذه وأمثالها حتى كان في مغبّة الأمر ما لم يحمده خليفة الوقت وزبانيته الذين جرّوا إليه الويلات.

ولو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الانتقام، أو أعار لنصح صلحاء الأُمّة أُذناً واعية، أو لم يستبدل جراثيم الفتن بمحنكي الرجال، أو لم ينبذ كتاب الله وسنّة نبيّه وراء ظهره، لما استقبله ما جرى عليه وعلى من اكتنفه من الوأد والهوان. لكنّه لم يفعل ففعلوا، ولمحكمة العدل الإلٰهيّ غداً حكمها البات.

ولابن مسعود عند القوم مظلمة أُخرى وهي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر، لماذا كان ذلك؟ لأنّه دفن أبا ذر لمّا حضر موته في حجّته. وجد بالربذة في ذلك الوادي القفر الوعر ميتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان.

وجد صحابيّاً عظيماً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرّبه ويدنيه قد فارق الدنيا.

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة.

وجد مثالاً للقداسة والتقوى، فتمثّل أمام عينيه تلك الصورة المكبّرة التي كان يشاهدها على العهد النبويّ.

وجد شبيه عيسى بن مريم في الأُمّة المرحومة هدياً وسمتاً ونُسكاً وزُهداً وخلقاً، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام.

وجد عزيزاً من أعزّاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً.

١٤/٩ وجد في قارعة الطريق جثمان طيّب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس، وتسفي عليه الرياح، وذكر قول رسول الله: «رحم الله أباذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويُحشر وحده».

فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمرّوا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كلّ مسلم، فضلاً عن أبي ذر الذي بشّر بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله ﷺ، فنهضوا بالواجب فأودعوه في مقرّه الأخير والعيون عبرى، والقلوب واجدة على ما ارتكب من هذا الإنسان المبجّل، فلمّا هبطوا يثرب نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر، فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً، حتى صدر الأمر بجلده أربعين سوطاً، وذلك أمر لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطمّ جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة، فكيف بمثل أبي ذر وعاء العلم، وموئل التقوى، ومنبثق الإيمان، وللعداء مفعول قد يبلغ أكثر من هذا.

أيّ خليفة هذا لم يُراعِ حرمة ولا كرامة لصلحاء الأُمّة وعظماء الصحابة من البدريّين الذين نزل فيهم القرآن، وأثنى عليهم النبيّ العظيم؟ وقد جاء في مجرم بدريّ[1] قوله ﷺ لمّا قال عمر: إئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: مهلاً يابن الخطّاب إنّه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإنّي غافر لكم[2]. واختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان في زمرتهم لفضلهم المتسالم عليه عند الأُمّة جمعاء، كأنّ الرجل آلى على نفسه أن يُطلّ على الأُمّة الداعية إلى الخير، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، بالذلّ والهوان، ويُسرّ بذلك سماسرة الأهواء من بني أبيه، فطفق بمراده، والله من ورائهم حسيب.

والمدافع إن أعوزته المعاذير تشبّث بالطحلب فقال[3]: حداه إلى ذلك الاجتهاد! ذلك العذر العام المصحّح للأباطيل، والمبرّر للشنائع، والوسيلة المتّخذة لإغراء /بسطاء ١٥/٩

---

(١) هو حاطب بن بلتعة حين كتب إلى كفار قريش كتاباً يتنصّح لهم فيه.

(٢) أحكام القرآن: ٥٣٥/٣ [٤٣٥/٣]. (المؤلّف)

(٣) راجع: التمهيد للباقلاني: ٢٢١ [ص ٢٣١] الرياض النضرة: ١٤٥/٢ [٨٢/٣]، الصواعق: ص ٦٨ [ص ١١٣]، تاريخ الخميس: ٢٦٨/٢. (المؤلّف)

الأُمّة، وذلك قولهم بأفواههم: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنُونَ﴾[١] ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَو أَلقَىٰ مَعَاذِيرَه﴾[٢].

- ٤٣ -

مواقف الخليفة مع عمّار

١ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[٣] (٤٨/٥) بالإسناد من طريق أبي مخنف قال: كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام. فقال له عليّ: إذاً تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه. وقال عمّار بن ياسر: أُشهد الله أنّ أنفي أوّل راغم من ذلك. فقال عثمان: أعليّ يابن المتكاء[٤] تجترئ؟ خذوه، فأُخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى غُشي عليه، ثمّ أُخرج فحُمل حتى أُتي به منزل أُمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب، فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال: الحمد لله ليس هذا أوّل يوم أُوذينا فيه في الله. وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم، فقال: يا عثمان أمّا عليّ فاتّقيته وبني أبيه، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيتَ به على التلف. أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أُميّة عظيم السُرّة، فقال عثمان: وإنّك لهاهنا يابن القسريّة؟ قال: فإنّها قسريّتان، وكانت أُمّه وجدّته قسريّتين من بجيلة. فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج، فأتى أُمّ سلمة فإذا هي قد غضبت لعمّار، وبلغ عائشة ما صُنع بعمّار، فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة

---

(١) النمل: ٧٤.

(٢) القيامة: ١٤ ـ ١٥.

(٣) أنساب الأشراف: ١٦١/٦.

(٤) المتكاء: البظراء، المفضاة التي لا تمسك البول، العظيمة البطن. (المؤلّف)

نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبلَ بعد! فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول، فالتجّ المسجد[١] وقال الناس: سبحان الله، سبحان الله، وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فجعل يُكثر التعجب والتسبيح.

وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى أُمّ سلمة وغضبها لعمّار فأرسل إليها: ما هذا الجمع؟ فأرسلت إليه: دع ذا عنك يا عثمان، ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون. واستقبح الناس فعله بعمّار وشاع فيهم فاشتدّ ١٦/٩
إنكارهم له.

وفي لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري[٢] (ص٨٨): كان في الخزائن سفط فيه حليّ، وأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله، فأظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أُعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم، فقال عمّار: أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك. فقال عثمان: لقد اجترأت عليّ يابن سميّة! وضربه حتى غشي عليه، فقال عمّار: ما هذا بأوّل ما أوذيت في الله. وأطلعت عائشة شعراً من رسول ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه ـ فيما يحسب وهب ـ ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم! وقال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبلَ فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم. فغضب عثمان حتى لم يدرِ ما يقول.

٢ ـ قال البلاذري في الأنساب[٣] (٤٩/٥): إنّ المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان، وخوّفوه ربّه، وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يُقلع، فأخذ عمّار الكتاب وأتاه به

---

(١) التجّت الأصوات: ارتفعت فاختلطت.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٠٩/٦.

(٣) المصدر السابق: ص١٦٢.

فقرأ صدراً منه، فقال له عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟ فقال عمّار: لأنّي أنصحهم لك. فقال: كذبت يابن سميّة. فقال: أنا والله ابن سميّة وابن ياسر. فأمر غلمانه فمدّوا بيديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفّين على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه.

وذكره ابن أبي الحديد في الشرح[1] (٢٣٩/١) نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه.

وقال أبو عمر في الاستيعاب[2] (٤٢٢/٢): وللحلف والولاء اللذين بين بني مخزوم وبين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب، حتى انفتق له فتق في بطنه، ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا: والله لئن مات لا قتلنا به أحداً غير عثمان.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

صورة مفصّلة:

قال ابن قتيبة: ذكروا أنّه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً ١٧/٩ ذكروا فيه:

١ ـ ما خالف فيه عثمان من سنّة رسول الله وسنّة صاحبيه.

٢ ـ وما كان من هبته خمس إفريقية لمروان وفيه حقّ الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين.

٣ ـ وما كان من تطاوله في البنيان، حتى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥٠/٣ خطبة ٤٣.

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٦ رقم ١٨٦٣.

٤ ـ وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله.

٥ ـ وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أُميّة من أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأُمور.

٦ ـ وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثمّ قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة[1] زدتكم.

٧ ـ وتعطيله إقامة الحدّ عليه وتأخيره ذلك عنه.

٨ ـ وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم.

٩ ـ وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة.

١٠ ـ وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثمّ لا يغزون ولا يذبّون.

١١ ـ وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعُنَّ الكتاب في يد عثمان، وكان ممّن حضر الكتاب عمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شاتٍ، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أُميّة، فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال:

---

(١) في الإمامة والسياسة: صلاة.

نعم. قال: ومن كان معك؟ قال: معي نفر تفرّقوا فرقاً منك. قال: ومن هم؟ قال: [لا][1] أُخبرك بهم. قال: فلم /اجترأت عليّ من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين، ١٨/٩
إنّ هذا العبد الأسود ـ يعني عمّاراً ـ قد جرّأ عليك الناس، وإنّك إن قتلته نكّلت به من وراءه. قال عثمان: اضربوه. فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجرّوه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أُمّ سلمة زوج النبيّ عليه الصلاة والسلام فأُدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلمّا خرج عثمان لصلاة الظهر؛ عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال: أما والله لئن مات عمّار من ضربه هذا لأقتلنّ به رجلاً عظيماً من بني أُميّة، فقال عثمان: لست هناك. قال: ثمّ خرج عثمان إلى المسجد فإذا هو بعليّ وهو شاكٍ معصوب الرأس، فقال له عثمان: والله يا أبا الحسن ما أدري أشتهي موتك أم أشتهي حياتك؟! فوالله لئن متّ ما أُحبّ أن أبقى بعدك لغيرك، لأنّي لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سُلّماً وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأ، لا يمنعني منه إلّا مكانه منك ومكانك منه، فأنا منك كالابن العاقّ من أبيه، إن مات فجعه وإن عاش عقّه، فإمّا سلم فنسالم وإمّا حرب فنحارب، فلا تجعلني بين السماء والأرض، فإنّك والله إن قتلتني لا تجد منّي خلفاً، ولئن قتلتك لا أجد منك خلَفاً، ولن يلي أمر هذه الأُمّة بادئ فتنة. فقال عليّ: إنّ في ما تكلّمت به لجواباً، ولكنّي عن جوابك مشغول بوجعي، فأنا أقول كما قال العبد الصالح ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾[2] قال مروان: إنّا والله إذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا، فقال له عثمان: اسكت، ما أنت وهذا؟ الإمامة والسياسة[3] (٢٩/١).

---

(١) من المصدر.

(٢) يوسف: ١٨.

(٣) الإمامة والسياسة: ٣٥/١.

وذكره مختصراً ابن عبد ربّه في العقد الفريد[١] (٢٧٢/٣) نقلاً عن أبي بكر بن أبي شيبة من طريق الأعمش، قال: كتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة، فقالوا: من يذهب بها إليه؟ قال عمّار: أنا. فذهب بها إليه، فلمّا قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: وبأنف أبي بكر وعمر، قال: فقام إليه فوطئه حتى غشي عليه. ثمّ ندم عثمان، وبعث إليه طلحة والزبير يقولان له: اختر إحدى ثلاث: إمّا أن تعفو، وإمّا أن تأخذ الأرش، وإمّا أن تقتصّ، فقال: والله لا قبلت واحدةً منها حتى ألقى الله.

٣ ـ قال البلاذري في الانساب[٢] (٥٤/٥): وقد روي أيضاً: أنّه لمّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمّار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا. فقال / عثمان: يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفع في ١٩/٩
قفاه وقال: إلحق بمكانه، فلمّا تهيّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان فيه، فقال له عليّ: «يا عثمان اتّق الله، فإنّك سيّرت رجلاً[٣] صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثمّ أنت الآن تريد أن تنفي نظيره» وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحقّ بالنفي منه. فقال عليّ: «رُم ذلك إن شئت» واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلّما كلّمك رجل سيّرته ونفيته فإنّ هذا شيء لا يسوغ. فكفّ عن عمّار.

وفي لفظ اليعقوبي: لمّا بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال: رحم الله أباذر. قال عمّار: نعم رحم الله أباذر من كلّ أنفسنا. فغلظ ذلك على عثمان، وبلغ عثمان عن عمّار كلام، فأراد أن يسيّره أيضاً، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم، فقال عليّ: لا ندع عثمان ورأيه. فجلس عمّار في بيته، وبلغ عثمان ما تكلّمت

---

(١) العقد الفريد: ١١٩/٤.

(٢) أنساب الأشراف: ١٦٩/٦.

(٣) يعني سيّدنا أبا ذر الغفاري. (المؤلّف)

بنو مخزوم فأمسك عنه. تاريخ اليعقوبي[١] (١٥٠/٢).

٤ ـ قال البلاذري في الأنساب[٢] (٤٩/٥): إنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل: قبر عبدالله بن مسعود، فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطئ عمّاراً حتى أصابه الفتق.

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه[٣] (٢٣٩/١) نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه.

وفي لفظ اليعقوبي: توفّي ـ ابن مسعود ـ وصلّى عليه عمّار بن ياسر، وكان عثمان غائباً فستر أمره، فلمّا انصرف رأى عثمان القبر فقال: قبر من هذا؟ فقيل: قبر عبدالله ابن مسعود، قال: فكيف دُفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولي أمره عمّار بن ياسر، وذكر أنّه أوصى أن لا يُخبَر به، ولم يلبث إلّا يسيراً حتى مات المقداد[٤]، فصلّى عليه عمّار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتدّ غضب عثمان على عمّار وقال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به علياً. تاريخ اليعقوبي[٥] (١٤٧/٢).

وفي طبقات ابن سعد[٦] (١٨٥/٣) طبع ليدن: إنّ عقبة بن عامر هو الذي قتل عمّاراً، / وهو الذي كان ضربه حين أمره عثمان بن عفّان. ٢٠/٩

قال الأميني: هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على طمأنينته بالإيمان والرضا بقنوته آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة، في رجل هو أوّل مسلم

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٧٣/٢.

(٢) أنساب الأشراف: ١٦٣/٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٥٠/٣ خطبة ٤٣.

(٤) اتّفقوا على أنّه مات سنة ثلاث وثلاثين، وتوفّي ابن مسعود قبله بسنة أو أقلّ أو أكثر. (المؤلّف)

(٥) تاريخ اليعقوبي: ١٧٠/٢.

(٦) الطبقات الكبرى: ٢٥٩/٣.

اتّخذ مسجداً في بيته يتعبّد فيه[١]، في رجل تضافر الثناء عليه عن رسول الله ﷺ مشفوعاً بالنهي المؤكّد عن بغضه ومعاداته وسبّه وتحقيره وانتقاصه بألفاظ ستقف عليها إن شاء الله تعالى. وقد أكبرته الصحابة الأوّلون ونقمت على من آذاه وأغضبه وأبغضه وفُعل به كلّ تلكم المناهي، ولم يؤثر عن عمّار إلّا الرضا بما يُرضي الله ورسوله والغضب لهما والهتاف بالحقّ والتجهّم أمام الباطل رضي الناس أم غضبوا، ولم يزل على ذلك كلّه منذ بدء أمره الذي أوذي فيه هو وأبواه، فكان مرضيّاً عند الله إيمانهم وخضوعهم وبعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذكرهم ورداً لنبيّ الإسلام فلم يزل يلهج بهم ويدعو لهم ويقول:

«اصبروا آل ياسر موعدكم الجنّة». من طريق عثمان بن عفّان[٢].

ويقول: «ابشروا آل ياسر موعدكم الجنّة». من طريق جابر[٣].

ويقول: «اللّهمّ اغفر لآل ياسر وقد فعلتَ». رواه عثمان أيضاً[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد: ١٧٨/٣ طبع ليدن [٢٥٠/٣]، وذكره ابن كثير في تاريخه: ٣١١/٧ [٣٤٥/٧ حوادث سنة ٣٧هـ، والحاكم في المستدرك: ٤٣٤/٣ ح٥٦٥٥، ٥٦٥٦، والذهبي في تاريخ الإسلام: ص٥٧٢ عهد الخلفاء الراشدين، وابن أبي شيبة في المصنّف: ٥٢٤/٧]. (المؤلّف)

(٢) أخرجه الطبراني [في المعجم الكبير: ٣٠٣/٢٤ ح٧٦٩] كما في مجمع الزوائد: ٢٩٣/٩ فقال: رجاله ثقات، وأخرجه الطبراني عن عمّار، والبغوي، وابن مندة، والخطيب [في تاريخ بغداد: ٣٤٣/١١ رقم٦١٨٢]، وأحمد، وابن عساكر [مختصر تاريخ دمشق: ٢٠٥/١٨] عن عثمان كما في كنز العمّال: ١٨٥/٦ [٧٢٨/١١ ح٣٣٥٦٨، والحاكم في المستدرك ٤٣٢/٣ رقم٥٦٤٤]. (المؤلّف)

(٣) مجمع الزوائد: ٢٩٣/٩ نقلاً عن الطبراني [في المعجم الأوسط: ٣٠٥/٢ ح١٥٣١] فقال: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم وهو ثقة [وأخرجه البيهقي في دلائل النبوّة: ٢٨٢/٢، والحاكم في المستدرك: ٤٣٨/٣ح٥٦٦٦، والذهبي في تاريخ الإسلام: ص٥٧٢ عهد الخلفاء الراشدين]. (المؤلّف)

(٤) مسند أحمد: ٦٢/١ [١٠٠/١ ح٤٤١]، مجمع الزوائد: ٢٩٣/٩ فقال: رجاله رجال الصحيح، وأخرجه البيهقي، والبغوي، والعقيلي، والحاكم في الكنى، وابن الجوزي [في صفة الصفوة: ٤٤٣/١ رقم٢٧]، وابن عساكر [انظر: مختصر تاريخ دمشق: ٢٠٨/١٨] كما في كنز العمّال: ٧٢/٧ [٥٢٨/١٣ ح٣٧٣٦٥، وأخرجه الذهبي في تاريخ الاسلام: ص٥٧٢ عهد الخلفاء الراشدين]. (المؤلّف)

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار وبأبيه وأُمّه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حَميت الظهيرة يعذّبونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنّة، صبراً آل ياسر فإنّ مصيركم إلى الجنّة»[1].

نعم؛ كان عمّار هكذا عند مفتتح حياته الدينيّة إلى منصرم عمره الذي قتلته
٢١/٩ فيه / الفئة الباغية. وقد أخبر به النبيّ ﷺ بقوله:

«ويحك يابن سميّة تقتلك الفئة الباغية».

وفي لفظ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية، وقاتله في النار».

وفي لفظ: «ويح عمّار أو ويح ابن سميّة تقتله الفئة الباغية».

وفي لفظ معاوية: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية».

وفي لفظ عثمان: «تقتلك الفئة الباغية، قاتل عمّار في النار».

وفي لفظ: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية عن الطريق، وإنّ آخر رزقه من الدنيا ضياح من لبن».

وفي لفظ عمّار: أخبرني حبيبي ﷺ أنّه تقتلني الفئة الباغية، وأنّ آخر زادي مذقة من لبن.

وفي لفظ حذيفة: «إنّك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحقّ، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن».

وفي لفظ: «ويح عمّار تقتله الفئةالباغية، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار».

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣٤٢/١، حلية الأولياء: ١٤٠/١ [رقم٢٢]، طرح التثريب: ٨٧/١، وأخرجه الحارث، والضياء، والحاكم [في المستدرك على الصحيحين: ٤٣٢/٣ ح٥٦٤٦]، والطيالسي، والبغوي، وابن مندة، وابن عساكر [أُنظر مختصر تاريخ دمشق : ٢٠٨/٨] كما في كنز العمّال: ٧٢/٧ [٥٢٨/١٣ ح٣٧٣٦٦]. (المؤلّف)

وفي لفظ أنس: «ابن سميّة تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه في النار».

وفي لفظ عائشة: «اللّهمّ بارك في عمّار، ويحك ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية، وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن».

وفي لفظ: «ويح ابن سميّة ليسوا بالذين يقتلونك إنّما تقتلك الفئة الباغية».

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدّ التواتر منها طريق: عثمان بن عفّان، عمرو بن العاص، معاوية بن أبي سفيان، حذيفة بن اليمان، عبدالله بن عمر، خزيمة بن ثابت، كعب بن مالك، جابر بن عبدالله، ابن عباس، أنس بن مالك، أبي هريرة الدوسي، عبدالله بن مسعود، أبي سعد، أبي أُمامة، أبي رافع، أبي قتادة، زيد ابن أبي أوفى، عمّار بن ياسر، عبدالله بن أبي هذيل، أبي اليسر، زياد بن الفرد، جابر ابن سمرة، عبدالله بن عمرو بن العاص، أُمّ سلمة، عائشة.

راجع[1]: طبقات ابن سعد (١٨٠/٣)، سيرة ابن هشام (١١٤/٢)، مستدرك الحاكم (٣٨٦/٣، ٣٨٧، ٣٩١)، الاستيعاب (٤٣٦/٢) وقال: تواترت الآثار عن النبيّ ﷺ / أنّه قال: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية»، وهذا من إخباره ٢٢/٩
بالغيب وأعلام نبوّته ﷺ وهو من أصحّ الأحاديث. طرح التثريب (٨٨/١) وصحّحه، تيسير الوصول (٢٧٨/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٢٧٤/٢)، تاريخ ابن كثير (٢٦٧/٧، ٢٧٠)، مجمع الزوائد (٢٩٦/٩) وصحّحه من عدّة طرق، تهذيب التهذيب (٤٠٩/٧) وذكر تواتره، الإصابة (٥١٢/٢) وقال: تواترت الأحاديث [عن النبي ﷺ

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢٥١/٣، السيرة النبويّة: ١٤٢/٢، المستدرك على الصحيحين: ٤٣٥/٣ ح٥٦٥٧ و ٤٣٦ ح٥٦٥٩ و ٤٤٢ ح٥٦٧٦، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٤٠ رقم١٨٦٣، تيسير الوصول: ٣٢٣/٣ ح٢، شرح نهج البلاغة: ٢٤/٨ خطبة ١٢٤، البداية والنهاية: ٢٩٦/٧ و٢٩٨ حوادث سنة ٣٧ هـ، تهذيب التهذيب: ٣٥٨/٧، كنز العمّال: ٧٢٦/١١ ح٣٣٥٥٥ و٥٢٩/١٣ ح٣٧٣٧٠ و ٥٣٦ ح٣٧٤٠٠، الخصائص الكبرى: ٢٣٩/٢.

أنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية]، كنز العمّال (١٨٤/٦ و ٧٣/٧، ٧٤)، ونصّ على تواتره السيوطي في الخصائص كما مرّ في الجزء الثالث (٢٥٠).

وأخرجه[١] : البخاري، ومسلم، وأحمد، والبزّار، وعبدالرزّاق، والطبراني، والدارقطني، وأبو يعلى، وأبو عوانة، والإسماعيلي، والضياء المقدسي، وأبو نعيم، وتمام، وابن قانع، وابن منده، والبارودي، والبرقاني، وابن عساكر، والخطيب.

عمّار في الذكر الحكيم :

هذا عمّار بين البدء والختام المحمودين وهو بينهما كما أثنى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالىٰ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحذَرُ الآخِرَةَ ﴾[٢].

أخرج[٣] ابن سعد في الطبقات (١٧٨/٣) ـ طبع ليدن ـ وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس: أنها نزلت في عمّار بن ياسر.

وذكر الزمخشري في تفسيره[٤] (٢٢/٣): أنّها نزلت في عمّار وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

وذكر القرطبي في تفسيره[٥] (٢٣٩/١٥) عن مقاتل: أنّ من هو قانت: عمّار بن ياسر.

---

(١) صحيح البخاري: ١٧٢/١ ح٤٣٦، صحيح مسلم: ٤٣١/٥ ح٧٣ كتاب الفتن، مسند أحمد: ٢٨١/٦ح٢١٣٦٦، مسند البزّار(البحرالزخار): ٢٥٦/٤ح١٤٢٨، المصنّف: ٢٤٠/١١ ح٢٠٤٢٦ و٢٠٤٢٧، المعجم الكبير: ٢٦٦/٥ح٥٢٩٦، مسند أبي يعلى: ٤٠٣/١١ح٦٥٢٤، حلية الأولياء: ١٧٢/٤، ١٩٧/٧ ـ ١٩٨، تاريخ مدينة دمشق: ٩/١٣رقم١٢٧٩، تاريخ بغداد: ٤١٤/٧ رقم٣٩٦٥.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) الطبقات الكبرىٰ: ٢٥٠/٣، مختصر تاريخ دمشق: ٢١٠/١٨.

(٤) الكشّاف: ١١٧/٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦/١٥.

وذكر الخازن في تفسيره[١] (٥٣/٣): أنّها نزلت في ابن مسعود وعمّار وسلمان. وذكره الخطيب الشربيني في تفسيره[٢] (٤١٠/٣). وذكر الشوكاني في تفسيره[٣] (٤٤٢/٤) حديث ابن سعد وابن مردويه وابن عساكر. وزاد الآلوسي عليه في تفسيره (٢٤٧/٢٣) قوله: وأخرج جويبر عن ابن عباس أنّها نزلت في عمّار وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة. وعن عكرمة: الاقتصار على عمّار. وعن مقاتل: المراد بمن هو قانت: عمّار وصهيب وابن مسعود وأبوذر. وجلّ ما ذكره الآلوسي مأخوذ من الدرّ المنثور[٤] (٣٢٣/٥).

آية ثانية: أخرج ابن ماجه[٥] في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِن شَيْءٍ**﴾ الآية (الأنعام: ٥٢) أنّها / نزلت في عمّار وصهيب وبلال وخبّاب. ٢٣/٩

راجع[٦]: تفسير الطبري (١٢٧/٧، ١٢٨)، تفسير القرطبي (٤٣٢/١٦)، تفسير البيضاوي (٣٨٠/١)، تفسير الزمخشري (٤٥٣/١)، تفسير الرازي (٥٠/٤)، تفسير ابن كثير (١٣٤/٢)، تفسير ابن جزي (١٠/٢)، الدرّ المنثور (١٤/٣)، تفسير الخازن (١٨/٢)، تفسير الشربيني (٤٠٤/١)، تفسير الشوكاني (١١٥/٢).

آية ثالثة: أخرج جمع من الحفّاظ نزول قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ**

---

(١) تفسير الخازن: ٥٠/٤.

(٢) السراج المنير: ٤٣٦/٣.

(٣) فتح القدير: ٤٥٤/٤.

(٤) الدرّ المنثور: ٢١٤/٧.

(٥) سنن ابن ماجه: ١٣٨٣/٢ ح٤١٢٨.

(٦) جامع البيان: ج٥/ج٧/٢٠٠ ـ ٢٠١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٨/٦، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٠٢/١، الكشّاف: ٢٧/٢، التفسير الكبير: ٢٣٤/١٢، الدرّ المنثور: ٢٧٣/٣، فتح القدير: ١٢٠/٢.

مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[١] في عمّار. وقال أبو عمر في الاستيعاب: هذا ممّا اجتمع أهل التفسير عليه. وقال القرطبي: نزلت في عمّار في قول أهل التفسير. وقال ابن حجر في الإصابة: اتّفقوا على أنّه نزل في عمّار.

قال ابن عبّاس ـ في لفظ الواحدي ـ: نزلت في عمّار بن ياسر؛ وذلك أنّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأُمّه سميّة وصهيباً وبلالاً وخبّاباً وسالماً، فأمّا سميّة فإنّها رُبطت بين بعيرين ووُجئ قُبلها بحربة، وقيل لها: إنّك أسلمت من أجل الرجال. فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أوّل قتيلين قُتلا في الإسلام. وأمّا عمّار فإنّه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأُخبر النبيّ ﷺ بأنّ عمّاراً كفر. فقال: «كلّا إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يمسح عينيه وقال: «إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت». فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخرج حديث نزولها في عمّار: ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبري عن ابن عبّاس، وعبدالرزّاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر[٢] من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمّار عن أبيه، وابن أبي شيبة[٣]، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عساكر عن أبي مالك.

راجع[٤]: طبقات ابن سعد (١٧٨/٣)، تفسير الطبري (١٢٢/١٤)، أسباب

---

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ٢٠٩/١٨.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة: ٥٢٤/٧.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢٤٩/٣، جامع البيان: مج٨/ج١٨١/١٤، أسباب النزول: ص١٩٠، المستدرك على الصحيحين: ٣٨٩/٢ ح٣٣٦٢، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٦ رقم١٨٦٣، الجامع لأحكام القرآن: ١١٨/١٠، الكشّاف: ٦٣٦/٢، تفسير البيضاوي: ٥٥٨/١، التفسير الكبير: ١٢١/٢٠، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٠٩/٤، الدرّ المنثور: ١٦٩/٥ ـ ١٧٠، تفسير الخازن: ١٣٦/٣، فتح القدير: ١٩٨/٣.

النزول للواحدي (ص٢١٢)، مستدرك الحاكم (٣٥٧/٢)، الاستيعاب (٤٣٥/٢)، تفسير القرطبي (١٨٠/١٠)، تفسير الزمخشري (١٧٦/٢)، تفسير البيضاوي (٦٨٣/١)، تفسير الرازي (٣٦٥/٥)، تفسير ابن جزي (١٦٢/٢)، تفسير النيسابوري هامش الطبري (١٢٢/١٤)، بهجة / المحافل (٩٤/١)، تفسير ابن كثير (٥٨٧/٢)، الدرّ المنثور ٢٤/٩ (١٣٢/٤)، تفسير الخازن (١٤٣/٣)، الإصابة (٥١٢/٢)، تفسير الشوكاني (١٩١/٣)، تفسير الآلوسي (٢٣٧/١٤).

آية رابعة: ذكر الواحدي من طريق السدّي أنّ قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن وَعَدنَاهُ وَعداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَتَّعنَاهُ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنيَا ثُمَّ هُوَ يَومَ القِيَامَةِ مِن المُحضَرِينَ**﴾[1]؛ نزل في عمّار والوليد بن المغيرة.

راجع[2]: أسباب النزول للواحدي (ص ٢٥٥)، تفسير القرطبي (٣٠٣/١٣)، تفسير الزمخشري (٢٨٦/٢)، تفسير الخازن (٤٣/٣)، تفسير الشربيني (١٠٥/٣).

آية خامسة: أخرج أبو عمر من طريق ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحيَينَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾[3]؛ أنّه عمّار بن ياسر.

وأخرج نزولها في عمّار: ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ.

راجع[4]: الاستيعاب (٤٣٥/٢)، تفسير ابن جزّي (٢٠/٢)، تفسير ابن كثير (١٧٢/٢)، تفسير البيضاوي (٤٠٠/١)، تفسير السيوطي (٤٣/٣)، تفسير الشربيني

---

(١) القصص: ٦١.

(٢) أسباب النزول: ص٢٢٩، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٠/١٣، الكشّاف: ٤٢٥/٣، تفسير الخازن: ٤٠٩/٣ السراج المنير: ١١٢/٣.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

(٤) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٧ رقم١٨٦٣، تفسير البيضاوي: ٣١٩/١، الدرّ المنثور: ٣٥٢/٣، تفسير الخازن: ٥٠/٢، فتح القدير: ١٦٠/٢.

(٤٢٩/١)، تفسير الخازن (٣٢/٢)، تفسير الشوكاني (١٥٢/٢).

الثناء الجميل على عمّار:

أمّا الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدّث عنها ولا حرج، وإليك نزراً منها:

١ ـ عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ في حديث: «إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

راجع[١]: حلية الأولياء (١٣٩/١)، تفسير الزمخشري (١٧٦/٢)، تفسير البيضاوي (٦٨٣/١)، بهجة المحافل (٩٤/١)، تفسير الرازي (٣٦٥/٥)، تفسير الخازن (١٤٣/٣)، كنز العمّال (١٨٤/٦ و ٧٥/٧)، تفسير الآلوسي (٢٣٧/١٤).

٢ ـ أخرج ابن عساكر[٢] من طريق عليّ: «عمّار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحقّ حيث زال، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً». كنز العمّال[٣] (١٨٣/٦).

٣ ـ أخرج البزّار من طريق عائشة، قالت: ما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلّا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمّاراً، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُلئ إيماناً / إلى مُشاشه[٤]». وفي لفظ أبي عمر: «مُلئ عمّار إيماناً إلى أخمص قدميه». وفي لفظ له: «إنّ عمّار بن ياسر حُشِي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أُذنيه إيماناً». ٢٥/٩

---

(١) الكشّاف: ٦٣٦/٢، تفسير البيضاوي: ٥٥٨/١، التفسير الكبير: ١٢١/٢٠، تفسير الخازن: ١٣٦/٣، كنز العمّال: ٧٢٤/١١ ح ٣٣٥٤١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ٢١٣/١٨.

(٣) كنز العمّال: ٧٢٠/١١ ح ٣٣٥٢٠.

(٤) المُشاش: رؤوس العظام كالمرفقين والكفّين والركبتين.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٥/٩) وقال: رجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن ماجه[١] من طريق عليّ كما في طرح التثريب (٨٧/١)، وأخرجه ابن ديزيل والنسائي[٢] من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل مرفوعاً كما في تيسير الوصول[٣] (٢٧٩/٣)، والبداية والنهاية[٤] (٣١١/٧) ولفظه: «لقد مُلئ عمّار إيماناً من قدمه إلى مُشاشه». ورواه عبدالرزاق والطبراني وابن جرير[٥] وابن عساكر[٦] كما في كنز العمّال[٧] (١٨٤/٦). وأخرجه أبو عمر بالألفاظ الثلاثة في الاستيعاب[٨] (٤٣٥/٢).

٤ ـ أخرج ابن ماجه وأبو نُعَيم من طريق هانئ بن هانئ، قال: كنّا عند عليّ فدخل عليه عمّار فقال: «مرحباً بالطيّب المطيّب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمّار مُلئ إيماناً إلى مُشاشه».

سنن ابن ماجه[٩] (٦٥/١)، حلية الأولياء (١٣٩/١)، الإصابة (٥١٢/٢).

٥ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات[١٠] (١٨٧/٣) ـ طبع ليدن ـ مرفوعاً: «إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار، وقاتل عمّار في النار».

---

(١) سنن ابن ماجه: ٥٢/١ ح١٤٧.

(٢) السنن الكبرى: ٧٤/٥ ح٨٢٧٣.

(٣) تيسير الوصول: ٣٢٣/٣.

(٤) البداية والنهاية: ٣٤٥/٧ حوادث سنة ٣٧هـ.

(٥) تهذيب الآثار: ص١٥٧ ح٣٣٤٥٠ مسند عليّ بن أبي طالب.

(٦) مختصر تاريخ دمشق: ٢١٣/١٨.

(٧) كنز العمّال: ٧٢٤/١١ ح٣٣٥٤٠.

(٨) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٧ رقم١٨٦٣.

(٩) سنن ابن ماجه: ٥٢/١ ح١٤٧.

(١٠) الطبقات الكبرى: ٢٦٢/٣.

وأخرج الطبراني[١] والبيهقي[٢] والحاكم[٣] من طريق ابن مسعود مرفوعاً: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ».

ذكره ابن كثير في تاريخه[٤] (٢٧٠/٧)، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه[٥] (١٨٤/٦)، وفي لفظ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل -في سيرة عليّ-: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال: عليك بكتاب الله. قال: أرأيت إن جاء قوم كلّهم يدعون إلى كتاب الله؟ فقال: سمعت رسول‌الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ».

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب[٦] (٤٣٦/٢) من طريق حذيفة: «عليكم بابن سميّة، فإنّه لن يُفارق الحقّ حتى يموت»، أو قال: «فإنّه يدور مع الحقّ حيث دار».

٦ ـ أخرج ابن ماجه[٧] من طريق عطاء بن يسار عن عائشة، مرفوعاً: «عمّار ما عُرض عليه أمران إلّا اختار الأرشد منهما».

٢٦/٩ وفي لفظ أحمد من طريق ابن مسعود مرفوعاً: «ابن سميّة ما عُرض عليه أمران قطّ إلّا أخذ بالأرشد منهما». وفي لفظ آخر له من طريق عائشة: «لا يخيّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما». وفي لفظ الترمذي: «ما خُيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما».

---

(١) المعجم الكبير: ٩٥/١٠ ح١٠٠٧١.

(٢) دلائل النبوّة: ٤٢٢/٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٤٤٢/٣ ح٥٦٧٦.

(٤) البداية والنهاية: ٣٠٠/٧ حوادث سنة ٣٧هـ.

(٥) كنز العمّال: ٧٢١/١١ ح٣٣٥٢٥.

(٦) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٩ رقم١٨٦٣.

(٧) سنن ابن ماجه: ٥٢/١ ح١٤٨.

راجع[١]: مسند أحمد (٣٨٩/١ و ١١٣/٦)، سنن ابن ماجه (٦٦/١)، مصابيح البغوي (٢٨٨/٢)، تفسير القرطبي (١٨١/١٠)، تيسير الوصول (٢٧٩/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٢٧٤/٢)، كنز العمّال (١٨٤/٦)، الإصابة (٥١٢/٢).

٧ ـ أخرج الترمذي[٢] من طريق عليّ، قال: استأذن عمّار على النبيّ ﷺ فقال: «إئذنوا له، مرحباً بالطيّب المطيّب»، فقال: حسن صحيح.

وأخرجه[٣]: الطبراني[٤]، وابن أبي شيبة، وأحمد في المسند (١٠٠/١، ١٢٦، ١٣٨)، والبخاري في تاريخه (ج ٢٢٩/٤) من القسم الثاني، وابن جرير وصحّحه، والحاكم والشاشي، وسعيد بن منصور، وأبو نُعَيم في حلية الأولياء (١٤٠/١)، والبغوي في المصابيح (٢٨٨/٢)، وأبو عمر في الاستيعاب (٤٣٥/٢)، وابن ماجه في السنن (٦٥/١)، وابن كثير في البداية (٣١١/٧)، وابن الديبع في التيسير (٢٧٨/٣)،

---

(١) مسند أحمد: ٦٤٣/١ ح٣٦٨٥ و ١٦٣/٧ ح٢٤٢٩٩، سنن ابن ماجه: ٥٢/١ ح١٤٨، مصابيح السنّة: ٢٢٠/٤ ح٤٨٩٥، الجامع لأحكام القرآن: ١١٩/١٠، تيسير الوصول: ٣٢٣/٣ ح٣، شرح نهج البلاغة: ٢٦/٨ خطبة ١٢٤، كنز العمّال: ٧٢١/١١ ح٣٣٥٢٨، سنن الترمذي: ٦٢٧/٥ ح٣٧٩٩.

(٢) سنن الترمذي: ٦٢٦/٥ ح٣٧٩٨.

(٣) المصنّف: ١١٨/١٢ ح١٢٢٩٣، مسند أحمد: ١٦٠/١ ح٧٨١ و ٢٠٢ ح١٠٣٦ و ٢٢٢ ح١١٦٤، تهذيب الآثار: ص١٥٥ ح١٤ ـ ١٧ مسند علي بن أبي طالب، المستدرك على الصحيحين: ٤٣٧/٣ ح٥٦٦٢، مصابيح السنّة: ٢٢٠/٤ ح٤٨٩٤، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٨ رقم١٨٦٣، سنن ابن ماجه: ٥٢/١ ح١٤٦، البداية والنهاية: ٣٤٥/٧ حوادث سنة ٣٧هـ، تيسير الوصول: ٣٢٣/٣ ح١، جامع الأحاديث: ٥٣/٢١ ح١٨٣١٤.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند: ص ١٨ ح١١٧، والذي رمز له المتقي الهندي في كنز العمّال: ٥٢٦/١٣ ح٣٧٣٦٢ بالحرف (ط) وحسبه المؤلّف ﷺ رمزاً للطبراني، كما حسب (طس) رمزاً للطيالسي والحال أنه رمز للطبراني في الأوسط، وقد أشرنا إلى ذلك في هامش: ٢١٨/٨.

والعراقي في طرح التثريب (٨٧/١)، والسيوطي في الجامع الكبير (٧١/٧).

٨ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: «إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة: عليّ بن أبي طالب، وعمّار بن ياسر؛ وسلمان الفارسي، والمقداد».

وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر: «اشتاقت الجنّة إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان».

وفي لفظ لابن عساكر: «اشتاقت الجنّة إلى ثلاثة: إلى عليّ وعمّار وبلال».

أخرجه[1] أبو نُعَيم في الحلية (١٤٢/١)، والحاكم في المستدرك (١٣٧/٣)، وصحّحه هو والذهبي، والترمذي والطبراني كما في تفسير القرطبي (١٨١/١٠)، وتاريخ ابن كثير (٣١١/٧)، ومجمع الزوائد للهيثمي (٣٠٧/٩)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٠٦/٣ و ١٩٨/٦، ١٩٩)، وأبو عمر في الاستيعاب (٤٣٥/٢).

٩ ـ أخرج البزّار من طريق عليّ مرفوعاً: «دم عمّار ولحمه حرام على النار أن تطعمه». وفي لفظ ابن عساكر[2]: «دم عمّار ولحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسّه».

٢٧/٩ مجمع الزوائد (٢٩٥/٩)، كنز العمّال[3] (١٨٤/٦ و ٧٥/٧).

١٠ ـ أخرج ابن هشام مرفوعاً: «مالهم ولعمّار؟ يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٤٨/٣ ح٤٦٦٦، وكذا في تلخيصه، سنن الترمذي: ٦٢٦/٥ ح٣٧٩٧، المعجم الكبير: ٢١٥/٦ ح٦٠٤٥، الجامع لأحكام القرآن: ١١٩/١٠، البداية والنهاية: ٣٥٤/٧ حوادث سنة ٣٧هـ. تاريخ مدينة دمشق: ٤٥١/١٠ رقم ٩٧٤، ٤١٠/٢١ ـ ٤١١ رقم ٢٥٩٩ وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٥٩/٥، ٤٠/١٠، ٢١٢/١٨، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٨ رقم ١٨٦٣.

(٢) وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢١٥/١٨.

(٣) كنز العمّال: ٧٢١/١١ ح٣٣٥٢١ و ٥٣٩/١٣ ح٣٧٤١٢.

إلى النار، إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه».

سيرة ابن هشام (١١٥/٢)، العقد الفريد (٢٨٩/٢)، شرح ابن أبي الحديد (٢٧٤/٣) ولفظه: «ما لقريش ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار»[١]. وبهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تاريخه[٢] (٢٦٨/٧).

١١ ـ أخرج[٣] الطبراني وابن عساكر من طريق عائشة مرفوعاً: «كم من ذي طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبرّه، منهم: عمّار بن ياسر». مجمع الزوائد (٢٩٤/٩)، كنز العمّال[٤] (١٨٤/٦).

١٢ ـ أخرج أحمد[٥] من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله». صحّحه الحاكم والذهبي بطريقين[٦]، وصحّحه الهيثمي[٧].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وفي لفظ: «من يسبّ عمّاراً يسبّه الله، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله، ومن يسفّه عمّاراً يسفّهه الله». صحّحه الحاكم والذهبي[٨].

وفي لفظ: «من يسبّ عماراً، يسبّه الله ومن يُعادِ عمّاراً يُعادِه الله». صحّحه

---

(١) السيرة النبويّة: ١٤٣/٢، العقد الفريد: ١٤٣/٤، شرح نهج البلاغة: ٢٥/٨ خطبة ١٢٤.

(٢) البداية والنهاية: ٢٩٨/٧ حوادث سنة ٣٧ هـ.

(٣) المعجم الأوسط: ٣٢١/٦ ح ٥٦٨٢، مختصر تاريخ دمشق: ٢١٦/١٨.

(٤) كنز العمّال: ٧٢١/١١ ح ٣٣٥٢٣.

(٥) مسند أحمد: ٥٠/٥ ح ١٦٣٧٣.

(٦) المستدرك على الصحيحين: ٤٤١/٣ ح ٥٦٧٤، وكذا في تليخصه.

(٧) مجمع الزوائد: ٢٩٣/٩.

(٨) المستدرك على الصحيحين: ٤٣٩/٣ ح ٥٦٦٧، وكذا في تلخيصه.

الحاكم والذهبي[١].

وفي لفظ لأحمد[٢]: «من يعادِ عمّاراً يعادِه الله عزّ وجلّ، ومن يبغضه يبغضه الله عزّ وجلّ، ومن يسبّه يسبّه الله عزّ وجلّ».

وفي لفظ الحاكم[٣]: «من يحقّر عمّاراً يحقّره الله، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله».

وفي لفظ ابن النجار: «من سبّ عمّاراً سبّه الله، ومن حقّر عمّاراً حقّره الله، ومن سفّه عمّاراً سفّهه الله».

وفي لفظ ابن عساكر[٤]: «من يبغض عمّاراً يبغضه الله، ومن يلعن عمّاراً يلعنه الله».

وفي لفظ الطبراني[٥]: «من يُعادي عمّاراً يعاديه الله، ومن يبغض عمّاراً يبغضه الله، ومن يسبّ عمّاراً يسبّه الله، ومن يسفّه عمّاراً يسفّهه الله، ومن يحقّر عمّاراً يحقّره الله».

٢٨/٩ وفي لفظ الطبراني[٦] أيضاً: «من يحقّر عمّاراً يحقّره الله، ومن يسب عمّاراً يسبّه الله، ومن ينتقص عمّاراً ينتقصه الله، ومن يعاد عمّاراً يعاده الله». قال الهيثمي[٧]: رجاله ثقات.

---

(١) المصدر السابق: ح ٥٦٧٠، وكذا في تلخيصه.

(٢) مسند أحمد: ٥/٥٢ ح ١٦٣٨٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/٤٠٤ ح ٥٦٧٣.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ١٨/٢١٤.

(٥) المعجم الكبير: ٤/١١٢ ح ٣٨٣١.

(٦) المصدر السابق: ص ١١٣ ح ٣٢٣٢.

(٧) مجمع الزوائد: ٩/٢٩٤.

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمع كثير من الحفّاظ وأئمّة الفنّ، راجع[١]: مسند أحمد (٨٩/٤)، مستدرك الحاكم (٣٩٠/٣، ٣٩١)، تاريخ الخطيب (١٥٢/١)، الاستيعاب (٤٣٥/٢)، أُسد الغابة (٤٥/٤)، طرح التثريب (٨٨/١)، تاريخ ابن كثير (٣١١/٧)، الإصابة (٥١٢/٢)، كنز العمّال (١٨٥/٦ و ٧١/٧ ـ ٧٥).

١٣ ـ عن حذيفة أنّه قيل له: إنّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: الزموا عمّاراً. قيل: إنّ عمّاراً لا يفارق عليّاً، قال: إنّ الحسد هو أهلك للجسد، وإنّما ينفّركم من عمّار قربه من عليّ، فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنّ عمّاراً من الأخيار. أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمّال[٢] (٧٣/٧).

١٤ ـ عن عبدالله بن جعفر قال: ما رأيت مثل عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر كانا لا يحبّان أن يعصيا الله طرفة عين، ولا يخالفان الحقّ قيد شعرة.

أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٩٢/٩).

١٥ ـ ذكر الأبشيهي في المستطرف[٣] (١٦٦/١) في حديث: هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ يوم أُحد ـ وكان يسأل عن أصحابه ـ إلى أن قال: من هذا الذي بين يديك يتّقي عنك؟ قال: «عمّار بن ياسر». قال: بشّره بالجنّة حرمت النار على عمّار.

هذا عمّار:

إذا درست هذه كلّها، فهل تجد من الحقّ أن يُعمل معه تلكم الفظاظات مرّة بعد

---

(١) مسند أحمد: ٥٠/٥ ح١٦٣٧٣، المستدرك على الصحيحين: ٤٤٠/٣ ح٥٦٧٠ و ٤٤١ ح٥٦٧٣، الاستيعاب: القسم الثالث/١١٣٨ رقم١٨٦٣، أُسد الغابة: ١٣٢/٤ رقم٣٧٩٨، البداية والنهاية: ٣٤٥/٧ حوادث سنة ٣٧هـ، كنز العمّال: ٧٢٢/١١ ح٣٣٥٣٤ و ٥٣٢/١٣ ح٣٧٣٨٧.

(٢) كنز العمّال: ٥٣٢/١٣ ح٣٧٣٨٥.

(٣) المستطرف: ١٢٧/١.

أُخرى؟ وهل تجد مبرّراً لشيء منها؟ فإن زعمت أنّها تأديب من خليفة الوقت فإنّ التأديب لا يسوغ إلّا على إساءة في الأدب، وزور من القول، ومناقضة للحقّ، ومضادّة للشريعة، ويجلّ عمّار عن كلّ ذلك، فلم يصدر منه غير دعاء إلى الحقّ، وأذان بالحقيقة، وتضجّر لمظلوم، وعمل بالوصيّة واجب، ورسالة عن أناس مؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهل حظر الإسلام شيئاً من هذه فأراد الخليفة أن يعيد عمّاراً إلى نصاب الحقّ؟ أو أنّ الخليفة مُفوّض في النفوس كما يرى أنّه مفوض
٢٩/٩ في الأموال، / فيراغم فيها عامّة المسلمين بإرضاء من يجب إرغامهم من أُناس لا خلاق لهم؟ وكذلك يفعل بالنفوس فعل المستبدّين ولوازم الدكتاتوريّة ومقتضيات الملك العضوض.

ولو كان الخليفة ناصباً نفسه للتأديب فهل أدّب أمثال عبيد الله بن عمر، والحكم بن أبي العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، ونظراءهم من رجال العيث والفساد المستحقّين للتأديب حيناً بعد حين؟ وهو كان يرنو إلى أعمالهم من كثب، لكنّه لم يصدر منه إلّا إرضاؤهم وتوفير العطاء لهم والدفاع عنهم، وتسليطهم على النفوس والأموال حتى أوردوه مورد الهلكة، ولقد ادّخر تأديبه كلّه لصلحاء الأُمّة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود ومن حذا حذوهم، فإلى الله المشتكى.

وإنّك لو أمعنت النظرة في أعماله وأفعاله لتجدنّه لا يقيم وزناً لأيّ صالح من الأُمّة، ولقد ترقى ذلك أو تسافل حتى إنّه جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة بقوارص كلماته، وممّا قال له ممّا مرّ في صفحة (١٨ ـ ١٩) قوله: أنت أحقّ بالنفي منه. وقوله: لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلّماً وعضداً وكهفاً وملجأً، يريد بالطاغي أباذر وعمّار وأمثالهما، ويجعل الإمام عليه السلام سلّماً وعضداً وكهفاً وملجأً لمن سمّاهم الطغاة.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِن أفوَاهِهِمْ ﴾[١].

كأنّ الرجل لم يصاحب النبيّ الأعظم ﷺ، أو لم يَعِ ما هتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين ﷺ من أوّل يومه آناء الليل وأطراف النهار في حلّه ومرتحله، في ظعنه وإقامته، عند أفراد من أصحابه أو في محتشد منهم، ولدى الحوادث والوقائع، وعند كلّ مناسبة، وفي حروبه ومغازيه.

وكأنّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام ﷺ في مآزق الإسلام الحرجة، ولم يشهد كرّاته وقد فرّ أصحابه، وتفانيه في سبيل الدعوة عند خذلان غيره، واقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة، وتقهقر بهم الفرق، وثبّطهم الخول[٢].

يزعم القوم أنّ الخليفة كان حافظاً للقرآن وأنّه كان يتلوه في ركعة في لياليه. ولو صحّ ما يقولون فهلّا كان يمرّ بآية التطهير ومولانا الإمام ﷺ أحد الخمسة الذين أُريدوا بها، وبآية المباهلة وهو نفس النبيّ فيها، إلى آيات أُخرى نازلة فيه بالغة إلى ثلاثمئة آية كما يقوله حبر الأُمّة عبدالله بن العباس[٣] أو أنّه كان يمرّ بها على حين ٣٠/٩
غفلة من مفادها؟ أو يمرّ بها وقد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا يلتفت إليها؟ أو أنّه كان يرتّلها ملتفتاً إلى مغازيها؟ ولكن....

أنا لا أدري بماذا يُعلّل قوارص الخليفة عليّاً ﷺ ابنا حجر وكثير وأمثالهما المعلّلون أقوال الخليفة وأفعاله في مثل أبي ذر وابن مسعود ومالك الأشتر، بأنّ مصلحة بقائهم في الأوساط الإسلاميّة مع الحرية في المقال لا تكافئ المفسدة المترتّبة عليه من سقوط أُبّهة الخلافة؟ على أنّه ما كان عند القوم إلّا الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) الكهف: ٥.

(٢) لعله بمعنى التفرّق، من: ذهب القوم أخولَ أخولَ، إذا تفرّقوا شتّى.

(٣) راجع ما مرّ في الجزء الأوّل: ص ٣٣٤. (المؤلّف)

عن المنكر فهل يجرّهم الحبّ المعمي والمصمّ إلى أن يقولوا بمثل ذلك في حقّ عظيم الدنيا والدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فهل كانت مفسدة هنالك مترتّبة على مقام الإمام في المدينة حتى يكون نفيه عنها أولى ؟ وهل هو إلّا الصلاح كلّه ؟ وهل المصالح النوعيّة والفرديّة تُستقى من غيره ؟ ولعمر الحقّ إنّ أُبّهة تسقط لمكان أمير المؤمنين عليه السلام وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه لَحريّة بالسقوط، وأيم الله لو وسع أُولئك المدافعين عن تلكم العظائم لدنّسوا ساحة قدس الإمام بالفرية الشائنة، واتّهموه بمثل ما اتّهموا به غيره من صُلحاء الأُمّة وأعلام الصحابة والخيرة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولكن ....

ولو كان الخليفة يعير لنصائح الإمام عليه السلام أُذناً واعية لصانه عن المهالك، ولم تزل الأُبّهة مصونة له، والعزّ والنجاح ذخراً له ولأهل الإسلام، وكان خيراً له من ركوبه النهابير التي جرّعته الغصص وأودت به وجرّت الويلات على الأُمّة حتى اليوم، ولكنّه ....

﴿ لَاجَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[1]

﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوماً ثَقِيلاً ﴾[2]

- ٤٤ -

تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام

روى البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لمّا
٣١/٩ عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها، فكان يجالس قرّاءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم: مالك بن

---

(١) النحل: ٢٣.

(٢) الإنسان: ٢٧.

الحارث الأشتر النخعي، وزيد وصعصعة ابنا صوحان العبديّان، وحرقوص بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي، وكعب بن عبدة النهدي، وكان يقال لعبدة بن سعد: ابن ذي الحبكة ـ وكان كعب ناسكاً وهو الذي قتله بُسر بن أرطاة بتثليث[1] ـ وعديّ بن حاتم الجواد الطائي ويكنّى أبا طريف، وكدام بن حضري بن عامر، ومالك بن حبيب بن خراش، وقيس ابن عطارد بن حاجب، وزياد بن خصفة بن ثقف، ويزيد بن قيس الأرحبي، وغيرهم، فإنّهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السواد والجبل ففضّلوا السواد، وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسّان بن مخدوج الذهلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك، فقال عبدالرحمن بن خُنيس الأسدي صاحب شرطته: لوددت أنّه للأمير وأنّ لكم أفضل منه. فقال له الأشتر: تمنّ للأمير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا. فقال عبدالرحمن: ما يضرّك من تمنّي حتى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له. فقال الأشتر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد وقال: إنّما السواد بستان لقريش. فقال الاشتر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقُرع قرعاً يتصأصأ[2] منه. ووثب بابن خُنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يُدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً. فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام. وكتب إلى الأشتر: إنّي لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك، وما أظنّك منتهياً حتى يصيبك قارعة لا بُقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك من قبلك وإنّك لا تألوهم خبالا. فسيّر سعيد الأشتر ومن كان وثب مع

---

(١) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة: معجم البلدان: ١٥/٢.

(٢) تصأصأ من الرجل إذا فرق منه وخاف.

الأشتر وهم: زيد وصعصعة ابنا صوحان، وعائذ بن حملة الطُهوي من بني تميم، وكميل بن زياد النخعي، وجُندب بن زهير الأزدي، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، ويزيد بن المكفف النخعي، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي، وأصعر[1] بن قيس بن الحارث الحارثي.

٣٢/٩ فخرج المسيّرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق، نزلوا مع عمرو بن زرارة فبرّهم معاوية وأكرمهم، ثمّ إنّه جرى بينه وبين الأشتر قول حتى تغالظا فحبسه معاوية، فقام عمرو بن زرارة فقال: لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه. فأمر بحبس عمرو فتكلّم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية، ثمّ سكتوا فقال معاوية: ما لكم لا تكلّمون؟ فقال زيد بن صوحان: وما نصنع بالكلام؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة أنت رجل صدق. وأذن له في اللحاق بالكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أمّا بعد: فإنّي قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه، فأحسن جواره وكفّ الأذى عنه وأقبل إليه بوجهك وودّك، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً. فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل.

وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه فكتب إلى عثمان: إنّك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلّموهم ما لا يُحسنونه حتى تعود سلامتهم غائلة، واستقامتهم اعوجاجا.

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص، ففعل وكان واليها عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد بن المغيرة، ويقال: إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم

---

(١) كذا في أنساب الأشراف بالعين المهملة، وفي الإصابة: بالمعجمة. (المؤلّف)

سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل. الأنساب[1] (٥/٣٩ ـ ٤٣).

صورة مفصّلة:

إنّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة عليه من تأمير بني أُميّة ولا سيّما الفسّاق منهم وأرباب السفه وقلّة الدين، وإخراج مال الفيء إليهم وما جرى في أمر عمّار وأبي ذر وعبدالله بن مسعود وغير ذلك من الأُمور التي جرت في أواخر خلافته، ثمّ اتّفق أنّ الوليد بن عقبة لمّا كان عاملاً على الكوفة وشُهِد عليه بشرب الخمر صرفه وولّى سعيد بن العاص مكانه، فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوماً يسمرون عنده، فقال سعيد يوماً: إنّ السواد بستان لقريش وبني أُميّة، فقال الأشتر النخعي: وتزعم أنّ السواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ فقال صاحب شرطته: أتردّ على الأمير مقالته؟ وأغلظ له، فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم / من أشراف الكوفة: ألا تسمعون؟ فوثبوا عليه بحضرة ٣٣/٩
سعيد فوطؤه وطأً عنيفاً وجرّوا برجله، فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سمّاره، فلم يأذن بعدُ لهم فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ثمّ تعدّوا ذلك إلى شتم عثمان، واجتمع إليهم ناس كثير حتى غلظ أمرهم، فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن يسيّرهم إلى الشام لئلا يفسدوا أهل الكوفة وكتب إلى معاوية وهو والي الشام: إنّ نفراً من أهل الكوفة قد همّوا بإثارة الفتنة وقد سيّرتهم إليك، فانهَهم، فإن آنست منهم رشداً فأحسن إليهم وارددهم إلى بلادهم. فلمّا قدموا على معاوية، وكانوا: الأشتر، ومالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، وصعصعة بن صوحان العبدي وغيرهم، جمعهم يوماً وقال لهم:

إنّكم قوم من العرب ذوو أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم

---

(١) أنساب الأشراف: ٦/١٥١ ـ ١٥٦.

الأُمم وحويتم مواريثهم؛ وقد بلغني أنّكم ذممتم قريشاً، ونقمتم على الولاة فيها، ولولا قريش لكنتم أذلّة، إنّ أئمّتكم لكم جُنّة فلا تفرّقوا عن جُنّتكم. إنّ أئمّتكم ليصبرون على الجور ويحتملون فيكم العتاب، والله لَتنتهُنّ أو ليبتلينّكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمدكم على الصبر، ثمّ تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعيّة في حياتكم وبعد وفاتكم.

فقال له صعصعة بن صوحان: أمّا قريش فإنّها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهليّة، وإنّ غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع.

فقال معاوية: إنّك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً، وقد عرفتكم الآن وعلمت أنّ الذي أغراكم قلّة العقول، أُعظّم عليكم أمر الإسلام فتذكّروني الجاهليّة، أخزى الله قوماً عظّموا أمركم، افقهوا عنّي ولا أظنّكم تفقهون: إنّ قريشاً لم تعزّ في جاهليّة ولا إسلام إلّا بالله وحده، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدّها ولكنّهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأمحضهم أنساباً، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهليّة والناس تأكل بعضهم بعضا إلّا بالله، فبوّأهم حرماً آمناً يُتَخَطَّفُ الناس من حولهم، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلّا وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمهم؟ إلّا ما كان من قريش، فإنّه لم يُردهم أحد من الناس بكيد إلّا جعل الله خدّه الأسفل، حتى أراد الله تعالى أن يستنقذ / من أكرمه باتّباع دينه من هوان الدنيا وسوء مردّ الآخرة، ٣٤/٩
فارتضى لذلك خير خلقه، ثمّ ارتضى له أصحاباً، وكان خيارهم قريشاً، ثمّ بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصحّ الأمر إلّا بهم، وقد كان الله يحوطهم في الجاهليّة وهم على كفرهم، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه؟ أُفٍّ لك ولأصحابك، أمّا أنت يا صعصعة فإنّ قريتك شرّ القرى، أنتنها نبتاً، وأعمقها وادياً، وألأمها جيراناً، وأعرفها بالشرّ، لم يسكنها شريف قطّ، ولا وضيع إلّا شبّ بها، نُزّاع الأُمم وعبيد فارس، وأنت شرّ قومك، أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي

دين الله عوجا، وتنزع إلى الغواية؟ إنّه لن يضرّ ذلك قريشاً ولا يضعهم ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنّ الشيطان عنكم لغير غافل، قد عرفكم بالشرّ فأغراكم بالناس، وهو صارعكم وإنّكم لا تدركون بالشرّ أمراً إلّا فتح عليكم شرّ منه وأخزى، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضرّه، ولستم برجال منفعة ولا مضرّة، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تبطرنّكم النعمة، فإنّ البطر لا يجرّ خيراً، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

وكتب إلى عثمان: إنّه قدم عليّ قوم ليست لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلّمون بحجّة، إنّما همّهم الفتنة والله مبتليهم وفاضحهم، وليسوا بالذين نخاف نكايتهم، وليسوا الأكثر ممّن له شغب ونكير[1]. ثمّ أخرجهم من الشام.

وروى [أبو] الحسن المدائني: إنّه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم، وإنّ معاوية قال لهم في جملة ما قاله: إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أبا سفيان أكرمها وابن أكرمها إلّا ما جعل الله لنبيّه ﷺ فإنّه انتجبه وأكرمه، ولو أنّ أبا سفيان ولد الناس كلّهم لكانوا حلماء.

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولدهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرّ والفاجر والكيّس والأحمق.

قال: ومن المجالس التي دارت بينهم أنّ معاوية قال لهم: أيّها القوم ردّوا خيراً واسكنوا[2] وتفكّروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه وأطيعوني. ٣٥/٩

---

(١) في شرح النهج: وليسوا بأكثر ممّن له شغب ونكير. وفي تاريخ الطبري والكامل: فإنهم ليسوا لأكثر من شغب ونكير.

(٢) كذا في الطبعة المعتمدة لدى المؤلّف من شرح النهج، وفي الطبعة المعتمدة لدينا: أو اسكتوا.

فقال له صعصعة: لست بأهل لذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إنّ أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا.

فقال صعصعة: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: إن كنت فعلت فإنّي الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وأن توقّروا أئمّتكم وتطيعوهم.

فقال صعصعة: إذا كنت تبت فإنّا نأمرك أن تعتزل أمرك؛ فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك، وهو أحسن قدماً في الإسلام منك.

فقال معاوية: إنّ لي في الإسلام لقدماً وإن كان غيري أحسن قدماً منّي لكنّه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه منّي، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطّاب، فلو كان غيري أقوى منّي لم يكن عند عمر هوادة لي ولغيري، ولا حدث ما ينبغي له أن اعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلّا وهو خير، فمهلاً فإنّ في دون ما أنتم فيه ما يأمر فيه الشيطان وينهى، ولعمري لو كانت الأُمور تُقضى على رأيكم وأهوائكم ما استقامت الأُمور لأهل الإسلام يوماً وليلة، فعاودوا الخير وقولوه.

فقالوا: لست لذلك أهلاً. فقال: أما والله إنّ لله لسطوات ونقمات، وإنّي لخائف عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل.

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته، فقال: مه، إنّ هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى

يقتلوكم، فلعمري إنّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضا. ثمّ قام من عندهم فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت، وكتب إلى عثمان:

بسم‌الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد: يا أمير المؤمنين فإنّك بعثت إليّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم ويأتون‌الناس ـ زعموا ـ من قبل‌القرآن فيشبّهون على‌الناس، وليس كلّ الناس ٣٦/٩
يعلم ما يريدون، وإنّما يريدون فرقة، ويقرّبون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكّنت رُقى‌الشيطان من‌قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممّن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا أهل الشام أن يغرّوهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم. والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردّهم إليه فلم يكونوا إلّا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضجّ منهم، فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيّرهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميراً على حمص وهم: الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني[1] وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان وأخوه صعصعة، وجندب بن زهير الغامدي، وحبيب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد[2] وعمرو بن الحمق الخزاعي.

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه: أمّا بعد: فإنّي قد سيّرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً. والسلام.

فلمّا قرأ الأشتر الكتاب قال: اللّهمّ أسوأنا نظراً للرعيّة، وأعملنا فيهم بالمعصية فعجّل له النقمة. فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص

---

(١) في تاريخ الطبري [٣٢٦/٤ حوادث سنة ٣٣هـ]: النخعي، بدل: الهمداني. (المؤلّف)

(٢) في أُسد الغابة: ٤٠٣/٣ [٢٧/٤ رقم ٣٦٤٠]: كان ممّن سيّره عثمان ﷺ إلى الشام من أهل الكوفة. (المؤلّف)

فأنزلهم عبدالرحمن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقاً.

وروى الواقدي: أنّ عبدالرحمن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً وفرض لهم طعاماً قال لهم: يا بني الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغيّكم، جزى الله عبدالرحمن أن لم يؤذكم[1]، يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية؟ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ عين الردّة، والله يابن صوحان لأطيرنّ بك طيرة بعيدة المهوى، إن بلغني أنّ أحداً ممّن معي دقّ أنفك فاقتنعت رأسك. قال: فأقاموا عنده شهراً كلّما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة: يا بن الخطيئة! إنّ من لم / يصلحه الخير أصلحه الشرّ، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية؟فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال: تاب الله عليكم. فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردّهم إلى الكوفة[2]. ٣٧/٩

تاريخ الطبري (٨٨/٥ ـ ٩٠)، الكامل لابن الأثير (٥٧/٣ ـ ٦٠)، شرح ابن أبي الحديد (١٥٨/١ ـ ١٦٠) ورأى هذه الصورة أصحّ ما ذكر في القضيّة، تاريخ ابن خلدون (٣٨٧/٢ ـ ٣٨٩)، تاريخ أبي الفداء (١٦٨/١) في حوادث سنة (٣٣).

قال الأميني: كان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه وتقواهم المعترف بها مرتدع عن أذاهم وإجفالهم عن مستوى عزّهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من منفىً إلى منفى، والإصاخة إلى سعاية ذلك الشابّ المستهتر، والله سبحانه يقول: **﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ**

---

(١) كذا في شرح نهج البلاغة، وفي الكامل في التاريخ وتاريخ ابن خلدون: خسّر الله عبدالرحمن إن لم يؤدّبكم.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٣١٧/٤ حوادث سنة ٣٣هـ، الكامل في التاريخ: ٢٦٧/٢ حوادث سنة ٣٣هـ، شرح نهج البلاغة: ١٢٩/٢ ـ ١٣٤ خطبة ٣٠، تاريخ ابن خلدون: ٥٨٩/٢ ـ ٥٩١.

﴿مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]. وكان على الخليفة أن يبعث إليه باللائمة بل يعاقبه على ما فرّط في جنب أولياء الله بتسميته إيّاهم السفهاء وهم قرّاء المصر، وزعماء الملأ، ونسّاك القطر، وفقهاء القارة، وهم القدوة في التقوى والنسك، وبهم الأُسوة في الفقه والأخلاق، ولم يكن عليهم إلّا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف، وعدم مماشاتهم إيّاه على شهواته ومزاعمه، وهلّا استشفّ الخليفة حقيقة ما شجر بينه وبين القوم حتى يحكم فيه بالحقّ، لكنّه بدل أن يتّخذ تلكم الطريقة المثلى في القضيّة استهواه ذلك الشابّ المترف فمال إليه بكلّه، ونال من القوم ما نال، وأوقع بهم ما حبّذه له الحبّ المعمي والمصمّ، لكن الدين وملأه أنكرا ذلك عليه وحفظه التاريخ ممّا نقم به على عثمان.

كانت لائمة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لا عن حلم، وخشونة لا يستمرّ عليها، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقّ أو ابتغاء إصلاح، وإنّما كان يكاشفهم جلباً لمرضاة الخليفة، ويوادعهم لما كان يدور في خلده من هوى الخلافة غداً، وكان يعرف القوم بالشدّة والمتبوعيّة، فما كان يروقه قطع خطّ الرجعة بينه وبينهم متى تسنّى له الحصول على غايته المتوخّاة، وكانت هذه الخواطر لا تبارحه، ولا يزال هو يعدّ الدقائق والثواني للتوصّل إليها، وكان أحبّ الأشياء إليه اكتساح العراقيل دونها، ولذلك أطلق سراح / القوم وتثبّط عن النهضة لنصرة عثمان لمّا استنصره ـ كما سيأتي تفصيله ـ ٣٨/٩ حتى قتل ومعاوية في الخاذلين له.

وأمّا ابن خالد فقد جرى مجرى أبيه في الفظاظة والغلظة، فلم يعاملهم إلّا بالرعونة ولم يجاملهم إلّا بالقسوة، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح.

وهاهنا نوقفك على نُبذ من أحوال من يهمّك الوقوف على حياته الثمينة من أولئك الرجال المنفيّين الأبرار، حتى تعلم أنّ ما تقوّلوه فيهم وفعلوه بهم في منتأىً

---

(١) الحجرات: ٦.

عنهم، وإنّما كان ذلك ظلماً وعدواناً، وتعلم أنّ ابن‌حجر مائن فيما يصف به الأشتر من المروق[١] غير مصيب في قذفه، متجانف للإثم في الدفاع عن عثمان بقوله: إنّ المجتهد لا يُعترض عليه في أُموره الاجتهاديّة، لكن أُولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل[٢].

الأشتر:

١ ـ مالك بن الحارث الأشتر: أدرك النبيّ الأعظم وقد أثنى عليه كلّ من ذكره؛ ولم أجد أحداً يغمز فيه، وثّقه العجلي[٣] وذكره ابن حبّان في الثقات[٤]، ولا يُحمل عدم رواية أيّ إمام عنه على تضعيفه، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب[٥] (١٠/١٢): قال مهنّا: سألت أحمد عن الأشتر يروي عنه الحديث؟ قال: لا. قال: ولم يرد أحمد بذاك تضعيفه، وإنّما نفى أن تكون له رواية.

وكفاه فضلاً ومنقبة كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه في حياته وبعد المنون، وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم:

١ ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر: «أمّا بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشدّ على الفجّار من حريق النار. وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ، فإنّه سيف من سيوف الله، لا

---

(١) راجع الصواعق: ص٦٨ [ص١١٥]. (المؤلّف)

(٢) راجع الصواعق: ٦٨ [ص١١٣]. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الثقات: ص٤١٧ رقم ١٥٢٠.

(٤) الثقات: ٥/٣٨٩.

(٥) تهذيب التهذيب: ١٠/١١.

كليل الظُبة[١] ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنّه لا يُقدم ولا يُحجم، ولا يؤخّر ولا يُقدّم إلّا عن أمري، وقد / آثرتكم به ٣٩/٩ على نفسي لنصيحته لكم، وشدّة شكيمته على عدوّكم[٢]».

تاريخ الطبري (٥٥/٦)، نهج البلاغة (٦١/٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣٠/٢).

صورة أُخرى:

رواها الشعبي من طريق صعصعة بن صوحان.

«أمّا بعد: فإنّي قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، لا ناكِلٌ من قدم، ولا واهٍ في عزم، من أشدّ عباد الله بأساً وأكرمهم حسباً، أضرّ على الفجّار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشتر، حسام صارم، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحدّ، حكيم في السلم، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفر فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنّه لا يُقدم ولا يُحجم إلّا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي نصيحةً لكم، وشدّة شكيمته على عدوّكم» ... إلخ[٣].

٢ ـ من كتاب للمولى أمير المؤمنين كتبه إلى أميرين من أُمراء جيشه:

«وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّزكما مالك بن الحارث الأشتر، فاسمعا له

---

(١) الظبة: بتخفيف الموحدة: حدّ السيف. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٩٦/٥ حوادث سنة ٣٨هـ، نهج البلاغة: ص ٤١٠ خطبة ٣٨، شرح نهج البلاغة: ٧٧/٦ خطبة ٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/٢ [٧٥/٦ خطبة ٦٧]، جمهرة الرسائل: ٥٤٩/١ [رقم ٥٠٤]. (المؤلّف)

وأطيعا واجعلاه درعاً ومجنّاً، فإنّه ممّن لا يُخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل».

قال ابن أبي الحديد في شرحه[1] (٤١٧/٣): فأمّا ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل، ولعمري لقد كان الأشتر أهلاً لذلك، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً، وكان يجمع بين اللّين والعنف، فبسطو في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق؛ ومن كلام عمر: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويّ في غير عنف، وليّن في غير ضعف. انتهى.

٣ ـ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي‌بكر يذكر فيه الأشتر فيقول:

«إنّ الرجل الذي كنت وليّته مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدوّنا شديداً، وقد
٤٠/٩ استكمل أيّامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب»[2].

تاريخ الطبري (٥٥/٦)، نهج البلاغة (٥٩/٢)، الكامل لابن الأثير (١٥٣/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣٠/٢).

٤ ـ لمّا بلغ عليّاً ـ أمير المؤمنين ـ موت الأشتر قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين؛ اللّهمّ إنّي أحتسبه عندك، فإنّ موته من مصائب الدهر. ثمّ قال: رحم الله مالكاً فقد كان وفّى[3] بعهده، وقضى نحبه، ولقي ربّه، مع أنّا قد وطّنّا

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠١/١٥ كتاب ١٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٩٧/٥ حوادث سنة ٣٨هـ، نهج البلاغة: ص٤٠٧ خطبة ٣٤، الكامل في التاريخ: ٤١١/٢ حوادث سنة ٣٨ هـ، شرح نهج البلاغة: ٧٨/٦ خطبة ٦٧.

(٣) كذا في الطبعة التي اعتمدها المؤلّف قدس سره، وفي الطبعة المعتمدة لدينا: فلقد وفّى.

أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنّها من أعظم المصائب»، قال المغيرة الضبي: لم يزل أمرعليّ شديداً حتى مات الأشتر[١].

٥ ـ عن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على عليّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهّف ويتأسّف عليه ثمّ قال: «لله درّ مالك، وما مالك؟ لو كان من جبل لكان فنداً[٢]، ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدّنّ موتك عالَماً، وليُفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلييكِ البواكي، وهل موجود كمالك؟».

وقال علقمة بن قيس النخعي: فما زال عليّ يتلهّف ويتأسّف؛ حتى ظننّا أنّه المصاب به دوننا، وعُرف ذلك في وجهه أيّاماً.

وفي لفظ الشريف الرضي والزبيدي: «لو كان جبلاً لكان فنداً، لا يرتقيه الحافر، ولا يوفي عليه الطائر»[٣].

نهج البلاغة (٢/٢٣٩)، شرح ابن أبي الحديد (٢/٣٠)، لسان العرب (٤/٣٣٦)، الكامل لابن الأثير (٣/١٥٣)، تاج العروس (٢/٤٥٤).

٦ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه[٤] (٣/٤١٦): كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، وقال فيه بعد موته: «رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ».

٧ ـ دسّ معاوية بن أبي سفيان للأشتر مولىً لآل عمر، فسقاه شربة سويق

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢/٢٩ [٦/٧٧ الأصل ٦٧]. (المؤلّف)

(٢) الفند بالكسر: القطعة العظيمة من الجبل. (المؤلّف)

(٣) نهج البلاغة: ص٥٥٤ خطبة ٤٤٣، شرح نهج البلاغة: ٦/٧٧ خطبة ٦٧، لسان العرب: ١٠/٣٣٣، الكامل في التاريخ: ٢/٤١٠.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٥/٩٨ كتاب ١٣.

٤١/٩ فيها سمّ فمات. /فلمّا بلغ معاوية موته قام خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد: فإنّه كان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر[1].

تاريخ الطبري (٦/٢٥٥)، الكامل لابن الأثير (٣/١٥٣)، شرح ابن أبي الحديد (٢/٢٩).

قال الأميني: ما أجرأ الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور والتبهّج بموت الأخيار الأبرار بعدما يقتلهم، ويقطع عن أديم الأرض أُصول بركاتهم، ويبشّر بذلك أُمّته الفئة الباغية، ويأمرهم بالدعاء عليهم ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**﴾[2]، ﴿**وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[3].

٨ ـ وقبل هذه كلّها ما جاء عن رسول الله ﷺ في دفن أبي ذر سيّد غفار من قوله في لفظ الحاكم وأبي نُعَيم وأبي عمر: «ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»، وفي لفظ البلاذري: «يلي دفنه رهط صالحون»، وقد دفنه مالك الأشتر وأصحابه الكوفيّون، كما في[4] أنساب البلاذري (٥/٥٥)، وحلية الأولياء لأبي نُعَيم (١/١٧٠)، والمستدرك للحاكم (٣/٣٣٧)، والاستيعاب لأبي عمر (١/٨٣)، وشرح ابن أبي الحديد (٣/٤١٦) فقال: هذا الحديث يدلّ على فضيلة عظيمة للأشتر ﷺ؛ وهي شهادة قاطعة من النبيّ ﷺ بأنّه مؤمن.

قال الأميني: ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف ابن حجر إيّاه في

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥/٩٦ حوادث سنة ٣٨هـ، الكامل في التاريخ: ٢/٤١٠، شرح نهج البلاغة: ٦/٧٦ خطبة ٦٧.

(٢) النمل: ٥.

(٣) الفرقان: ٤٢.

(٤) أنساب الأشراف: ٦/١٧١، المستدرك على الصحيحين: ٣/٣٨٨ ح ٥٤٧٠، الاستيعاب: القسم الأول/٢٥٤ رقم ٣٣٩، شرح نهج البلاغة: ١٥/٩٩ كتاب ١٣.

الصواعق[١] (ص٦٨) بالمروق وعدم الفهم والعقل، ولعنه إيّاه وأصحابه الصلحاء، وقد عزب عنه أنّه لا يلفظ من قول إلّا ولديه رقيب عتيد.

نحن لسنا الآن في صدد التبسّط في فضائل مالك وتحليل نفسيّاته الكريمة ومآثره الجمّة وإلّا لأريناك منه كتاباً ضخماً، ولقد ناء بشطر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيّد محمد الرضا آل السيّد جعفر الحكيم النجفي، وابن عمّه السيّد محمد التقي ابن السيّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك، وقد سبقهما إلى ذلك بعض علمائنا السابقين، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا عليه السلام بخراسان المشرّفة، حيّا الله حملة العلم سلفاً وخلفاً.

[زيد بن صوحان:]

٢ ـ زيد بن صوحان العبدي، الشهير بزيد الخير: أدرك النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وترجمه / أبو عمر وابن الأثير وابن حجر في معاجم الصحابة، قال أبو عمر: كان ٤٢/٩
فاضلاً ديّناً سيّداً في قومه.

أخرج أبو يعلى[٢]، وابن منده، والخطيب، وابن عساكر من طريق عليّ عليه السلام مرفوعاً: «من سرّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّة فلينظر إلى زيد ابن صوحان».

وفي حديث آخر: «الأقطع الحبر زيد، زيد رجل من أُمّتي تدخل الجنّة يده قبل بدنه» ـ قطعت يده يوم القادسيّة.

وفي حديث أخرجه ابن منده، وأبو عمر، وابن عساكر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «زيد وما زيد ؟! يسبقه بعض جسده إلى الجنّة، ثمّ يتبعه سائر جسده إلى الجنّة».

وأخرج ابن عساكر من طريق الحكم بن عيينه[٣]، قال: لمّا أراد زيد أن يركب

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١١٥.

(٢) مسند أبي يعلى: ١/٣٩٣ ح٥١١.

(٣) في تاريخ دمشق ومختصره: عتيبة، ترجمه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٥/٢٠٨.

دابّته أمسك عمر بركابه ثمّ قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه[١].

تاريخ ابن عساكر (٦/١١ ـ ١٣)، تاريخ الخطيب (٨/٤٤٠)، الاستيعاب (١/١٩٧)، أُسد الغابة (٣/٢٣٤)، بهجة المحافل (٢/٢٣٧)، الإصابة (١/٥٨٢).

وفي الفائق للزمخشري[٢] (١/٣٥): قال فيه النبيّ عليه الصلاة والسلام: «زيد الخير الأجذم من الخيار الأبرار».

وفي معارف ابن قتيبة[٣] (ص١٧٦): كان من خيار الناس، وروي في الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال: «زيد الخير الأجذم، وجندب ما جندب» فقيل: يا رسول الله أتذكر رجلين؟ فقال: «أمّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً، وأمّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحقّ والباطل»، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلولاء فقطعت يده وشهد مع عليّ يوم الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين ما أراني إلّا مقتولاً، قال: «وما علمك بهذا يا أبا سليمان؟» قال: رأيت يدي نزلت من السماء وهي تستشيلني. فقتله عمرو بن يثربي وقتل أخاه سليمان[٤] يوم الجمل.

وفي تاريخ الخطيب (٨/٤٣٩): كان زيد يقوم الليل ويصوم النهار، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، وقال: قتل يوم الجمل وقال: ادفنوني في ثيابي فإنّي مخاصم. وفي رواية: لا تغسلوا عنّي دماً، ولا تنزعوا عنّي ثوباً إلّا الخفّين، وارمسوني في الأرض رمساً فإنّي رجل مُحاجٌّ. زاد أبو نعيم: أُحاجّ يوم القيامة.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٩/٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨ رقم٢٣٣٩ وفي مختصر تاريخ دمشق: ٩/١٤٣ ـ ١٤٤، الاستيعاب: القسم الثاني/٥٥٥ ـ ٥٥٦ رقم٨٥٢، أُسد الغابة: ٢/٢٩١ رقم١٨٤٨.

(٢) الفائق: ١/٧٨.

(٣) المعارف: ص٤٠٢.

(٤) في المصدر: وقتل أخاه سيحان.

وفي مرآة الجنان لليافعي (٩٩/١): كان زيد من سادة التابعين صوّاماً قوّاماً. ٤٣/٩
وفي شذرات الذهب[١] (٤٤/١): من خوّاص عليّ من الصلحاء الأتقياء.

وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث مروج الذهب[٢] (٧٥/٢): أمّا زيد وعبدالله ـ أخوه ـ فإنّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان، ويغاث بهما اللّهفان[٣]، رجلا جدّ لا لعب معه.

ووصفه أخوه صعصعة لابن عبّاس لمّا قال له: أين أخواك منك زيد وعبدالله؟ صفهما. فقال: كان زيد والله يا بن عبّاس عظيم المروّة، شريف الأُخوّة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكراً لله طرفي النهار وزلفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيّان، لا ينافس في الدنيا، وأقلّ في أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بمقام، يهرب منه الدُّعّار[٤] الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار. فقال ابن عباس: ما ظنّك برجل من أهل الجنّة، رحم الله زيداً.

[صعصعة بن صوحان:]

٣ ـ صعصعة بن صوحان العبدي، أخو زيد الخير المذكور: ذكر في معاجم الصحابة، قال أبو عمر: كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ لم يلقه ولم يره. كان سيّداً فصيحاً خطيباً ديّناً. قال الشعبي: كنت أتعلّم منه الخطب، وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث: أمّا صعصعة فعظيم الشأن، عضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، ويفتق ما رتق، قليل النظير.

وقال ابن الأثير: كان سيّداً من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحاً خطيباً

---

(١) شذرات الذهب: ٢٠٩/١ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٢) مروج الذهب: ٤٨/٣.

(٣) في الطبعة المعتمدة لدينا: ويُغاث بهما البلدان.

(٤) جمع داعر، وهو الخبيث المفسد.

لسناً ديّناً فاضلاً يُعدّ في أصحاب عليّ عليه السلام.

له مع عثمان محاورة سيوافيك شيء منها، ومواقفه مع معاوية ذكرت جملة منها في مروج الذهب (٢/٧٦ ـ ٨٣)، وتاريخ ابن عساكر (٦/٤٢٤ ـ ٤٢٧). وثّقه ابن سعد والنسائي وابن حبّان[١] وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر.

أخرج ابن شبّة: أنّ عمر بن الخطّاب قسّم المال الذي بعث إليه أبو موسى، وكان ألف ألف درهم وفضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيّها الناس قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها؟ فقام صعصعة بن صوحان وهو غلام شابّ فقال: يا أمير المؤمنين إنّما تُشاور الناس فيما لم يُنزل الله / فيه قرآناً، أمّا ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها. فقال: صدقت. أنت منّي وأنا منك. فقسّمه بين المسلمين. ٤٤/٩

راجع[٢]: طبقات ابن سعد، مروج الذهب، تاريخ ابن عساكر، الاستيعاب، أُسد الغابة، الإصابة، تهذيب التهذيب، خلاصة الخزرجي.

[جندب الأزدي:]

٤ ـ جندب بن زهير الأزدي: صحابيّ مترجم له[٣] في الاستيعاب، وأُسد الغابة، والإصابة. وله في يومي الجمل وصفّين مواقف محمودة مع أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الثقات: ٤/٣٨٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦/٢٢١، مروج الذهب: ٣/٤٩ ـ ٥٤، تاريخ مدينة دمشق: ٢٤/٩٠ ـ ٩٦ رقم٢٨٨١، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١١/٨٤ ـ ٨٨، الاستيعاب: القسم الثاني/٧١٧ رقم١٢١١، أُسد الغابة: ٣/٢١ رقم٢٥٠٣، الإصابة: ٢/١٨٦ رقم٤٠٦٩، تهذيب التهذيب: ٤/٣٧٠، خلاصة الخزرجي: ١/٤٦٩ رقم٣٠٩٢.

(٣) الاستيعاب: القسم الأوّل/٢٥٨ رقم٣٤٣، أُسد الغابة: ١/٣٥٩ رقم٨٠٢، الإصابة: ١/٢٤٨ رقم١٢١٧.

[كعب بن عبدة:]

٥ ـ كعب بن عبدة: سمعت فيما مرّ عن البلاذري[١] أنّه كان ناسكاً.

[عدي الطائي:]

٦ ـ عديّ بن حاتم الطائي: صحابيّ عظيم قدم على رسول الله ﷺ سنة (٧)، لم يختلف اثنان في ثقته، أخرج حديثه أئمّة الصحاح الستّة، وقد أثنى عليه عمر بن الخطّاب لمّا قال له: يا أمير المؤمنين أتعرفني؟ فقال: نعم والله إنّي لأعرفك، أكرمك الله بأحسن المعرفة، أعرفك والله آمنت إذ كفروا، وعرفت إذ أنكروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا، وإنّ أوّل صدقة بيّضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ. ثمّ أخذ يعتذر.

أخرجه[٢]: أحمد في المسند (٤٥/١)، وابن سعد في الطبقات، ومسلم في صحيحه، وأبو عمر في الاستيعاب، والخطيب في تاريخه، وابن الأثير في أُسد الغابة وفيه: إنّه كان منحرفاً عن عثمان، وابن حجر في تهذيب التهذيب (١٦٦/٧).

وأعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب ما أخرجه في (١٩١/١) بالإسناد عن المغيرة قال: خرج عديّ بن حاتم وجرير بن عبدالله البجلي وحنظلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا قرقيسياء[٣] وقالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان.

والصواب: يُشتم فيه عليّ. فبدّلت يد التحريف عليّاً بعثمان، وذكره على علّاته ابن حجر في تهذيب التهذيب[٤] (١٦٧/٧).

---

(١) أنساب الأشراف: ١٥٤/٦.

(٢) مسند أحمد: ٧٤/١ ح٣١٨، صحيح مسلم: ١١١/٥ ح١٩٦ كتاب فضائل الصحابة، الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٥٨ رقم١٧٨١، أُسد الغابة: ٩/٤ رقم٣٦٠٤، تهذيب التهذيب: ١٥١/٧.

(٣) قرقيسياء: بلد على نهر الخابور، عندها مصب الخابور في الفرات، فهي مثلث بين الخابور والفرات.

(٤) تهذيب التهذيب: ١٥١/٧.

توجد ترجمة عدي في[١] : الاستيعاب، تاريخ بغداد (ج١)، أُسد الغابة، الإصابة، تهذيب التهذيب.

[مالك بن حبيب:]

٧ ـ مالك بن حبيب: له إدراك، عُدّ من الصحابة.

[يزيد الأرحبي:]

٨ ـ يزيد بن قيس الأرحبي: له إدراك، وكان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس،
٤٥/٩ ولمّا / ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قرّاء الكوفة وأمّروه، وكان مع عليّ في حروبه وولّاه شرطته ثمّ ولّاه أصبهان والريّ وهمذان، وهو المعنيّ في قول ثمامة:

معاوي إن لا تُسرع السير نحونا ... فبايع عليّاً أو يزيد اليمانيا

وله يوم صفّين مواقف وخطابات تُعرب عن نفسيّاته الكريمة وملكاته الفاضلة، تُذكر وتُشكر، ذكر جملة منها ابن مزاحم في كتاب صفّين، والطبري في تاريخه، وابن الأثير في الكامل[٢]، ومما ذكروه قوله:

إنّ المسلم السليم من سلم دينه ورأيه، إنّ هؤلاء القوم [والله][٣] ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيّعناه، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه، ولا يقاتلونا إلّا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً، فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ـ إذاً ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه، يحدّث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت، ويأخذ مال الله ويقول: هذا لي ولا إثم عليّ فيه، كأنّما أُعطي تراثه من أبيه، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا، قاتلوا، عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم، إنّهم إن

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٥٧ رقم١٧٨١، تاريخ بغداد: ١٨٩/١ رقم٢٩، أُسد الغابة: ٨/٤ رقم٣٩٠٦، الإصابة: ٤٦٨/٢ رقم٥٤٧٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٧٣/٢ حوادث سنة ٣٧هـ.

(٣) من المصادر.

يظهروا عليكم يُفسدوا دينكم ودنياكم، وهم من قد عرفتم وجرّبتم، والله ما أرادوا إلى هذا إلّا شرّاً، وأستغفر الله العظيم لي ولكم[١].

[عمرو بن الحمق:]

٩ ـ عمرو بن الحَمِق[٢] بن حبيب الخزاعي الكعبي: صحب النبيّ الأعظم وحفظ عنه أحاديث، وحظي بدعائه ﷺ له لمّا سقاه لبناً بقوله: «اللّهمّ أمتعه بشبابه»، فاستكمل الثمانين من عمره ولم يرَ شعرة بيضاء[٣]. أخرج حديثه البخاري في التعاليق، وابن ماجه[٤]، والنسائي[٥] وغيرهم، وكان من أعوان حجر بن عدي سلام‌الله‌عليه‌وعليهم، ترجمه أبوعمر في‌الاستيعاب[٦]، وابن‌الأثير في أُسد الغابة، وابن حجر في‌الإصابة، ولم‌أجد كلمة غمز لأيّ‌أحد فيه مع قولهم: كان ممّن‌سار إلى‌عثمان بن عفّان ﷺ وهو أحد / الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا، وصار بعد ذلك من شيعة عليّ. وقولهم: إنّه كان ممّن قام على‌عثمان. وقولهم: كان أحد من ألّب على عثمان. ٤٦/٩

وله يوم صفين مواقف مشكورة وكلم قيّمة خالدة مع الأبد تُعرب عن إيمانه الخالص، وروحه النزيهة الطاهرة، راجع كتاب صفّين لابن مزاحم[٧] (ص١١٥، ٤٣٣، ٤٥٤، ٥٥١).

قال ابن الأثير في أُسد الغابة[٨] (١٠١/٤): قبره مشهور بظاهر الموصل يزار،

---

(١) كتاب صفّين: ص٢٧٩ [ص٢٤٧]، تاريخ الطبري: ١٠/٦ [١٧/٥ حوادث سنة ٣٧هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ٤٨٥/١ [١٩٤/٥ خطبة ٦٥]، الإصابة: ٦٧٥/٣ [رقم٩٤٠٧]. (المؤلّف)

(٢) بفتح المهملة وكسر الميم. (المؤلّف)

(٣) أُسد الغابة: ١٠٠/٤ [٢١٧/٤ رقم٣٩٠٦]، الإصابة: ٥٣٣/٢ [رقم٥٨١٨]. (المؤلّف)

(٤) سنن ابن ماجه: ٨٩٦/٢ ح٢٦٨٨.

(٥) السنن الكبرى: ٢٢٥/٥ ح٨٧٣٩ ـ ٨٧٤١.

(٦) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٧٣ رقم١٩٠٩.

(٧) وقعة صفّين: ص١٠٣، ٣٨١، ٣٩٩، ٤٨٢.

(٨) أُسد الغابة: ٢١٩/٤ رقم٣٩٠٦.

وعليه مشهد كبير، ابتدأ بعمارته أبو عبدالله سعيد بن حمدان ـ وهو ابن عمّ سيف الدولة وناصر الدولة ابني حمدان ـ في شعبان من سنة ستّ وثلاثين وثلاثمئة، وجرى بين السنّة والشيعة فتنة بسبب عمارته.

[عروة البارقي]

١٠ ـ عروة بن الجعد، ويقال: أبي الجعد البارقي الأزدي، صحابيّ مرضيّ مترجم له في معاجم الصحابة[١] الاستيعاب، أُسد الغابة، الإصابة. روى حديث: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم». قال شبيب بن غرقدة: رأيت في دار عروة سبعين فرساً رغبة في رباط الخيل[٢]، أخرج حديثه أئمّة الصحاح الستّة فيها.

[أصعر الحارثي:]

١١ ـ أصعر بن قيس بن الحارث الحارثي: له إدراك، ذكره ابن حجر في الإصابة (١٠٩/١).

[كميل بن زياد:]

١٢ ـ كميل بن زياد النخعي: كان شريفاً في قومه، قتله الحجّاج سنة (٨٢)، وثّقه[٣] ابن سعد، وابن مَعِين، والعجلي، وابن عمّار، وذكره ابن حبّان في الثقات[٤].

[الحارث الهمداني:]

١٣ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني: من رواة الصحاح الأربعة من الستّة، قال ابن مَعِين[٥]: ثقة. وقال ابن أبي داود: كان أفقه الناس، وأحسب الناس،

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٦٥ رقم١٨٠٢، أُسد الغابة: ٢٦/٤ رقم ٣٦٤٠، الإصابة: ٤٧٦/٢ رقم٥٥١٨.

(٢) صحيح البخاري في المناقب [١٣٣٢/٣ ح٣٤٤٣]، باب قول الله تعالى: ﴿يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أبنَاءَهُم﴾. [البقرة: ١٤٦]. (المؤلّف)

(٣) الطبقات الكبرى: ١٧٩/٦، تاريخ الثقات للعجلي: ص٣٩٨ رقم١٤٢٣، كتاب الثقات: ٣٤١/٥.

(٤) تهذيب التهذيب: ٤٤٧/٨ [٤٠٢/٨]. (المؤلّف)

(٥) التاريخ: ٣٦١/٣ رقم٦٧٥١.

وأفرض الناس، تعلّم الفرائض من عليّ، قال ابن أبي خيثمة: قيل ليحيى: يُحتجّ بالحارث؟ فقال: ما زال المحدّثون يقبلون حديثه. وقال أحمد بن صالح المصري: ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن عليّ وأثنى عليه. ووثّقه ابن سعد[١].

وهناك من كذّبه، والعمدة في ذلك الشعبي. قال ابن عبدالبرّ في كتاب العلم[٢]: أظنّ الشعبي عوقب بقوله في الحارث: كذّاب، ولم يَبِنْ من الحارث كذبه، وإنّما نقم ٤٧/٩
عليه إفراطه في حبّ عليّ.

وقال أحمد بن صالح: لم يكن الحارث يكذب في الحديث، إنّما كان كذبه في رأيه.

وقال الذهبي[٣]: والنسائي مع تعنّته في الرجال قد احتجّ به [وقوّى أمره]، والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب. تهذيب التهذيب[٤] (٢/١٤٥ ـ ١٤٧).

فمحصّل القول في الهمداني: أنّه لا مغمز فيه غير نزعته العلويّة الممدوحة عند الله وعند رسوله.

ـ ٤٥ ـ

تسيير الخليفة كعب بن عبدة وضربه

كتب جماعة من القرّاء إلى عثمان منهم: معقل بن قيس الرياحي، وعبدالله بن الطفيل العامري، ومالك بن حبيب التميمي، ويزيد بن قيس الأرحبي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وسليمان بن صرد الخزاعي ويُكنّى أبا مطرف، والمسيّب بن نجبة الفزاري، وزيد بن حصن الطائي، وكعب بن عبدة النهدي،

---

(١) الطبقات الكبرىٰ: ٦/١٦٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ص٣٨٧ رقم ١٨٩٠.

(٣) ميزان الاعتدال: ١/٤٣٧ رقم ١٦٢٧. وما بين المعقوفين منه.

(٤) تهذيب التهذيب: ٢/١٢٦ ـ ١٢٨.

وزياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديّان الحارثي، ومسلمة بن عبد القاري من القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة:

إنّ سعيداً كثّر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف، فحملك في أمرهم على ما لا يحلّ في دين ولا يحسن في سماع، وإنّا نُذكرك الله في أُمّة محمد، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك، لأنّك قد حملت بني أبيك على رقابهم، واعلم أنّ لك ناصراً ظالماً، وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة، ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيدا، فإنّك أميرنا ما أطعت الله واستقمت، ولن تجد دون الله مُلتحداً ولا عنه منتقذاً.

ولم يُسمِّ أحد منهم نفسه في الكتاب وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنّى أبا ربيعة، وكتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمّى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة، فلمّا قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره، فأراد ضربه وحبسه فمنعه عليّ من ذلك وقال: إنّما هو رسول أدّى ما حُمّل، وكتب عثمان إلى / سعيد ٤٨/٩
أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً، ويحوّل ديوانه إلى الري، ففعل. ثمّ إنّ عثمان تحوّب وندم فكتب في إشخاصه إليه، ففعل. فلمّا ورد عليه قال له: إنّه كانت منّي طيرة ثمّ نزع ثيابه وألقى إليه سوطاً وقال: إقتصّ، فقال: قد عفوت يا أمير المؤمنين.

ويقال: إنّ عثمان لمّا قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه، فأشخصه إليه مع رجل أعرابيّ من أعراب بني أسد، فلمّا رأى الأعرابيّ صلاته وعرف نسكه وفضله قال:

ليت حظّي من مسيري بكعبٍ عفوه عنّي وغفران ذنبي

فلمّا قدم به على عثمان قال عثمان: لأن تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه، وكان شابّاً حديث السنّ نحيفاً ثمّ أقبل عليه فقال: أأنت تعلّمني الحقّ وقد قرأت كتاب الله

وأنت في صلب رجل مشرك؟ فقال له كعب: إنّ إمارة المؤمنين إنّما كانت لك بما أوجبته الشورى حين عاهدت الله على نفسك في أن تسيرنّ بسيرة نبيّه، لا تقصّر عنها، وإن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك، يا عثمان إنّ كتاب الله لمن بلغه وقرأه وقد شركناك في قراءته، ومتى لم يعمل القارئ بما فيه كان حجّة عليه. فقال عثمان: والله ما أظنّك تدري أين ربّك؟ فقال: هو بالمرصاد. فقال مروان: حلمك أغرى مثل هذا بك وجرّأه عليك. فأمر عثمان بكعب فجرّد وضُرب عشرين سوطاً، وسيّره إلى دباوند[1]، ويقال: إلى جبل الدخان. فلمّا ورد على سعيد حمله مع بكير بن حمران الأحمري، فقال الدهقان الذي ورد عليه: لم فُعل بهذا الرجل ما أرى؟ قال بكير: لأنّه شرير، فقال: إنّ قوماً هذا من شرارهم لخيار.

ثمّ إنّ طلحة والزبير وبّخا عثمان في أمر كعب وغيره، وقال طلحة: عند غبّ الصدر يحمد عاقبة الورد. فكتب في ردّ كعب ﷺ وحمله إليه، فلمّا قدم عليه نزع ثوبه وقال: يا كعب اقتص. فعفا رضي الله عنهم أجمعين[2].

وعدّ الحلبي في السيرة[3] (٨٧/٢) من جملة ما انتقم به على عثمان: أنّه ضرب كعب / بن عبدة عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال. ٤٩/٩

قال الأميني: ألا تعجب في أمر هذا الخليفة؟ إنّ مناوئيه كلّهم في عاصمة الخلافة وبقيّة الأوساط الإسلاميّة خيار البلاد وصلحاء الأُمّة، كما أنّ من اكتنف به وأغراه بالأبرار هم المتهتّكون في الدين، المفضوحون بالسمعة الشائنة، روّاد الشره،

---

(١) بفتح المهملة وتضم، ويقال: دنباوند، ودماوند بالميم بدل الموحدة: كورة من كور الريّ [معجم البلدان: ٤٣٦/٢]. (المؤلّف)

(٢) أنساب البلاذري: ٤١/٥ ـ ٤٣ [١٥٣/٦ ـ ١٥٥]، تاريخ الطبري: ١٣٧/٥ [٤٠١/٤ حوادث سنة ٣٥ هـ]، الرياض النضرة: ١٤٠/٢ ـ ١٤٩ [٧٦/٣]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦٨/١ [١٦٠/٢ خطبة ٣٠]، الصواعق المحرقة: ص٦٨ [ص١١٤]، واللفظ للبلاذري. (المؤلّف)

(٣) السيرة الحلبية: ٧٨/٢.

وسماسرة المطامع، من طُغمة الأمويّين ومن يقتصّ أثرهم، فلا ترى له سوط عذاب يُرفع إلّا وكان مصبّه أُولئك الصالحين، كما أنّك لا تجد جميلاً له يُسدى ولا يداً موفورة إلّا لأُولئك الساقطين، فهل بُعث الخليفة ـ وهو رحمة للعالمين ـ نقمةً على المؤمنين؟ أم ماذا كانت حقيقة الأمر؟ أنا لا أدري لماذا أسخط الخليفة كتاب القوم فأراد بحامله السوء من حبس وضرب بعد يأسه عن معرفة كاتبيه لولا أنّ عليّاً أمير المؤمنين حال بينه وبين ما يشتهيه، وهل كان الرجل إلّا وسيطاً كلّف بالرسالة فأدّاها؟ ولعلّه لم يكن يعلم ما فيها، وليس في الكتاب إلّا التذكير بالله، والتحذير عمّا يوجب تفريق الكلمة وإقلاق السلام، وإظهار الطاعة بشرط طاعة الله والاستقامة الذي هو مأخوذ في الخليفة قبل كلّ شيء ـ وعليه جرى انتخاب يوم الشورى ـ وإيقافه على مكان سعيد الشابّ الغرّ من السعاية التي خافوا أن تكون وبالاً عليه، وأخيراً وقع ما خافوا منه وحذّروا الخليفة عنه، والشهادة لأُولئك المنفيّين بالبراءة ممّا نُبزوا به وأنّهم من أهل الورع والفضل والعفاف، وأنّ تسييرهم لا يحلّ في دين الله، ويشوّه سمعة الخليفة.

ولماذا أغضبه كتاب كعب، وهو بطبع الحال لدة ما كتبه القوم من النصح الجميل؟ ولماذا أمر بإشخاصه إلى المدينة وضربه وجازاه على نصحه بجزاء سنمّار؟

فهلّا انبعث الخليفة إلى التفاهم مع القوم نيابة أظهروا أنّهم يتحرّون ما فيه صلاحه وصلاح الأُمّة، فإمّا أن يُقنعهم بما عنده، أو يقتنع بما يبدونه، فيرتفع ذلك الحوار، وتُدفع عنه المثُلات، لكنّه أبى إلّا أن يستمرّ على ما ارتآه وحبّذه له المحتفّون به الذين اتّخذوه قنطرة إلى شهواتهم، ولذلك لم يتفاهم مع كعب إلّا بالغلظة فقال له: أأنت تُعلّمني. إلخ. أنا لا أدري موقع هذا الكلام التافه، هل الكون في صُلب رجل مشرك يحطّ من كرامة الإنسان وقد آمن بالله ورسوله؟ إذن لتسرّب النقص إلى الصحابة الذين نقلوا من أصلاب المشركين وارتكضوا في أرحام المشركات، وكثير

منهم أشركوا / بالله قبل إسلامهم، لكن الإسلام يجبّ ما قبله، وهل الأصلاب ٥٠/٩
والأرحام إلّا أوعية؟

ثمّ السبق إلى قراءة الكتاب العزيز هل هو بمجرّده يرفع من قدر الرجل حتى إذا لم يعمل به كما أجاب به وفضّله كعب؟

ولا أدري ما يريد الخليفة بقوله: والله ما أظنّك تدري أين ربّك. هل هو يريد المكان؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وأيّ مسلم لا يعرف أنّ ربّه لا يُقلّه حيّز، فإنّه حريّ بالسقوط، وما أحسن جواب كعب من قوله: هو بالمرصاد، فإن كان يريد مثل ما قاله كعب فلماذا احتمل أنّ مثل كعب الموصوف بالفضيلة والتقوى لا يعرف ذلك؟ وهل يريد عندئذٍ إلّا إهانة الرجل وهتكه؟

ثمّ ماذا كان في هذه المحاورة حتى عدّ مروان سكوت الخليفة عنه من الحلم وكلام كعب من الجرأة وثوّر الخليفة على الرجل؟ وهنالك انفجر بركان غضبه فأمر به فجُرّد وضُرِب وسُيِّر، وعوقب لنصحه وصلاحه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

لقد أراد القوم أن يزحزحوا التبعة عن عثمان فاختلق كلّ شيئاً من غير تواطؤ بينهم حتى يفتعلوا أمراً واحداً، ففي ذيل هذه الرواية أنّ الخليفة ندم على ما فعل وتاب بعد توبيخ طلحة والزبير إيّاه واستعفى الرجل فعفا عنه، ولم يعلم المتقوّل أنّ خليفةً لا يملك طيشه حيث لا موجب له لا يُؤتمن على دين ولا دنيا، فإنّ من الممكن عندئذ أن يقتحم المهالك حيث لا مُوبّخ فيستمرّ عليها فيهلك ويُهلك، وإنّ ممّا قاله الخليفة نفسه يوم الدار عن الثائرين عليه: إنّهم يخيّروني إحدى ثلاث: إمّا يقيدونني بكلّ رجلٍ أصبته خطأً أو صواباً غير متروك منه شيء، فقلت لهم: أمّا إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب فلم يُستقد من أحد منهم. إلخ. وهذه الكلمة تعطينا أنّه ما كان يتنازل للإقادة حتى في أحرج ساعاته المشارفة لقتله،

فكيف بآونة السعة وساعة المقدرة. فما يزعمه هذا الناحت لذيل الرواية من أنّه تنازل لكعب لأن يقيده بنفسه لا يكاد يلائم هذه النفسيّة، ولو كان فعل شيئاً من ذلك لتشبّث به في ذلك المأزق الحرج.

وهناك رواية أُخرى جاء بها الطبري من طريق السري الكذّاب المتروك، عن شعيب المجهول، عن سيف الوضّاع المرميّ بالزندقة المتّفق على ضعفه[1]، عن محمد وطلحة: / أنّ كعباً كان يعالج نيرنجاً[2] فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى الوليد بن عقبة ٥١/٩
ليسأله عن ذلك فإن أقرّ به فأوجعه، فدعا به فسأله فقال: إنّما هو رفق وأمر يُعجب منه، فأمر به فعزّر، وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان: إنّه قد جُدّ بكم فعليكم بالجدّ وإيّاكم والهزّال، فكان الناس عليه وتعجّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره، فغضب، فنفر في الذين نفروا فضرب معهم، فكتب إلى عثمان فيه. فلمّا سيّر إلى الشام من سيّر، سيّر كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبدالله وكان دينه كدينه إلى دُنباوند لأنّها أرض سحرة، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد:

لعمري لئن طرّدتني ما إلى التي ... طمعتُ بها من سقطتي لسبيلُ
رجوت رجوعي يابن أروى ورجعتي ... إلى الحقّ دهراً غال ذلك غولُ
وإنّ اغترابي في البلاد وجفوتي ... وشتميَ في ذاتِ الإلٰهِ قليلُ
وإنّ دعائي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... عليك بدُنباوندكمْ لطويلُ

فلمّا ولّي سعيد أقفله وأحسن إليه واستصلحه، فكفره، فلم يزدد إلّا فساداً[3].
شوّه الطبري صحيفة تاريخه بمكاتبات السري وقد أسلفنا في الجزء الثامن أنّها

---

(١) راجع ما مرّ في: ٨/٨٤، ١٤٠، ١٤١، ٣٢٦ ـ ٣٣٣ من كلمات الحفّاظ حول رجال الإسناد. (المؤلّف)

(٢) النيرج والنيرنج: أخذ كالسحر وليس به. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الطبري: ٥/١٣٧ [٤/٤٠١ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلّف)

موضوعة كلّها، اختلق الرجل في كلّ ما ينتقد به عثمان رواية تظهر فيها لوائح الكذب، يريد بها رفاء لما هنالك من فتق، وهو الذي قذف أباذر ونظراءه من الصالحين، غير مكترث لمغبّة الكذب والافتراء، ومن ملاح الكذب في هذه الرواية أنّ تسيير من سُيّر إلى الشام من قرّاء الكوفة ونُسّاكها وضرب كعب إنّما هو على عهد سعيد بن العاص لا الوليد بن عقبة كما زعمه مختلق الرواية.

وإنّ كتاب عثمان إلى الوليد لا يصحّ، ولم يؤثر في أيّ من مدوّنات التاريخ والسير، ولو كان تفرّد به أُناس يوثق بهم لكان مجالاً للقبول، لكن الرواية كما قيل:

صحاحهم عن سجاح عن مسيلمة ... عن ابن حيّان والدوسيّ يمليهِ
وكلّهم ينتهي إسناد باطله ... إلى عزازيل مُنشيه ومُنهيهِ[1]

على أنّه يقول فيها: إنّ وليداً قرأه على رؤوس الأشهاد، كأنّه يحاول معذرةً عمّا ٥٢/٩
ارتُكب من كعب، وإنّه كان برضىً من المسلمين، ولو صحّت المزعمة لكانت مستفيضة، إذ الدواعي كانت متوفّرة على نقلها، لكنهم لم يسمعوها فلم يروها، مضافاً إلى أنّ المعروف من كعب بن عبدة أنّه كان من نسّاك الكوفة وقرّائها كما سمعته من كلام البلاذري وغيره لا ممّن يتلهّى بالنيرنجات وأشباهها.

وإن تعجب فعجب أنّ صاحب النيرنج ـ لو صدقت الأحلام ـ يُعزّر ويعاقب، ومُعاقر الخمور ـ وليد الفجور ـ لا يحدّ لشربه الخمر إلّا بعد نقمة الصحابة على خليفة الوقت من جرّاء ذلك، ثمّ يكون مُقيم الحدّ عليه غيره وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

ولم يكن في أُولئك المسيّرين من يسمّى مالك بن عبدالله، وإنّما كان فيهم مالك ابن الحارث الأشتر ومالك بن حبيب الصحابيّان كما تقدّم ذكرهما.

وأبيات كعب تناسب أن يخاطب بها عثمان لا الوليد؛ فإنّه هو ابن أروى بنت

---

(١) البيتان من قصيدة للشريف ابن فلاح الكاظمي. (المؤلّف)

كريز وفيها صراحة بسبب اغتراب كعب وجفوته وشتمه، وأنّها كانت في ذات الله، يقول ذلك بملء فمه، ولا يردّ عليه رادّ بأنّها ليست في ذات الله وإنّما هي لأنّه كان يعالج نيرنجاً.

هكذا لعبت بالتاريخ يد الأهواء والشهوات تزلّفاً إلى أُناس وانحيازاً عن آخرين ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾[1].

- ٤٦ -

تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري

الزاهد الناسك إلى الشام

أخرج الطبري[2] من طريق العلاء بن عبدالله بن زيد العنبري أنّه قال: اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلّمه ويخبره بأحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبدالله التميمي ثم العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس، فأتاه فدخل عليه فقال له: إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أُموراً عظاماً فاتّق الله عزّ وجلّ وتب إليه وانزع عنها. قال له عثمان: انظر إلى هذا فإنّ الناس يزعمون أنّه قارئ ثمّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات فوالله ما يدري أين الله. قال عامر: أنا لا أدري أين الله؟! قال: نعم، والله ما تدري أين الله. قال عامر: بلى والله إنّي لأدري إنّ الله بالمرصاد لك.
٥٣/٩ فأرسل عثمان إلى / معاوية بن أبي سفيان، وإلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وإلى سعيد بن العاص، وإلى عمرو بن العاص، وإلى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه وما بلغ عنهم. فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم: إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء وإنّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا

---

(١) الزخرف: ٨٣، والمعارج: ٤٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٣٣/٤ حوادث سنة ٣٤هـ.

إليّ أن أعزل عمّالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليّ.

فقال له عبدالله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمّرهم في المغازي حتى يذلّوا لك، فلا يكون همّة أحدهم إلّا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه.

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تصب. قال: وما هو؟ قال: إنّ لكلّ قوم قادة متى تهلك يتفرّقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان: إنّ هذا الرأي لولا ما فيه.

ثمّ أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن تردّ عمّالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلي.

ثمّ أقبل على عبدالله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أنّ الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثمّ أقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنّك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً.

فقال عثمان: ما لك قمل فروك؟ أهذا الجدّ منك؟ فأسكت عنه دهراً، حتى إذا تفرّق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين لأنت أعزّ عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كلّ رجل منّا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شرّاً.

فردّ عثمان عمّاله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم وأمرهم

٥٤/٩ بتجمير[١] / الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه[٢].

وقال البلاذري في الأنساب[٣] (٥٧/٥): قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره: كان عامر بن [عبد] قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته، فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره، فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز في حمله فحمله، فلمّا قدم عليه فرآه وقد أعظم الناس إشخاصه وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده، ألطفه وأكرمه وردّه إلى البصرة.

وروى ابن المبارك في الزهد من طريق بلال بن سعد أنّ عامر بن عبد قيس وُشِي به إلى عثمان، فأمر أن يُنفى إلى الشام على قتب، فأنزله معاوية الخضراء وبعث إليه بجاريه وأمرها أن تعلمه ما حاله، فكان يقوم الليل كلّه ويخرج من السحر فلا يعود إلّا بعد العتمة، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها ويشرب من ذلك الماء، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه فقال: لا أرب لي في ذلك. الإصابة لابن حجر (٨٥/٣).

وذكر[٤] ابن قتيبة في المعارف (ص ٨٤ و ١٩٤)، وابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢٦١/٢)، والراغب في المحاضرات (٢١٢/٢) جملة ممّا نُقم به على عثمان وعدّوا منه: أنّه سيّر عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام، وقال ابن قتيبة: كان خيّراً فاضلاً.

قال الأميني: منظر غريب لعمرك في ذلك اليوم، أليس من المستغرب أنّ صلحاء البلاد مضطهدون فيه على بكرة أبيهم؟ فمن راسف تحت نير الاضطهاد، ومن معتقل في غيابة الجبّ، ومن مغترب يجفل به من منفى إلى منفى، ومن منقطع عن

---

(١) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم.

(٢) أنساب البلاذري: ٤٣/٥ [١٥٦/٦]، تاريخ الطبري: ٩٤/٥ [٣٣٣/٤ حوادث سنة ٣٤هـ]، الكامل لابن الأثير: ٩٢/٣ [٢٧٥/٢ حوادث سنة ٣٤هـ]، تاريخ ابن خلدون: ٣٩٠/٢ [٥٩٢/٢]. (المؤلّف)

(٣) أنساب الأشراف: ١٧٢/٦.

(٤) المعارف: ص ١٩٥ و ٤٣٦، العقد الفريد: ١٠٣/٤، محاضرات الأدباء: ٤٧٦/٢.

العطاء، ومن ممقوت ينظر إليه شزراً، ومن مضروب تُدق به أضالعه، إلى مشتوم يُهتك في الملأ الديني. لماذا ذلك كلّه؟ لأنّهم غضبوا للحق، وأنكروا المنكر، فهلّا كان في وسع من يفعل بهم ذلك إقناعهم بالإقلاع عمّا ينكرونه وفيه رضا الله قبل كلّ شيء، ومرضاة رسوله من بعده، ومرضاة الأُمّة جمعاء، وبه كانت تُدحر عنه المثلات وتخمد الفتن، وكانت فيه مجلبة للمودّة، ومكتسح للقلاقل، وهو أدعى لجمام النفس، وسيادة الأمن، وإزاحة / الهرج، وكان خيراً له من ارتكاب العظائم بالنفي والضرب والشتم ٥٥/٩
والإزعاج والجفوة. ولو كان الخليفة يرى خطأهم في إنكارهم عليه فإنّه كان في وسعه أن يعقد لهم محتفلاً للتفاهم، فإمّا أن يتنازلوا عن بعض ما أرادوا، أو يتنازل هو عن بعض ما يبتغيه، أو يتكافآ في التنازل فتقع خيرة الكلّ على أمر واحد، وكان عقد هذا المنتدى خيراً له ممّا عقده للنظر في شأن عامر بن عبد قيس، وجمع خلقاً من أُصول الجور، وجذوم الفتن، وجراثيم العيث والفساد، فروع الشجرة الملعونة، وهم الذين جرّوا إليه الويلات بجورهم وفجورهم واستعبادهم الأُمّة وابتغائهم الغوائل، وهملجتهم وراء المطامع فلم يسمع منهم في ذلك المجتمع ولا في غيره إلّا رأي مُستغش، ونظريّة خائن، أو أفيكة مائن، أو دسيسة لعين بلسان النبيّ الأقدس مرّة بعد أُخرى، وهو مع ذلك يراهم وزراءه ونصحاءه وأهل ثقته، أوَلا تعجب من خلافة يكون هؤلاء وزراءها ونصحاءها وأهل ثقة صاحبها؟!

ثمّ انظر كيف كان التفاهم بين الرجلين: الخليفة وسفير المسلمين إليه، هذا يذكّره بالتقوى والتوبة إلى الله وينهاه عن ارتكاب العظائم التي استعظمها المسلمون العلماء منهم والقرّاء والنسّاك وذوو الرأي والمسكة، والخليفة يعدّ ما استعظمته الأُمّة من المحقّرات، ثمّ يهزأ به ويقذفه بقلّة المعرفة مشفوعاً ذلك باليمين كما قذف به كعباً وصعصعة بن صوحان وسمع منهما ما سمعه من عامر لأنّهم حملة العلم، والعلم حرف واحد كثّره الجاهلون.

والأعجب كيف يعير الخليفة إلى سعاية حُمران بن أبان أُذناً واعية وقد رآه

على الفاحشة هو بنفسه؛ وذلك أنه تزوّج امرأة في العدّة، فضربه ونفاه إلى البصرة[١] وأسرّ إليه سرّاً فأخبر به عبدالرحمن بن عوف، فغضب عليه عثمان ونفاه[٢]. وقال البلاذري في الأنساب[٣] (٥٧/٥): كان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد، فلمّا قدم على عثمان كذب عن الوليد وقرّظه. ثمّ إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له: الأمر جليل فأخبر مروان عثمان بذلك، فغضب على حمران وغرّبه إلى البصرة لكذبه عليه وأقطعه داراً.

٥٦/٩ كيف وثق خليفة المسلمين بخبر إنسان هذا شأنه من الفسق والتهوّر، والله جلّ اسمه يقول: ﴿إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ﴾[٤].

ثمّ اعجب أنّ حمران نفاه الخليفة على فسقه وأقطعه داراً لجمع شمله، والعبد الصالح أبوذر الغفاري الصادق المصدوق أُجفل إلى الربذة، وتُرك في البرّ الأقفر لا يأوي إلى مضرب، ولا يظلّه خباء، هذا من هوان الدنيا على الله.

وهل الخليفة عرف عامراً ومكانته في الأُمّة ومنزلته من الزهد والتقوى ومحلّه من التعبّد والنزاهة، فأصاخ فيه إلى قول الوشاة وأشخصه إلى المدينة مرّة وسيّره إلى الشام على القتب أُخرى، وأزرى به وأهانه حين مثل بين يديه؟ أو أنّه لم يعرفه ولا شيئاً من فضله، فوثق بما قالوه؟ وكان عليه أن يعرفه لمّا علم بسفارته من قبل وجهاء البصرة وأهل الحريجة والتقوى، ذوي الحلوم الراجحة، والآراء الناضجة، فإنّهم لا يرسلون طبعاً إلّا من يرضونه في مكانته وعلمه وعقله وتقواه. وهل كان فيما يقوله

---

(١) تاريخ الطبري: ٩١/٥ [٣٢٧/٤ حوادث سنة ٣٣هـ]، الكامل لابن الأثير: ٦٠/٣ [٢٧١/٢ حوادث سنة ٣٣هـ]. (المؤلّف)

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٤/٣ [٢٢/٣]. (المؤلّف)

(٣) أنساب الأشراف: ١٧٢/٦.

(٤) الحجرات: ٦.

مغضبة؟ أو أنّه ما كان يتحرّى صالح الأُمّة وصلاح من يسوسها؟

إنّ من العصيب أن نعترف بأنّه ما كان يعرف عامراً وصلاحه، فقد كان يسير بذكره الركبان، وهبّت بأريج فضله النسائم في الأجواء والأرجاء، وفي طيّات المعاجم والسِّير اليوم نماذج من تلكم الشهرة الطائلة عن عامر بين العباد وفي البلاد يوم ألزم نفسه أن يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[1] فكانوا يعدّونه من أولياء الله المقرّبين، وأوّل الزهّاد الثمانية، وذكروا له كرامات ومكرمات.

أفمن الممكن إذن أن لا يعرفه الخليفة؟ ولم يكن فيما ينكره إلّا ما أصفقت على إنكاره أهل الحلّ والعقد يومئذٍ من الصالح العام في الحواضر الإسلاميّة كلّها، غير أنّهم لم يجدوا ـ كما أنّ عامراً لم يجد ـ أُذناً مصغية لهتافهم، فتكافأ دؤوب الخليفة على التصامم ودؤوب القوم على الإنكار حتى استفحل الخطب ودارت الدوائر.

وهلمّ معي ننظر إلى رواية الضعفاء رواية كذّاب متروك، عن مجهول منكر، عن وضّاع متّهم بالزندقة متّفق على ضعفه: السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر، عن محمد وطلحة: أنّ عثمان سيّر حمران بن أبان أن تزوّج امرأة في عدّتها وفرّق بينهما وضربه و / سيّره إلى البصرة، فلمّا أتى عليه ما شاء الله وأتاه عنه الذي يحبّ، أذن له ٥٧/٩
فقدم عليه المدينة ومعه قوم سعوا بعامر أنّه لا يرى التزويج، ولا يأكل اللحم، ولا يشهد الجمعة فألحقه عثمان بمعاوية، فلمّا قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل أكلاً عربيّاً[2]، فعرف أنّ الرجل مكذوب عليه فعرّفه معاوية سبب إخراجه، فقال: أمّا الجمعة فإنّي أشهدها في مؤخّر المسجد ثمّ أرجع في أوائل الناس، وأمّا التزويج فإنّي

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٦٩/٧ [١٧/٢٦ رقم٣٠٥٢، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٧٧/١١]، الإصابة: ٨٥/٣ [رقم٦٢٨٤]. (المؤلّف)

(٢) كذا في كامل ابن الأثير، وفي بقية المصادر: أكلاً غريباً.

خرجت وأنا يُخطب عليّ، وأمّا اللحم فقد رأيت[1].

أوَلا تعجب من الذين اتّخذوا هذه الرواية مصدراً في تعذير عثمان عن نفي عامر وإشخاصه وهم يبطلون الرواية في غير هذا المورد بوجود واحد من رجال هذا السند الثلاثة، لكنّهم يحتجّون بروايتهم جميعاً هاهنا، وفي كلّ ما نقم به على عثمان ؟!

ثمّ لننظر فيما وُشي به على الرجل بعد الفراغ من النظرة في حال الواشي وهو حمران المتقدّم ذكره، هل يوجب شيء منها ذمّاً أو تعزيراً أو تأديباً أو تغريباً؟ وهل هي من المعاصي المسقطة لمحلّ الإنسان؟ أمّا ترك التزويج فلم يثبت حرمته إن لم يكن من باب التشريع وأخذه ديناً، وإنّما النكاح من المرغّب فيه، على أنّه كان لم يزل يخطب لنفسه لكنّه لا يجد من يلائمه في خفّة المؤنة. أخرج أبو نُعَيم في الحلية (٩٠/٢): إنّ عامر بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة، فقال: إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أسألك مالك لا تزوّج النساء؟ قال: ما تركتهنّ وإنّي لدائب في الخطبة، قال: وما لك لا تأكل الجبن؟ قال: أنا بأرض فيها مجوس فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته. قال: وما يمنعك أن تأتي الأمراء؟ قال: إنّ لدى أبوابكم طلّاب الحاجات فادعوهم واقضوا حوائجهم، ودعوا من لا حاجة له إليكم.

وأخرج من طريق أحمد بن حنبل بإسناده عن الحسن قال: بعث معاوية إلى عبدالله بن عامر أن انظر عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وأمهر عنه من بيت المال، فأرسل إليه أنّ أمير المؤمنين قد كتب إليّ وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى من شئت وأمهر عنك من بيت المال. قال: أنا في الخطبة
٥٨/٩ دائب. قال: إلى / من؟ قال: إلى من يقبل منّي الفلقة والتمرة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٩١/٥ [٣٢٧/٤ حوادث سنة ٣٣هـ]، تاريخ ابن عساكر: ١٦٧/٧ [٩/٢٦ رقم٣٠٥٢]، الكامل لابن الأثير: ٦٠/٣ [٢٧٢/٢ حوادث سنة ٣٣هـ]، أُسد الغابة [١٣٢/٣ رقم٢٧١٢]، تاريخ ابن خلدون: ٣٨٩/٢ [٥٩١/٢]. (المؤلّف)

وهذان الحديثان يكذّبان ما جاء به السري، ولو صحّ ذلك فما وجه هذه المسألة في أيّام معاوية عن تزويج عامر؟

وأمّا ترك اللحوم فليس من المحرّم أيضاً وقد جاءت السنّة بتحليلها كلّها من غير إيجاب، نعم تركها النهائي مكروه إن لم يكن من باب التديّن، وقد تستدعي المبالغة في الزهادة الذهول عن شؤون الدنيا بأسرها فلا يلتفت صاحبها إلى الملاذّ كلّها، وكان مع ذلك لعامر عذر، قال ابن قتيبة في المعارف[1] (ص١٩٤): وكان سبب تسييره أنّ حمران بن أبان كتب فيه: أنّه لا يأكل اللحم، ولا يغشى النساء، ولا يقبل الأعمال ـ يعرّض بأنّه خارجيّ[2] ـ فكتب عثمان إلى ابن عامر: أن ادعُ عامراً فإن كانت فيه الخصال فسيّره. فسأله، فقال: أمّا اللحم فإنّي مررت بقصّاب يذبح ولا يذكر اسم الله، فإذا اشتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها، وأمّا النساء فإنّ لي عنهنّ شغلاً، وأمّا الأعمال فما أكثر من تجدونه سواي. فقال له حمران: لا أكثر الله فينا أمثالك، فقال له عامر: بل أكثر الله فينا من أمثالك كسّاحين وحجّامين.

وأمّا عدم الحضور للجمعة: فقد بيّن عامر نفسه حقيقته لمعاوية وهو الصادق الأمين على أنّه كان له أن لا يحضر الجمعة والجماعة إن لم ير لمقيمها أهليّة للائتمام به، وليس من المنكر ذلك في حقّ الولاة الأمويّين يومئذٍ.

وعلى فرض صحّة الرواية وكون كلّ ممّا نُبز به حوباً كبيراً، فكان من الميسور تحقيق حال الرجل من قبل والي البصرة كما وقع ذلك فيما مرّ من رواية أبي نُعَيم بالنسبة إلى التزويج وأكل الجبن وإتيان الأمراء. ولا أدري هل من الفرائض في

---

(١) المعارف: ص٤٣٩.

(٢) كذا في المعارف، فإذا كان المراد بالخارجي نسبته إلى الخوارج، فإن هذا لا يصح كما هو معلوم؛ لأنّ هؤلاء فرقة وُجدت تأريخياً بعد وقعة صفين. وقد يكون أراد بهذا الوصف الخروج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الشريعة السمحاء أكل الجبن بحيث يوجب تركه التجسّس والتفتيش؟ وعلى كلّ فما الموجب لإجفال الرجل العظيم من مستقرّ أمنه على قتب إلى الشام منفى الثائرين على الخليفة؟ وأيّ عقل يقبل تسييره وتعذيبه لتلك الأُمور التافهة؟ نعم: الغريق يتشبّث بكلّ حشيش.

- ٤٧ -

تسيير الخليفة عبدالرحمن الجمحي

عدّ ممّن سيّره الخليفة عبدالرحمن بن حنبل الجمحي. قال اليعقوبي: سيّر عبدالرحمن صاحب رسول الله ﷺ إلى القموس[1] من خيبر، وكان سبب تسييره إيّاه أنّه بلغه كرهه مساوئ ابنه وخاله، وأنّه هجاه. ٥٩/٩

وقال العلائي عن مصعب وأبو عمر في الاستيعاب[2]: إنّه لمّا أعطى عثمان مروان خمسمئة ألف من خمس إفريقية قال عبدالرحمن:

وأحلف بالله جهد اليمين ... ما ترك الله أمراً سُدىٰ
ولكن جُعِلتَ لنا فتنةً ... لكي نُبتلىٰ بك أو تُبتلىٰ
دعوتَ الطريدَ فأدنيته ... خلافاً لِما سنّه المصطفىٰ
وولّيتَ قرباكَ أمرَ العباد ... خلافاً لسنّة من قد مضىٰ
وأعطيت مروان خمس الغنيمـ ... ـة آثرته وحميت الحمىٰ
ومالاً أتاك به الأشعري ... من الفيء أعطيته من دنا
فإنّ الأمينينِ قد بيّنا ... منارَ الطريق عليه الهدىٰ

---

(١) كذا في لفظ اليعقوبي [١٧٣/٢]، وفي الإصابة [٣٩٥/٢ رقم٥١٠٧]: الغموص كما في الأبيات. والصحيح: القموص، بالقاف المفتوحة وآخره صاد مهملة [وهو جبل بخيبر عليه حصن أبي الحُقيق اليهودي. معجم البلدان: ٣٩٨/٤]. (المؤلّف)

(٢) الاستيعاب: القسم الثاني/٨٢٨ رقم١٤٠١.

فمـــا أخـــذا درهمـــاً غـــيلةً ولا قـــسّما درهمـــاً في هـــوىٰ[1]

فأمر به فحُبِس بخيبر، وأنشد له المرزباني في معجم الشعراء أنّه قال وهو في السجن:

إلى الله أشكو لا إلى الناس ما عدا أبـا حسـنٍ غـلّاً شـديداً أُكـابدُه
بخـيبر في قـعر الغـموص كأنّهـا جوانب قبرٍ أعمق اللحدّ لاحـدُه
أإن قلتُ حـقاً أو نشـدتُ أمـانة قُتِلت؟ فمن للحقّ إن مات ناشدُه؟

وكتب إلى عليّ وعمّار من الحبس:

أبـــلغ عـــليّاً وعـــمّاراً فـــإنّهما بمـــنزلِ الرشـدِ إنّ الرشـدَ مُـبتدرُ
لا تـــتركا جـــاهلاً حـــتىٰ يـــوقّره دين الإلٰـه وإن هـاجت بـه مُـررُ
لم يبق لي منه إلّا السيف إذ علقت حبائل المـوت فينا الصـادق البررُ
يـعلم بأنيَ مـظلومٌ إذا ذكـرت وسط النديّ حجاج القوم والعذرُ

فلم يزل عليّ يكلّم عثمان حتىٰ خلّىٰ سبيله علىٰ أنّه لا يساكنه بالمدينة فسيّره إلى خيبر فأنزله قلعة بها تسمّى القموص، فلم يزل بها حتىٰ ناهض المسلمون عثمان ٦٠/٩
وساروا إليه من كلّ بلد، فقال عبدالرحمن:

لولا عـــليٌّ فـــإنّ الله أنـــقذني علىٰ يديه مـن الأغـلال والصـفدِ
لمـا رجـوتُ لدىٰ شـدٍّ بجـامعةٍ يُمنىٰ يديّ غياث القوت من أحـدِ
نـفسي فـداءُ عـليٍّ إذ يخـلّصني من كافرٍ بعد ما أغضىٰ علىٰ صمدِ

كان عبدالرحمن مع عليّ في صفّين، قال الطبري من طريق عوانة: إنّه جعل ابن حنبل يقول يومئذٍ:

إن تـقتلوني فأنـا ابـن حـنبل أنـا الذي قـد قـلت فـيكم نـعثل

---

(١) قد تنسب هذه الأبيات إلى أسلم، راجع: ٢٥٨/٨. (المؤلّف)

راجع[1]: تاريخ الطبري(٦/٢٥)، تاريخ اليعقوبي(٢/١٥٠)، الاستيعاب(٢/٤١٠)، شرح ابن أبي الحديد (١/٦٦)، الإصابة (٢/٣٩٥).

قال الأميني: هذا أحد المعذّبين الذين أقلّتهم غيابة الجبّ مُصفّداً بالحديد ولم يجهز عليه إلّا إنكاره المنكر، وجنوحه إلى الحقّ المعروف، والكلام فيه لدة ما كرّرناه في غير واحد من زملائه الصالحين، وأحسن ما ينمّ عن سريرته شعره الطافح بالإيمان.

- ٤٨ -
تسيير الخليفة عليّاً أمير المؤمنين

لعلّ التبسّط في البحث عمّا جرى بين عثمان أيّام خلافته وبين عليّ أمير المؤمنين يوجب خدش العواطف، وينتهي إلى ما لا يُحمد عقباه، والتاريخ وإن لم يحفظ منه إلّا النزر اليسير غير أنّ في ذلك القليل غنىً وكفاية وبه تُعرف جليّة الحال، ونحن نمرّ به كراماً، فلا نحوم حول البحث عن كلمه القوارص لعليّ عليه السلام، البعيدة عن ساحة قدسه، النائية عن مكانته الراقية التي لا يُدرك شأوها، ويقصر دون استكناهها البيان.

أيسع لمن أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالكتاب وبما نزل من آيه في سيّد العترة، وصدّق بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبما صدع به من فضائل عليّ عليه السلام، وجاوره مع ذلك حقباً وأعواماً بيت بيت، ووقف على نفسيّاته الكريمة وهو على ضمادة من أفعاله وتروكه وشاهد مواقفه المبرورة ومساعيه المشكورة في تدعيم الدين الحنيف، أيسع لمسلم هذا شأنه أن يخاطب أخا الرسول المطهّر بلسان الله بقوله: لم لا يشتمك ـ مروان ـ إذا
٦١/٩ شتمته، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه ومروان طريد رسول الله وابن طريده

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٤٦ حوادث سنة ٣٧هـ، تاريخ اليعقوبي: ٢/١٧٣، الاستيعاب: القسم الثاني/٨٢٨ رقم ١٤٠١، شرح نهج البلاغة: ١/١٩٨ خطبة ٣.

ولعينه وابن لعينه[١]؟

أم بقوله له: والله يا أبا الحسن ما أدري أشتهي موتك؟ أم اشتهي حياتك؟ فوالله لئن متّ ما أُحبّ أن أبقى بعدك لغيرك لأني لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سلّماً وعضداً، ويعدّك كهفاً وملجأ، لا يمنعني منه إلّا مكانه منك ومكانك منه، فأنا منك كالابن العاقّ من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقّه. إلى آخر ما مرّ في (ص١٨).

أم بقوله له: ما أنت بأفضل من عمّار، وما أنت أقلّ استحقاقاً للنفي منه[٢].

أم بقوله له: أنت أحقّ بالنفيّ من عمّار[٣]؟

أم بقوله الغليظ الذي لا يحبّ المؤرّخون ذكره ونحن سكتنا عن الإعراب عنه[٤]؟

وبعد هذه كلّها يزحزحه عليه السلام عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ويقلقه من عقر داره ويخرجه إلى ينبُع مرّة بعد أُخرى قائلاً لابن عبّاس: قل له فليخرج إلى ماله بينبُع، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي.

ألا مُسائل الرجل عمّا أوجب أولويّة الإمام الطاهر المنزّه عن الخطل، المعصوم من الزلل بالنفي ممّن نفاهم من الأُمّة الصالحة؟ أكان - بزعمه - عليّ عليه السلام شيوعيّاً اشتراكيّاً شيخاً كذّاباً كأبي ذر الصادق المصدّق؟ أم كان عنده دويبة سوء كابن مسعود أشبه الناس هدياً ودلّاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله؟

---

(١) راجع: ٣٩٧/٨، ٣٠٢. (المؤلّف)

(٢) الفتنة الكبرى: ص١٦٥ [المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين - الفتنة الكبرى -: ج ٣٦٠/٤]. (المؤلّف)

(٣) راجع: صفحة ١٩ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٤) راجع: ٢٩٨/٨، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٢٣. (المؤلّف)

أم كان الرجل يراه ابن متكاء، عاضّاً أير أبيه، طاغياً كذّاباً يجترىء عليه ويجرّي عليه الناس كعمّار جلدة ما بين عيني النبيّ ﷺ ؟

أم كان يحسبه معالجاً نيرنجاً ككعب بن عبدة الصالح الناسك ؟

٦٢/٩ أم كان يراه تاركاً الجبن واللحم والجمعة والتزويج كعامر بن عبد قيس القارئ الزاهد المتعبّد ؟

أم كان الإمام متكلّماً بألسنة الشياطين غير عاقل ولا ديّن كصلحاء الكوفة المنفيّين ؟

حاشا صنو النبيّ الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهّره الجليل، واتّخذه نفساً لنبيّه، واختارهما من بين بريّته نبيّاً ووصيّاً.

وحاشا أُولئك المنفيّين من الصحابة الأوّلين الأبرار والتابعين لهم بإحسان عن تلكم الطامّات والأفائك والنسب المفتعلة.

نعم؛ كان يرى الرجل كلّاً من أُولئك الصفوة البررة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طاغياً اتّخذ عليّاً عليه السلام سلّماً ويعدّه كهفاً وملجأ يدافع عنهم بوادر غضب الخليفة، ويحول بينهم وبين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لما ركبه من النهابير[1]، فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقّق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفي من أُولئك الرجال المنفيّين، ولولاه لكان يشفي منهم غليله، ويتسنّى له ما كان يبتغيه من البغي عليهم، والله يدافع عن الذين آمنوا وأنّه على نصرهم لقدير.

على أنّه ليس من المعقول أن يكون من يأوي إلى مولانا أمير المؤمنين وآواه هو طاغياً كما يحسبه هذا الخليفة، فإنّه لا يأوي إلى مثله إلّا الصالح الراشد من

---

(١) النهابير: جمع نهبورة: وهي المهالك، وأصلها الحُفَر بين الآكام.

المظلومين وهو عليه السلام لا يحمي إلّا من هو كذلك، وهو وليّ المؤمنين، وأمير البررة، وقائد الغرّ المحجّلين، وإمام المتّقين، وسيّد المسلمين، كلّ ذلك نصٌّ من الرسول الصادق الأمين. وليتني أدري ممّ كان يغتمّ عثمان من مكان أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة؟ ووجوده رحمة ولطف من الله سبحانه وتعالى على الأُمّة جمعاء لا سيّما في البيئة التي تُقلّه، يكسح عن أهلها الفساد، ويكبح جماح المتغلّبين، ويقف أمام نعرات المتهوّسين، ويسير بالناس على المنهج اللاحب سيراً صحيحاً.

نعم؛ يغتمّ به سماسرة النهمة والشره فيروقهم بعاده ليهملج كلّ منهم إلى غاياته قلق الوضين[1]. وما كان هتاف الناس به يومئذ إلّا لأن يقيم أود الجامعة، ويعدّل الخطّة العوجاء، ويقف بهم على المحجّة الواضحة، غير أنّ ذلك الهتاف لا يروق من لا يروقه / ذلك كلّه، فالاغتمام به جناية على المجتمع الديني، ووقوف ٦٣/٩
أمام سير الصالح العام.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ولعمر الله إنّ هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته، وهتكت منه حجاب حرمته وكرامته، وأطالت عليه ألسنة البذاءة والوقيعة فيه، وعثمان هو الذي أزرى بالإمام في الملأ الديني، وصغّره في أعين الناس وجرّأ عليه طغام الأمويّين وسفلة الأعراب، فباذأه أبناء أُميّة وهم على آسال خليفتهم اتّخذوه أُسوة وقدوة في شتيمته وقذيعته وآذوا نبيّهم في أخيه علم الهدى. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ

---

(١) الوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يُشدُّ به الرحل على البعير، وقوله: قلق الوضين أي سريع الحركة يوصف بالخفّة وقلة الثبات، كالحزام إذا كان رخواً.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) التوبة: ٦١.

بِغَيرِ مَا ٱكْتَسَبُوا فَقَدِ ٱحتَمَلُوا بُهتَاناً وَإثماً مُبِيناً﴾[1].

- ٤٩ -

آية نازلة في الخليفة

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك، قالوا: نزل قوله تعالى في سورة النجم (٣٣، ٣٤، ٣٥): ﴿أَفَرَأَيتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ * وَأعطَى قَلِيلاً وَأكْدَى[2] * أَعِندَهُ عِلمُ ٱلغَيبِ فَهُوَ يَرىٰ﴾: نزلت في عثمان ﷺ كان يتصدّق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبدالله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك أن لا يُبقي لك شيئاً. فقال عثمان: إنّ لي ذنوباً وخطايا وإنّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه، فقال له عبدالله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها. فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ إلخ. فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله.

وذكره جمع من المفسّرين، وفي تفسير النيسابوري: معنى تولّى: ترك المركز يوم أُحد.

راجع[3]: أسباب النزول للواحدي (ص٢٩٨)، تفسير القرطبي (١١١/١٧)، الكشّاف (١٤٦/٣)، تفسير النيسابوري هامش الطبري (٥٠/٢٧)، تفسير الشربيني (١٢٨/٤).

---

(١) الأحزاب: ٥٨.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وطاووس وقتادة والضحّاك: أكدى: انقطع فلا يعطي شيئاً. يقال: البئر أكدت. (المؤلّف)

(٣) أسباب النزول: ص٢٦٧، الجامع لأحكام القرآن: ٧٣/١٧، الكشّاف: ٤٢٧/٤، غرائب القرآن للنيسابوري: ٢٠٩/٦، السراج المنير: ١٣٤/٤.

٦٤/٩ **قال الأميني:** لا غرابة من ابن أبي سرح وقد تشاكلت أحواله يوم كفره وإسلامه وردّته وزلفته من عثمان على عهد خلافته إن لهج بهذه السخافة التي لا تلائم أيّاً من نواميس العدل، ولكن إن تعجب فعجب قبول عثمان تلكم الخرافة منه، ومنحه إيّاه ناقته برحلها على أن يحمل عنه ذنوبه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١]. وإشهاده عليه وإمساكه عن الصدقات، وحسبانه أنّ ما قاله ذلك الساخر كائن لا محالة، كأنّ بيد ابن أبي سرح أزمّة الحساب، وعنده مقاليد يوم القيامة، وهو الخبير بما يكون فيه، فأنبأه بأنّ ذنوبه مُحيت بتلك المبادلة، أو أنّ عثمان نفسه كان يعلم الغيب، فهو يرى أنّ ما يقوله حميمه حقّ، وكأنّه نسي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٥]. ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[٦]. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[٧]. ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٨] إلى آي كثيرة من أمثالها، وهي كلّها تقرّر حكم العقل بقبح أخذ أيّ أحد بجريمة غيره.

---

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) العنكبوت: ١٢، ١٣.

(٣) النساء: ١٢٣.

(٤) الزلزلة: ٧، ٨.

(٥) المدّثر: ٣٨.

(٦) النساء: ١١١.

(٧) غافر: ١٧.

(٨) الجاثية: ٢٢.

والعدل يحكم بأنّ ابن أبي سرح وهو مثال المآثم والمخازي إن حُمّل إثماً من جرّاء قولته هذه فإنّما هو جرأته على الله تعالى وتصغيره عظمة نيران القسط الإلهي ونهيه عن الصدقة لا ما سبق لعثمان اقترافه من السيّئات، لكن هلمّ معي إلى ضؤولة عقل من يصدّق تلكم المهزأة، ويرتّب عليها آثاراً عمليّة حتى ندّد به الذكر الحكيم.

٦٥/٩ وهب أنّا غاضينا الراوي على عود الرجل إلى ما كان بعد نزول الآية الكريمة، لكن ذلك لا يُجديه نفعاً يُزيح عنه وصمة ضعف الرأي وقوّة الرعونة فيه، نعم؛ كان يُجديه لو لم يعبأ بتلكم الضلالة، أو أنّه عدل عنها بقوّة التفكير لا بتوبيخ الوحي الإلهي، وليته لم يعدل فإنّه عدل إلى ما عرفت من سيرته في الصدقات، وجاء يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع.

- ٥٠ -

الخليفة لا يعرف المخلص من النار

أخرج ابن عساكر في تاريخه[1] (٥٨/٢) من طريق أحمد بن محمد أبي عليّ بن مكحول البيروتي قال: مرّ عمر على عثمان بن عفّان فسلّم عليه، فلم يردّ عليه السلام، فجاء عمر إلى أبي بكر الصدّيق فقال: يا خليفة رسول الله ألا أُخبرك بمصيبة نزلت بنا من بعد رسول الله؟ قال: وما هي؟ قال: مررت على عثمان فسلّمت عليه فلم يردّ عليّ السلام. فقال أبو بكر: أوَكان ذلك؟ قال: نعم. فأخذ بيده وجاء إلى عثمان فسلّما عليه، فردّ عليهما السلام فقال أبوبكر: جاءك عمر فسلّم عليك فلم تردّ عليه؟ فقال: والله يا خليفة رسول الله ما رأيته. قال: وفي أيّ شيء كانت فكرتك؟ قال: كنت مفكّراً في رسول الله ﷺ فارقناه ولم نسأله كيف الخلاص والمخلص من النار؟ فقال أبوبكر: والله لقد سألت رسول الله ﷺ فأخبرني، فقال عثمان: ففرّج عنّا، قال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: تمسّكوا بالعروة الوثقى: قول لا إله إلّا الله.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٧/٥ رقم ١٦٤، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٦٨/٣.

قال الأميني: أكان في أُذن الرجل وقر على عهد النبوّة عمّا كان يتهالك دونه رسول الله ﷺ ويهتف به آناء الليل وأطراف النهار منذ بدء البعثة إلى أن لقي ربّه من الإشادة بكلمة التوحيد، وأنّ الإخلاص بها هو المنقذ الفذّ، والسبب الوحيد للنجاة من الهلكة التي من ورائها النار، وأنّ ﴿ وَمَنَ يُسلِم وَجهَهُ إلى ٱللهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَقَدِ ٱستَمسَكَ بِالعُروَةِ ٱلوُثقَىٰ ﴾[1]. ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِنْ بِاللهِ فَقَدِ ٱستَمسَكَ بِالعُرْوَةِ ٱلوُثقَىٰ ﴾[2]. ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ ٱلجَنَّةِ ﴾[3]. و﴿ إِنَّه مَن يُشرِكْ بِاللهِ فَقَد / حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ ٱلجَنَّةَ وَمَأوَاهُ ٱلنَّارُ ﴾[4]. ٦٦/٩

ألم يك يسمع نداءه ﷺ: «قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا»[5]؟

وقوله: «من شهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، حرّم الله عليه النار».

وقوله: «من قال: لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة».

وقوله: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلّا حرّمه الله على النار».

وقوله: «إنّي لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقّاً من قلبه فيموت على ذلك إلّا حرم على النار: لا إله إلّا الله». إلى أحاديث كثيرة جمع جملة ضافية منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب[6] (٢/١٦٠ ـ ١٦٤).

---

(١) لقمان: ٢٢.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) البقرة: ٨٢.

(٤) المائدة: ٧٢.

(٥) تاريخ البخاري: ج ٤/ القسم الثاني/ص ١٤ [ج ٨/١٤ رقم ١٩٧٧]. (المؤلّف)

(٦) الترغيب والترهيب: ٢/٤١٢ ـ ٤١٦.

أو أنّ الرجل كان يسمع هذه الكلمات الذهبيّة، لكنّه لا يعيرها أُذناً واعية فنسيها؟ فإن كان لم يعِ هذه وهي أساس الدعوة فما الذي وعاه؟ وما الذي تعقّله من نبيّ جاء وذهب ولم يعرف ما هو المخلص من النار؟ ولم يبعث إلّا لانتشال أُمّته منها، وفي يده كتابه الكريم فيه تبيان كلّ شيء، وأيّ نبيّ كان يحسبه عثمان، نبيّ العظمة؟ وعلى أيّ أساس علا صُروح إسلامه؟ وأيّ مسلم هذا يدرك أيّام دعوة نبيّه كلّها ثمّ يدركه ﷺ الموت ولم يعرف المسكين بعدُ ما ينجيه من النار؟ نعم؛ لم يألُ نبيّ الإسلام في تنوير سبل السلام، وإنقاذ البشر من النار، فماذا عليه إن لم تصادفه نفس صاغية إلى تعاليمه فلم تحفظها؟

- ٥١ -

ترك الخليفة التكبير في كلّ خفض ورفع

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال: صلّيت خلف عليّ صلاة ذكّرني صلاة صلّيتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين، قال: فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبّر كلّما سجد وكلّما رفع رأسه من الركوع فقلت: يا أبا نجيد من أوّل من تركه؟ قال: عثمان ﷺ حين كبر وضعف صوته تركه[1].

٦٧/٩ **قال الأميني**: سيوافيك البحث الضافي في الجزء العاشر إن شاء الله تعالى حول التكبيرة في الصلاة عند كلّ رفع وخفض وأنّها سنّة ثابتة عن رسول الله ﷺ تسالمت عليها الأُمّة، وعمل بها الصحابة، واستقرّ عليها إجماع أئمّة المذاهب، وهذا الحديث يعطينا خُبراً بأنّ أوّل من تركها هو عثمان وتبعه معاوية وبنو أُميّة، وما زال الناس على هذا المزن وتمرّنت عليه الأُمّة طوعاً أو كرهاً حتى ضاعت السنّة الثابتة ونُسيت، وكان من جاء بها يُعدّ أحمق كأنّه ارتكب أمراً شاذّاً عن الشرع المقدّس، والتبعة في ذلك

---

(١) مسند أحمد: ٤/٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٤٤ [٥/٥٩٠ ح١٩٣٣٩ و ٥٩٣ ح١٩٣٥٩ و ٥٩٧ ح١٩٣٨٠ و ٦٠٩ ح١٩٤٥٠ و ٦١٦ ح١٩٤٩٣]. (المؤلّف)

كلّه على الخليفة البادي بترك سنّة الله التي لا تبديل لها. قال الزرقاني في شرح الموطّأ[١] (١٤٥/١): ولأحمد[٢] عن عمران: أوّل من ترك التكبير عثمان حين كبر، وللطبري عن أبي هريرة: أوّل من تركه معاوية. ولأبي عبيد: أوّل من تركه زياد. ولا ينافي ما قبله لأنّ زياداً تركه بترك معاوية، وكأنّه تركه بترك عثمان وقد حمله جماعة من العلماء على الإخفاء. إنتهى.

وتبرير عمل عثمان بالحمل على الإخفاء يأباه صريح لفظ: ترك، وإنّما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهويّ والانتصاب لا عن جهره به، والسائل إنّما يسأله عن أوّل من تركه لا عمّن خافتَ به أوّلاً، ويزيّفه ما يأتي عن ابن حجر[٣] والشوكاني[٤] وغيرهما من قولهم كما سمعت عن الزرقاني: كان معاوية تركه بترك عثمان. ولم يؤثر عن معاوية غير الترك والتنقيص كما يأتي حديثه بلفظ نقص، وقد اتّبع أثر عثمان في أُحدوثته فإلى الملتقى.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نتاج البحث:

هذه نبذ قليلة نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كشحاً عن ذكر مهمّات ما جرى في ذلك العهد المشحون بالقلاقل، الطافح بالفتن، المفعم بالهنابث[٥]، وقد عرفناه جانياً بستر تلكم الحقائق، جنوحاً إلى العاطفة، سائراً مع الميول، والتاريخ حرّ يجب أن يمضي مع الواقع وأن لا يلويه مع القصد تعصبٌ لأحد أو تحيّز إلى فئة، لكن القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم، فطفقوا يُحرّفون الكلم عن مواضعه،

---

(١) شرح الموطّأ: ١٥٩/١ ح١٦٣.

(٢) مسند أحمد: ٥٩٧/٥ ح١٩٣٨٠.

(٣) فتح الباري: ٢٧٠/٢.

(٤) نيل الأوطار: ٢٦٨/٢.

(٥) الهنابث: الدواهي، واحدتها هنبثة.

ويُثبتون ما يوافق هواهم، ويدَعون ما لا يروقهم.

قال الطبري في تاريخه[١] (١٠٨/٥): إنّ الواقدي ذكر في سبب مسير المصريّين
٦٨/٩ إلى / عثمان ونزولهم ذا خُشب أُموراً كثيرة، منها ما تقدّم ذكره، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منّي ذكره لبشاعته.

وقال[٢] في (١١٣/٥): قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه أنّهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها.

وقال[٣] في (ص٢٣٢): إنّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لمّا وُليّ؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يتحمّل سماعها العامّة.

ومرّ في (٣٠٦/٨) في ذكر ما جرى بين عليّ عليه السلام وعثمان قول الواقدي[٤]: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أُحبّ ذكره وأجابه عليّ بمثله.

وقال ابن الأثير في الكامل[٥] (٧٠/٣): قد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعلل دعت إلى ذلك.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية[٦] (١٦٦/٧): وفي هذه السنة ـ يعني (٣٣) ـ سيّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام، وإلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله عليه السلام، فكان هؤلاء ممّن يؤلّب عليه ويُمالئ الأعداء في الحطّ والكلام فيه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البارّ الراشد عليه السلام.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٥٦/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) المصدر السابق: ص٣٦٥ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٣) المصدر السابق: ص٥٥٧ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٤) أُنظر شرح نهج البلاغة: ٢٥٩/٨ خطبة ١٣٠.

(٥) الكامل في التاريخ: ٢٨٦/٢ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٦) البداية والنهاية: ١٨٦/٧ حوادث سنة ٣٣هـ.

وقال[1] في (ص١٧٧): جرت أُمور سنورد منها ما تيسّر وبالله المستعان. ثمّ ذكر من الأُمور ما راقه ويلائم ذوقه ولم يذكر إلّا سلسلة أكاذيب لم يصحّ شيء منها.

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون (٥/١): أمّا نحن فلا يُطلب منّا أن نبدي رأينا في عثمان، فهو صحابيّ عظيم وله أثره الخالد في جمع القرآن وغير القرآن وله دينه السمح الذي لا تشوبه شائبة، وما كان الدين ليحتّم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر التقشّف والزهد، ولا يُطلب منّا أن نثبت ضعف الحكومة العثمانيّة، وإنّما يُطلب منّا أن نسرد الحوادث بإيجاز، ولنا في تسلسل هذه الحوادث ودراستها وتقييد آثارها ما قد سمح لنا بالتعرّض له حين معالجتنا الكلام عن عصرنا فيما بعد. انتهى.

ثمّ ذكر ما جاء به اليعقوبي من الإيعاز إلى بعض ما نُقم به على عثمان، فتخلّص عن البحث فيه بما أتى به ابن الأثير من رواية الطبري، عن السريّ الكذّاب، عن شعيب المجهول، عن سيف المتروك الساقط المتّهم بالزندقة أو عن أُناس آخرين أمثال هؤلاء.

٦٩/٩ أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلّفة قديماً وحديثاً، فإنّها أُلّفت بيد أثيمة على ودائع العلم والدين، ولعلّ في المذكور في كتابنا هذا وهو قليل من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيّات الخليفة من شتّى نواحيه، ومبلغه من العلم، ومقداره من التقوى، ومداه من الرأي، ومآثره من ناحية ملكاته، وقد عرف كلّ ذلك من عاصره وعاشره، فكانت كلمتهم في حقّه واحدة، ورأيهم فيه فذّاً، وأعمالهم معه كلّ يشبه الآخر، ونحن نذكر لك نماذج ممّا لفظ به من قول وعمل به من فعل في ذلك الدور القاتم بالفجائع والفظائع فدونكها:

---

(١) البداية والنهاية: ١٩٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

- ١ -

حديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه

١ ـ من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير منّي، وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع»[١].

قال ابن أبي الحديد في الشرح[٢] (١/١٥٨): قوله: غير أنّ من نصره؛ معناه أنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه، لأنّ الذين نصروه كان أكثرهم فسّاقاً، كمروان بن الحكم وأضرابه، وخذله المهاجرون والأنصار.

٢ ـ من كلام له عليه السلام قاله لابن عبّاس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع فقال عليه السلام:

«يا ابن عبّاس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب[٣] أُقبل وأدبر، بعث إليّ أن أخرج، ثمّ بعث إليّ أن أقدُم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج، والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً»[٤].

٣ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[٥] (٥/٩٨) من طريق أبي خلدة أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول وهو يخطب فذكر عثمان، فقال: «والله الذي لا إله إلّا هو ما قتلته،

---

(١) نهج البلاغة: ١/٧٦ [ص٧٣ خطبة ٣٠]. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/١٢٨ خطبة ٣٠.

(٣) الناضح: البعير يستق عليه. الغرب: الدلو العظيمة. (المؤلّف)

(٤) نهج البلاغة: ١/٤٦٨ [ص٣٥٨ خطبة ٢٤٠]. (المؤلّف)

(٥) أنساب الأشراف: ٦/٢٢١.

و / لا مالأت على قتله، ولا ساءني». ٧٠/٩

٤ ـ أخرج ابن سعد[١] من طريق عمّار بن ياسر قال: رأيت عليّاً على منبر رسول الله ﷺ حين قُتل عثمان وهو يقول: «ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه».

الأنساب للبلاذري[٢] (١٠١/٥).

وأوعز شاعر أهل الشام كعب بن جعيل إلى قول الإمام ﷺ بأبيات له، ألا وهي:

وما في عليّ لمستعتبٍ ... مقالٌ سوى ضمّه المحدِثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب ... ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حذا[٣] شبهةً[٤] ... وعمّى الجوابَ على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ... ولا في النُّهاةِ ولا الآمرينا
ولا هو ساءَ ولا سرَّه ... ولا بدّ من بعض ذا أن يكونا[٥]

قال ابن أبي الحديد بعد ذكر الأبيات: ما قال هذا الشعر إلّا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين في عثمان يجري هذا المجرى نحو قوله: «ما سرّني ولا ساءني»، وقيل له: أرضيت بقتله؟ فقال: «لم أرضَ»؛ فقيل له: أسخطت قتله؟ فقال: «لم أسخط». وقوله تارة: «الله قتله وأنا معه». وقوله تارة أُخرى: «ما قتلت

---

(١) الطبقات الكبرىٰ: ٨٢/٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٢٤/٦.

(٣) في وقعة صفين: حدا.

(٤) في العقد الفريد: زوى وجهه. (المؤلّف)

(٥) كتاب صفّين لابن مزاحم: ص٦٣ [ص٥٧]، العقد الفريد: ٢٦٧/٢ [١١١/٤]، شرح ابن أبي الحديد: ١٥٨/١ [١٢٨/٢ خطبة ٣٠]. (المؤلّف)

عثمان ولا مالأت في قتله». وقوله تارة أُخرى: «كنت رجلاً من المسلمين أوردت إذ أوردوا، وأصدرت إذ أصدروا». ولكلّ شيء من كلامه إذا صحّ عنه تأويل يعرفه أُولو الألباب.

٥ ـ أخرج أبو مخنف من طريق عبدالرحمن بن عبيد: إنّ معاوية بعث إلى علي: حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن سمط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده. إلى أن قال بعد كلام حبيب وشرحبيل وذكر جواب مولانا أمير المؤمنين: فقالا: أتشهد أنّ عثمان ﷺ قتل مظلوماً؟ فقال لهما: «لا أقول ذلك». قالا: فمن لم يشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه برآء. ثمّ قاما فانصرفا، فقال عليّ: **﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾**[1].

٧١/٩ كتاب صفّين لابن مزاحم (ص٢٢٧) واللفظ له، تاريخ الطبري (٤/٦)، الكامل لابن الأثير (١٢٥/٣)[2].

٦ ـ ذكر البلاذري في الأنساب[3] (٤٤/٥) في حديث قول عليّ ﷺ لعثمان: «يا عثمان إنّ الحق ثقيل مَريء، وإنّ الباطل خفيف وبيء، وإنّك متى تُصدَق تسخطْ ومتى تُكذب ترض».

٧ ـ كان عليّ كلّما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن إليه، فلمّا أكثر عليه قال له: إنّ أباك يرى أنّ أحداً لا يعلم ما يعلم، ونحن أعلم بما نفعل، فكفّ عنّا، فلم يبعث عليّ ابنه في شيء بعد ذلك. وذكروا أنّ عثمان صلّى العصر ثمّ خرج إلى عليّ

---

(١) الروم: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) وقعة صفين: ص٢٠٠ ـ ٢٠٢، تاريخ الأُمم والملوك: ٨/٥ حوادث سنة ٣٧هـ، الكامل في التاريخ: ٣٦٩/٢ حوادث سنة ٣٧هـ.

(٣) أنساب الأشراف: ١٥٦/٦.

يعوده في مرضه ومروان معه، فرآه ثقيلاً، فقال: أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما أُريد أن أتكلّم به، والله ما أدري أيّ يوميك أحبّ إليّ أو أبغض، أيوم حياتك؟ أو يوم موتك؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعدّك كهفاً، ويتّخذك عضداً، ولئن متّ لأفجعنّ بك، فحظّي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاقّ، إن عاش عقّه، وإن مات فجعه، فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه، إمّا صديق مسالم، وإمّا عدوّ معاني، ولا تجعلني كالمختنق بين السماء والأرض، لا يرقى بيد ولا يهبط برجل، أما والله لئن قتلتك لا أصيب منك خَلَفاً، ولئن قتلتني لا تصيب مني خَلَفاً، وما أُحبّ أن أبقى بعدك. قال مروان: إي والله، وأُخرى أنّه لا ينال ما وراء ظهورنا حتى تكسرَ رماحنا، وتقطعَ سيوفنا، فما خير العيش بعد هذا؟ فضرب عثمان في صدره وقال: ما يدخلك في كلامنا؟ فقال عليّ: «إنّي والله في شغل عن جوابكما ولكنّي أقول كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1].

العقد الفريد (٢/٢٧٤)، الإمامة والسياسة (١/٣٠)[2].

٨ ـ في كتاب لمولانا أمير المؤمنين يجيب به معاوية بن أبي سفيان قال: «وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إيّاهم والبغي عليهم، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون، وأمّا الكراهة لهم فوالله ما أعتذر للناس من ذلك، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه، فقد عمل عثمان بما قد علمت، وعمل به الناس ما قد بلغك، فقد علمت أنّي كنت من أمره في عزلة إلّا أن تجنّيَ فتجنّ ما شئت، وأمّا ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم / إليك؛ فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه فلم يسعني ٧٢/٩
دفعهم إليك ولا إلى غيرك، وإن لم تنزع عن غيّك لنعرفنّك[3] عمّا قليل يطلبونك

---

(١) يوسف: ١٨.

(٢) العقد الفريد: ٤/١٢٠، الإمامة والسياسة: ١/٣٦.

(٣) في العقد الفريد: لتعرفنّهم.

ولا يكلّفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ولا برّ ولا بحر».

كتاب صفّين لابن مزاحم (ص١٠٢)، العقد الفريد (٢٦٨/٢)، نهج البلاغة (١٠/٢)، شرح ابن أبي الحديد (٤٠٩/٣)[١].

٩ ـ أخرج الطبري من طريق إسماعيل بن محمد: أنّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: اجلس، فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأُدخل داره مغشيّاً عليه، فخرج رجل من حجّاب عثمان ومعه مصحف في يده وهو ينادي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ﴾[٢] ودخل عليّ بن أبي طالب على عثمان ﷺ وهو مغشيّ عليه وبنو أُميّة حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أُميّة بمنطق واحد، فقالوا: يا عليّ أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين، أما والله لئن بلغت الذي تريد لتُمرنّ عليك الدنيا. فقام عليّ مغضباً.

تاريخ الطبري (١١٣/٥)، الكامل لابن الأثير(٦٧/٣)[٣].

١٠ ـ ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[٤] (٤٢/١) في حديث مساءلة عمرو ابن العاص راكباً: فقال له عمرو: ما الخبر؟ قال: قتل عثمان، قال: فما فعل الناس؟ فقال: بايعوا عليّاً. قال: فما فعل عليّ في قتلة عثمان؟ قال: دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله، فقال: «ما أمرت ولا نهيت، ولا سرّني ولا ساءني». قال: فما فعل بقتلة عثمان؟ فقال: آوى ولم يرضَ، وقد قال له مروان: إن لا تكن أمرت فقد تولّيت

---

(١) وقعة صفّين: ص٩٠، العقد الفريد: ١٣٨/٤، نهج البلاغة: ص٣٦٨ خطبة٩، شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٥ كتاب٩.

(٢) الأنعام: ١٥٩.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٦٤/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، الكامل في التاريخ: ٢٨٢/٢ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٤) الإمامة والسياسة: ٤٨/١.

الأمر، وإن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين، فقال عمرو بن العاص: خلط والله أبو الحسن.

١١ ـ روى الأعمش، عن الحكم بن عتيبة، عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت عليّاً عليه السلام على منبر الكوفة وهو يقول: «يا أبناء المهاجرين انفروا إلى أئمّة الكفر، وبقيّة الأحزاب، وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فوالله الذي / فلق الحبّة، وبرأ النسمة؛ إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص ٧٣/٩
من أوزارهم شيئا»[١].

قال الأميني: طعن ابن أبي الحديد في هذا الحديث بمكان قيس[٢] بن أبي حازم وقال: هو الذي روى حديث: إنّكم لترون ربّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، وقد طعن مشايخنا المتكلّمون فيه وقالوا: إنّه فاسق ولا تُقبل روايته. لأنّه قال: إنّي سمعت عليّاً يخطب على منبر الكوفة ويقول: «انفروا إلى بقيّة الأحزاب» فأبغضته ودخل بغضه في قلبي، ومن يبغض عليّاً عليه السلام لا تقبل روايته. ثمّ حمله على فرض الصحّة على إرادة معاوية من قوله: حمّال الخطايا فقال: لأنّهم يحامون عن دمه، ومن حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه. انتهى.

ألا مسائل الرجل عن أنّ رواية حديث الرؤية أيّ منقصة وحزازة فيها وقد أخرجها[٣] البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحمد في مسنده؟ فهل طعن أحد في أولئك الأئمّة لروايتهم إيّاها؟

ثمّ لو كان من أبغض عليّاً عليه السلام فاسقاً غير مقبول الرواية ـ كما هو الحقّ ـ فا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١٧٩/١ [١٩٤/٢ خطبة ٣٤]. (المؤلّف)

(٢) من رجال الصحيحين: البخاري ومسلم. (المؤلّف)

(٣) صحيح البخاري: ١٦٧١/٤ ح٤٣٠٥، صحيح مسلم: ٢١٣/١ ح٢٩٩ كتاب الإيمان، مسند أحمد: ٤٨٢/٥ ح١٨٧٠٨.

قيمة الصحاح عندئذٍ في سوق الاعتبار؟ وما أكثر ما فيها من الرواية عن مناوئي أمير المؤمنين ومنهم نفس الرجل ـ قيس بن أبي حازم ـ فقد أخرج أئمّة الصحاح أحاديث من طريقه وهو من رجالهم.

على أنّ علماء الفنّ من القوم مع قولهم بأنّه كان يحمل على عليّ نصوّا على ثقة الرجل، وقالوا: متقن الرواية، والحديث عنه من أصحّ الإسناد، وقال ابن خراش: كوفيّ جليل، وقال ابن مَعِين[١]: ثقة. وذكره ابن حبّان في الثقات[٢]، وقال ابن حجر: أجمعوا على الذهبي الاحتجاج به ومن تكلّم فيه فقد آذى نفسه.

راجع: تهذيب التهذيب[٣] (٣٨٦/٨).

وأمّا تأويل: «حمّال الخطايا» بإرادة معاوية منه، فمن التافه البعيد عن سياق العربيّة نظير تأويل معاوية الحديث الوارد في عمّار من قوله ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية».

١٢ ـ كان مولانا أمير المؤمنين يخطب ويلوم الناس على تثبيطهم وتقاعدهم
٧٤/٩ و / يستنفرهم إلى أهل الشام، فقال له الأشعث بن قيس: هلّا فعلت فعل ابن عفّان؟ فقال له: «إنّ فعل ابن عفّان لخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه، إنّ امرأً أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه، مأفون عقله، أنت فكن ذاك إن أحببت، فأمّا أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة الفصل ...»[٤].

١٣ ـ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر:

«من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه

---

(١) التاريخ: ٤٣١/٣ رقم٢١١٦.

(٢) الثقات: ٣٠٧/٥.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٤٦/٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ١٧٨/١ [١٩١/٢ خطبة ٣٤]. (المؤلّف)

وذُهب بحقّه، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يُستراح إليه، ولا منكر يُتناهى عنه»[١].

قال ابن أبي الحديد في شرحه[٢] (٥٨/٤): هذا الفصل يشكل عليّ تأويله؛ لأنّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم غضبوا لله حين عُصي في الأرض، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر. ثمّ تأوّله بما رآه تعسّفاً، والتعسّف لا يغني عن الحقّ شيئاً ولا تتمّ به الحجّة.

هَب ابن أبي الحديد تعسّف هاهنا وتأوّل، فما يصنع ببقيّة كلمات مولانا أمير المؤمنين وكلمات سائر الصحابة لدة هذه الكلمة وهي تربو على مئات؟ فهل يسعنا أن نكون متعسّفين في كلّ ذلك؟ سل عنه خبيراً.

١٤ ـ من كلام لأمير المؤمنين قاله لعثمان لمّا اجتمع الناس إليه وشكوا إليه ما نقموه على عثمان فدخل عليه فقال:

«إنّ الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب بأولى بعمل الحقّ منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فإنّك والله ما تُبصَّر من عمى، ولا تُعلّم من جهل، وإنّ الطرق / لواضحة، وإنّ أعلام الدين لقائمة، فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام ٧٥/٩
عادل، هُدي وهدى، فأقام سنّةً معلومةً، وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيّرة لها

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٥/٦ [٩٦/٥ حوادث سنة ٣٨ هـ]، نهج البلاغة: ٦٣/٢ [ص ٤١٠ خطبة ٣٨]، شرح ابن أبي الحديد: ٢٩/٢ [٧٧/٦ خطبة ٣٨]. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٥٦/١٦ كتاب ٣٨.

أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر، ضلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذةً، وأحيا بدعةً متروكةً، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيُلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرحى ثمّ يرتبط في قعرها، وإنّي أنشدك الله أن تكون إمام هذه الأُمّة المقتول فإنّه كان يُقال: يُقتل في هذه الأُمّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويُلبّس أُمورها عليها، ويُثبّت الفتن فيها، فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جُلال[1] السنّ وتقضّي العمر». فقال له عثمان: كلّم الناس في أن يؤجّلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»[2].

تاريخ الطبري (٩٦/٥)، الأنساب للبلاذري (٦٠/٥)، نهج البلاغة (٣٠٣/١)، الكامل لابن الأثير (٦٣/٣)، تاريخ ابن كثير (١٦٨/٧)[3].

١٥ ـ أخرج ابن السمّان من طريق عطاء: إنّ عثمان دعا عليّاً فقال: يا أبا الحسن إنّك لو شئت لاستقامت عليّ هذه الأُمّة فلم يخالفني واحد. فقال عليّ: «لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكفّ الناس؛ ولكنّي سأدلّك على أمر هو أفضل ممّا سألتني: تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحد».

---

(١) الجُلال: العظيم.

(٢) سيأتي تمام الحديث في صور توبة الخليفة وحنثه إيّاها مرّة بعد أُخرى. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٣٧/٤ حوادث سنة ٣٤هـ، نهج البلاغة: ص٢٣٤ خطبة ١٦٤، الكامل في التاريخ: ٢٧٥/٢ حوادث سنة ٣٤هـ، أنساب الأشراف: ١٧٥/٦، البداية والنهاية: ١٨٨/٧ حوادث سنة ٣٤هـ.

الرياض النضرة[١] (١٢٩/٢).

١٦ ـ من الخطبة الشقشقية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قوله: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن أنتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

مرّت مصادر هذه الخطبة في الجزء السابع (ص٨٢ ـ ٨٥).

١٧ ـ قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد[٢] (٢٦٧/٢): قال حسّان بن ثابت لعليّ: إنّك تقول: ما قتلت عثمان ولكن خذلته، ولم آمر به ولكن لم أنهَ عنه، فالخاذل / شريك ٧٦/٩ القاتل، والساكت شريك القاتل.

١٨ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[٣] (١٣/٥) من طريق عبدالله بن عباس قال: إنّ عثمان شكا عليّاً إلى العبّاس فقال له: يا خال إنّ عليّاً قد قطع رحمي، وألّب الناس ابنك، والله لئن كنتم يا بني عبدالمطّلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي فبنو عبد مناف أحقّ أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه. قال عبدالله بن العبّاس: فأطرق أبي طويلاً ثمّ قال: يابن أخت لئن كنت لا تحمد عليّاً فما يُحمدك له، وإنّ حقّك في القرابة والإمامة للحقّ الذي لا يُدفع ولا يُجحد، فلو رقيت فيما تطأطأ أو تطأطأت فيما رقى تقاربتما، وكان ذلك أوصل وأجمل، قال: قد صيّرت الأمر في ذلك إليك فقرّب الأمر بيننا. قال: فلمّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه، فلمّا رجع قال: يا خال أُحبّ أن تؤخّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليّ حتى أرى من رأيي، فخرج أبي من عنده ثمّ

---

(١) الرياض النضرة: ٦٢/٣.

(٢) العقد الفريد: ١١١/٤.

(٣) أنساب الأشراف: ١١٦/٦.

التفت إليّ فقال: يا بنيّ ليس إلى هذا الرجل من أمره شيء، ثمّ قال: اللّهمّ أسبق بي الفتن ولا تُبقني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه. فما كانت جمعة حتى هلك.

١٩ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[١] (١٤/٥) من طريق صهيب مولى العبّاس: إنّ العبّاس قال لعثمان: أُذكرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به وبأصحابه، فقال: أوّل ما أُجيبك به أنّي قد شفّعتك، أنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلّا دونه ولكنّه أبى إلّا رأيه، ثمّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان، فقال عليّ: «لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت».

٢٠ ـ من كتاب لأمير المؤمنين ﷺ إلى معاوية: «أمّا بعد: فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك، وإني لأرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته».

العقد الفريد[٢] (٢٢٣/٢)، وفي طبعة (ص٢٨٥).

ولا تنس في الختام قول حسّان بن ثابت:

صبراً جميلاً بني الأحرار لا تهنوا ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
ياليت شعري وليت الطير تُخبرني ... ما كان شأنُ عليٍّ وابنِ عفّانا
٧٧/٩ لتسمعنَّ وشيكاً في ديارِكمُ ... اللهُ أكبرُ يا ثارات عثمانا[٣]

قال الأميني: يُعطينا الأخذ بمجامع هذه الأحاديث أنّ الإمام ﷺ ما كان يرى الخليفة إمام عدل يسوؤه قتله، أو يهمّه أمره، أو يُسخطه التجمهر عليه، بل كان يعتزل عن أمره ويخشى أن يكون آثماً إن دأب على الدفاع عنه، ولا يرى الثائرين

---

(١) أنساب الأشراف: ١١٧/٦.

(٢) العقد الفريد: ١٣٧/٤.

(٣) أنساب البلاذري: ١٠٤/٥ [٢٢٨/٦]. (المؤلّف)

عليه متحوّبين في نهضتهم وإلّا لساءه ذلك فضلاً عن أن يسكت عنهم، أو يطريهم كما سمعته من كتابه إلى أهل مصر، أو يرى الخاذلين له خيراً ممّن نصره ولو كان يراه إمام عدل، فأقلّ المراتب أن يقول: إنّ ناصره خير من خاذله. بل الشأن هذا في أفراد المسلمين العدول من الرعيّة فضلاً عن إمامها.

وحديث شكاية عثمان إلى عمّه العبّاس المتوفّى سنة (٣٢) يعلمنا بأنّ الخلاف والتشاجر بينهما كانا قبل تجمهر الثائرين عليه في أواسط أيّام خلافته قبل وفاته بأعوام، وقول أمير المؤمنين له: «لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت». فيه إيعاز إلى أنّ إنكاره عليه السلام على الرجل لم يكن قطّ في الملك، وما كان يرضى بشقّ عصا المسلمين بالخلاف عليه في أمره، وإنّما كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يك يرى لنفسه بُدّاً من ذلك.

ولو أمعنت النظر فيما سردناه من ألفاظه الدرّيّة لانفتح عليك أبواب من رأي الإمام عليه السلام في الخليفة لم نوعز إليها، ويُعرب عن رأيه فيه ما مرّ في (٢٨٧/٨).

من خطبة له عليه السلام خطبها في اليوم الثاني من بيعته من قوله: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال». فلو كان الرجل إمام عدل عند الإمام عليه السلام لكان أخذه وردّه وقطعه وعطاؤه حجّة لا يتطرّق إليها الردّ، ولكن ....

- ٢ -

حديث عائشة بنت أبي بكر أُمّ المؤمنين

١ ـ قال ابن سعد[1]: لمّا حُصر عثمان كان مروان يُقاتل دونه أشدّ القتال، وأرادت عائشة الحجّ وعثمان محصور، فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبدالرحمن بن

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٦/٥.

٧٨/٩ عتاب / فقالوا: يا أُمّ المؤمنين لو أقمت فإنّ أمير المؤمنين على ما ترين محصور ومقامك ممّا يدفع الله به عنه. فقالت: قد حلبتُ ظهري، وعرّيتُ غرائري، ولست أقدر على المقام. فأعادوا عليها الكلام، فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم، فقام مروان وهو يقول:

وحــرَّق قــيسٌ عــليَّ البـلا د حتى إذا اسـتعرت أجـذما[1]

فقالت عائشة: أيّها المتمثّل عليّ بالأشعار وددتُ والله أنّك وصاحبك هـذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحاً وأنّكما في البحر، وخرجت إلى مكة.

وفي لفظ البلاذري[2]: لمّا اشتدّ الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجّ، فقالا لها: لو أقمتِ فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل: فقالت: قد قرنت ركابي وأوجبت الحـجّ عـلى نفسي، ووالله لا أفعل. فنهض مروان وصاحبه، ومروان يقول:

وحـرَّق قـيسٌ عـليَّ البـلا د حتى إذا اضطرمت أجذما

فقالت عائشة: يا مروان وددت والله أنّه في غرارة[3] من غرائري هذه وأنّي طوّقت حمله حتى أُلقيه في البحر.

٢ ـ مرّ عبدالله بن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها، فقالت: يا بن عبّاس، إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية. أخرجه البلاذري[4].

---

(١) البيت للربيع بن زياد بن عبدالله العبسي، شاعر جاهلي. كان له اتصال بالنعمان بن المنذر، توفّي سنة (٣٠ قبل الهجرة). راجع لسان العرب: ٢٢٤/٢ وفيه: إذا اضطرمت، الأعلام: ١٤/٣.

(٢) أنساب الأشراف: ١٩٢/٦.

(٣) الغرارة بكسر المعجمة: الجوالق [وهو وعاء من الأوعية معروف عند العرب]. (المؤلّف)

(٤) أنساب الأشراف: ١٩٣/٦.

وفي لفظ الطبري[١]: خرج ابن عبّاس فمرّ بعائشة في الصلصل[٢] فقالت: يا بن عبّاس أنشدك الله ـ فإنّك قد أُعطيت لساناً إزعيلا[٣] ـ أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكّك فيه الناس؛ فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ، وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يل يَسِرْ بسيرة ابن عمّه أبي بكر ﷺ. قال: قلت: يا أُمّه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: أيهاً عنك إنّي لستُ أريد مكابرتك ولا مجادلتك. وحكاه ابن أبي الحديد عن تاريخ الطبري في شرح النهج[٤] غير أنّ فيه: / فقالت: يا بن عبّاس أنشدك الله فإنّك قد أُعطيت فهماً ولساناً وعقلاً أن ٧٩/٩
لا تخذّل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان، وأنهجت ورفعت لهم المنابر وتجلّبوا من البلدان لأمر عظيم قد جمّ، وأنّ طلحة قد اتخذ رجالاً على بيوت الأموال، وأخذ مفاتيح الخزائن، وأظنّه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمّه أبي بكر. الحديث.

٣ ـ كانت عائشة وأُمّ سلمة حَجّتا ذلك العام ـ عام قتل عثمان ـ وكانت عائشة تؤلّب على عثمان، فلمّا بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبّتها فضربت في المسجد الحرام، وقالت: إنّي أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. رواه البلاذري[٥].

٤ ـ أخرج عمر بن شبّة من طريق عبيد بن عمرو القرشي قال: خرجت عائشة ﵂ وعثمان محصور، فقدم عليها مكة رجل يقال له أخضر، فقالت: ما صنع

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٠٧/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) صُلصُل بالضم والتكرير: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها [معجم البلدان: ٤٢١/٣]. (المؤلّف)

(٣) الإزعيل: الذلق.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٦/١٠ خطبة ١٧٥.

(٥) أنساب الأشراف: ٢١٢/٦.

الناس؟ فقال: قتل عثمان المصريين. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون أيقتل قوماً جاؤوا يطلبون الحقّ وينكرون الظلم؟ والله لا نرضى بهذا. ثمّ قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريّون عثمان. قالت: العجب لأخضر، زعم أنّ المقتول هو القاتل! فكان يضرب به المثل: أكذب من أخضر. وأخرجه الطبري[1].

٥ ـ مرّ في الجزء الثامن صفحة (١٢٣): أن الشهود على الوليد بن عقبة بشربه الخمر استجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما تجد مرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلّا بيت عائشة؟ فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت: تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل. الحديث فراجع.

٦ ـ أسلفنا في هذا الجزء صفحة (١٦) في مواقف عمّار: إنّ عائشة لمّا بلغها ما صنع عثمان بعمّار؛ غضبت وأخرجت شعراً من رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله، ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد! فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول. الحديث.

وقال أبو الفداء: كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه، وكانت تخرج قميص رسول الله ﷺ وشعره وتقول: هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلي دينه.

٧ ـ وفي كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه لمّا قارب البصرة إلى طلحة والزبير وعائشة: «وأنت يا عائشة فإنّك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان / عنك موضوعاً، ثمّ تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبّريني ما ٨٠/٩
للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرّمة؟ ثمّ إنّك طلبت على زعمك دم عثمان، وما أنت وذاك؟ عثمان رجل من بني

---

(١) تاريخ الأُمم الملوك: ٤٤٩/٤ حوادث سنة ٣٦ هـ.

أُميّة وأنت من تيم، ثمّ بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، ثمّ تطلبين اليوم بدمه؟ فاتّقي الله وارجعي إلى بيتك، واسبلي عليك سترك، والسلام»[١].

٨ ـ أخرج الطبري[٢] وابن قتيبة[٣]: أنّ غلاماً من جهينة أقبل على محمد بن طلحة ـ يوم الجمل ـ وكان محمد رجلاً عابداً، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان، فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث على صاحبة الهودج يعني عائشة، وثلث على صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة، وثلث على عليّ بن أبي طالب. وضحك الغلام وقال: ألا أراني على ضلال! ولحق بعليّ وقال في ذلك شعراً:

سألتُ ابنَ طلحةَ عن هالكٍ ... بجوفِ المدينة لم يُسقبرِ
فقال ثلاثةُ رهطٍ هُمُ ... أماتوا ابنَ عفّان واستعبرِ
فثلثٌ على تلك في خِدرِها ... وثلثٌ على راكبِ الأحمرِ
وثلثٌ على ابنِ أبي طالبٍ ... ونحن بدوّيّةٍ قرقرِ
فقلتُ صدقتَ على الأوّلينِ ... وأخطأتَ في الثالث الأزهرِ

٩ ـ أخرج الطبري[٤] من طريقين: أنّ عائشة ﵂ لمّا انتهت إلى سرف[٥] راجعةً في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أُمّ كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أُمّه فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان ﵁ فمكثوا ثمانياً. قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأُمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على عليّ

---

(١) تذكرة الخواص: ص٦٩.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤/٤٦٥ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٣) الإمامة والسياسة: ١/٦١.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك: ٤/٤٥٨ حوادث سنة ٣٦هـ، تذكرة الخواص: ص٦٤.

(٥) سَرِف بالفتح ثمّ الكسر: موضع على ستّة أميال من مكة [معجم البلدان: ٣/٢١٢]. (المؤلّف)

ابن أبي طالب. فقالت: والله ليت أنّ هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك ردّوني ردّوني. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه. فقال لها ابن أُمّ كلاب: ولم؟ فوالله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنتِ، ولقد كنت
٨١/٩ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[١]. قالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد / قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل. فقال لها ابن أُم كلاب[٢]:

منكِ البداءُ ومنكِ الغِيَرْ ... ومنكِ الرياحُ ومنكِ المطَرْ
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمامِ ... وقلتِ لنا: إنّه قد كفرْ
فهبنا أطعناكِ في قتله ... وقاتله عندنا من أمرْ
ولم يسقط السقفُ من فوقنا ... ولم ينكسف شمسُنا والقمرْ
وقد بايع الناس ذا تُدرأ[٣] ... يزيل الشبا ويُقيم الصَّعَرْ
ويلبس الحرب أثوابَها ... وما مَن وفىٰ مثلُ مَن قد غدر

فانصرفت إلى مكة، فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فستّرت واجتمع إليها الناس فقالت: يا أيُّها الناس إنّ عثمان ﷺ قُتل مظلوماً ووالله لأطلبنّ بدمه.

١٠ ـ قال أبو عمر صاحب الاستيعاب[٤]: إنّ الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودهاء، لمّا قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف ابن قيس، فأبى أن يأتيها[٥]، ثمّ أرسلت إليه فأتاها، فقالت: ويحك يا أحنف بم

---

(١) في لفظ ابن قتيبة [في الإمامة والسياسة: ٥١/١]: فجر. (المؤلّف)

(٢) في لفظ ابن قتيبة [في الإمامة والسياسة: ٥١/١]: عذر والله ضعيف يا أُمّ المؤمنين. ثمّ ذكر الأبيات. (المؤلّف)

(٣) ذو تُدرأ: ذو عدّة وقوّة.

(٤) الاستيعاب: القسم الثاني/٧١٦ رقم١٢٠٩.

(٥) هذه العبارة حذفت من الطبعة الجديدة، وهي موجودة في الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة: ١٩٢/٢ في ترجمة صخر بن قيس.

تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان ﷺ ؟ أمن قلّة عدد؟ أو أنّك لا تُطاع في العشيرة؟ قال: يا أُم المؤمنين ما كبرت السنّ ولا طال العهد، وإنّ عهدي بك عام أوّل تقولين فيه وتنالين منه. قالت: ويحك يا أحنف إنّهم ماصوه موص الإناء ثمّ قتلوه. قال: يا أُم المؤمنين إني آخذ بأمرك وأنت راضية، وأدعه وأنت ساخطة.

١١ ـ أخرج ابن عساكر[١] من طريق أبي [إدريس الخولاني أن أبا] مسلم [الخولاني]، قال لأهل الشام وهم ينالون من عائشة في شأن عثمان: يا أهل الشام أضرب لكم مثلكم ومثل أُمّكم هذه: مثلها ومثلكم كمثل العين في الرأس تؤذي صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلّا بالذي هو خير لها.

١٢ ـ قال ابن أبي الحديد[٢]: قال كلّ من صنّف في السير والأخبار: إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته.

قالوا: أوّل من سمّى عثمان نعثلاً عائشة، وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً.

٨٢/٩ ١٣ ـ روى المدائني في كتاب الجمل، قال: لمّا قُتل عثمان كانت عائشة بمكة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر وقالت: بُعداً لنعثل وسحقاً، إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يابن عمّ! لكأنّي أُنظر إلى إصبعه وهو يُبايَع له، حثوا الإبل ودعدعوها[٣].

قال: وقد كان طلحة حين قُتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٢١/٢٧ رقم ٣٢١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١٥/٦ خطبة ٧٩.

(٣) دعدع بالإبل: زجرها.

كانت لعثمان في داره ثمّ فسد أمره فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب[١].

١٤ ـ قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيهٍ ذا الإصبع لله أبوك، أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً، فلمّا انتهت إلى شراف[٢] استقبلها عبد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له: ما عندك؟ قال: قُتل عثمان. قالت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حارت بهم الأُمور إلى خير محار، بايعوا عليّاً. فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا، ويحك انظر ماذا تقول! قال: هو ما قلت لك يا أُمّ المؤمنين، فولولت. فقال لها: ما شأنك يا أُمّ المؤمنين؟ والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحقّ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جواباً.

وقد روي من طرق مختلفة: أنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت: أبعده الله، ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد[٣].

١٥ ـ قال: وقد روى قيس بن أبي حازم: أنّه حجّ في العام الذي قُتل فيه عثمان وكان مع عائشة لمّا بلغها قتله فتحمّل إلى المدينة، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق إيهٍ ذا الإصبع. وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله. حتى أتاها خبر بيعة عليّ، فقالت: لوددت أنّ هذه وقعت على هذه. ثمّ أمرت بردّ ركائبها إلى مكة فرددت معها، ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنّها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفّان مظلوماً. فقلت لها: يا أُمّ المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين أبعده الله؟ وقد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً، فقالت: لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/٢١٥ خطبة ٧٩.

(٢) راجع صفحة: ٢٣٦ من الجزء الثامن، و ٨٠ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦/٢١٥ خطبة ٧٩.

فقتلوه[١].

١٦ ـ قال: وروي من طرق أُخرى: أنّها قالت لمّا بلغها قتله: أبعده الله قتله ذنبه، / وأقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود ٨٣/٩
قومه: إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع. فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت: تعسوا لا يردّون الأمر في تيم أبداً.

كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتباً أن خذّلي الناس عن بيعة عليّ، وأظهري الطلب بدم عثمان. وحملا الكتب مع ابن أُختها عبدالله بن الزبير، فلمّا قرأت الكتب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان، وكانت أُمّ سلمة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام، فلمّا رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاة عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرّتين[٢].

١٧ ـ قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أُمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أُميّة أنت أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبيرة أُمّهات المؤمنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك. فقالت أُمّ سلمة: لأمرٍ ما قلتِ هذه المقالة! فقالت عائشة: إنّ عبدالله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلمّا تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا. فقالت: أنا أُمّ سلمة، إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلّا نعثلاً، وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله[٣]. الحديث[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢١٦/٦ خطبه ٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص٢١٧.

(٤) فيه فوائد جمّة لا تفوت الباحث وعليه به. (المؤلّف)

١٨ ـ روى ابن عبد ربّه[١] عن العتبي قال: قال رجل من بني ليث: لقيت الزبير قادماً فقلت: يا أبا عبدالله ما بالك؟ قال: مطلوب مغلوب يغلبني ابني ويطلبني ذنبي، قال: فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت: أبا إسحاق من قتل عثمان؟ قال: قتله سيف سلّته عائشة، وشحذه طلحة، وسمّه عليّ. قلت: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده وصمت بد ٢ه.

وفي الإمامة والسياسة[٢]: كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره، فكتب إليه سعد: إنّك سألتني من قتل عثمان، وإنّي أُخبرك أنّه قُتل بسيف سلّته عائشة، وصقله طلحة، وسمّه ابن أبي طالب، و / سكت الزبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه، ولكن عثمان غيّر وتغيّر وأحسن وأساء، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله، وأُخبرك أنّ الزبير مغلوب بغلبة أهله ويطلبه بذنبه، وطلحة لو يجد أن يشقّ بطنه من حبّ الإمارة لشقّه. ٨٤/٩

١٩ ـ وقال ابن عبد ربّه: دخل المغيرة بن شعبة على عائشة، فقالت: يا أبا عبدالله لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدي، قال لها المغيرة: وددت والله أنّ بعضها كان قتلك، قالت: يرحمك الله ولم تقول هذا؟ قال: لعلّها تكون كفّارة في سعيك على عثمان، قالت: أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أني أردت قتله، ولكن علم الله أني أردت أن يُقاتَل فقوتلت، وأردت أن يُرمى فرميت، وأردت أن يُعصى فعُصيت، ولو علم منّي أنّي أردت قتله لقتلت[٣].

٢٠ ـ وروى ابن عبد ربّه عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ أُناساً كانوا عند

---

(١) العقد الفريد: ١١١/٤.

(٢) الإمامة والسياسة: ٤٨/١.

(٣) العقد الفريد: ١١١/٤.

فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمرّ بنا عثمان فما بقي أحد من القوم إلّا لعنه غيري، فكان فيهم رجل من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفي أجرأ منه على غيره، فقال: يا كوفي أتشتمني؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده، قال: فقيل له: عليك بطلحة، قال: فانطلق معه حتى دخل على عثمان فقال عثمان: والله لأجلدنّه مئة سوط. قال طلحة: والله لا تجلده مئة إلّا أن يكون زانياً. قال: والله لأحرمنّه عطاءه. قال: الله يرزقه[١].

٢١ ـ قال ابن الأثير والفيروزآبادي وابن منظور والزبيدي: النعثل: الشيخ الأحمق، ونعثل: يهوديّ كان بالمدينة. قيل شبّه به عثمان ﷺ كما في التبصير، ونعثل رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قال أبو عبيد: كان يشبه عثمان، وشاتمو عثمان يسمّونه نعثلاً، وفي حديث عثمان أنّه كان يخطب ذات يوم فقام رجل فنال منه فوذأه ابن سَلَام فاتّذأ[٢]، فقال له رجل: لا يمنعنّك مكان ابن سَلَام أن تسبّ نعثلاً فإنّه من شيعته، وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً، وفي حديث عائشة: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً. تعني عثمان، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكة، وفي حياة الحيوان: النعثل كجعفر: الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً[٣].

٢٢ ـ روى البلاذري في الأنساب قال: خرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية / تقول: قتل عثمان ﷺ. فقال لها عمّار بن ياسر: أنت بالأمس تحرّضين عليه ثمّ أنت اليوم تبكينه. ٨٥/٩

---

(١) العقد الفريد: ١١٨/٤.

(٢) وذأه فاتّذأ: عابه وزجره فانزجر.

(٣) النهاية: ٨٠/٥، القاموس المحيط: ص١٣٧٤، لسان العرب: ١٩٨/١٤، تاج العروس: ١٤١/٨، حياة الحيوان: ٣٦٥/٢.

راجع[1] طبقات ابن سعد (٢٥/٥) طبع ليدن، أنساب البلاذري (٧٠/٥، ٧٥، ٩١)، الإمامة والسياسة (٤٣/١، ٤٦، ٥٧)، تاريخ الطبري (١٤٠/٥، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٦)، العقد الفريد (٢٦٧/٢، ٢٧٢)، تاريخ ابن عساكر (٣١٩/٧)، الاستيعاب ترجمة الأحنف صخر بن قيس، تاريخ أبي الفداء (١٧٢/١)، شرح ابن أبي الحديد (٧٧/٢، ٥٠٦)، تذكرة السبط (ص٣٨، ٤٠)، نهاية ابن الأثير (١٦٦/٤)، أُسد الغابة (١٥/٣)، الكامل لابن الأثير (٨٧/٣)، القاموس (٥٩/٤)، حياة الحيوان (٣٥٩/٢)، السيرة الحلبيّة (٣١٤/٣)، لسان العرب (١٩٣/١٤)، تاج العروس (١٤١/٨).

قال الأميني: هذه الروايات تُعطينا درساً ضافياً بنظريّة عائشة في عثمان، وأنّها لم تكن ترى له جدارة تسنّم ذلك العرش، وبالغت في ذلك حتى ودّت إزالته عن مستوى الوجود. فأحبّت له أن يُلقى في البحر وبرجله رحى تجرّه إلى أعماقه، أو أنّه يُجعل في غرارة من غرائرها وتشدّ عليه الحبال فيقذف في عباب اليمّ فيرسب فيه من غير خروج، أو أن يودي به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملأ معرّة أُحدوثاته.

ولذلك كانت تثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله ﷺ وثوبه ونعله، ولم تبرح تؤلّب الملأ الديني عليه وتحثهم على مقته وتخذّلهم عن نصرته في حضرها

---

(١) الطبقات الكبرىٰ: ٣٦/٥، أنساب الأشراف: ١٨٧/٦ و١٩٣ و٢١٢، الإمامة والسياسة: ٤٧/١ و٥١ و٦١، تاريخ الأُمم والملوك: ٤٠٧/٤ و ٤٤٩ و ٤٥٨ و ٤٦٥ حوادث سنة ٣٦هـ، العقد الفريد: ١١١/٤ و ١١٨، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢١/٢٧ رقم٣٢١٣، الاستيعاب: القسم الثاني/٧١٦ رقم١٢٠٩، شرح نهج البلاغة: ٢١٥/٦ خطبة٧٩ و ٥/١٠ ـ ٩ خطبة ١٧٥، تذكرة الخواص: ص٦١ و ٦٤ و ٦٩، النهاية: ٨٠/٥، أُسد الغابة: ١٤/٣ رقم٢٤٩١، الكامل في التاريخ: ٣١٣/٢ حوادث سنة ٣٦هـ، القاموس المحيط: ص١٣٧٤، حياة الحيوان: ٣٦٥/٢، السيرة الحلبية: ٢٨٦/٣، لسان العرب: ١٩٨/١٤.

وسفرها، وإنّها لم تعدل عن تلكم النظريّة حتى بعد ما أُجهز على عثمان إلّا لمّا علمت من انفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره وتضمر تقديمه منذ كانت تُرهج النقع على عثمان، وتهيج الأُمّة على قتله، فكانت تروم أن تُعيد الإمرة تيميّة مرّة أُخرى، ولعلّها حجّت لبتّ هاتيك الدعاية في طريقها وعند مجتمع الحجيج بمكة، فكان يُسمع منها قولها في طلحة: إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يابن عمّ! لكأنّي أُنظر إلى إصبعه وهو يبايَع له، وقولها: إيه ذا الإصبع! لله أبوك، أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً.

وقولها في عثمان: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، وقولها لابن عبّاس: إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية، وقولها بمكة: بُعداً لنعثل وسحقاً، وقولها لمّا بلغها قتله: أبعده الله، ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد.

٨٦/٩ لكنّها لمّا علمت أنّ خلافة الله الكبرى عادت علويّة واستقرّت في مقرّها الجدير بها ـ ولم يكن لها مع أمير المؤمنين عليه السلام هوى ـ قلبت عليها ظهر المجنّ، فطفقت تقول: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا، وأظهرت الأسف على قتل عثمان ورجعت إلى مكة بعد ما خرجت منها، ونهضت ثائرة تطلب بدم عثمان لعلّها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق، وإلّا فما هي من أولياء ذلك الدم، وقد وضع عنها قود العساكر ومباشرة الحروب، لأنّها امرأة خلقها الله لخدرها، وقد نهيت كبقيّة نساء النبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة عن التبرّج، وقد أنذرها رسول الله صلى الله عليه وآله وحذّرها عن خصوص واقعة الجمل، غير أنّها أعرضت عن ذلك كلّه لما ترجّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة، وتصامّت عن نبح كلاب الحوأب، وقد ذكره لها الصادق الأمين عند الإنذار والتحذير، ولم تزل يقودها الأمل حتى قتل طلحة فألمّت بها الخيبة، وغلب أمر الله وهي كارهة.

- ٣ -

حديث عبد الرحمن بن عوف

أحد العشرة المبشّرة، شيخ الشورى، بدريّ

١ ـ أخرج البلاذري عن سعد، قال: لمّا توفّي أبوذر بالربذة تذاكر عليّ وعبدالرحمن بن عوف فعل عثمان، فقال عليّ: «هذا عملك». فقال عبدالرحمن: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنّه قد خالف ما أعطاني.

٢ ـ قال أبو الفداء: لمّا أحدث عثمان ﷺ ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه؛ روي أنّه قيل لعبدالرحمن بن عوف: هذا كلّه فعلك. فقال: ما كنت أظنّ هذا به، لكن لله عليّ أن لا أكلّمه أبداً، ومات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان ﷺ، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحوّل إلى الحائط ولم يُكلّمه.

٣ ـ روى البلاذري من طريق عثمان بن الشريد، قال: ذُكر عثمان عند عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه، فقال عبدالرحمن: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه. فبلغ ذلك عثمان، فبعث إلى بئر كا٢ن يُسقى منها نعم عبدالرحمن بن عوف فمنعه إيّاها، فقال عبدالرحمن: اللّهمّ اجعل ماءها غوراً، فما وجدت فيها قطرة.

٤ ـ عن عبدالله بن ثعلبة، قال: إنّ عبدالرحمن بن عوف كان حلف ألّا يكلّم عثمان أبداً.

٥ ـ عن سعد، قال: إنّ عبدالرحمن أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان، فصلّى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقّاص، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين. ٨٧/٩

٦ ـ قال ابن عبد ربّه: لمّا أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمد، قيل لعبد الرحمن: هذا عملك. قال: ما ظننت هذا. ثمّ مضى ودخل عليه وعاتبه وقال: إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر

وعمر فخالفتهما، وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين. فقال: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله، وأنا أصل قرابتي في الله. قال عبدالرحمن: لله عليّ أن لا أُكلّمك أبداً. فلم يكلّمه أبداً حتى مات وهو مهاجر لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه.

راجع[١]: أنساب البلاذري (٥٧/٥)، العقد الفريد (٢٥٨/٢، ٢٦١، ٢٧٢)، تاريخ أبي الفداء (١٦٦/١).

٧ ـ أخرج الطبري من طريق المسور بن مخرمة، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبدالرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسور بن مخرمة وإلى عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها، فقسّمها عبدالرحمن في الناس وعثمان في الدار.

تاريخ الطبري (١١٣/٥)، الكامل لابن الأثير (٧٠/٣)، شرح ابن أبي الحديد (١٦٥/١)[٢].

٨ ـ قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل: أُستجيبت دعوة عليّ ﷺ في عثمان وعبدالرحمن، فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين. أرسل عبدالرحمن إلى عثمان يعاتبه. إلى أن قال: لمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء، وصنع طعاماً كثيراً، ودعا الناس إليه، كان فيهم عبدالرحمن فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال: يابن عفّان لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك، فغضب عثمان وقال: أخرجه عنّي يا غلام، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلّا

---

(١) أنساب الأشراف: ١٧١/٦، ١٧٢، العقد الفريد: ١٠١/٤، ١١٨.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٦٥/٤ حوادث سنة ٣٥، الكامل في التاريخ: ٢٨٦/٢ حوادث سنة ٣٥، شرح نهج البلاغة: ١٤٩/٢ خطبة ٣٠.

ابن عبّاس، كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض، ومرض عبدالرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتى مات.

شرح ابن أبي الحديد[١] (١/٦٥، ٦٦).

٨٨/٩ قول العسكري: أُستجيبت دعوة عليّ؛ إشارة إلى ما ورد من قوله ﷺ يوم الشورى لعبدالرحمن بن عوف: «والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عِطْر مَنْشِم»[٢].

ومَنْشِم: امرأة عطّارة من حمير، وكانت خزاعة وجرهم اذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشأم من عطر مَنْشِم، فصار مثلاً[٣].

وقول عبدالرحمن: لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك. إيعاز إلى قول مولانا أمير المؤمنين يوم الشورى أيضاً: «أما إنّي أعلم أنّهم سيولّون عثمان، وليحدثنّ البدع والأحداث، ولئن بقي لأذكرنّك، وإن قتل أو مات ليتداولنّها بنو أُميّة بينهم، وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون»[٤].

قال الشيخ محمد عبده في شرح نهج البلاغة[٥] (١/٣٥): لمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار، ووجد عليه كبار الصحابة، روي أنّه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك. فقال: ما كنت أظنّ هذا به

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/١٩٦ خطبة ٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١/٦٣ [١/١٨٨ خطبة ٣]. (المؤلّف)

(٣) أُنظر مجمع الأمثال: ٢/١٩١ رقم ٢٠٣٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ١/٦٤ [١/١٩٢ خطبة ٣]. (المؤلّف)

(٥) شرح نهج البلاغة: ص٨٨.

ولكن لله عليّ أن لا أُكلّمه أبداً، ثمّ مات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إنّ عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحوّل إلى الحائط لا يكلّمه، والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء.

وقال ابن قتيبة في المعارف[1] (ص٢٣٩): كان عثمان بن عفّان مهاجراً لعبد الرحمن بن عوف حتى ماتا.

قال الأميني: لابدّ أن يُساءل هؤلاء عن أشياء، فيقال لهم: إنّ سيرة الشيخين التي بويع عثمان عليها هل كانت تطابق سنّة رسول الله ﷺ أو تخالفها؟ وعلى الأوّل فشرطها مستدرك، ولا شرط للخلافة إلّا مطابقة كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ ولا نقمة على تاركها إلّا بترك السنّة لا السيرة، فذكرها إلى جانب السنّة الشريفة كضمّ اللّاحجّة إلى الحجّة، أو كوضع الحجر إلى جنب الإنسان، وعلى الثاني فإنّ من الواجب على كلّ مسلم مخالفتها بعد فرض إيمانه بالله وبكتابه ورسوله واليوم الآخر، ٨٩/٩
فكان من حقّ المقام أن ينكروا على عثمان مخالفة السنّة فحسب. ولهذا لم يقبل مولانا أمير المؤمنين لمّا ألقى إليه عبدالرحمن أمر البيعة على الشرط المذكور إلّا مطابقة أمره للسنّة والاجتهاد فيها[2].

وليت شعري إنّه لمّا شرط ابن عوف على عثمان ذلك هل كان يعلم بما قلناه من الموافقة أو المخالفة أو لا؟ وعلى فرض علمه يتوجّه عليه ما سطرناه على كلّ من الفرضين، وعلى تقدير عدم علمه وهو أبعد شيء يفرض فكيف شرط عليه ما لا يعلم حقيقته، وكيف يناط أمر الدين وزعامته الكبرى بحقيقة مجهولة؟ وما الفائدة في اشتراطه؟

---

(١) المعارف: ص ٥٥٠.

(٢) مسند أحمد: ١/٧٥ [١/١٢٠ ح٥٥٨]، تاريخ الطبري: ٥/٤٠ [٤/٢٣٨ حوادث سنة ٢٣]، تمهيد الباقلاني: ص٢٠٩، تاريخ ابن كثير: ٧/١٤٦ [٧/١٦٥ حوادث سنة ٢٤]. (المؤلّف)

وللباقلاني في التمهيد (ص ٢١٠) في بيان هذا الشرط وجه نُجلّ عنه ساحة كلّ متعلّم فاهم فضلاً عن عالم مثله.

ثمّ نأتي إلى عثمان فنحاسبه على قبوله لأوّل وهلة، هل كان يعلم شيئاً ممّا قدّمناه من النسبة بين السنّة والسيرة أو لا؟ فهلّا شرط الأمر على تقدير الموافقة، ورفضه على فرض المخالفة. وإن كان لا يعلم فكيف قبل شرطاً لا يدري ما هو؟

ثمّ هل كان يعلم يومئذٍ أنّه يطيق على ذلك أو لا؟ أو كان يعلم أنّه لا يطيقه؟ وعلى الأخير فكيف قبل ما لا يطيقه؟ وعلى الثاني كيف أقدم على الخطر فيما لا يعلم أنّه يتسنّى له أن ينوء به؟ وعلى الأوّل فلماذا خالف ما اشترط عليه وقبله ووقعت البيعة عليه، وحصل القبول والرضا من الأُمّة به؟ ثمّ جاء يعتذر لمّا أخذه ابن عوف بمخالفته إيّاها بأنّه لا يطيق ذلك، فقال فيما أخرجه أحمد في مسنده[1] (٦٨/١) من طريق شقيق: وأمّا قوله: إني لم أترك سنّة عمر، فإنّي لا أُطيقها ولا هو. وذكره ابن كثير في تاريخه[2] (٢٠٦/٧).

وكيفما أُجيب عن هذه المسائل فعبرتنا الآن بنظريّة عبدالرحمن بن عوف الأخيرة في الخليفة، وهي من أوضح الحقائق لمن استشفّ ما ذكرناه من قوله له: إنّي أستعيذ بالله من بيعتك. وقوله لمولانا أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي. إلخ. مستحلّاً قتاله، وقوله: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه. وقد بالغ في الإنكار عليه ورأيه في سقوطه أنّه لم يره أهلاً للصلاة عليه وأوصى بذلك عند وفاته فصلّى عليه الزبير، وهجره وحلف أن لا يكلّمه أبداً حتى إنّه حوّل وجهه إلى الحائط لمّا جاء عائداً، وأنّه كان لا يرى لتصرّفاته نفوذاً ولذلك لمّا بلغه إعطاء عثمان إبل الصدقة لبعض بني الحكم أرسل إليها المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود ٩٠/٩

---

(١) مسند أحمد: ١٠٩/١ ح ٤٩٢.

(٢) البداية والنهاية: ٢٣١/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

فأخذها فقسّمها عبدالرحمن في الناس وعثمان في الدار، ولهذه كلّها كان يراه عثمان منافقاً ويقذفه بالنفاق كما ذكره ابن حجر في الصواعق[١] (ص٦٨) وأجاب عنه متسالماً عليه بأنّه كان متوحّشاً منه لأنّه كان يجيئه كثيراً. إقرأ واضحك. وذكره الحلبي في السيرة[٢] (٨٧/٢) فقال: أجاب عنه ابن حجر. ولم يذكر الجواب لعلمه بأنّه أُضحوكة.

ونسائل القوم بصورة أُخرى مع قطع النظر عن جميع ما قلناه: إنّ ما اشتُرط على عثمان وعقد عليه أمره هل كان واجب الوفاء؟ أو كان لعثمان منتدح عنه بتركه؟ وعلى الأوّل فما وجه مخالفة الخليفة له؟ ولماذا لم يقبله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو عيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله والعارف بأحكامه وسننه وبصلاح الأُمّة منذ بدء أمرها إلى منصرمه، وهل يخلع الخليفة في صورة المخالفة؟ فلماذا كان عثمان لا يروقه التنازل عن أمره لمّا أرادت الصحابة خلعه للمخالفة؟ أو أنّه لا يُخلع؟ فلماذا تجمهروا عليه فخلعوه وقتلوه؟ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله العدول كلّهم في نظر القوم، وإن كان لا يجب الوفاء به فلماذا لم يبايعوا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمّا جابههم بعدم الالتزام بما لا يجب الوفاء به؟ وما معنى اعتذار عبدالرحمن بن عوف في تقديمه عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه قبل متابعة سيرة الشيخين ولم يقبلها عليّ عليه السلام؟ ولماذا ألزموا عثمان به؟ ولماذا التزم به عثمان؟ ولماذا تمّت البيعة عليه؟ ولماذا تجمهروا عليه لمّا شاهدوا منه المخالفة؟

﴿ وَلَيُسئَلُنَّ يَومَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفتَرُون ﴾[٣]

﴿ فَيَومَئِذٍ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُم وَلاَ هُمْ يُستَعْتَبُونَ ﴾[٤]

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١١٤.

(٢) السيرة الحلبية: ٧٨/٢.

(٣) العنكبوت: ١٣.

(٤) الروم: ٥٧.

- ٤ -

حديث طلحة بن عبيد الله

أحد العشرة المبشّرة، وأحد الستّة أصحاب الشورى

٩١/٩ ١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في طلحة: «والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يُطالب بدمه لأنّه مظنّته، ولم يكن في القوم أحرض عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذّرين فيه. ولئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع الناس معه، فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره»[1].

قال ابن أبي الحديد في الشرح[2] (٥٠٦/٢): فإن قلت: يمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحة دم عثمان أوّلاً، ثمّ تبدّل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أنّ قتله حرام، وأنّه يجب أن يقتصّ من قاتليه. قلت: لو اعترف بذلك لم يقسّم عليّ عليه السلام هذا التقسيم؛ وإنّما قسّمه لبقائه على اعتقاد واحد، وهذا التقسيم مع فرض بقائه على اعتقاد واحد صحيح لا مطعن فيه، وكذا كان حال طلحة؛ فإنّه لم يُنقل عنه أنّه قال: ندمت على ما فعلت بعثمان.

فإن قلت: كيف قال أمير المؤمنين عليه السلام: فما فعل واحدة من الثلاث، وقد فعل واحدة منها، لأنّه وازر قاتليه حيث كان محصوراً. قلت: مراده عليه السلام: أنّه إن كان عثمان

---

(١) نهج البلاغة: ٣٢٣/١ [ص ٢٤٩ خطبة ١٧٤]. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٩/١٠ خطبة ١٧٥.

ظالماً وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله، يحامي عنهم، ويمنعهم ممّن يروم دماءهم، ومعلوم أنّه لم يفعل ذلك، وإنّما وازرهم وعثمان حيّ؛ وذلك غير داخل في التقسيم. انتهى.

٢ ـ أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر، قال: قال عليّ لطلحة ـ وعثمان محصور ـ: «أنشدك الله إلّا رددت الناس عن عثمان». قال: لا والله حتى تعطي بنو أُميّة الحقّ من أنفسها[١].

تاريخ الطبري(١٣٩/٥)، شرح ابن أبي الحديد(١٦٨/١) فقال: فكان عليّ عليه السلام يقول: «لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل». ٩٢/٩

٣ ـ أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد، قال: حدّثني عبدالله بن عبّاس ابن أبي ربيعة[٢] قال: دخلت على عثمان رضي الله عنه، فتحدّثت عنده ساعة، فقال: يابن عبّاس تعال، فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على باب عثمان، فسمعنا كلاماً؛ منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع، فبينا أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيد الله، فوقف فقال: أين ابن عديس؟ فقيل: هاهو ذا. قال: فجاءه ابن عديس، فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثمّ قال عثمان: اللّهمّ اكفني طلحة بن عبيد الله، فإنّه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم، والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يُسفك دمه، إنّه انتهك منّي ما لا يحلّ له، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحلّ دم امرئ مسلم إلّا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم، أو

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٠٥/٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، شرح نهج البلاغة: ١٦١/٢ خطبة ٣٠، ٥/١٠ خطبة ١٧٥.

(٢) في الطبعة المعتمدة: عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة.

رجل قتل نفساً بغير نفس». ففيم أُقتل؟ قال: ثمّ رجع عثمان. قال ابن عبّاس: فأردت أن أخرج فمنعوني حتى مرّ بي محمد بن أبي بكر فقال: خلّوه، فخلّوني.

تاريخ الطبري (١٢٢/٥)، الكامل لابن الأثير (٧٣/٣)[١].

٤ ـ أخرج الطبري من طريق الحسن البصري: أنّ طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمئة ألف فحملها إليه، فقال طلحة: إنّ رجلاً تتّسق هذه عنه[٢] وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عزّ وجلّ لغرير بالله سبحانه، فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسّمها حتى أصبح، فأصبح وما عنده منها درهم. قال الحسن: وجاء هاهنا يطلب الدينار والدرهم. أو قال: الصفراء والبيضاء.

تاريخ الطبري (١٣٩/٥)، تاريخ ابن عساكر (٨١/٧)[٣].

٥ ـ حكى ابن أبي الحديد[٤] عن الطبري: أنّ عثمان كان له على طلحة خمسون ألفاً، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهيّأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك / يا أبا محمد معونة لك على مروءتك. قال: فكان عثمان يقول وهو محصور: جزاء سِنِمّار[٥]. ٩٣/٩

وقال ابن أبي الحديد: كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه، وكان الزبير

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٧٨/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، الكامل في التاريخ: ٢٩١/٢ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد [٥/١٠ خطبة ١٧٥]: عنده. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٠٥/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، تاريخ مدينة دمشق: ١٠١/٢٥ رقم ٢٩٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٠١/١١.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٥/١٠ خطبة ١٧٥.

(٥) هذا الحديث أخرجه الطبري في تاريخه: ١٣٩/٥ [٤٠٥/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، وليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد: فكان عثمان يقول وهو محصور: جزاء سنمّار. (المؤلّف)

دونه في ذلك. روي أنّ عثمان قال: ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يحرّض على نفسي، اللّهمّ لا تمتّعه به ولقّه عواقب بغيه.

قال: وروى الناس الذين صنّفوا في واقعة الدار: أنّ طلحة كان يوم قُتل عثمان مقنّعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام، ورووا أيضاً: أنّه لمّا امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها وتسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه.

شرح ابن أبي الحديد[1] (٤٠٤/٢).

٦ ـ روى المدائني في كتاب مقتل عثمان: أنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام، وأنّ عليّاً لم يبايع الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيّام، وأنّ حكيم بن حزام أحد بني أسد ابن عبدالعزّى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعليّ على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُعرف بحشّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلمّا صار هناك رجم سريره وهمّوا بطرحه، فأرسل عليّ إلى الناس يعزم عليهم ليكفّوا عنه، فكفّوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حشّ كوكب.

وأخرج المدائني في الكتاب، قال: دُفن عثمان بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه، فرفعت ابنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناساً هناك أكمنهم كميناً، فأخذتهم الحجارة وصاحوا: نعثل نعثل. فقالوا: الحائط الحائط. فدفن في حائط هناك[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٥/٩ ـ ٣٦ خطبة ١٣٦.

(٢) أُنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/١٠ ـ ٧ خطبة ١٧٥.

٧ ـ أخرج الواقدي قال: لمّا قُتل عثمان تكلّموا في دفنه، فقال طلحة: يُدفن بدير سلع. يعني مقابر اليهود. ورواه الطبري في تاريخه[١] (١٤٣/٥) غير أنّ فيه مكان طلحة: رجل.

٨ ـ أخرج الطبري بالإسناد، قال: حُصر عثمان وعليّ بخيبر، فلمّا قدم أرسل إليه / عثمان، يدعوه فانطلق، فقلت: لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقالتهما، فلمّا دخل عليه ٩٤/٩
كلّمه عثمان، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنّ لي عليك حقوقاً، حقّ الإسلام وحقّ الإخاء، وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك، وبيّن حقّ القرابة والصهر، وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثمّ كنّا إنّما نحن في جاهلية لكان مبطّأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم. فتكلّم عليّ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

«أمّا بعد: فكل ما ذكرت من حقّك عليّ على ما ذكرت، أمّا قولك: لو كنّا في جاهليّة لكان مُبطّأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم، فصدقت وسيأتيك الخبر». ثم خرج فدخل المسجد فرأى أُسامة جالساً، فدعاه فاعتمد على يده، فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته، فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي رجّاس[٢] من الناس، فقام إليه فقال: «يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟» فقال: يا أبا حسن بعد ما مسّ الحزام الطبيين[٣]. فانصرف عليّ ولم يحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال، فقال: «افتحوا هذا الباب». فلم يقدر على المفاتيح فقال: «اكسروه»، فكُسر باب بيت المال، فقال: «أخرجوا المال». فجعل يُعطي الناس فبلغ الذين في دار

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤١٣/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) الرجّاس: صوت الشيء المختلط العظيم.

(٣) أي: اشتدّ الأمر وتفاقم. كتب عثمان إلى عليّ عليه السلام: قد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطُّبيين. تاج العروس: ٢٢٢/١٠. (المؤلّف)

طلحة الذي صنع علي، فجعلوا يتسلّلون إليه حتى تُرك طلحة وحده، وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك، ثمّ أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان، فقلت: والله لأنظرنّ ما يقول هذا فتتبّعته، فاستأذن على عثمان، فلمّا دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب إليه، أردت أمراً فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنّك والله ما جئت تائباً ولكنّك جئت مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة.

تاريخ الطبري (١٥٤/٦)، كامل ابن الأثير (٧٠/٣)، شرح ابن أبي الحديد (١٦٥/١)، تاريخ ابن خلدون (٣٩٧/٢)[١].

قال الأميني: هذا لفظ تاريخ الطبري المطبوع وقد لعبت به أيدي الهوى بالتحريف وزادت فيه حديث الإخاء بين عثمان وعليّ المتسالم على بطلانه بين فرق المسلمين، كأنّ القوم آلوا على أنفسهم بأن لا يدعوا حديثاً إلّا شوّهوه بالاختلاق، وقد حكى ابن أبي الحديد هذا الحديث عن تاريخ الطبري في شرحه[٢] (٥٠٦/٢) ولا توجد فيه مسألة الإخاء وإليك لفظه:

٩٥/٩ روى الطبري في التاريخ: أنّ عثمان لمّا حصر كان عليّ عليه السلام بخيبر في أمواله، فلمّا قدم أرسل إليه يدعوه، فلمّا دخل عليه قال له: إنّ لي عليك حقوقاً: حقّ الإسلام، وحقّ النسب، وحقّ مالي عليك من العهد والميثاق، ووالله إن لو لم يكن من هذا كلّه شيء وكنّا في جاهليّة؛ لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو تيم ملكهم ـ يعني طلحة ـ، فقال له عليه السلام: سيأتيك الخبر... إلى آخر الحديث باللفظ المذكور.

وقد أسلفنا في الجزء الثالث (ص ١١٢ ـ ١٢٤) حديث المواخاة بأوسع ما يُسطر

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٣٠/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، الكامل في التاريخ: ٢٨٦/٢ حوادث سنة ٣٥هـ، شرح نهج البلاغة: ١٤٨/٢ خطبة ٣٠، تاريخ ابن خلدون: ٥٩٨/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨/١٠ خطبة ١٧٥.

وفيه: إنّ رسول الله ﷺ هو الذي واخى أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره.

٩ ـ ذكر البلاذري في حديث: أنّ طلحة قال لعثمان: إنّك أحدثت أحداثاً لم يكن الناس يعهدونها، فقال عثمان: ما أحدثت أحداثاً ولكنّكم أظنّاء تفسدون عليّ الناس وتؤلّبونهم.

الأنساب[١] (٤٤/٥).

١٠ ـ حكى البلاذري عن أبي مخنف وغيره: حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يُدخل عليه، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرم ويُلبّي ويخرج فيأتي مكة فلا يقدم عليه. فبلغهم قوله، فقالوا: والله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا وبينه، واشتدّ عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار، ومنع من أن يدخل إليه الماء حتى غضب عليّ بن أبي طالب من ذلك، فأدخلت عليه روايا الماء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الأنساب[٢] (٧١/٥).

١١ ـ في رواية للبلاذري[٣] (ص ٩٠): كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر، ومنع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب، فأرسل عليّ إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة: أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره يعني بئر رومة، ولا تقتلوه من العطش، فأبى، فقال عليّ: لولا أنّي قد آليت يوم ذي خُشب أنّه إن لم يُطعني لا أردّ عنه أحداً لأدخلت عليه الماء.

وفي الإمامة والسياسة[٤] (٣٤/١): أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان

---

(١) أنساب الأشراف: ١٥٦/٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٨٨.

(٣) المصدر السابق: ص٢١١.

(٤) الإمامة والسياسة: ٤٠/١.

ليلاً ونهاراً، وطلحة يحرّض الفريقين جميعاً على عثمان، ثمّ إنّ طلحة قال لهم: إنّ عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه.

١٢ ـ قال البلاذري: قالوا: مرّ مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيد الله فقال: يا مجمع ما فعل صاحبك؟ قال: أظنكم والله قاتليه. فقال طلحة: فإن قُتل فلا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل. ٩٦/٩

الأنساب[١] (٧٤/٥).

١٣ ـ وروى البلاذري في حديث: وسلّم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردّوا عليه، فقال: يا طلحة ما كنت أرى أني أعيش إلى أن أُسلّم عليك فلا تردّ عليّ السلام.

الأنساب[٢] (٧٦/٥).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كأنّ هذه القضيّة غير ما وقع في أيّام الحصار الثاني ممّا ذكره الدياربكري في تاريخ الخميس (٢٦٠/٢) قال: أشرف عثمان عليهم ذات يوم وقال: السلام عليكم. فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه إلّا أن يردّ في نفسه. وسيوافيك حديث جبلة بن عمرو الأنصاري ونهيه الناس عن ردّ السلام على عثمان إذا سلّم عليهم.

١٤ ـ أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال: كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب إلى عليّ بهذا البيت:

---

(١) أنساب الأشراف: ١٩٢/٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٩٥.

وإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلّا فأدرِكـــني ولمّـا أُمــزَّق[١]

وقال أبو مخنف: صلّى عليّ بالناس يوم النحر وعثمان محصور، فبعث إليه عثمان ببيت الممزّق[٢]، وكان رسوله به عبدالله بن الحارث ففرّق عليّ الناس عن طلحة، فلمّا رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر، فقال له عثمان: يا بن الحضرميّة ألّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً، لاقبل الله ممّن قبل عذرك.

الأنساب[٣] (٧٧/٥).

١٥ ـ روى البلاذري بإسناده من طريق ابن سيرين أنّه قال: لم يكن من أصحاب النبيّ ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة.

الأنساب (٨١/٥)، وذكره ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢٦٩/٢)[٤].

١٦ ـ أخرج ابن سعد وابن عساكر، قال: كان طلحة يقول يوم الجمل: إنّا داهنّا في أمر عثمان، فلا نجد [اليوم][٥] شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللّهمّ خذ لعثمان منّي اليوم حتى ترضى.

طبقات ابن سعد، تاريخ ابن عساكر (٨٤/٧)، تذكرة السبط (ص ٤٤)[٦].

---

(١) هذا البيت للممزّق العبدي: شاش بن لها بن الأسود. وبه سمّي الممزق. (المؤلّف)

(٢) هو شأس بن نهار بن أسود، من بني عبد القيس، شاعر جاهلي قديم، من أهل البحرين، لقّب بالممزّق، لقوله الآنف.

(٣) أنساب الأشراف: ١٩٦/٦.

(٤) أنساب الأشراف: ٢٠١/٦، العقد الفريد: ١١٣/٤.

(٥) ما بين المعقوفين إضافة من المصادر الثلاثة.

(٦) الطبقات الكبرىٰ: ٢٢٢/٣، تاريخ مدينة دمشق: ١٠٩/٢٥ رقم ٢٩٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٠٤/١١، تذكرة الخواص: ص ٧٧.

١٧ ـ أخرج ابن عساكر، قال: كان مروان بن الحكم في الجيش ـ يوم الجمل ـ فقال: لا أطلب بثاري بعد اليوم، فهو الذي رمى طلحة فقتله، ثمّ قال لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك، وكان السهم قد وقع في عين ركبته، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت، فقال: دعوها فإنّها سهم أرسله الله. ٩٧/٩

تاريخ ابن عساكر[١] (٨٤/٧).

قال أبو عمر في الاستيعاب[٢]: لا يختلف العلماء الثقات في أنّ مروان قتل طلحة يومئذٍ وكان في حزبه. روى عبدالرحمن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، قال: قال طلحة يوم الجمل:

نـدمت نـدامـة الكُسَـعيّ لمّـا ... شريت رضا بني جرم برغمي[٣]

اللّهمّ خذ منّي لعثمان حتى يرضى.

بيان: الكُسَع: حيّ من قيس عيلان، وقيل: هم حيّ من اليمن رماة، ومنهم الكسعيّ الذي يضرب به المثل في الندامة، وهو رجل رام رمى بعد ما أسدف الليل عيراً فأصابه، وظنّ أنّه أخطأه فكسر قوسه وقيل: قطع إصبعه ثمّ ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً وسهمه فيه، فصار مثلاً لكلّ نادم على فعل يفعله. وإيّاه عنى الفرزدق بقوله:

ندمت ندامة الكُسَعيّ لمّا ... غدت منّي مطلّقةً نوارُ

وقال آخر:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١١٢/٢٥ ـ ١١٣ رقم٢٩٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٠٧/١١.

(٢) الاستيعاب: القسم الثاني/٧٦٦ رقم ١٢٨٠.

(٣) هذا البيت معه ثلاثة أبيات أخر ذكرها ابن الأثير في أُسد الغابة: ١٠٤/٣ [٨٧/٣ رقم٢٦٢٥]، وسبط ابن الجوزي في التذكرة: ص٤٤ [ص٧٦]. (المؤلّف)

ندمت ندامة الكُسَعيِّ لمّا رأت عيناه ما فعلت يداه

وقيل: كان اسم الكُسَعيّ محارب بن قيس.

وأخرج أبو عمر[١] من طريق ابن أبي سبرة قال: نظر مروان إلى طلحة يوم الجمل فقال: لا أطلب بثاري بعد اليوم. فرماه بسهم فقتله.

وأخرج[٢] من طريق يحيى بن سعيد عن عمّه أنّه قال: رمى مروان طلحة بسهم، ثمّ التفت إلى أبان بن عثمان، فقال: قد كفينا بعض قتلة أبيك.

وأخرج[٣] من طريق قيس نقلاً عن ابن أبي شيبة أنّ مروان قتل طلحة، ومن طريق وكيع وأحمد بن زهير، بإسنادهما عن قيس بن أبي حازم حديث: لا أطلب بثاري / بعد اليوم. وزاد في أُسد الغابة[٤] ما مرّ من قول مروان لأبان. ٩٨/٩

وقال ابن حجر في الإصابة (٢/٢٣٠): روى ابن عساكر[٥] من طرق[٦] متعدّدة أنّ مروان بن الحكم هو الذي رماه فقتله منها. وأخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارود بن أبي سبرة، قال: لمّا كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال: لا أطلب ثاري بعد اليوم، فنزع له بسهم فقتله.

وأخرج يعقوب بن سفيان، بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم؛ أن مروان

---

(١) الاستيعاب: القسم الثاني/٧٦٨ رقم ١٢٨٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أُسد الغابة: ٣/٨٨ رقم ٢٦٢٥.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٢٥/١١٢ رقم ٢٩٨٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١١/٢٠٧.

(٦) حذفتها يد الطبع الأمينة على ودائع العلم حيّا الله الأمانة! لقد لعبت يد الشيخ عبدالقادر بن بدران بتاريخ ابن عساكر لمّا هذّبه ورتّبه على زعمه فأخرجه عمّا هو عليه، وجعله مسيخاً مشوّهاً بإدخال آرائه الساقطة فيه، وأسقط منه أحاديث كثيرة متناً وإسناداً ممّا لا يروقه. (المؤلّف)

ابن الحكم رأى طلحة في الخيل، فقال: هذا أعان على عثمان، فرماه بسهم في ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات. وأخرجه الحاكم في المستدرك[١] (٣/٣٧٠).

أخرجه عبد الحميد بن صالح عن قيس، وأخرجه الطبراني[٢] من طريق يحيى ابن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند، قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذٍ بسهم فوقع في عين ركبته، فما زال الدم يسيح إلى أن مات.

وأخرج الحاكم في المستدرك[٣] (٣/٣٧٠) من طريق عكراش قال: كنّا نقاتل عليّاً مع طلحة ومعنا مروان، قال: فانهزمنا، فقال مروان: لا أدرك بثاري بعد اليوم من طلحة. فرماه بسهم فقتله.

وقال محبّ الدين الطبري في الرياض[٤] (٢/٢٥٩): المشهور أنّ مروان بن الحكم هو الذي قتله، رماه بسهم وقال: لا أطلب بثاري بعد اليوم. وذلك أنّ طلحة زعموا أنّه كان ممّن حاصر عثمان واشتدّ عليه.

وأخرج البلاذري في الأنساب[٥] (ص١٣٥)، في حديث عن روح بن زنباع: أنّه قال: رمى مروان طلحة فاستقاد منه لعثمان.

يوجد حديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيدالله أخذاً بثار عثمان في[٦]:

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣/٤١٨ ح٥٥٩١.

(٢) المعجم الكبير: ١/١١٣ ح٢٠١.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/٤١٧ ح٥٥٨٩.

(٤) الرياض النضرة: ٤/٢٣٠.

(٥) أنساب الأشراف: ٦/٢٦٧.

(٦) مروج الذهب: ٢/٣٨٢، العقد الفريد: ٤/١٢٨، المستدرك على الصحيحين: ٣/٤١٨ ح٥٥٩٣، الكامل في التاريخ: ٢/٣٣٨ حوادث سنة ٣٦هـ، صفة الصفوة: ١/٣٤١ رقم٦، أُسد الغابة: ٣/٨٨ رقم٢٦٢٥، دول الإسلام: ص٢٣، البداية والنهاية: ٧/٢٦٩ حوادث سنة ٣٦هـ، تذكرة الخواص: ص٧٧، تهذيب التهذيب: ٥/ ٢، تاريخ ابن شحنة(روض المناظر): ١/٢١٧.

مروج الذهب (١١/٢)، العقد الفريد (٢٧٩/٢)، مستدرك الحاكم (٣٧٠/٣)، الكامل لابن الأثير (١٠٤/٣)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١٣٢/١)، أُسد الغابة (٦١/٣)، دول الإسلام للذهبي / (١٨/١)، تاريخ ابن كثير (٢٤٧/٧)، تذكرة السبط (ص٤٤)، مرآة الجنان لليافعي (٩٧/١)، تهذيب التهذيب (٢١/٥)، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل (١٨٩/٧). ٩٩/٩

١٨ ـ أخرج ابن سعد[١] بالإسناد عن شيخ من كلب، قال: سمعت عبدالملك ابن مروان يقول: لولا أنّ أمير المؤمنين مروان أخبرني أنّه قتل طلحة ما تركت أحداً من ولد طلحة إلّا قتلته بعثمان.

١٩ ـ أخرج الحُميدي في النوادر من طريق سفيان بن عيينة، عن عبدالملك بن مروان، قال: دخل موسى بن طلحة على الوليد، فقال له الوليد: ما دخلت عليّ قطّ إلّا هممتُ بقتلك لولا أنّ أبي أخبرني أنّ مروان قتل طلحة.

تهذيب التهذيب[٢] (٢٢/٥).

٢٠ ـ أخرج الطبري في حديث: فقام طلحة والزبير خطيبين ـ يعني بالبصرة ـ فقالا: يا أهل البصرة توبة بحوبة، إنّما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نُرد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه، فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا.

تاريخ الطبري[٣] (١٧٩/٥).

٢١ ـ ذكر المسعودي في حديث وقعة الجمل: ثمّ نادى عليّ عليه السلام طلحة حين

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢٢٣/٣.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٠/٥.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٦٩/٤ حوادث سنة ٣٦هـ.

رجع الزبير: «يا أبا محمد ما الذي أخرجك؟» قال: الطلب بدم عثمان. قال عليّ: «قتل الله أولانا بدم عثمان»[١].

مروج الذهب[٢] (١١/٢).

٢٢ ـ لمّا نزل طلحة والزبير السبخة[٣]، أتاهما عبدالله بن حكيم التميمي بكتبٍ كانا كتباها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بلى. قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه، فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلّا هذه الدنيا، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليٍّ ما عرض عليك من البيعة؟ فبايعته طائعاً راضياً ثمّ نكثت بيعتك، ثمّ جئت لتدخلنا في فتنتك[٤]. الحديث.

٢٣ ـ قال ابن قتيبة: ذكروا أنّه لمّا نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطفّ لها الناس في الطريق يقولون: يا أُمّ المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك؟ فلمّا أكثروا ١٠٠/٩
عليها تكلّمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس، فحمدت الله وأثنت عليه، ثمّ قالت:

أيّها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحلّ دمه[٥] ولقد قتل مظلوماً، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل! وإنّ من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به، ثمّ يردّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطّاب. فمن قائل يقول: صدقت، وآخر يقول: كذبت. فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب

---

(١) لقد استجاب الله تعالى دعاء الإمام عليه السلام، فقتل طلحة في أسرع وقت. (المؤلّف)

(٢) مروج الذهب: ٣٨٢/٢.

(٣) السبخة بالتحريك: موضع بالبصرة [معجم البلدان: ١٨٣/٣]. (المؤلّف)

(٤) شرح ابن أبي الحديد: ٥٠٠/٢ [٣١٨/٩ خطبة ١٧٣]. (المؤلّف)

(٥) أنّى هذا المحال والتمحّل من قوارصها التي مرّت في ص٧٧ ـ ٨٥. (المؤلّف)

بعضهم وجوه بعض، فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان. فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردّك على ما كنت عليه، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان، وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه؟ وقد زعمتما أنّ عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله، إذ كنتما أسنّ منه فأبيتما إلّا أن تقدّماه لقرابته وسابقته فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنّه غير فاعل، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نردّ بيعته فنقتل، فبايعناه كارهين، قال: فما بدا لكما في عثمان؟ قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إيّاه، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلّا الطلب بدمه. قال: ما تأمراني به؟ قال: بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته، قال: أرأيتما إن أتانا بعدكما من يدعونا [إلى ما تدعوان][1] إليه، ما نصنع؟ قالا: لا تبايعه. قال: ما أنصفتما، أتأمراني أن أُقاتل عليّاً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما، وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما؟ أما إنّنا قد بايعنا عليّاً، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا. قال: ثمّ تفرّق الناس، فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف، وفرقة مع طلحة والزبير.

ثمّ جاء جارية بن قدامة، فقال: يا أُمّ المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنّه كانت لك من الله تعالى حرمة وستر، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك فقد رأى قتلك، فإن كنت يا أُمّ المؤمنين أتيتِنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتِنا مستكرهة فاستعتبي [الله][2].

---

(١) من المصدر.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ٦٠ [١/ ٦٤ وما بين المعقوفين منه]. (المؤلّف)

١٠١/٩ ٢٤ ـ ذكر أبو مخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة[١] لمولانا أمير المؤمنين قوله: «اللّهمّ إنّ طلحة نكث بيعتي وألّب على عثمان حتى قتله ثمّ عضهني[٢] به ورماني، اللّهمّ فلا تمهله، اللهمّ إنّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر على عدوّي، فاكفنيه اليوم بما شئت»[٣].

٢٥ ـ أخرج الطبري في تاريخه[٤] (١٨٣/٥)؛ من طريق علقمة بن وقّاص الليثي، قال: لمّا خرج طلحة والزبير وعائشة ﷺ رأيت طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بلحيته على زوره[٥]، فقلت: يا أبا محمد أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب بلحيتك على زورك، إن كرهت شيئاً فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بن وقّاص، بينا نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً، إنّه كان منّي في عثمان شيء ليس توبتي إلّا أن يسفك دمي في طلب دمه.

الوجه في هذه التوبة إن صحّت وكان الموؤد من النفوس المحترمة أن يسلّم نفسه لأولياء القتيل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه، لا أن يلقح فتنة كبرى تراق فيها دماء بريئة من دم عثمان، وتزهق أنفس لم تكن هنالك في حلّ ولا مرتحل، فيكون قد زاد ضغثاً على إبّالة[٦]، وجاء بها حشفاً وسوء كيلة[٧].

---

(١) ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٠١/١ [٣٠٦/١ خطبة ٢٢]. (المؤلّف)

(٢) العَضه والعضيهة: البهتان والافتراء.

(٣) يا لها من دعوة مستجابة أصابت الرجلين من دون مهلة. (المؤلّف)

(٤) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٧٦/٤ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٥) الزور: الصدر. وقيل: وسط الصدر. وقيل: أعلى الصدر. وقيل: ملتقى أطراف عظام الصدر. (المؤلّف)

(٦) مجمع الأمثال: ٢٦٠/٢ رقم ٢٢٠٢.

(٧) المصدر السابق: ٣٦٧/١ رقم ١٠٩٨. والمثل: أَحَشّفاً وسُوءَ كيلَةٍ؟ ويضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

- ٥ -

حديث الزبير بن العوام

أحد العشرة المبشّرة ، وأحد أصحاب الشورى الستّة

١ ـ أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل: خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا، فقال عليّ للزبير: «ما جاء بك؟» قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منّا. فقال عليّ: «لست[1] له أهلاً بعد عثمان ﷺ؟ قد كنّا نعدّك من بني عبدالمطّلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك». وعظّم عليه أشياء، فذكر أنّ النبيّ ﷺ مرّ عليهما فقال لعليّ: «ما يقول ابن عمّتك؟ ليقاتلنّك وهو لك ظالم»[2]. / فانصرف عنه الزبير وقال: فإنّي لا أُقاتلك، فرجع إلى ابنه عبدالله، فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة. فقال له ابنه: إنّك قد خرجت على بصيرة، ولكنّك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت أنّ تحتها الموت فجبنت، فأحفظه حتى أرعد وغضب، وقال: ويحك إنّي قد حلفت له ألّا أُقاتله. فقال له ابنه: كفّر عن يمينك بعتق غلامك سرجيس فأعتقه وقام في الصفّ معهم، وكان عليّ قال للزبير: «أتطلب منّي دم عثمان، وأنت قتلته؟ سلّط الله على أشدّنا عليه اليوم ما يكره»[3]. ١٠٢/٩

وقول عليّ ﷺ للزبير: «أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته؟ ...» إلخ. أخرجه أيضاً الحافظ العاصمي في زين الفتى. وفي لفظ المسعودي: قال عليّ: «ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟» قال: دم عثمان. قال عليّ: «قتل الله أولانا بدم عثمان».

---

(١) في الكامل لابن الأثير [٢/٣٣٥ حوادث سنة ٣٦هـ]: ألست. (المؤلّف)

(٢) هذا الحديث أخرجه جمع من الحفّاظ كما أسلفناه في الجزء الثالث: ص١٩١. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الطبري: ٥/٢٠٤ [٤/٥٠٨ حوادث سنة ٣٦هـ]، مروج الذهب: ٢/١٠ [٢/٣٨٠]، الكامل لابن الأثير: ٣/١٠٢ [٢/٣٣٥ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

قال الأميني: إنّما حلف الزبير على ترك القتال لأنّه وجده بعد تذكير الإمام عليه السلام له الحديث النبويّ، وبعد إتمام الحجّة عليه بذلك محرّماً عليه في الدين، وأنّه من الظلم الفاحش الذي استقلّ العقل بتحريمه، فهل التكفير بعتق الغلام يُبيح ذلك المحرّم بالعقل والشريعة، ويسوّغ الخروج على الإمام المفترض طاعته؟ لا، لكن تسويل عبدالله هو الذي فرّق بين الزبير وبين آل عبدالمطّلب، وأباح له كلّ محظور، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النصّ النبويّ، وصدّق الخبر الخبر.

٢ ـ ذكر المسعودي في حديث: إنّ مروان بن الحكم قال ـ يوم الجمل ـ: رجع الزبير، ويرجع طلحة، ما أُبالي رميت هاهنا أم هاهنا، فرماه في أكحله فقتله. مروج الذهب[١] (٢/١١).

٣ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج[٢] (٢/٤٠٤): كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً عليه، وكان الزبير دونه في ذلك، رووا أنّ الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم. فقالوا له: إنّ ابنك يحامي عنه بالباب. فقال: ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدئ بابني، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً.

٤ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[٣] (٥/٧٦) من طريق أبي مخنف قال: جاء الزبير إلى عثمان فقال له: إنّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة يمنعون من ظلمك، ويأخذونك / بالحقّ، فاخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، فخرج فوثب ١٠٣/٩
الناس عليه بالسلاح فقال: يا زبير ما أرى أحداً يأخذ بحقّ، ولا يمنع من ظلم، ودخل ومضى الزبير إلى منزله.

---

(١) مروج الذهب: ٢/٣٨٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٩/٣٥ ـ ٣٦ خطبة ١٣٧.

(٣) أنساب الأشراف: ٦/١٩٥.

٥ ـ قال البلاذري في الأنساب[١] (١٤/٥): وجدت في كتاب لعبدالله بن صالح العجلي، ذكروا: أنّ عثمان نازع الزبير، فقال الزبير: إن شئت تقاذفنا، فقال عثمان: بماذا أبالبعير يا أبا عبدالله؟ قال: لا والله ولكن بطبع خبّاب، وريش المقعد، وكان خبّاب يطبع السيوف، وكان المقعد يريش النبل. وقال ابن المغيرة بن الأخنس متغنّياً على قعود له:

حكيم وعمّار الشجا ومحمد ... وأشتر والمكشوح جرّوا الدواهيا
وقد كان فيها للزبير عجاجة ... وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا[٢]

ـ ٦ ـ
حديث طلحة والزبير

١ ـ من كلام لمولانا أمير المؤمنين في شأن الرجلين: «والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه، فإنّ لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم، وإنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم، وإنّ معي لبصيرتي ما لبّست ولا لُبّس عليّ، وإنّها للفئة الباغية فيها الحمأ والحمّة»[٣].

نهج البلاغة[٤] (٢٥٤/١).

وفي لفظ أبي عمر في الاستيعاب[٥] في ترجمة طلحة بن عبيد الله: «إنّي مُنيت

---

(١) أنساب الأشراف: ١١٧/٦.

(٢) كتاب صفّين لابن مزاحم، طبع مصر: ص ٦٠، ٦٦ [ص ٥٤]. (المؤلّف)

(٣) قال ابن أبي الحديد [٣٣/٩ خطبة ١٣٧]: كنّى عليّ عليه السلام عن الزوجة بالحمّة. وهي: سمّ العقرب. والحمأ: يضرب مثلا لغير الطيّب ولغير الصافي. (المؤلّف)

(٤) نهج البلاغة: ص ١٩٤ خطبة ١٣٧.

(٥) الاستيعاب: القسم الثاني/٧٦٧ رقم ١٢٨٠. ومُنية اسم أُمّ يعلى أو جدّته لأبيه، واسم أبيه أُميّة.

بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى الفتنة يعلى بن منية، والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً، ولا استأثرت بمال، ولا ملت بهوى، وإنّهم ليطلبون حقّاً تركوه، ودماً سفكوه، ولقد ولّوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، وما تبعة عثمان إلّا عندهم، وإنّهم لهم الفئة الباغية». إلى قوله ﷺ: «والله إنّ طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وأنّهم مبطلون».

١٠٤/٩ ٢ ـ من كتاب له ﷺ إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: «أمّا بعد؛ فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه: إنّ الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه، وأقلّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأُتيح له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيّرين».

نهج البلاغة (٢/٢)، الإمامة والسياسة (٥٨/١)[١].

قال ابن أبي الحديد في الشرح[٢] (٢٩٠/٣): أمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه ـ على عثمان ـ والوجيف: سير سريع، وهذا مثل يقال للمشمّرين في الطعن عليه، حتى أنّ السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره، والحداء العنيف أرفق ما يحرّضان به عليه.

٣ ـ قال البلاذري[٣]: حدّثني المدائني عن ابن الجعدبة، قال: مرّ عليّ بدار بعض آل أبي سفيان، فسمع بعض بناته تضرب بدف وتقول:

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٦٣ كتاب ١، الإمامة والسياسة ٦٣/١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧/١٤ كتاب ١.

(٣) أنساب الأشراف: ٢٢٩/٦.

ظلامة عثمان عند الزبير وأوتر منه لنا طلحة
هما سعّراها بأجذالها وكانا حقيقين بالفضحة

فقال عليّ : « قاتلها الله ، ما أعلمها بموضع ثأرها! » .

٤ ـ أخرج الطبري من طريق ابن عبّاس ، قال : قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان ﷺ بخمسة أيّام ، فجئت عليّاً أدخل عليه ، فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبة ، فجلست بالباب ساعة ، فخرج المغيرة فسلّم عليّ فقال : متى قدمت ؟ فقلت : الساعة .

فدخلت على عليّ فسلّمت عليه ، فقال لي : « لقيت الزبير وطلحة ؟ » قال : قلت : لقيتهما بالنواصف . قال : « من معهما ؟ » قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش . فقال عليّ : « أما إنّهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون : نطلب بدم عثمان ، والله يعلم أنّهم قتلة عثمان » .

تاريخ الطبري[1] (١٦٠/٥) .

٥ ـ أخرج الطبري عن عمر بن شبّه ، من طريق عتبة بن المغيرة ابن الأخنس ، قال : لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق ، فقال : أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل ؟ اقتلوهم[2] ثمّ ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم . قالوا : / بل نسير فلعلّنا نقتل قتلة عثمان جميعاً . فخلا ١٠٥/٩
سعيد بطلحة والزبير ، فقال : إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ أصدقاني . قالا : لأحدنا أيّنا اختاره الناس . قال : بل اجعلوه لولد عثمان فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه . قالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٤٤٠/٤ حوادث سنة ٣٥ هـ .

(٢) يعني طلحة والزبير وأصحابهما . (المؤلّف)

عبد مناف؟ فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن أسيد، فقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما رأى سعيد، من كان هاهنا من ثقيف فليرجع، فرجع. الحديث.

تاريخ الطبري[١] (١٦٨/٥).

٦ ـ وفي كتاب كتبه ابن عبّاس إلى معاوية جواباً: وأمّا طلحة والزبير؛ فإنّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه، ثمّ خرجا ينقضان البيعة، ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، كما قاتلناك على البغي.

كتاب نصر بن مزاحم (ص٤٧٢)، شرح ابن أبي الحديد (٢٨٩/٢)[٢].

٧ ـ قدم على حابس بن سعد سيّد طيّ بالشام ابن عمّه فأخبره أنّه شهد قتل عثمان بالمدينة المنوّرة، وسار مع عليّ إلى الكوفة، وكان له لسان وهيبة، فغدا به حابس إلى معاوية فقال: هذا ابن عمّي قدم من الكوفة، وكان مع عليّ وشهد قتل عثمان بالمدينة، وهو ثقة. فقال معاوية: حدّثنا عن أمر عثمان. قال: نعم وليه محمد بن أبي بكر، وعمّار بن ياسر، وتجرّد في أمره ثلاثة نفر: عديّ بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحمق. ودبّ[٣] في أمره رجلان: طلحة والزبير، وأبرأ الناس منه عليّ بن أبي طالب، ثمّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلّت[٤] النعل، وسقط الرداء ووطئ الشيخ ولم يذكر عثمان ولم يذكروه. إلخ.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٥٣/٤ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٢) وقعة صفين: ص٤١٥، شرح نهج البلاغة: ٦٦/٨ خطبة ١٣٤.

(٣) لفظ ابن مزاحم: وجدّ في أمره رجلان. (المؤلّف)

(٤) وفي لفظ: ضاعت النعل. (المؤلّف)

الإمامة والسياسة (٧٤/١)، كتاب صفّين لابن مزاحم (ص٧٢)، شرح ابن أبي الحديد (٢٥٩/١)[١].

٨ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[٢] (١١٨/٣)، بإسناده عن إسرائيل بن موسى أنّه قال: سمعت الحسن يقول: «جاء طلحة والزبير إلى البصرة، فقال لهم الناس: ما جاء بكم؟ قالوا: نطلب دم عثمان. قال الحسن: أيا سبحان الله أفما كان للقوم عقول فيقولون: والله ما قتل عثمان غيركم؟».

١٠٦/٩ ٩ ـ لمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى[٣] قريباً من البصرة، أرسل عثمان بن حنيف ـ وهو يومئذٍ عامل عليّ على البصرة ـ إلى القوم أبا الأسود الدؤلي، فجاء حتى دخل على عائشة، فسألها عن مسيرها، فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت ولكنهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسيف؟ إنّما أنت حبيس رسول الله ﷺ أمرك أن تقرّي في بيتك، وتتلي كتاب ربّك، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وإنّ عليّاً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً، فإنّهما ابنا عبد مناف. فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت إليه، أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتُقاتَلِنّ قتالاً أهونه الشديد.

ثمّ قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبدالله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر

---

(١) الإمامة والسياسة: ٧٨/١، وقعة صفين: ص٦٥، شرح نهج البلاغة: ١١١/٣ خطبة ١٢٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ١٢٨/٣ ح٤٦٠٦.

(٣) حُفر أبي موسى: هي ركايا حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة، بينها وبين البصرة خمس ليال [معجم البلدان: ٢٧٥/٢]. (المؤلّف)

آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول. فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيّه، مصرّاً على الحرب والفتنة. الحديث.

الإمامة والسياسة (٥٧/١)، العقد الفريد (٢٧٨/٢)، شرح ابن أبي الحديد (٨١/٢)[١].

١٠ ـ خرج عثمان بن حُنيف إلى طلحة والزبير في أصحابه، فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً، فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك؟ أين بنوه؟ أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلّا والله، ولكنّكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحد أشدّ على عثمان قولاً منكما؟ فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمّه. الحديث.

شرح ابن أبي الحديد[٢] (٥٠٠/٢).

١١ ـ لمّا نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له، فأشرف على الناس، ومعه المغيرة بن شعبة، فنزل وتوكّأ على قوس له سوداء، فأتى عائشة، فقال لها: أين تريدين يا أُمّ المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة. / قال: وما تصنعين بالبصرة؟ قالت: أطلب بدم عثمان. قال: ١٠٧/٩
فهؤلاء قتلة عثمان معك، ثمّ أقبل على مروان فقال له: وأنت أين تريد أيضاً؟ قال: البصرة. قال: وما تصنع بها؟ قال: أطلب قتلة عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك،

---

(١) الإمامة والسياسة: ٦١/١، العقد الفريد: ١٢٤/٤، شرح نهج البلاغة: ٢٢٥/٦ خطبة ٧٩.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٣١٩/٩ خطبة ١٣٧.

إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان: طلحة والزبير، وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غُلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم، والحوبة بالتوبة.

ثمّ قال المغيرة بن شعبة: أيّها الناس إن كنتم إنّما خرجتم مع أُمّكم، فارجعوا بها خيراً لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً، فبيّنوا ما نقمتم عليه، أنشدكم الله، فتنتين في عام واحد. فأبوا إلّا أن يمضوا بالناس.

الإمامة والسياسة[1] (١/٥٥).

١٢ ـ لمّا نزل طلحة والزبير البصرة، قال عثمان بن حنيف: نعذر إليهما برجلين. فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله، وأبا الأسود الدؤلي، فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا: يا طلحة فأجابهما، فتكلّم أبو الأسود الدؤلي، فقال: يا أبا محمد إنّكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، وبايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، ولم نغضب لعليّ إذ بويع، ثمّ بدا لكم فأردتم خلع عليّ، ونحن على الأمر الأوّل، فعليكم المخرج ممّا دخلتم فيه. ثمّ تكلّم عمران، فقال: يا طلحة إنّكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم عليّاً وبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صواباً، فمسيركم لماذا؟ وإن كان خطأ فحظّكم منه الأوفر، ونصيبكم منه الأوفى، فقال طلحة: يا هذان إنّ صاحبكما لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره، وليس على هذا بايعناه، وأيم الله ليسفكنّ دمه. فقال أبو الأسود: يا عمران أمّا هذا فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك. ثمّ أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبدالله إنّا أتينا طلحة. قال الزبير: إنّ طلحة

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/٦٠.

وإيّاي كروح في جسدين، وإنّه والله يا هذان قد كانت منّا في عثمان فلتات، احتجنا فيها إلى المعاذير، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه. الحديث.

الإمامة والسياسة[١] (٥٦/١).

١٣ ـ من خطبة لعمّار بن ياسر خطبها بالكوفة، فقال: يا أهل الكوفة إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أُمورنا، إنّ قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجّيهم، فيه أحيى الله من أحيى / وأمات من أمات، وإنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن وآخر من أمر، وكانا ١٠٨/٩
أوّل من بايع عليّاً، فلمّا أخطأهما ما أمّلاه نكثا بيعتهما من غير حدث. الحديث.

الإمامة والسياسة[٢] (٥٩/١).

١٤ ـ روى البلاذري عن المدائني، قال: ولّى عبدالملك علقمة بن صفوان بن المحرث مكة فشتم طلحة والزبير على المنبر. فلمّا نزل قال لأبان بن عثمان: أرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين عثمان؟ قال: لا والله، ولكن سؤتني بحسبي بليّة أن تكون شركاً في دمه.

الأنساب للبلاذري[٣] (١٢٠/٥).

١٥ ـ أخرج أبو الحسن علي بن محمد المدائني من طريق عبدالله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين منها قوله: «بايعني هذان الرجلان في أوّل من بايع، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذةً واحدةً رابية، ولا تنعش لهما صرعة،

---

(١) الإمامة والسياسة: ٦١/١.

(٢) المصدر السابق: ص٦٤.

(٣) أنساب الأشراف: ٢٤٩/٦.

ولا تُقِل لها عثرة، ولا تمهلها فواقا، فإنّهما يطلبان حقّاً تركاه، ودماً سفكاه، اللّهمّ إنّي أقتضيك وعدك، فإنّك قلت وقولك الحقّ: لمن بغي عليه لينصرنّه الله، اللّهمّ فأنجز لي موعدك، ولا تَكِلني إلى نفسي إنّك على كلّ شيء قدير».

شرح ابن أبي الحديد[1] (١٠٢/١).

١٦ ـ من خطبة لمولانا أمير المؤمنين ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد[2] (١٠٢/١): «فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل؟ لم يصبرا عليّ حولاً ولا شهراً حتى وثبا ومرقا، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلا، بعد أن بايعا طائِعينِ غيرَ مكرهَينِ، يرتضعان أُمّاً قد فطمت، ويُحييانِ بدعة قد أُميتت، أدم عثمان زعما؟ والله ما التبعة إلّا عندهم وفيهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، وأنا راضٍ بحجّة الله عليهم وعلمهُ فيهم». الحديث.

١٧ ـ من كلمة لمالك الأشتر: لعمري يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيّل، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه، وفارقا على غير حدث أحدثت، ولا جور صنعت، فإن زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما، فإنّهما أوّل من ألّب عليه وأغرى الناس بدمه، وأُشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقنّهما بعثمان، / فإنّ سيوفنا في عواتقنا، وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنا أمس. ١٠٩/٩

شرح ابن أبي الحديد[3] (١٠٣/١).

قال الأميني: إنّ الأخذ بمجامع هذه الأخبار البالغة خمسين حديثاً يعطينا درساً ضافياً بأنّ الرجلين هما أساس النهضة في قصّة عثمان، وهما اللذان أسعرا عليه الفتنة

---

(١) و(٢) شرح نهج البلاغة: ٣٠٧/١ و ٣٠٨ خطبة ٢٢.

(٣) المصدر السابق: ص٣١١.

وأنّهما لم يَريا حرجاً في إراقة دمه، وقد استباحا عندئذ ما يحرم ارتكابه في المسلمين إلّا أن يكون مهدور الدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك، فلم يتركاه حتى أوديا به، وكان لطلحة هنالك مواقف مشهودة، فمنع عنه الماء الذي هو شرع سواء بين المسلمين، وأنّه لم يردّ على عثمان لمّا سلّم عليه ومن الواجب شرعاً ردّ السلام على كلّ مسلم، وقد منع عن دفنه ثلاثاً في مقابر المسلمين، وقد أوجبت الشريعة الإسلاميّة المبادرة إلى دفن المسلم، وقد أمر برمي الجنازة ورمي من يتولّى تجهيزها بالحجارة والمسلم حرمته ميتاً كحرمته حيّاً، فلم يرض طلحة بالأخير إلّا دفنه في مقبرة اليهود حشّ كوكب. وهل لهذه الأعمال وجه بعد حفظ كرامة صحبتهما؟ والقول بعدالة الصحابة كلّهم؟ وقبول ما ورد في الرجلين أنّهما من العشرة المبشّرة؟ إلّا أن يُقال: إنّهما كانا يريان القتيل خارجاً عن حوزة المسلمين؛ وإلّا لردعتهما الصحبة والعدالة والبشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أيّ من ساقة المسلمين فضلاً عن خليفتهم.

ونحن في هذا المقام نقف موقف المحايد، ولسنا هاهنا إلّا في صدد بيان آراء الصحابة الأوّلين في عثمان، وما أفضناه من رأيهما كان معروفاً عنهما في وقتهما، ولم يزل كذلك في الأجيال المتأخّرة عنهما حتى العصر الحاضر، إن كانت الآراء تُؤخذ من المصادر الوثيقة، وكانت حرّة غير مشوبة بحكم العاطفة، نزهة عن الميول والشهوات.

وأمّا ما أظهراه من التوبة بعد أن نكثا البيعة الصحيحة المشروعة فقد قدّمنا وجهها في (ص١٠١) في طلحة ويشاركه في ذلك الزبير أيضاً. فقد قفّيا الحوبة بالحوبة لا بالتوبة حسبا ـ إن كانا يصدقان ـ أنّها تمحو السيّئة، بل الحوبة الأخيرة أعظم عندالله، فقد أراقا بها من الصفّين في واقعة الجمل دماءً تعدّ بالآلاف بريئة من دم عثمان.

وهتكا حرمة رسول الله بإخراج حشيّة من حشاياه من خدرها، وقد

نهى ﷺ نساءه عن ذلك، وأوقفاها في محتشد العساكر وجبهة القتال الدامي، وقصدا
١١٠/٩ قتل إمام الوقت / المفترض طاعته الواجب حفظه، ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيسَ فِي قُلُوبِهِم ﴾[١] ﴿ وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُحِيطٌ ﴾[٢].

- ٧ -

حديث عبدالله بن مسعود

الصحابيّ البدريّ العظيم

مرّ في هذا الجزء (ص٣ ـ ٦) شطر من أحاديثه المعربة عن رأيه السديد في عثمان وعمّا كان حاملاً بين جنبيه من الموجدة عليه، وأنّه كان من الناقمين عليه يعيبه ويقدح فيه، أفسد عليه العراق بذكر محدثاته، وأخذه عثمان بذلك أخذاً شديداً وحبسه وهجره ومنعه عطاءه سنين وأمر به وأُخرج من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً، وضرب به الأرض فدقّ ضلعه وضربه أربعين سوطاً.

وكان ابن مسعود على اعتقاده السيّئ في الرجل مغاضباً له حتى لفظ نفسه الأخير وأوصى أن لا يصلّي عليه، وفي الفتنة الكبرى[٣] (ص١٧١): روي أنّ ابن مسعود كان يستحلّ دم عثمان أيّام كان في الكوفة، وهو كان يخطب الناس، فيقول: إنّ شرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ محدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار[٤]. يعرّض في ذلك بعثمان وعامله الوليد. انتهى.

هذا رأي ذلك الصحابيّ العظيم في الرجل، فبأيّ تمحّل يتأتّى للباحث تقديس

---

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) البروج: ٢٠.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين: ج ٣٦٦/٤.

(٤) راجع: ص٣ من هذا الجزء: (المؤلّف)

عثمان بعد ما يستحلّ دمه أو يشدّد النكير عليه ويراه صاحب محدثات وبدع مثل ابن مسعود أشبه الناس هدياً ودلّاً وسمتاً بمحمد نبيّ العظمة ﷺ ؟

- ٨ -

حديث عمّار بن ياسر

البدريّ العظيم الممدوح بالكتاب والسنّة

١ ـ من خطبة لعمّار خطبها يوم صفّين قال:

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنّهم يطلبون بدم ظالم، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه، فقالوا: إنّه لم يُحدِث / شيئاً، وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا، فهم ١١١/٩
يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدمت الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون بدم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلَوْها واستمرؤوها، وعلموا أنّ صاحب الحقّ لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها. إنّ القوم لم يكن لهم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، ولولاها ما تابعهم من الناس رجل. إلخ.

وفي لفظ نصر بن مزاحم في كتاب صفّين: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان... إلى آخره، وله لفظ آخر يأتي بعيد هذا.

وفي لفظ الطبري في تاريخه: أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم

ابن عفّان، ويزعمون أنّه قتل مظلوماً.

راجع[١]: كتاب صفّين لابن مزاحم طبع مصر (ص ٣٦١، ٣٦٩)، تاريخ الطبري (٢١/٧)، الكامل لابن الأثير (١٢٣/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٥٠٤/١)، تاريخ ابن كثير (٢٦٦/٧)، جمهرة الخطب (٨١/١).

٢ ـ خطب معاوية يوم وفد إليه وفد[٢] بعثه إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

أمّا بعد؛ فإنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا، وفرّق جماعتنا، وآوى ثأرنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله، فنحن لا نردّ ذلك عليه، أرأيتم قتلة صاحبنا؟ ألستم تعلمون أنّهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به، ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث بن ربعي: أيسرّك يا معاوية أنّك أُمكنت من عمّار تقتله؟ وفي لفظ ابن كثير: لو تمكّنت من عمّار أكنت قاتله بعثمان؟ فقال معاوية: وما يمنعني من ذلك؟ والله لو أُمكنت[٣] من ابن سميّة ما قتلته بعثمان عليه السلام، ولكن / كنت قاتله بناتل مولى عثمان. ١١٢/٩

فقال شبث: وإله الأرض وإله السماء ما عدلت معتدلاً، لا والذي لا إله إلّا هو، لا تصل إلى عمّار حتى تندر الهام عن كواهل الأقوام، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها. إلخ.

---

(١) وقعة صفين: ص٣١٩ و ٣٢٦، تاريخ الأُمم والملوك: ٣٩/٥ حوادث سنة ١٣٧هـ، الكامل في التاريخ: ٣٨٠/٢ حوادث سنة ٣٧هـ، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/٥ خطبة ٦٥، البداية والنهاية: ٢٩٦/٧ حوادث سنة ٣٧هـ، جمهرة خطب العرب: ٣٥٧/١ خطبة ٢٤٥.

(٢) كان فيه: عديّ بن حاتم، يزيد بن قيس، شبث بن ربعي، زياد بن حفصة. (المؤلّف)

(٣) في لفظ ابن مزاحم: لو أمكنني صاحبكم من ابن سميّة. (المؤلّف)

كتاب صفّين لابن مزاحم (ص٢٢٣)، تاريخ الطبري (٣/٦)، الكامل لابن الأثير (١٢٤/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣٤٤/١)، تاريخ ابن كثير (٢٥٧/٧)، جمهرة الخطب (١٥٨/١)[١].

٣ ـ أرسل أمير المؤمنين ابنه الحسن وعمّار بن ياسر إلى الكوفة، فلمّا قدماها كان أوّل من أتاهما مسروق بن الأجدع فسلّم عليهما، وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ﷺ؟ قال: على شتم أعراضنا، وضرب أبشارنا[٢]. فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين.

فخرج أبو موسى، فلقي الحسن فضمّه إليه، وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان أعدوت[٣] فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفجّار؟ قال: لم أفعل ولم يسؤني، فقطع عليهما الحسن، فأقبل على أبي موسى فقال: «يا أبا موسى لم تُثبّط الناس عنّا؟ فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء»، فقال: صدقت بأبي أنت وأُمّي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب»، وقد جعلنا الله عزّ وجلّ إخواناً وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾[٤] وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ

---

(١) وقعة صفّين: ص١٩٨، تاريخ الأُمم والملوك: ٦/٥ حوادث سنة ٣٧هـ، الكامل في التاريخ: ٣٦٨/٢ حوادث سنة ٣٧هـ، شرح نهج البلاغة: ٢١/٤ خطبة ٥٤، البداية والنهاية: ٢٨٧/٧ حوادث سنة ٣٧هـ، جمهرة خطب العرب: ٣٣٣/١ خطبة ٢٢٤.

(٢) أبشار جمع البشرة: أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان. (المؤلّف)

(٣) شرح ابن أبي الحديد: غدوت فيمن غدا. (المؤلّف)

(٤) النساء: ٢٩.

﴿يَقتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[١] الآية. فغضب عمّار وساءه، وقام وقال: يا أيّها الناس إنّما قال رسول الله له خاصّة: «أنت فيها قاعداً خير منك قائماً». وقام رجل من بني تميم فقال لعمّار: أُسكت أيّها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا.
١١٣/٩ و / ثار زيد بن صوحان. الحديث[٢].

تاريخ الطبري (١٨٧/٥)، شرح ابن أبي الحديد (٢٨٥/٣)، الكامل لابن الأثير (٩٧/٣)[٣].

٤ ـ قال الباقلاني في التمهيد (ص ٢٢٠): روي أنّ عمّاراً كان يقول: عثمان كافر. وكان يقول بعد قتله: قتلنا عثمان يوم قتلناه كافراً. وهذا سرف عظيم من خرج إلى ما هو دونه استحقّ الأدب من الإمام. فلعلّ عثمان انتهره وأدّبه لكثرة قوله: قد خلعت عثمان وأنا بريء منه، فأدّى الأدب إلى فتق أمعائه، ولو أدّى الأدب إلى تلف النفس لم يكن بذلك مأثوماً ولا مستحقّاً للخلع، فإمّا أن يكون ضربه باطلاً، وإمّا أن يكون صحيحاً فيكون ردعاً وتأديباً ونهياً عن الإغراق والسرف، وذلك صواب من فعل عثمان وهفوة من عمّار.

قال الأميني: هذه التمحّلات تضادّ ما صحّ وثبت عن النبيّ الأقدس في عمّار، ونحن لا يسعنا تكذيب النبيّ الصادق الأمين تحفّظاً على كرامة أيّ ابن أُنثى فضلاً عن أن يكون من أبناء الشجرة المنعوتة في القرآن.

٥ ـ روى أبو مخنف، عن موسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال:

---

(١) النساء: ٩٣.

(٢) في هذا الحديث أشياء موضوعة حذف بعضها ابن الأثير في الكامل وزاد فيه أيضاً، وهو من مكاتبات السري وكلّها باطل فيها دجل. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٨٢/٤ حوادث سنة ٣٦هـ، شرح نهج البلاغة: ١٩/١٤ خطبة ١، الكامل في التاريخ: ٣٢٧/٢ حوادث سنة ٣٦هـ.

أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذي قار، حتى نزلنا القادسيّة، فنزل الحسن وعمّار، ونزلنا معهما، فاحتبى عمّار بحمائل سيفه، ثمّ جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم، ثمّ سمعته يقول: ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من ألّا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقناه بالنار.

شرح ابن أبي الحديد[١] (٢٩٢/٣).

٦ ـ جاء في محاورة وقعت بين عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص، فيما أخرجه نصر في كتابه: قال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعليٌّ قتله، قال عمّار: بل الله ربّ عليٍّ قتله وعليٌّ معه. قال عمرو: أكنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال عمرو: فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار: وقد / قالها فرعون قبلك لقومه ألا تستمعون؟ الحديث. ١١٤/٩

كتاب صفّين لابن مزاحم (ص٣٨٤)، شرح ابن أبي الحديد (٢٧٣/٢)[٢].

٧ ـ إنّ عمّار بن ياسر نادى يوم صفّين[٣]: أين من يبغي رضوان ربّه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟ قال: فأتته عصابة من الناس، فقال: أيّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنّه قتل مظلوماً، والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله.

كتاب صفّين[٤] (ص٣٦٩).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١/١٤ خطبة ١.

(٢) وقعة صفّين: ص٣٣٨، شرح نهج البلاغة: ٢٢/٨ خطبة ١٢٤.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد: ٢٦٩/٢ [١٠/٨ خطبة ١٢٤]: ناداه في صفّين قبل مقتله بيوم أو يومين. (المؤلّف)

(٤) وقعة صفّين: ص٣٢٦.

وفي الفتنة الكبرى[1] (ص ١٧١): فقد روي أنّ عمّار بن ياسر كان يكفّر عثمان ويستحلّ دمه ويسمّيه نعثلاً.

قال الأميني: هذا الصحابي البطل الذي عرفته في صفحة (٢٠ ـ ٢٨) من هذا الجزء؛ عمّار بن ياسر المعنيّ في عدّة آيات كريمة من الذكر الحكيم، ومصبّ الثناء البالغ المتكرّر المستفيض من صاحب الرسالة، من ذلك: أنّه مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور معه أينما دار، وأنّه ما عُرض عليه أمران إلاّ أخذ بالأرشد منهما، وأنّه من نفر تشتاق إليهم الجنّة، وأنّه جلدة بين عينيه ﷺ، وأنّه تقتله الفئة الباغية، فمعتقد هذا الرجل العظيم، وهو متلفّع بهاتيك الفضائل كلّها في الخليفة ما تراه يكرّره من أنّه كان ظالماً لنفسه، حاكماً بغير ما أنزل الله، مريداً تغيير دين الله تغييراً أباح لهم قتله، وأنّه قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، إلى ما لهذه من عقائد تركته جازماً بما نطق به، مصرّاً على ما ارتكبه، معترفاً بأنّه كان مع المجهزين عليه، متأسّفاً على ما فاته من نبش قبره وإحراقه بالنار، فلم يبرح كذلك حتى أخذ يقاتل الطالبين بثاره مع قاتليه وخاذليه، مذعناً بأنّ الثائرين له مبطلون يجب قتالهم فلم يفتأ على هذا المعتقد حتى قتلته الفئة الباغية، أصحاب معاوية، وقاتله وسالبه وباغضه في النار نصّاً من النبيّ المختار ﷺ.

ـ ٩ ـ
حديث المقداد بن الأسود الكندي
فارس يوم بدر

قال اليعقوبي في تاريخه[2] (٢/١٤٠) في بيعة عثمان واستخلافه: مال قوم مع عليّ
١١٥/٩ ابن أبي طالب، وتحاملوا في القول على عثمان، فروى بعضهم قال: دخلت مسجد

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين: ج ٤/٣٦٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٦٣.

رسول الله، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف تلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فَسُلِبها، وهو يقول: واعجباً لقريش، ودفعهم هذا الأمر على[١] أهل بيت نبيّهم، وفيهم أوّل المؤمنين، وابن عمّ رسول الله، أعلم الناس وأفقههم في دين الله، وأعظمهم عناءً في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم للصراط المستقيم، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقيّ، وما أرادوا إصلاحاً للأمّة، ولا صواباً في المذهب، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

فدنوت منه فقلت: من أنت يرحمك الله، ومن هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو، وهذا الرجل عليّ بن أبي طالب، قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: يابن أخي إنّ هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان، ثمّ خرجت، فلقيت أبا ذر، فذكرت له ذلك، فقال: صدق أخي المقداد، ثمّ أتيت عبدالله بن مسعود، فذكرت ذلك له، فقال: لقد أخبرنا فلم نألُ.

وذكر ابن عبد ربّه في العقد[٢] (٢/٢٦٠) في حديث بيعة عثمان: فقال عمّار ابن ياسر ـ لعبد الرحمن ـ: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار إن بايعت عليّاً، قلنا: سمعنا وأطعنا. قال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا. فشتم عمّار ابن أبي سرح وقال: متى كنت تنصح للمسلمين؟ فتكلّم بنو هاشم وبنو أُميّة، فقال عمّار: أيّها الناس إنّ الله أكرمنا بنبيّنا وأعزّنا بدينه، فأنّى تُصرفون هذا الأمر عن بيت نبيّكم؟ فقال له رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يابن سميّة، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟ فقال سعد بن أبي وقّاص: أفرغ قبل أن يفتتن الناس، فلا تجعلنّ أيّها الرهط على أنفسكم سبيلا، ودعا عليّاً فقال: عليك عهدالله وميثاقه لتعملنّ

---

(١) كذا في المصدر.

(٢) العقد الفريد: ٤/١٠٠.

بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخليفتين من بعده، قال: «أعمل بمبلغ علمي وطاقتي». ثمّ دعا عثمان، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخليفتين من بعده. فقال: نعم، فبايعه. فقال عليّ «حبوته محاباة ليس ذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، أما والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك، والله كلّ يوم هو في شأن». فقال عبد الرحمن: يا عليّ لا تجعل على نفسك / سبيلاً، فإنّي قد نظرت ١١٦/٩
وشاورت الناس، فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحداً، فخرج عليّ وهو يقول: «سيبلغ الكتاب أجله»، قال المقداد: أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون، فقال: يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين. قال: لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. ثمّ قال المقداد: ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيّهم، ولا أقضى منهم بالعدل، ولا أعرف بالحقّ، أما والله لو أجد أعواناً. قال له عبدالرحمن: يا مقداد اتّق الله فإنّي أخشى عليك الفتنة.

وأخرج[1] الطبري نحوه في تاريخه (٣٧/٥)، وذكره ابن الأثير في الكامل (٢٩/٣، ٣٠)، وابن أبي الحديد في شرح النهج (٦٥/١).

وفي لفظ المسعودي في المروج[2] (٤٤٠/١): فقام عمّار في المسجد فقال: يا معشر قريش أمّا إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ها هنا مرّة وها هنا مرّة فما أنا بآمن أن ينزعه الله [منكم] فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله. وقام المقداد فقال: ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيّهم. فقال له عبدالرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو؟ فقال: إنّي والله لأُحبّهم بحبّ رسول الله ﷺ وإنّ الحقّ معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٣٢/٤ حوادث سنة ٢٣هـ، الكامل في التاريخ: ٢٢٣/٢ حوادث سنة ٢٣، شرح نهج البلاغة: ١٩٣/١ خطبة ٣.

(٢) مروج الذهب: ٣٦٠/٢. وما بين المعقوفين منه.

قريش ـ وإنّما تطوّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت ـ قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم، أما وايم الله يا عبدالرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إيّاهم مع رسول الله ﷺ يوم بدر. وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار.

ومرّ في هذا الجزء (ص١٧): أنّ المقداد أحد الجمع الذين كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع. راجع حديث البلاذري[١] المذكور.

قال الأميني: لعلّك تعرف المقداد ومبلغه من العظمة، ومبوّأه من الدين، ومثواه من الفضيلة. قال أبوعمر: كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار. هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلّها، أوّل من حارب فارساً في الإسلام. كان فارساً يوم بدر، ولم يثبت أنّه كان فيها على فرس غيره، وهو عند القوم أحد السبعة الذين أظهروا الإسلام، وأحد / النجباء الأربعة عشر وزراء رسول الله ١١٧/٩
ورفقائه[٢] سمّاه رسول الله ﷺ أوّاباً، كما في حديث أخرجه أبو عمر في الاستيعاب.

وأنّى يسع للباحث أن يستكنه ما لهذا الصحابيّ العظيم من الفضائل، أو يدرك شأوه وبين يديه قول رسول الله ﷺ في الثناء عليه: «إنّ الله أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبّهم: عليّ، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان»[٣].

---

(١) أنساب الأشراف: ١٦٢/٦.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣٤٨/٣، ٣٤٩ [٣٩١/٣ ح ٥٤٨٤ و ٣٩٢ ح ٥٤٨٧]، الاستيعاب: ٢٨٩/١ [القسم الرابع/١٤٨١ رقم ٢٥٦١]، أُسد الغابة: ٤١٠/٤ [٢٥١/٥ رقم ٥٠٦٩]، الإصابة: ٤٥٥/٣ [رقم ٨١٨٣]. (المؤلّف)

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه [٥٩٤/٥ ح ٣٧١٨]، وأبو عمر في الاستيعاب: ٢٩٠/١ [القسم الرابع/١٤٨٢ رقم ٢٥٦١]، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة: ٤١٠/٤ [٢٥٢/٥ رقم ٥٠٦٩]، وابن حجر في الإصابة: ٤٥٥/٣ [رقم ٨١٨٣]. (المؤلّف)

وقوله ﷺ : «إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة : عليّ، وعمّار، وسلمان، والمقداد»، أخرجه أبو نُعَيم في حلية الأولياء (١٤٢/١).

فهذا الرجل الدينيّ الذي يحبّه الله ويأمر نبيّه ﷺ بحبّه كان ناقماً على الخليفة واجداً على خلافته من أوّل يومه، متلهّفاً على استخلافه تلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فَسُلبها، وكان يُثبّط الناس ويُخذّلهم عنه، ويرى إمرته إمراً من الأمر[1] وإدّا، يعتقدها ظلماً على أهل بيت العصمة، ويستنجد أعواناً يقاتل بهم مستخلفيه كقتاله إيّاهم يوم بدر، هذا رأيه في عثمان من يوم الشورى قبل بوائقه، فكيف بعد ما شاهد منه من هنات وهنات؟

- ١٠ -

حديث حجر بن عدي الكوفي

سلام الله عليه وعلى أصحابه

إنّ معاوية بن أبي سفيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة (٤١) دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَع العصا، وقد قال المتلمّس[2]:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا ... وما عُلّم الإنسان إلّا ليعلما

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيّتي، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تتحمّ[3] عن شتم عليٍّ وذمّه، والترحّم على عثمان ١١٨/٩

---

(١) يقال: أمر إمر أي عجب منكر.

(٢) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة، توجد ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٥٢ [ص٩٩]، وفي المؤتلف والمختلف: ص٧١، ٢٠٢، ٢٠٧. (المؤلّف)

(٣) كذا في المصدر، والصحيح ظاهراً: لا تتحامَ، من التحامي وهو التهيّب والتورع.

والاستغفار له والعيب على أصحاب عليٍّ والإقصاء لهم وترك الإسماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جرّبت وجُرّبت وعملت قبلك لغيرك فلم يُذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذمّ. ثمّ قال: بل نحمد إن شاء الله.

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً لا يدع ذمّ عليّ والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، فكان حُجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّم الله ولعن. ثمّ قام فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ شُهَدَاءَ للهِ﴾[1]، وأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيّرون لأحقّ بالفضل، وأنّ من تزكّون وتُطرون أولى بالذمّ. فيقول له المغيرة: يا حجر لقد رُمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حجر ويحك اتّق السلطان، اتّق غضبه وسطوته، فإنّ غضبة السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً، ثمّ يكفّ عنه ويصفح، فلم يزل حتى كان في آخر إمارته، قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول وكانت مقالته: اللّهمّ ارحم عثمان بن عفّان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فإنّه عمل بكتابك واتّبع سنّة نبيّك ﷺ وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقُتل مظلوماً، اللّهمّ فارحم أنصاره وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه، ويدعو على قتلته. فقام حجر بن عدي فنعر نعرة بالمغيرة سمعها كلّ من كان في المسجد وخارجاً منه وقال: إنّك لا تدري بمن تولّع من هرمك أيّها الإنسان، مُر لنا بأرزاقنا وأُعطياتنا فإنّك قد حبستها عنّا وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت بذمّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين. قال: فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حجر وبرّ، مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فإنّا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئاً، وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه.

---

(١) النساء: ١٣٥.

إلى أن هلك المغيرة سنة (٥١)، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثمّ صعد المنبر فخطب ثمّ ذكر عثمان وأصحابه
١١٩/٩ فقرّظهم وذكر / قتلته ولعنهم، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة.

قال محمد بن سيرين: خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة فقال له حجر بن عدي: الصلاة. فمضى في خطبته ثمّ قال: الصلاة. فمضى في خطبته، فلمّا خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصى وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلمّا رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالناس، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثّر عليه فكتب إليه معاوية: أن شدّه في الحديد ثمّ احمله إليّ، فلمّا أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه فقال: لا، ولكن سمع وطاعة. فشُدّ في الحديد ثمّ حُمل إلى معاوية [ثمّ] ساروا به وبأصحابه وهم:

١ ـ الأرقم بن عبدالله الكندي من بني الأرقم.

٢ ـ شريك بن شدّاد الحضرمي.

٣ ـ صيفي بن فسيل الشيباني.

٤ ـ قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي.

٥ ـ كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر ثمّ من قحافة.

٦ ـ عاصم بن عوف البجلي.

٧ ـ ورقاء بن سميّ البجلي.

٨ ـ كدام بن حيّان العنزي.

٩ ـ عبدالرحمن بن حسّان العنزي.

١٠ ـ محرز بن شهاب التميمي من بني منقر.

١١ ـ عبدالله بن حوية السعدي من بني تميم.

وأتبعهم زياد برجلين وهما: عتبة بن الأخنس السعدي، وسعيد بن نمران

الهمداني، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء ـ بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً ـ فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية: إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنّه قد عفا عن ذلك، فابرؤوا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم، قالوا: اللّهمّ إنّا / لسنا فاعلي ذلك. فأمر بقبورهم فحفرت وأُدنيت أكفانهم، وقاموا ١٢٠/٩
الليل كلّه يصلّون. فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ. فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم. ثمّ قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولّاه ونتبرّأ ممّن تبرّأ منه. فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّة وهم:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١ ـ حجر. ٢ ـ شريك. ٣ ـ صيفي. ٤ ـ قبيصة. ٥ ـ محرز. ٦ ـ كدام.

أخذنا من القصّة ما يهمّنا ذكره. راجع[1]: الأغاني لأبي الفرج (٢/١٦ ـ ١١)، تاريخ الطبري (١٤١/٦ ـ ١٦٠)، تاريخ ابن عساكر (٣٧٠/٢ ـ ٣٨١)، الكامل لابن الأثير (٢٠٢/٣ ـ ٢١٠)، تاريخ ابن كثير (٤٩/٨ ـ ٥٥).

قال الأميني: هذه نظريّة الصحابيّ العظيم حجر وأصحابه العظماء الصلحاء الأخيار في عثمان، فكانوا يرونه أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ، وكان حجر يراه من المجرمين فيما جابه به المغيرة بالكوفة، وقد بلغ هو وزملاؤه الأبرار من ذلك

---

(١) الأغاني: ١٣٧/١٧ ـ ١٥٩، تاريخ الأُمم والملوك: ٢٥٣/٥ ـ ٢٨٥ حوادث سنة ٥١هـ، تاريخ مدينة دمشق: ٢١/٨ ـ ٢٧ رقم٥٨٨ وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٨/٤، الكامل في التاريخ: ٤٨٨/٢ حوادث سنة ٥١هـ، البداية والنهاية: ٥٤/٨ ـ ٥٩ حوادث سنة ٥١هـ.

حدّاً استساغوا القتل دون ما يرونه، وأبوا أن يتحوّلوا عن عقائدهم، وبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، فاستمرؤوا جُرع الموت في سبيلها زعافاً ممقراً.

- ١١ -

حديث عبد الرحمن بن حسّان العنزي الكوفي

لمّا قُتل حجر بن عدي سلام الله عليه وخمسة من أصحابه رضوان الله عليهم، قال عبدالرحمن بن حسّان وكريم بن عفيف الخثعمي ـ وكانا من أصحاب حجر ـ : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث: ائتوني بهما. فالتفتا إلى حجر، فقال له العنزي: لا تبعد يا حجر ولا يبعد مثواك، فنعم أخو الإسلام كنت. وقال الخثعمي نحو ذلك، ثمّ مضى بهما فالتفت العنزي، فقال متمثّلاً:

كفى بشفاة القبر بُعداً لهالك وبالموت قطّاعاً لحبلِ القرائن

١٢١/٩ فلمّا دخل عليه الخثعمي قال له: الله الله يا معاوية إنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسؤول عمّ أردت بقتلنا وفيم سفكت دماءنا. فقال: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك، أتتبرّأ من دين عليّ الذي كان يدين الله به؟ وقام شمر بن عبدالله الخثعمي فاستوهبه، فقال: هو لك، غير أنّي حابسه شهراً، فحبسه، ثمّ أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان، فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.

وأقبل على عبدالرحمن بن حسّان، فقال له: يا أخا ربيعة ما تقول في عليّ؟ قال: أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحقّ. قال: قتلت نفسك. قال: بل إيّاك قتلت، لا ربيعة بالوادي ـ يعني أنّه ليس ثَمّ أحد من قومه فيتكلّم فيه ـ فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إنّ هذا شرّ من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها، واقتله شرّ قتلة. فلمّا قدم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطف[1]، فدفنه حيّاً.

الأغاني لأبي الفرج (١٠/١٦)، تاريخ الطبري (١٥٥/٦)، تاريخ ابن عساكر (٣٧٩/٢)، الكامل لابن الأثير (٢٠٩/٣)[2].

قال الأميني: أُنظر إلى تصلّب الرجل الدينيّ في معتقده في حقّ الرجلين: عليّ أمير المؤمنين، وعثمان، وكيف بلغ من ذلك حدّاً استباح فيه أن يراق دمه دون أن يعدل عمّا عقد عليه ضميره، وأخبتت إليه نفسه، وكان يرى من واجبه الإشادة بما ذكر وإن أُريق عليه دمه الطاهر، وأُسيلت نفسه الزكيّة.

ـ ١٢ ـ
حديث هاشم المرقال

خرج يوم صفّين ـ من عسكر معاوية ـ فتىً شابّ وهو يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسّانْ ... والدائنُ اليومَ بدينِ عثمانْ
أنبأنا أقوامنا بما كانْ ... أنَّ علياً قَتَل ابن عفّانْ

---

(١) هو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. معجم البلدان: ٣٤٩/٤.

(٢) الأغاني: ١٥٦/١٧، تاريخ الأُمم والملوك: ٢٧٦/٥ حوادث سنة ٥١هـ، تاريخ مدينة دمشق: ٢٦/٨ ـ ٢٧ رقم٥٨٨، وفي تهذيب تاريخ دمشق: ٣٨٢/٢ ـ ٣٨٣، الكامل في التاريخ: ٤٩٨/٢ حوادث سنة ٥١هـ.

١٢٢/٩ ثمّ شدّ فلا ينثني يضرب بسيفه، ثمّ جعل يلعن عليّاً ويشتمه ويسهب في ذمّه، فقال له هاشم بن عتبة: إنّ هذا الكلام بعده الخصام، وإن هذا القتال بعده الحساب. فاتّق الله فإنّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، قال: فإنّي أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي، وأنّكم لا تصلّون، وأُقاتلكم أنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفّان؟ إنّما قتله أصحاب محمد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين، وما أظنّ أنّ أمر هذه الأُمّة ولا أمر هذا الدين عناك طرفة عين قطّ. قال الفتى: أجل أجل والله لا أكذب فإنّ الكذب يضرّ ولا ينفع، ويشين ولا يزين. فقال له هاشم: إنّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم به، قال: أظنّك والله قد نصحتني، وقال له هاشم: وأمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي، فهو أوّل من صلّى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله، وأمّا من ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب، لا ينامون الليل تهجّداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون. قال الفتى: يا عبدالله إنّي لأظنّك امرأً صالحاً، وأظنّني مخطئاً آثماً، أخبرني هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم، تب إلى الله يتب عليك؛ فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين. الحديث[1].

قال الأميني: هذا هاشم المرقال الصحابيّ المقدّس، وبطل الدين العظيم، وهذا رأيه في عثمان وهو يبوح به في موقف قتال حصل من جرّاء قتله، مبرّراً فيه عمل المجهزين عليه، ويرى أنّه خالف حكم الكتاب وأحدث أحداثاً أباحت لأصحاب محمد ﷺ قتله وأنّ من قتله هم أهل الدين والقرآن.

---

(١) كتاب صفّين لابن مزاحم طبعة مصر: ص٤٠٢ [ص٣٥٤]، تاريخ الطبري: ٢٣/٦ [٤٣/٥ حوادث سنة ٣٧هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ٢٧٨/٢ [٣٥/٨ خطبة ١٢٤]، الكامل لابن الأثير: ١٣٥/٣ [٣٨٤/٢ حوادث سنة ٣٧هـ]. (المؤلّف)

- ١٣ -

حديث جهجاه بن سعيد الغفاري

ممّن بايع تحت الشجرة[١]

ورد من طريق أبي حبيبة أنّه قال: خطب عثمان الناس، فقام إليه جهجاه الغفاري: فصاح: يا عثمان ألا إنّ هذه شارف[٢] قد جئنا بها، عليها عباءة وجامعة، فانزل ١٢٣/٩
فلندرّعك العباءة، ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف، ثمّ نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبّحك الله وقبّح ما جئت به. قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلّا عن ملأٍ من الناس، وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أُميّة فحملوه فأدخلوه الدار.

وجاء من طريق عبدالرحمن بن حاطب قال: أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبيّ ﷺ التي كان [يخطب][٣] عليها وأبو بكر وعمر ﷺ، فقال له جهجاه: قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر. وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظيّة منها فيها، فبقي الجرح حتى أصابته الأكلة فرأيتها تدود، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدّوها فكانت مضبّبة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلّا خرجة أو خرجتين حتى حُصر فقتل.

وفي لفظ البلاذري: خطب عثمان في بعض أيّامه فقال له جهجاه بن سعيد الغفاري: يا عثمان انزل ندرّعك عباءة ونحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان كما سيّرت خيار الناس، فقال له عثمان: قبّحك الله وقبّح ما جئت به، وكان جهجاه متغيّظاً على عثمان، فلمّا كان يوم الدار دخل عليه ومعه عصاً كان النبيّ ﷺ يتخصّر

---

(١) الاستيعاب: [القسم الأوّل/٢٦٨ رقم٣٥٢]، أُسد الغابة: [٣٦٥/١ رقم٨١٨]، الإصابة: [٢٥٣/١ رقم١٢٤٥]. (المؤلّف)

(٢) الشارف من النوق: المسنّة الهرمة.

(٣) من تاريخ الطبري.

بها فكسرها على ركبته فوقعت فيها الأكلة.

راجع[١]: الأنساب للبلاذري (٤٧/٥)، تاريخ الطبري (١١٤/٥)، الاستيعاب في ترجمة جهجاه، الكامل لابن الأثير (٧٠/٣)، شرح ابن أبي الحديد (١٦٥/١)، الرياض النضرة (١٢٣/٢)، تاريخ ابن كثير (١٧٥/٧)، الإصابة (٢٥٣/١)، تاريخ الخميس (٢٦٠/٢).

قال الأميني: جهجاه من أهل بيعة الشجرة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصّ الذكر الحكيم وهو يستبيح خلع عثمان ونفيه وتشهيره ملفوفاً بعباءة مكبّلاً بالحديد إلى جبل الدخان، ولا يتحرّج من هتكه وكسر مخصرته، وإنّما قال ما قاله وفعل ما فعل بمحضر من المهاجرين والأنصار، فلم يؤاخذه على ذلك أحد منهم ولا ردّ عليه رادّ، فكأنّه كان يُخبر عن صميم أفئدتهم، وأظهر ما أضمروه، وجاء بما أحبّوه حتى قضى ما كان مقتضياً.

إنّ حدوث الجرح في ركبة جهجاه لولوج شيء من كسرات العصا فيها المتحوّل أُكلة إن صحّ فمن ولائد الاتفاق وليس بكرامة للقتيل، كما أنّ وقوع عبدالله ابن / أبي ربيعة المخزومي والي عثمان على اليمن من مركبه وموته وقد جاء لنصرة عثمان لم ١٢٤/٩
يكن نقمة ولا نكبة له. قال أبو عمر وغيره: جاء عبدالله المخزومي لينصره لمّا حُصر فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات[٢].

وقال البلاذري في الأنساب[٣] (٨٧/٥): أقبل عبدالله المخزومي وكان عامله

---

(١) أنساب الأشراف: ١٦٠/٦، تاريخ الأُمم والملوك: ٣٦٦/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، الاستيعاب: القسم الأوّل/٢٦٩ رقم٣٥٢، الكامل في التاريخ: ٢٨٧/٢ حوادث سنة ٣٥هـ، شرح نهج البلاغة: ١٤٩/٢ خطبة٣، الرياض النضرة: ٥٥/٣، البداية والنهاية: ١٩٧/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) الاستيعاب: ٣٥١/١ [القسم الثالث/٨٩٧ رقم١٥٢٨]، أُسد الغابة: ١٥٥/٣ [٢٣٣/٣ رقم٢٩٣٧]، الإصابة: ٣٠٥/٢ [رقم٤٦٧١]. (المؤلّف)

(٣) أنساب الأشراف: ٢٠٧/٦.

على مخاليف الجند لينصره، فلمّا انتهى إلى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله.

- ١٤ -

حديث سهل بن حنيف أبي ثابت الأنصاري (بدريّ)

- ١٥ -

رفاعة بن رافع بن مالك أبي معاذ الأنصاري (بدريّ)

- ١٦ -

الحجّاج بن غزيّة الأنصاري

قال البلاذري في الأنساب[١] (٧٨/٥): قال أبو مخنف في روايته: إنّ زيد بن ثابت الأنصاري قال: يا معشر الأنصار إنّكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته. فأجابه قوم منهم، فقال سهل بن حنيف: يا زيد أشبعك عثمان من عضدان المدينة ـ والعضيدة نخلة قصيرة ينال حملها ـ فقال زيد: لا تقتلوا الشيخ ودعوه حتى يموت فما أقرب أجله. فقال الحجّاج بن غزيّة الأنصاري أحد بني النجّار: والله لو لم يبقَ من عمره إلّا بين الظهر والعصر لتقرّبنا إلى الله بدمه.

وجاء رفاعة بن مالك الأنصاري ثمّ الزرقي بنار في حطب، فأشعلها في أحد البابين فاحترق وسقط، وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار.

وفي لفظ للبلاذري[٢] (ص ٩٠): قال زيد للأنصار: إنّكم نصرتم رسول‌الله ﷺ فكنتم أنصار الله فانصروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرّتين. فقال الحجّاج بن غزيّة: والله إن تدري هذه البقرة الصيحاء ما تقول، والله لو لم يبقَ من أجله إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقرّبنا إلى الله بدمه.

---

(١) أنساب الأشراف: ١٩٧/٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١١.

وقال ابن حجر في الإصابة (٣١٣/١): روى للحجّاج بن غزيّة أصحاب السنن
١٢٥/٩ حديثاً صرّح بسماعه فيه من النبيّ ﷺ في الحجّ، قال ابن المديني: هو الذي ضرب مروان يوم الدار حتى سقط[1].

قال الأميني: نظريّة هؤلاء الثلاثة ليست بأقلّ صراحة من نظريّات إخوانهم المهاجرين والأنصار في استباحة دم الخليفة، وإزالته عن منصّة الملك الإسلامي الديني.

- ١٧ -
حديث أبي أيوب الأنصاري
من السابقين من جلّة الصحابة البدريّين

قال في خطبة له: إنّ أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ قد أسمع من كانت له أُذن واعية، وقلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ رسول الله ﷺ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيّدهم بعده، يفقّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فوالله لكأنّكم صمٌّ لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون. عباد الله أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس؟ وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام، فذو حقّ محروم مشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، ومُلقىً بالعراء، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحقّ، ونشر العدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولّوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، اشحذوا السيوف، وجدّدوا آلة الحرب، واستعدّوا للجهاد، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أُمرتم فأطيعوا، تكونوا بذلك من الصادقين.

الإمامة والسياسة (١١٢/١) في طبع، وفي آخر (ص١٢٨)، جمهرة الخطب

---

(١) سيوافيك حديث ضربه مروان. (المؤلّف)

(٢٣٦/١)[١].

قال الأميني: هذا أبو أيّوب الأنصاري، عظيم الصحابة الذي اختار الله داره منزلاً لرسول الله ﷺ من بين الأنصار، وحسبه ذلك شرفاً، وهو من البدريّين، وشهد المغازي كلّها، وقد دعا له رسول الله ﷺ لمّا أخذ شيئاً من كريمته الشريفة بقوله: «لا يصيبك السوء يا أبا أيّوب»[٢]، وهذا يعمّ الأسواء الظاهرة من قتلٍ بهوان، وأسر وسجن في مذلّة، وأمراض مخزية من جذام وبرص وغيرهما واختلال في العقل، والأسواء المعنويّة من تزحزح عن الإيمان وتضعضع في العقيدة، وانحياز عن الدين، فهو رضوان الله عليه مكلوء / عن هذه كلّها بتلك الدعوة المجابة، وهو مع فضله ١٢٦/٩
هذا يعدّ عهد عثمان عهد جور وعدوان، ويعدّد ما حدث هنالك من البوائق النازلة على صلحاء الأُمّة كأبي ذر وعمّار وابن مسعود وغيرهم ممّا مرّ تفصيله، ولو لم يكن إلّا شهادة أبي أيّوب لكفت حجّة في كلّ مهمّة، فكيف وقد صافقه على ما يقول سروات المهاجرين والأنصار؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

- ١٨ -

حديث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

سيد الخزرج، (بدري)

١ ـ من خطبة له خطبها بمصر، في أخذ البيعة لأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، قال: الحمد لله الذي جاء بالحقّ، وأمات الباطل، وكبت الظالمين. أيّها الناس؛ إنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبيّنا، ﷺ فقوموا أيّها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

تاريخ الطبري (٢٢٨/٥)، الكامل لابن الأثير (١١٥/٣)، شرح ابن أبي

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٣١/١، جمهرة خطب العرب: ٤٢٣/١ خطبة ٣٢١.

(٢) كنز العمّال: ٦١٤/٣ ح ٣٧٥٦٨.

الحديد(٢/٢٣)[١].

٢ ـ من كتاب لمعاوية إلى قيس بن سعد قبل وقعة صفّين: أمّا بعد؛ فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفّان ﷺ في أثرة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتيمة رجل، أو في تسييره آخر، أو في استعماله الفُتي، فإنّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لم يكن يحلّ لكم، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّا، فتب إلى الله عزّ وجلّ يا قيس بن سعد! فإنّك كنت في المجلبين على عثمان بن عفّان ﷺ إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً.

فأمّا صاحبك فإنّا استيقنّا أنّه الذي أغرى به الناس، وحملهم على قتله حتى قتلوه، وأنّه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسلني غير هذا ممّا تحبّ فإنّك لا تسألني شيئاً إلّا أُوتيته، واكتب إليّ برأيك فيما كتبت به إليك. والسلام.

١٢٧/٩ فكتب إليه قيس:

أمّا بعد؛ فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان ﷺ، وذلك أمر لم أُقارفه ولم أطف به. وذكرت صاحبي هو أغرى الناس بعثمان، ودسّهم إليه حتى قتلوه، وهذا لم أطّلع عليه، وذكرت عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فأوّل الناس كان فيه قياماً عشيرتي. إلخ.

وفي لفظ: فلعمري إنّ أولى الناس في أمره عشيرتي. فلعمري إنّ أوّل الناس كان فيه قياماً عشيرتي ولهم أُسوة.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥٤٩/٤ حوادث سنة ٣٦ هـ، الكامل في التاريخ: ٣٥٤/٢ حوادث سنة ٣٦ هـ، شرح نهج البلاغة: ٥٩/٦ خطبة ٦٧.

تاريخ الطبري (٢٢٧/٥)، كامل ابن الأثير (١١٦/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٢٣/٢). النجوم الزاهرة (٩٩/١)، جمهرة الرسائل (٥٢٤/١)[١].

٣ ـ تحاور قيس بن سعد والنعمان بن بشير بين الصفَّين بصفّين، فقال النعمان: يا قيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه؟ إنّكم يا معشر الأنصار أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، وقتلكم أنصاره يوم الجمل، وإقحامكم على أهل الشام بصفّين، فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً كان هذا بهذا، ولكنّكم خذلتم حقّاً، ونصرتم باطلاً، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس، شعلتم الحرب، ودعوتم إلى البراز، فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم، غير أنكاس عن حربكم... الكلام.

فضحك قيس وقال: والله ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذا المقام، أمّا المنصف المُحقّ فلا ينصح أخاه من غشّ نفسه، وأنت والله الغاشّ لنفسه، المبطل فيما نصح غيره.

أمّا ذكر عثمان فإن كان الإيجاز يكفيك فخذه: قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك، وأمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث، وأمّا معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار، وأمّا قولك: إنّا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله، نلقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا، حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون. ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابيّاً، أو يمانيّاً مستدرجاً؟ وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، الذين رضي الله / عنهم ورضوا عنه؟ ثمّ انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك[٢]؟ ١٢٨/٩

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥٥٠/٤ حوادث سنة ٣٦هـ، الكامل في التاريخ: ٣٥٥/٢ حوادث سنة ٣٦هـ، شرح نهج البلاغة: ٦٠/٦ خطبة ٦٧.

(٢) يعني به عمرو بن العاص. (المؤلّف)

ولستما والله بدريّين ولا عقبيّين[١] ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن.

كتاب صفّين لابن مزاحم (ص٥١١)، الإمامة والسياسة (٩٤/١)، وفي طبعة (ص٨٣)، شرح ابن أبي الحديد (٢٩٨/٢)، جمهرة الخطب (١٩٠/١)[٢].

٤ ـ قدم المدينة قيس بن سعد، فجاءه حسّان بن ثابت شامتاً به، وكان حسّان عثمانيّاً، فقال له: نزعك عليّ بن أبي طالب وقد قتلت عثمان، فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر. فقال له قيس: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، أُخرج عنّي.

تاريخ الطبري (٢٣١/٥)، شرح ابن أبي الحديد (٢٥/٢)[٣].

قال الأميني: إنّ فتى الأنصار وأمير الخزرج وابن أميرها قيس بن سعد الذي تقدّمت فضائله وفواضله في الجزء الثاني (ص٦٩ ـ ١١٠)؛ تراه يتبجّح في كتابه إلى معاوية بأنّ عشيرته الأنصار كانوا أوّل الناس قياماً في دم عثمان، وفي خطبته يرى أنّ الحقّ المحيى مع مولانا أمير المؤمنين، وأنّ الباطل الذي أُميت كان في العهد البائد بقتل عثمان، وأنّ المقتولين في واقعة الدار هم الظالمون، وأعطف على هذه كلّها محاورته مع النعمان بن بشير بصفّين، فالكلّ لهجة واحدة من رئيّ في الدين والدنيا واحد.

ـ ١٩ ـ

حديث فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري (بدريّ)

أخرج مالك في الموطّأ حديثه في باب العمل في القراءة، وسكت عن اسمه ولم

---

(١) يعني ممّن بايعوه ﷺ في العقبة. (المؤلّف)

(٢) وقعة صفّين: ص٤٤٨، الإمامة والسياسة: ٩٧/١، شرح نهج البلاغة: ٨٧/٨ خطبة ١٢٤، جمهرة خطب العرب: ٣٦٦/١ ـ ٣٦٧ خطبة ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٥٥٥/٤ حوادث سنة ٣٦هـ، شرح نهج البلاغة: ٦٤/٦ خطبة ٦٧.

يسمّه، بل ذكره بلقبه البياضي. وقال ابن وضاح[١] وابن مزين[٢]: إنّما سكت مالك عن اسمه؛ لأنّه كان ممّن أعان على قتل عثمان.

وعقّبه أبو عمر في الاستيعاب فقال: هذا لا يُعرف ولا وجه لما قالاه في ذلك ولم يكن لقائل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار.

الاستيعاب ترجمة فروة، أُسد الغابة (١٧٩/٤)، الإصابة (٢٠٤/٣)، شرح الموطّأ للزرقاني (١٥٢/١)[٣]. ١٢٩/٩

قال الأميني: الذي يشهد ببطلان ما قالاه أنّ ما حسبوه جريمة من فروة إن كان مسقطاً لعدالته فالإخراج عنه باطل سمّاه أو لم يسمّه، وإن كان غير مسقط لها فهو مشمول لما عمّ الصحابة عند القوم من الفضل والعدالة، وإنّ روايته حجّة يُؤخذ بها ولا يضرّه إذن إلغاء الاسم، ثمّ إن كانت هذه الجريمة ممّا يُؤاخذ به صاحبه فهي عامّة للأنصار كلّهم كما أوعز إليه أبو عمر بقوله: لم يكن لقائل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار. فيجب إسقاط رواياتهم أو السكوت عن أسمائهم جمعاء. وبالجملة: أنّ هذا الأنصاريّ البدريّ عُدّ ممّن أعان على قتل عثمان، ولم يشذّ في رأيه عن الأنصار أو عن بقيّة الصحابة أجمع.

- ٢٠ -

حديث محمد بن عمرو بن حزم أبي سليمان الأنصاري

أحد المحامدة الذين سمّاهم رسول‌الله ﷺ محمداً. قال أبو عمر في الاستيعاب[٤]

---

(١) أبو عبدالله محمد بن الحسين بن عليّ بن الوضاح الأنباري المتوفّى: ٣٤٥. (المؤلّف)

(٢) كذا في الاستيعاب وأُسد الغابة وشرح الموطّأ للزرقاني، وفي الإصابة: ابن سيرين. (المؤلّف)

(٣) الاستيعاب: القسم الثالث/١٢٦٠ رقم٢٠٧٤، أُسد الغابة: ٣٥٧/٤ رقم٤٢١٣، شرح موطّأ مالك: ١٦٧/١ ح ١٧٤.

(٤) الاستيعاب: القسم الثالث/١٣٧٥ رقم٢٣٣٩.

في ترجمته: يقال: إنّه كان أشدّ الناس على عثمان المحمّدون: محمد بن أبي بكر، محمد ابن أبي حذيفة، محمد بن عمرو بن حزم.

- ٢١ -

حديث جابر بن عبدالله أبي عبدالله الأنصاريّ

الصحابيّ العظيم وقوم آخرين من الصحابة

لمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وأتته ولاية مكة والمدينة، وكان عبدالملك حين بعثه لقتال عبدالله بن الزبير عقد له على مكة ولكنّه أحبّ تجديد ولايته إيّاها، فشخص الحجّاج إلى المدينة، واستخلف على مكة عبدالرحمن بن نافع بن عبدالحارث الخزاعي، فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال: إنّهم قتلة أمير المؤمنين عثمان، وختم يد جابر بن عبدالله برصاص وأيدي قوم آخرين كما يُفعل بالذمّة، منهم: أنس بن
١٣٠/٩ مالك / ختم عنقه، وأرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفّان؟ قال: قد فعلت. قال: كذبت. ثمّ أمر به فختم في عنقه برصاص.

أنساب البلاذري (٣٧٣/٥)، تاريخ الطبري (٢٠٦/٧)، الكامل لابن الأثير (١٤٩/٤)[1].

قال الأميني: تُعطي هذه الرواية أنّ مؤاخذة الحجّاج لبقيّة الصحابة وفيهم جابر ـ صاحب الحلقة في مسجد النبيّ ﷺ يُؤخذ منه العلم كما في الإصابة (٢١٣/١) ـ كانت لتدخّلهم في واقعة عثمان بمباشرة أو تخذيل عنه أو بتقاعد

---

(١) أنساب الأشراف: ١٣٤/٧، تاريخ الأُمم والملوك: ١٩٥/٦ حوادث سنة ٧٤هـ، الكامل في التاريخ: ٧٤/٣ حوادث سنة ٧٣هـ.

عن نصرته، نحن لا نقول بوثاقة الرجل فيما يرويه كما لا نقول بسداده فيما يرتئيه، غير أنّ الحالة تشهد أنّ تلكم النسبة كانت مشهورة بين الملأ فاحتجّ بها الحجّاج على ما ارتكبه من إهانتهم ولم يظهر من القوم أيّ إنكار لما رُموا به ردءاً لعادية الطاغية، لكنّهم صبروا على البلاء وشدّة النازلة ثباتاً منهم على ما ارتكبوه في واقعة الدار.

- ٢٢ -

حديث جبلة بن عمرو[١] بن ساعدة الساعدي الأنصاري (بدريّ)

أخرج الطبري من طريق عثمان بن الشريد قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة، فقال: يا نعثل والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قلوص جرباء، ولأخرجنّك إلى حرّة النار، ثمّ جاءه مرّة أُخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه.

وأخرج من طريق عامر بن سعد: قال: كان أوّل من أجترأ على عثمان بالمنطق السيّء جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في نديّ قومه، وفي يد جبلة بن عمرو جامعة، فلمّا مرّ عثمان سلّم، فردّ القوم، فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ قال: ثمّ أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة؟ فوالله إنّي لأتخيّر الناس. فقال: مروان تخيّرته! ومعاوية تخيّرته! وعبدالله بن عامر بن كريز تخيّرته! وعبدالله بن سعد تخيّرته! منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول‌الله دمه[٢] قال: فانصرف عثمان، فما / زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم. ١٣١/٩

---

(١) قال البلاذري في الأنساب: ٤٧/٥ [١٦٠/٦]: قال الكلبي: هو رخيلة بن ثعلبة البياضي، بدريّ. (المؤلّف)

(٢) هو عبدالله بن سعد، راجع ما أسلفناه في: ٢٨٠/٨. (المؤلّف)

تاريخ الطبري (١١٤/٥)، الكامل لابن الأثير (٧٠/٣)، تاريخ ابن كثير (١٧٦/٧) شرح ابن أبي الحديد (١٦٥/١)[١].

وأخرج البلاذري في الأنساب[٢] (٤٧/٥) الحديث الأوّل باللفظ المذكور فقال: ثمّ أتاه وهو على المنبر فأنزله، وكان أوّل من اجترأ على عثمان وتجهّمه بالمنطق الغليظ وأتاه يوماً بجامعة فقال: والله لأطرحنّها في عنقك، أو لتتركنّ بطانتك هذه، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت وفعلت، وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجَلَب[٣] بحكمه ويبيعه بسومه، ويجبي مقاعد المتسوّقين، ويصنع صنيعاً منكراً، فكلّم في إخراج السوق من يده فلم يفعل.

وقيل لجبلة في أمر عثمان وسُئل الكفّ عنه، فقال: والله لا ألق الله غداً فأقول: إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا.

وأخرج ابن شبّة في أخبار المدينة[٤] من طريق عبدالرحمن بن أزهر: أنّهم لمّا أرادوا دفن عثمان، فانتهوا إلى البقيع، فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو، فانطلقوا إلى حشّ كوكب فدفنوه فيه[٥].

قال الأميني: إنّك جدّ عليم بما في هذا الرجل المبجّل البدريّ الذي أثنى عليه أبو عمر في الاستيعاب[٦] بقوله: كان فاضلاً من فقهاء الصحابة. وهو أحد

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٦٥/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، الكامل في التاريخ: ٢٨٧/٢ حوادث سنة ٣٥هـ، البداية والنهاية: ١٩٧/٧ حوادث سنة ٣٥هـ، شرح نهج البلاغة: ١٤٩/٢ خطبة ٣٠.

(٢) أنساب الأشراف: ١٦٠/٦.

(٣) الجَلَب: ما جُلِب من خيل وإبلٍ ومتاع.

(٤) تاريخ المدينة: ١١٢/١، ١٢٤٠/٤.

(٥) الإصابة: ٢٢٣/١ [رقم ١٠٨٠]. (المؤلّف)

(٦) الاستيعاب: القسم الأوّل/٢٣٦ رقم ٣١٧.

الصحابة العدول الذين يُحتجّ بما رووه أو رأوه من شدّة على عثمان وثبات عليها، حتى إنّه يعدّ المحايدة يومئذٍ من الضلال الذي يأمر به السادة والكبراء الضالّون، ويهدّد عثمان ويرعد ويبرق وينهى عن ردّ السلام عليه الذي هو تحيّة المسلمين، ومن الواجب شرعاً ردّها، وينزله عن منبر الخطابة إنزالاً عنيفاً بين الملأ، ثمّ لم يزل يستخفّ به ويهينه ولا تأخذه فيه هوادة حتى منعه عن الدفن في البقيع، فدفن في حشّ كوكب مقابر اليهود، وكلّ هذه لا تلتئم مع حسن ظنّه به فضلاً عن حسن عقيدته.

نعم، إنّ جبلة فعل هذه الأفاعيل بين ظهراني الملأ الديني الصحابة العدول وهم بين متجمهر معه، ومخذّل عن الخليفة المقتول، ومتثبّط عنه، وراضٍ بما دارت على الخليفة من دائرة سوء، ما خلا شذّاذاً من الأمويّين الذين وصفهم جبلة في بيانه، وقدّمنا نحن تفصيل ما نزل من القرآن فيهم في الجزء الثامن[1]، ولم تقم الجامعة الدينيّة لهم ولآرائهم وزناً. ١٣٢/٩

- ٢٣ -

حديث محمد بن مسلمة أبي عبدالرحمن الأنصاري (بدريّ)

أخرج الطبري؛ من طريق محمد بن مسلمة، قال: خرجت في نفر من قومي إلى المصريّين وكان رؤساؤهم أربعة: عبدالرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي، وعمرو بن الحمِق الخزاعي، وابن النباع[2]، قال: فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظّمت حقّ عثمان، وما في رقابهم من البيعة، وخوّفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أنّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً، فلا

---

(١) راجع صفحة: ٢٤٧ ـ ٢٤٩، ٢٧٥، ٣١٨. (المؤلّف)

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفيما حكي عنه، والصحيح: ابن البياع وهو عروة بن شِيَيْم الليثي. (المؤلّف)

تكونوا أوّل من فتحه، وأنّه ينزع عن هذه الخصال التي نقمتم منها عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أَخلِني. فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك، إنّ هؤلاء القوم إنّما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك، لا بل هم يقوّون عدوّك عليك، قال: فأعطاني الرضا، وجزّاني خيراً. قال: ثمّ خرجت من عنده فأقمت ما شاء الله أن أُقيم.

قال: وقد تكلّم عثمان برجوع المصريّين، وذكر أنّهم جاؤوا لأمر فبلغهم غيره فانصرفوا. فأردت أن آتيه فأُعنّفه، ثمّ سكتّ فإذا قائل يقول: قد قدم المصريّون وهم بالسويداء[1] قال: قلت: أحقّ ما تقول؟ قال: نعم. قال: فأرسل إليّ عثمان، قال: وإذا الخبر قد جاءه، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب[2] فقال: يا أبا عبدالرحمن هؤلاء القوم قد رجعوا، فما الرأي فيهم؟ قال: قلت: والله ما أدري، إلّا أنّي أظنّ أنّهم لم يرجعوا لخير، قال: فارجع إليهم فاردهم، قال: قلت: لا والله ما أنا بفاعل، قال: ولم؟ قال: لأنّي ضمنت لهم أموراً تنزع عنها، فلم تنزع عن حرف منها، قال: فقال: الله المستعان.

قال: وخرجت / وقدم القوم وحلّوا بالأسواف وحصروا عثمان. وجاءني ١٣٣/٩
عبدالرحمن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه، فقالوا: يا أبا عبدالرحمن ألم تعلم أنّك كلّمتنا ورددتنا وزعمت أنّ صاحبنا نازع عمّا نكره؟ فقلت: بلى، فإذا هم يُخرجون إليّ صحيفة صغيرة، وإذا قصبة من رصاص، فإذا هم يقولون: وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتشّناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب. الحديث يأتي بتمامه[3].

---

(١) السويداء: موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام [معجم البلدان: ٢٨٦/٣]. (المؤلّف)

(٢) وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة [معجم البلدان: ٣٧٢/٢]. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٧٢/٤ حوادث سنة ٣٥هـ، الكامل في التاريخ: ٢٨٧/٢ حوداث سنة ٣٥هـ.

تاريخ الطبري (١١٨/٥)، الكامل لابن الأثير (٧٠/٣)[١].

قال الأميني: إنّك تجد محمد بن مسلمة هاهنا لا يشك في أنّ ما نقمه القوم على الخليفة موبقات يستحلّ بها هتك الحرمات ممّن ارتكبها، لكنّه كره المناجزة وحاول الإصلاح حذار الفتنة المستتبعة لطامّات وهنابث، وسعى سعيه في ردّ القوم بضمانه عسى أن ينزع الخليفة عمّا فرّط في جنب الله، وأن يكون ذلك توبة نصوحاً، فلعلّ الفورة تهدأ، ولهيب الثورة يخبأ، لكنّه لمّا شاهد الفشل في مسعاه، وأخفق ظنّه بعثمان، ورأى منه حنث الإلّ، وعدم النزوع عن أحداثه، تركه والقوم، فارتكبوا منه ما ارتكبوا ولم يجبه حينما استنصره، ولم يُقم لطلبته وزناً، ولم يرَ له حرمة يدافع بها عنه، ولذلك خاشنه في القول، فكان ما كان مقضيّاً.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

- ٢٤ -

حديث ابن عباس

حبر الأُمّة ابن عمّ النبيّ الأعظم ﷺ

١ ـ أخرج أبوعمر في الاستيعاب[٢]؛ في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه من طريق طارق، قال: جاء ناس إلى ابن عبّاس، فقالوا: جئناك نسألك، فقال: سلوا عمّا شئتم، فقالوا: أيّ رجل كان أبو بكر؟ فقال: كان خيراً كلّه. أو قال: كالخير كلّه، على حدّة كانت فيه. قالوا: فأيّ رجل كان عمر؟ قال: كان كالطائر الحذر الذي يظنّ أنّ له في كلّ طريق شركاً. قالوا: فأيّ رجل كان عثمان؟ قال: رجل ألهته نومته عن يقظته. قال: فأيّ رجل كان عليّ؟ قال: كان قد مُلئ جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدةً مع قرابته من رسول الله ﷺ وكان يظنّ أن لا يمدّ يده إلى

---

(١) راجع الصحائف ٢٤٣ ـ ٢٤٥.

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٢٩ رقم ١٨٥٥.

شيء إلّا ناله، فما مدّ يده إلى شيء فناله.

١٣٤/٩ ٢ ـ من كتاب لمعاوية إلى ابن عبّاس: لعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا، وأن يكون رأياً صواباً، فإنّك من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي ولا بيدك أمان[1].

فكتب إليه ابن عبّاس جواباً طويلاً يقول فيه: وأمّا قولك: إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له، والسافكين له، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي؛ فأقسم بالله لأنت المتربّص بقتله، والمحبّ لهلاكه، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به، حتى بعثت إليه معذراً بأجرة، أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يُقتل، فقتل كما كنت أردت، ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بيننا وبينك، فطفقت تنعى عثمان وتُلزمنا دمه، وتقول قُتل مظلوماً، فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين، ثمّ لم تزل مصوّباً ومصعّداً وجائئاً ورابضاً، تستغوي الجهّال، وتنازعنا حقّنا بالسفهاء، حتى أدركت ما طلبت ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إِلى حِينٍ﴾[2].

قال الأميني: إنّ حبر الأُمّة وإن لم يكن له أيّ تدخّل في واقعة الدار، وكان أمير الحاجّ في سنته تلك، لكنّك تراه لا يشذّ عن الصحابة في الرأي حول الخليفة، ولا يقيم له وزناً، ولا يرى له مكانة، ومن أجل ذلك أعطى المقام حقّه في جواب السائل عن الخلفاء، غير أنّه لم يصف عثمان إلّا بما يُنبيء عن عدم كفاءته برقدته الطويلة الغاشية على يقظته، وسباته العميق الساتر لانتباهته، ومن جرّاء ذلك الاعتقاد تجده لم يهتم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٥٨/٤ [١٥٤/١٦ كتاب رقم٣٧] قال: كتبه إليه عند صلح الحسن عليه السلام يدعوه إلى بيعته. (المؤلّف)

(٢) الأنبياء: ١١١.

بشيء من أمره لمّا جاءه نافع بن طريف بكتاب[١] من الخليفة يستنجد الحجيج ويستغيث بهم، على حين أنّه محصور، فقرأه نافع على الناس بينما كان ابن عبّاس يخطب، فلمّا نجزت قراءته أتمّ خطبته من حيث أفضت إليه، ولم يلو إلى أمر عثمان وحصاره، ولم ينبس في أمره ببنت شفة، وكان في وسعه أن يستثيرهم لنصرته، وهل ذلك كلّه لسوء رأي منه في الخليفة؟ أو لعدم الاهتمام في أمره؟ أو لحسن ظنّه بالثائرين عليه؟ إختر ما شئت، ولعلّك تختار تحقّق الجميع لدى ابن عبّاس، وكأنّ عائشة شعرت منه / ذلك، فقالت يوم مرّ بها ابن عبّاس في منزل من منازل الحجّ: يابن ١٣٥/٩
عبّاس إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية[٢].

ومن جرّاء رأيه الذائع الشائع كان يحذر معاوية ويخاف بطشه، ولمّا قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها». قال: إنّي أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان، أو يحبسني لقرابتي منك، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمنّه وعِدْه. الحديث[٣].

وفي أثر ذلك الرأي كان يسكت عن لعن قتلة عثمان، ولمّا كتب إليه معاوية: أن اخرج إلى المسجد والعن قتله عثمان. أجاب بقوله: لعثمان ولد وخاصّة وقرابة، هم أحقّ بلعنهم منّي، فإن شاؤوا أن يلعنوا فليلعنوا، وإن شاؤوا أن يمسكوا فليمسكوا[٤].

---

(١) يأتي تفصيله في هذا الجزء عند ذكر كتب عثمان إن شاء الله. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ في هذا الجزء من حديث عائشة. (المؤلّف)

(٣) تاريخ ابن كثير: ٢٢٨/٧ [٢٥٥/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٨٣/٣ [٣٠٧/٢ حوادث سنة ٣٥ هـ]. (المؤلّف)

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٤٨/١ [١٥٥/١]. (المؤلّف)

- ٢٥ -

حديث عمرو بن العاصي

الذي عرّفناكه في (٢/ ١٢٠ ـ ١٧٦)

أخرج الطبري من طريق أبي عون مولى المسور، قال: كان عمرو بن العاصي على مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج، واستعمله على الصلاة، واستعمل عبدالله ابن سعد على الخراج، ثمّ جمعهما لعبدالله بن سعد، فلمّا قدم عمرو بن العاصي المدينة جعل يطعن على عثمان، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال: يابن النابغة ما أسرع ما قمل به جربّان جبّتك! إنّما عهدك بالعمل عاماً أوّل، أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عنّي بآخر؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك. فقال عمرو: إنّ كثيراً ممّا يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل، فاتّق الله يا أمير المؤمنين في رعيّتك، فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك، فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطّاب، ففارقني وهو عنّي راضٍ، فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكنّي لنت عليك فاجترأت عليّ، أمّا والله لأنا أعزّ منك نفراً في الجاهليّة، وقبل أن ألي هذا / السلطان، فقال عمرو: دع عنك هذا، فالحمد لله الذي ١٣٦/٩
أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفّان؛ فوالله للعاصي كان أشرف من أبيك[1]. فانكسر عثمان وقال: ما لنا ولذكر الجاهليّة.

وخرج عمرو، ودخل مروان فقال: يا أمير المؤمنين، وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاصي أباك! فقال عثمان: دع هذا عنك، من ذكر آباء الرجال ذكروا آباءه.

قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه، يأتي عليّاً مرّة فيؤلّبه على

---

(١) ليت شعري ما مكانة عفّان من الشرف إن كان يفضل عليه العاصي الساقط الشرف بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتَر﴾ كما مرّ تفصيله في الجزء الثاني: ص ١٢٠. (المؤلّف)

عثمان، ويأتي الزبير مرةً فيؤلّبه على عثمان ويأتي طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلمّا كان حصر عثمان الأوّل؛ خرج من المدينة، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبع، فنزل في قصر له يقال له: العجلان، وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفّان. قال: فبينا هو جالس في قصره ذلك، ومعه ابناه محمد وعبدالله، وسلامة بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب، فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة، قال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: تركته محصوراً شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبدالله، قد يضرط العَير والمكواة في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر، فناداه عمرو. ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: قتل. قال: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرّض عليه حتى إنّي لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش إنّه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحقّ من حافرة الباطل، وأن يكون الناس في الحقّ شرعاً سواء، وكانت عند عمرو أُخت عثمان لأُمّه أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ففارقها حين عزله[1].

٢ ـ لمّا ركب عليّ وركب معه ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى أهل مصر في أوّل مجيئهم المدينة ناقمين على عثمان وردّهم عنه فانصرفوا راجعين، رجع عليّ عليه السلام إلى عثمان وأخبره أنّهم قد رجعوا، حتى إذا كان الغد جاء مروان عثمان فقال ١٣٧/٩
له: تكلّم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان

---

(١) تاريخ الطبري: ١٠٨/٥ و ٢٠٣ [٣٥٦/٤ حوادث سنة ٣٥هـ و ٥٥٨ حوادث سنة ٣٦هـ]، الأنساب للبلاذري: ٧٤/٥ [١٩٢/٦]، الإمامة والسياسة: ٤٢/١ [٤٧/١]، الاستيعاب ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح [القسم الثالث/٩١٩ رقم١٥٥٣]، شرح ابن أبي الحديد: ٦٣/١ [١٤٤/٢ خطبة ٣٠]، وأوعز إليه ابن كثير في تاريخه: ١٧٠/٧ [١٩١/٧ حوادث سنة ٣٥هـ] بصورة مصغّرة جرياً على عادته فيما لا يروقه. (المؤلّف)

باطلاً، فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه. فأبى عثمان أن يخرج، فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلمّا تيقّنوا أنّه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم[١]. فناداه عمرو ابن العاصي من ناحية المسجد: اتّق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهابير[٢] وركبناها معك فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان وإنّك هناك يابن النابغة! قلت والله جبّتك منذ تركتك من العمل، فنودي من ناحية أُخرى: تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ الناس عنك. فرفع عثمان يديه مدّاً واستقبل القبلة فقال: اللّهمّ إنّي أوّل تائب تاب إليك. ورجع إلى منزله، وخرج عمرو بن العاصي حتى نزل منزله بفلسطين فكان يقول: والله إن كنت لألقى الراعي فأحرّضه عليه. وفي لفظ البلاذري: يابن النابغة وإنّك ممّن تؤلّب عليّ الطغام. وفي لفظ: قال عمرو: يا عثمان إنّك قد ركبت بهذه الأُمّة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل. وفي لفظ: ركبت بهذه الأُمّة نهابير من الأُمور فركبوها منك، وملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل.

تاريخ الطبري (١١٠/٥، ١١٤)، أنساب البلاذري (٧٤/٥)، الاستيعاب ترجمة عثمان، شرح ابن أبي الحديد (١١٣/٢)، الكامل لابن الأثير (٦٨/٣)، الفائق للزمخشري(٢٩٦/٢)، نهاية ابن الأثير (١٩٦/٤)، تاريخ ابن كثير (١٧٥/٧)، تاريخ ابن خلدون (٣٩٦/٢)، لسان العرب (٩٨/٧)، تاج العروس (٥٩٢/٣)[٣].

---

(١) ما عذر الخليفة في هذا الكذب الفاحش على منبر النبيّ الأعظم وهو بين يدي قبره الشريف، لعلّه يعتذر بأنّ مروان حثّه عليه ولم يكن له متندح من قبول أمره، والملك عقيم. (المؤلّف)

(٢) النهابير والنهابر: المهالك، الواحدة: نهبرة ونهبور. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٥٩/٤ و ٣٦٦ حوادث سنة ٣٥هـ، أنساب الأشراف: ١٩٢/٦، الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٤١ رقم١٧٧٨، شرح نهج البلاغة: ١٤٣/٢ خطبة ٣٠، الكامل في التاريخ: ٢٨٣/٢ حوادث سنة ٣٥هـ، الفائق: ٣٥/٤، النهاية: ١٣٤/٥، البداية والنهاية: ١٩٦/٧ حوادث سنة ٣٥هـ، تاريخ ابن خلدون: ٥٩٧/٢، لسان العرب: ٢٩٩/١٤.

٣ ـ قال ابن قتيبة: ذكروا أنّ رجلاً من همـدان يقال له بُرد قدم على معاوية فسمع عمراً يقع في عليّ، فقال له: ياعمرو إنّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فحقّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدك أنّه ليس / أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى، فقال ١٣٨/٩
عمرو: إنّه أفسدها بأمره في عثمان، فقال بُرد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا، ولكنه آوى ومنع، قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيعته؟ قال: اتّهامي إيّاه في عثمان. قال له: وأنت أيضاً قد اتُّهمت. قال: صدقت، فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم، عليٌّ على الحقّ فاتّبعوه.

الإمامة والسياسة[1] (٩٣/١).

٤ ـ أخرج الطبري في تاريخه[2] (٢٣٤/٥) من طريق الواقدي، قال: لمّا بلغ عمراً قتل عثمان ﷺ قال: أنا أبو عبدالله، قتلته وأنا بوادي السباع، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقّ، وهو أكره من يليه إليّ.

٥ ـ أسلفنا في حديث طويل في الجزء الثاني (ص١٣٣ ـ ١٣٦) من قول الإمام الحسن السبط الزكي لعمرو بن العاصي «وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعّرت عليه الدنيا ناراً ثم لحقت بفلسطين، فلمّا أتاك قتله قلت: أنا أبو عبدالله إذا نكأت ـ أي قشرت ـ قرحة أدميتها، ثمّ حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً، ولا غضبت له مقتولاً».

---

(١) الإمامة والسياسة: ٩٧/١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٥٦٠/٤.

قال أبو عمر في الاستيعاب[١] في ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح: كان عمرو بن العاصي يطعن على عثمان ويؤلّب عليه ويسعى في إفساد أمره، فلمّا بلغه قتل عثمان وكان معتزلاً بفلسطين قال: إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها، أو نحو هذا.

وقال[٢] في ترجمة محمد بن أبي حذيفة: كان عمرو بن العاص مذ عزله عثمان عن مصر يعمل حيلة في التأليب والطعن على عثمان.

وفي الإصابة (٣٨١/٣): إنّ عثمان لمّا عزل عمرو بن العاص عن مصر قدم المدينة فجعل يطعن على عثمان، فبلغ عثمان فزجره، فخرج إلى أرض له بفلسطين فأقام بها.

قال الأميني: لعلّ ممّا يستغني عن الإفاضة فيه مناوأة ابن العاصي لعثمان ورأيه في سقوطه، وتبجّحه بالتأليب عليه، ومسرّته على قتله، وقوله بملء فمه: أنا أبو عبدالله قتلته / وأنا بوادي السباع. وقوله: إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها. وهل الإحن بينهما استفحلت فتأثّرت بها نفسيّة ابن العاصي حتى أنّه اجتهد فأخطأ أو أنّه أصاب الحقّ، فكان اجتهاده عن مقدّمات صحيحة مقطوعة عن الضغائن الثائرة، معتضدة بآراء الصحابة، وأيّاً ما كان فهو عند القوم من أعاظم الصحابة العدول يرى في الخليفة هذا الرأي! ١٣٩/٩

- ٢٦ -

حديث عامر بن واثلة أبي الطفيل

الشيخ الكبير الصحابي

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخٍ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقدومه، فأرسل إليه فأتاه وهو شيخ كبير، فلمّا دخل عليه قال له معاوية: أنت أبو

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/٩١٩ رقم١٥٥٣.

(٢) المصدر السابق: ص١٣٦٩ رقم٢٣٢٦.

الطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممّن شهده فلم ينصره. قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية أما والله إنّ نصرته كانت عليهم وعليك حقّاً واجباً وفرضاً لازماً، فإذ ضيّعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم. فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربّصت به ريب المنون أن تنصره ومعك أهل الشام؟ قال معاوية: أوَما ترى طلبي لدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطفيل وقال: بلى، ولكنّي وإيّاك[1] كما قال عبيد بن الأبرص[2]:

لأعرفنّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحكم، فلمّا جلسوا نظر إليهم معاوية ثمّ قال: أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا. فقال معاوية: هذا خليل عليّ بن أبي طالب، وفارس صفّين، وشاعر أهل العراق، هذا أبو الطفيل. قال سعيد بن العاص: قد عرفناه يا أمير المؤمنين! فما يمنعك منه؟ وشتمه القوم، فزجرهم معاوية وقال: مهلاً فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعاً، ثمّ قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل؟ قال: ما أُنكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير، وأنشد شعراً:

فإن تكنِ العداوةُ قد أكنّت ... فشرُّ عداوة المرء السبابُ

فقال معاوية: يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ؟ قال: حبّ أُم موسى، وأشكو إلى الله التقصير. فضحك معاوية وقال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سُئِلوا عنّي ما قالوا هذا. فقال مروان: أجل والله لا نقول الباطل. ١٤٠/٩

الإمامة والسياسة (١٥٨/١)، مروج الذهب (٦٢/٢)، تاريخ ابن عساكر

---

(١) كذا والصحيح كما في مروج الذهب [٢٦/٣]: ولكنك وإيّاه. (المؤلّف)

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص: ص٥٦.

(٢٠١/٧)، الاستيعاب في الكنى، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص١٣٣)[١].

قال الأميني: أترى هذا الشيخ الكبير الصالح كيف يعترف بخذلانه عثمان؟ ويحكي مصافقته على ذلك عن المهاجرين والأنصار الصحابة العدول، غير متندّم على ما فرّط هنالك، ولو كان يتحرّج هو ومن نقل عنهم موافقتهم له لردعتهم الصحبة والعدالة عمّا ارتكبوه من القتل والخذلان، ولو كان لحقه وإيّاهم شيء من الندم لباح به وباحوا، لكنّهم اعتقدوا أمراً فمضوا على ضوئه، وإنّهم كانوا على بصيرة من أمرهم، وما اعتراهم الندم إلى آخر نفس لفظوه.

- ٢٧ -

حديث سعد بن أبي وقّاص

أحد العشرة المبشّرة، وأحد الستّة أصحاب الشورى

١ ـ روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[٢] (٤٣/١)، قال: كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره؟ فكتب إليه سعد: إنّك سألتني من قتل عثمان، وإنّي أُخبرك أنّه قتل بسيف سلّته عائشة، وصقله طلحة، وسمّه ابن أبي طالب، وسكت الزبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن، ولو شئنا دفعناه عنه، ولكن عثمان غيّر وتغيّر وأحسن وأساء، فإن كنّا أحسنّا، فقد أحسنّا وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله. الحديث مرّ بتمامه (ص٨٣).

٢ ـ عن أبي حبيبة، قال: نظرت إلى سعد بن أبي وقّاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثمّ خرج من عنده وهو يسترجع ممّا يرى على الباب، فقال له مروان: الآن

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٦٥/١، مروج الذهب: ٢٥/٣، تاريخ مدينة دمشق ١١٦/٢٦ ـ ١١٧ رقم٣٠٦٤، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٩٣/١١، الاستيعاب: القسم الرابع/١٦٩٧ رقم٣٠٥٤، تاريخ الخلفاء: ص١٨٦.

(٢) الإمامة والسياسة: ٤٨/١.

تندم؟ أنت أشعرته. فأسمع سعداً يقول: أستغفر الله لم أكن أظنّ الناس يجترؤون هذه الجرأة ولا يطلبون دمه، وقد دخلت عليه الآن فتكلّم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك، فنزع عن كلّ ما كُره منه، وأعطى التوبة، وقال: لا أتمادى في الهلكة، إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق، فأنا أتوب وأنزع. فقال مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه، فعليك / بابن أبي طالب فإنّه متستّر وهو لا يُجبه. ١٤١/٩

فخرج سعد حتى أتى عليّاً وهو بين القبر والمنبر، فقال: يا أبا الحسن قم فداك أبي وأُمّي جئتك والله بخير ما جاء به أحد قطّ إلى أحد، تصل رحم ابن عمّك، وتأخذ بالفضل عليه، وتحقن دمه، ويرجع الأمر على ما نحبّ، قد أعطى خليفتك من نفسه الرضا. فقال عليّ: «تقبّل الله منه يا أبا إسحاق والله ما زلت أذبّ عنه حتى إنّي لأستحي، ولكن مروان ومعاوية وعبدالله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحته وأمرته أن ينحّيهم استغشّني حتى جاء ما ترى». قال: فبيناهم كذلك جاء محمد بن أبي‌بكر، فسارّ علياً، فأخذ عليّ بيدي، ونهض عليّ وهو يقول: «وأيّ خير توبته هذه؟» فوالله ما بلغت داري حتى سمعت الهائعة أنّ عثمان قد قتل، فلم نزل والله في شرّ إلى يومنا هذا.

تاريخ الطبري[1] (١٢١/٥).

قال الأميني: يتراءى للقارئ من هذه الجمل أنّ سعداً خذل الخليفة على حين أنّه مكثور لا يُراد به إلّا القتل وهو على علم منه أنّه مقتول لا محالة لما كان يرى أنّه غيّر وتغيّر، وغير عازب عن سعد حينئذٍ حكم الشريعة بوجوب كلاءة النفس المحترمة للمتمكّن منها وهو يقول: وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه. حتى إنّه بعد هدوء الثورة غير جازم بأنّه ارتكب حوباً في خذلانه فيقول: إن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله، وعلى تقدير كونه إساءة يراها من اللمم المحوّ

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٧٧/٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

بالاستغفار، ولعلّ الشقّ الأخير من كلمته مجاملة مع عمرو بن العاصي لئلّا يلحقه الطلب بدم عثمان، ولذلك ألقى المسؤوليّة على أُناس آخرين من علّية الأُمّة ذكرهم في كتابه، وعليه فصميم رأيه هو ما ارتكبه ساعة القتل من الخذلان.

- ٢٨ -

حديث مالك الأشتر بن الحارث

المترجم له فيما مرّ (ص٣٨ ـ ٤٠)

ذكر البلاذري في الأنساب[١] (٤٦/٥): أنّ عثمان كتب إلى الأشتر وأصحابه مع عبدالرحمن بن أبي بكر، والمسور بن مخرمة يدعوهم إلى الطاعة ويُعلمهم أنّهم أوّل من سنّ الفرقة، ويأمرهم بتقوى الله ومراجعة الحقّ، والكتابة[٢] إليه بالذي يحبّون.

١٤٢/٩ فكتب إليه الأشتر:

من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنّة نبيّه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره:

أمّا بعد؛ فقد قرأنا كتابك فانهَ نفسك وعمّالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين نسمح لك بطاعتنا، وزعمت أنّا قد ظلمنا أنفسنا، وذلك ظنّك الذي أرداك، فأراك الجور عدلاً، والباطل حقّاً. وأمّا محبّتنا فإن تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنّيك على خيارنا، وتسييرك صلحاءنا، وإخراجك إيّانا من ديارنا، وتوليتك الأحداث علينا، وأن تولّي مصرنا عبدالله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة فقد رضيناهما، واحبس عنّا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله والسلام.

وخرج بكتابهم يزيد بن قيس الأرحبي، ومسروق بن الأجدع الهمداني،

---

(١) أنساب الأشراف: ١٥٩/٦.

(٢) في المصدر والكتاب، وما أثبتناه هو الذي يقتضيه السياق.

وعبد الله بن أبي سبرة الجعفي، وعلقمة بن قيس أبو شبل النخعي، وخارجة بن الصلت البرجمي في آخرين. فلمّا قرأ عثمان الكتاب قال: اللّهمّ إنّي تائب وكتب إلى أبي موسى وحذيفة: أنتما لأهل الكوفة رضىً ولنا ثقة، فتولّيا أمرهم وقوما به بالحقّ غفرالله لنا ولكما. فتولّى أبو موسى وحذيفة الأمر، وسكّن أبو موسى الناس، وقال عتبة بن الوغل:

تصدّق علينا يابن عفّان واحتسب وأمّر علينا الأشعريّ ليـاليا

فقال عثمان: نعم وشهوراً إن بقيت.

قال الأميني: نظريّة مالك الذي عرفته صحيفة (٣٨) في عثمان صريحة واضحة لا تحتاج إلى تحليل وتعليل، وإنّما أعطى من نفسه الرضا في كتابه بشرط النزوع والتوبة، لكنّه لمّا لم يجد للشرط وفاءً بل وجد منه إصراراً على ما نقمه هو والصحابة كلّهم تنشّط للمخالفة، وأجلب عليه خيلاً ورجلاً، ولم يزل مشتدّاً في ذلك حتى بلغ ما أراد.

وسنوقفك على حقيقة أمر الخليفة من توبته بعد توبته في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

- ٢٩ -

حديث عبدالله بن عكيم

١٤٣/٩ أخرج ابن سعد والبلاذري؛ بإسنادهما عن عبدالله بن عكيم الجهني -الصحابيّ-، قال: لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان. فقيل له: يا أبا معبد وأعنت على دمه؟ قال: إنّي أعدّ ذكر مساوئه إعانة على دمه.

طبقات ابن سعد (٥٦/٣)، الأنساب للبلاذري (١٠١/٥)[1].

قال الأميني: هذا الحديث صريح في أنّ الرجل كان يعتقد في عثمان مساوئ

---

(١) الطبقات الكبرى: ١١٥/٦، أنساب الأشراف: ٢٢٦/٦.

ومثالب، وقد اطمأنّ بثبوتها له، فتحدّث بها في الأندية والمحاشد إعانة على دمه، فكان ذلك من موجبات قتله، ولم يزل معترفاً به بعد أن أُسيلت نفسه وأريق دمه.

- ٣٠ -

حديث محمد بن أبي حذيفة

كان أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة العبشمي من أشدّ الناس تأليباً على عثمان، وذكر البلاذري في الأنساب قال: كان محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، ومحمد بن أبي حذيفة، خرجا إلى مصر عام مخرج عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها، فأظهر محمد ابن أبي حذيفة عيب عثمان والطعن عليه وقال: استعمل عثمان رجلاً أباح رسول ﷺ دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال: سأُنزل مثل ما أنزل الله[1].

وكانت غزاة ذات الصواري في المحرّم سنة أربع وثلاثين وعليها عبدالله بن سعد، فصلّى بالناس فكبّر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفزعه بها، فقال: لولا أنّك أحمق لقرّبت بين خطوك، ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره، وجعل ابن أبي حذيفة يقول: يا أهل مصر إنّا خلّفنا الغزو وراءنا، يعني غزو عثمان.

إنّ محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ووافقا بمصر محمد بن طلحة بن عبيد الله وهو مع عبدالله بن سعد، وإنّ ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم / فيها ففاتته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه، فقيل: ١٤٤/٩
رجل أبيض وضيء الوجه. فأمر إذا صلّى أن يؤتى به، فلمّا رآه قال: ما جاء بك إلى بلدي؟ قال: جئت غازياً، قال: ومن معك؟ قال: محمد بن أبي بكر. فقال: والله

---

(١) يعني بذلك عبدالله بن سعد بن أبي سرح وهو صاحب يوم الفتح وفيه نزلت الآية كما مرّ في: ص٢٨١ من الجزء الثامن. (المؤلّف)

ما جئتا إلّا لنُفسدا الناس، وأمر بهما فسجنا، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلّمه فيهما لئلّا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح إفريقية فأعدّ لهما سفينة مُفردة لئلّا يُفسدا عليه الناس، فمرض ابن أبي بكر فتخلّف وتخلّف معه ابن أبي حذيفة، ثمّ إنّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلّا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان، فلمّا وافى ابن أبي سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه، فشخص إلى المدينة وخلف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبي بكر وابن أبي حذيفة، فكان ممّن شايعهم وشجّعهم على المسير إلى عثمان.

قالوا: وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فأمر فوضُع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه، واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم، فلمّا بلغ عثمان ذلك دعا بعمّار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به واستغفر الله منه وسأله أن لا يحقده عليه، وقال: بحسبك من سلامتي لك ثقتي بك، وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحّة خبر ابن أبي حذيفة، وحقّ ما بلغه عنه من باطله، وأمره أن يقوم بعذره، ويضمن عنه العُتبى لمن قدم عليه، فلمّا ورد عمّار مصر[1] حرّض الناس على عثمان ودعاهم إلى خلعه، وأشعلها عليه، وقوى رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر وشجّعهما على المسير إلى المدينة، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان يُعلمه ما كان من عمّار، ويستأذنه في عقوبته، فكتب إليه: بئس الرأي رأيت يابن أبي سرح فأحسن جهاز عمّار واحمله إليّ، فتحرّك أهل مصر وقالوا: سُيّر عمّار، ودبّ فيهم ابن أبي حذيفة ودعاهم إلى المسير فأجابوه[2].

---

(١) سنوقفك على أنّ بعث عمّار إلى مصر قطّ لا يصحّ. (المؤلّف)

(٢) أنساب البلاذري: ٤٩/٥ ـ ٥١ [١٦٣/٦ ـ ١٦٥]، تاريخ ابن كثير: ١٥٧/٧ [١٧٧/٧ حوادث سنة ٣١ هـ]. (المؤلّف)

وذكر أبو عمر الكندي في أُمراء مصر: أنّ عبدالله بن سعد أمير مصر كان
١٤٥/٩ توجّه / إلى عثمان لمّا قام الناس عليه، فطلب أمراء الأمصار فتوجّه إليه في رجب سنة (٣٥) واستناب عقبة بن عامر، فوثب محمد بن أبي حذيفة على عقبة ـ وكان يوم ذاك بمصر ـ فأخرجه من مصر وغلب عليها، وذلك في شوّال منها، ودعا إلى خلع عثمان، وأسعر البلاد، وحرّض على عثمان[1].

وأخرج من طريق الليث عن عبدالكريم الحضرمي كما في الإصابة (٣٧٣/٣): أنّ ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على [ألسنة][2] أزواج النبيّ ﷺ في الطعن على عثمان، كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثمّ يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم، فيجعلهم على ظهور بيت في الحرّ، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر، ثمّ يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة، ثمّ يرسل رسلاً يخبروا بقدومهم فيأمر بتلقّيهم، فإذا لقوا الناس قالوا لهم: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب، فيتلقّاهم ابن أبي حذيفة ومعه الناس، فيقول لهم الرسل: عليكم بالمسجد، فيقرأ عليهم الكتب من أُمّهات المؤمنين: إنّا نشكو إليكم يا أهل الإسلام كذا وكذا من الطعن على عثمان، فيضجّ أهل المسجد بالبكاء والدعاء، فلمّا خرج المصريّون ووجّهوا نحو المدينة على عثمان شيّعهم محمد بن أبي حذيفة إلى عجرود ثمّ رجع.

قال الأميني: أترى هذا الصحابيّ العظيم كيف يجدّ ويجتهد في إطفاء هذه النائرة ولا يخاف ـ فيما يعتقد أنّه في الله ـ لومة لائم، غير مكترث لما بهته به العثمانيّون من اختلاق الكتب على أُمّهات المؤمنين، وتسويد الوجوه بمواجهة الشمس، ولم يزل على

---

(١) تاريخ الطبري: ١٠٩/٥ [٣٥٧/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الاستيعاب: ٢٣٣/١ [القسم الثالث/١٣٦٩ رقم٢٣٢٦]، الكامل لابن الأثير: ٦٧/٣ [٢٨٠/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]، الإصابة: ٣٧٣/٣ [رقم٧٧٦٧]. (المؤلّف)

(٢) الزيادة من المصدر.

دأبه واجتهاده حتى قضي الأمر، وأُزيحت المثلات، وما نبزوه به من الافتعال والتزوير هو حرفة كلّ عاجز، ولعلّه دُبّر في الأزمنة الأخيرة كما دُبّرت أمثاله في كلّ من الثائرين على عثمان ستراً على الحقائق الراهنة.

وهل من المستبعد أن تكتب في التأليب على عثمان صاحبة قول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً إنّه قد كفر. [وقائلة: وددت والله أنه في غرارةٍ من غرائري هذهِ وأني طوّقت حمله حتى ألقيه في البحر][1] وقائلة: وددت والله أنّك ـ يا مروان ـ وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحاً وأنّكما في البحر. وقائلة: بُعداً لنعثل و / سحقاً. وقائلة: أبعده الله، ذلك لما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد. وقائلة: ١٤٦/٩
يابن عبّاس إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية.

وهي كانت في الرعيل الأوّل من الثائرين على عثمان بشتّى الحيل والطرق الثائرة.

هب أنّهم بهتوا القوم بتلكم الأفائك لكن هل يسعهم إنكار تألّبهم على الخليفة يومئذ؟ وقد التزموا بعدالتهم، والصحاح والمسانيد مشحونة بالاحتجاج بهم والإخراج عنهم، نعم غاية ما يمكّنهم من التقوّل الحكم بالخطأ في الاجتهاد شأن كلّ متقابلين في حكم شرعيّ، وليس تحكّمهم هذا بأرجح من رأي من يرى أنّهم أصابوا في الاجتهاد وإجماع الصحابة يومئذ كان معاضداً لهم، وهم يقولون: إنّ أُمّة محمد لا تجتمع على خطأ.

ـ ٣١ ـ

حديث عمرو بن زرارة النخعي

أدرك عصر النبيّ ﷺ

قال البلاذري وغيره: إنّ أوّل من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعليّ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي، وكميل بن زياد بن نهيك النخعي، فقام عمرو بن زرارة

---

(١) ساقط من الطبعة الثانية وأثبتناه من الأُولى.

فقال: أيّها الناس إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه، وقد أغرى بصلحائكم يـولّي عليهم شراركم، فبلغ الوليد فكتب إلى عثمان بما كان من ابن زرارة، فكتب إليه عثمان، أنّ ابن زرارة أعرابيّ جلف، فسيّره إلى الشام. وشيّعه الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد وهو عمّ الأسود والأسود أكبر منه، فقال قيس بن قهدان يومئذٍ:

أُقسمُ بـالله ربّ البـيت مجـتهداً أرجو الثواب بـه سرّاً وإعـلانا
لأخـلعنّ أبـا وهبٍ وصـاحبه كهف الضلالة عثمان بـن عـفّانا

وقال ابن الأثير: هو ممّن سيّره عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق.

راجع[1]: الأنساب للبلاذري (٥/٣٠)، أُسد الغابة (٤/١٠٤)، الإصابة (١/٥٤٨ و٢/٥٣٦).

قال الأميني: ليس على نظريّة هذا الصحابي ستر يعاط عنها، ولا أنّه كان يلهج بغير المكشوف حتى يُسدل عليه شيء من التمويه، فإنّك لا تجد رأيه إلّا في عداد آراء الصحابة جمعاء يومئذٍ.

- ٣٢ -

حديث صعصعة بن صوحان

سيّد قومه عبدالقيس

١٤٧/٩ أخرج ابن عساكر في تاريخه[2] (٦/٤٢٤) من طريق حميد بن هلال العدوي، قال: قام صعصعة إلى عثمان بن عفّان وهو على المنبر فقال: يا أمير المـؤمنين مـلت فمالت أُمّتك، اعتدل يا أمير المؤمنين تعتدل أُمّتك.

---

(١) أنساب الأشراف: ٦/١٣٩، أُسد الغابة: ٤/٢٢٣ رقم ٣٩٢٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٤/٨٤، ٨٨ رقم ٢٨٨١، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١١/٨٥.

قال: وتكلّم صعصعة يوماً فأكثر، فقال عثمان: يا أيّها الناس إنّ هذا البجباج النفّاج ما يدري من الله ولا أين الله. فقال: أمّا قولك: ما أدري من الله: فإنّ الله ربّنا وربّ آبائنا الأوّلين، وأمّا قولك: لا أدري أين الله: فإنّ الله لبالمرصاد، ثمّ قرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصرِهِمْ لَقَدِير﴾[1]. فقال عثمان: ما نزلت هذه الآية إلّا فيّ وفي أصحابنا، أخرجنا من مكة بغير حقّ.

وذكره الزمخشري في الفائق[2] (٣٥/١) فقال: البجباج: الذي يهبر الكلام وليس لكلامه جهة، وروي: الفجفاج؛ وهو الصيّاح المكثار. وقيل: المأفون المختال. والنفّاج: الشديد الصلف.

وأوعز إليه ابن منظور في لسان العرب[3] (٣٢/٣)، وقال: البجباج من البجبجة التي تفعل عند مناغاة الصبي، وبجباج فجفاج كثير الكلام، والبجباج: الأحمق، والنفّاج: المتكبّر.

وكذا ذكره ابن الأثير في النهاية[4] (٧٢/١)، والزبيدي في تاج العروس (٦/٢).

قال الأميني: هذا صعصعة الذي أسلفنا صفحة (٤٣) من هذا الجزء ذكر عظمته وفضله وبطولته وثقته في الدين والدنيا، يرى أنّ الخليفة مال عن الحقّ فمالت أُمّته ولو اعتدل اعتدلت، وفي تلاوته الآية الكريمة في محاورته إيذان بالحرب، وأنّه ومن شاكله مظلومون من ناحية عثمان منصورون بالله تعالى، فهو بذلك مستبيح لمنابذته ومناجزته، لقد لهج صعصعة بهذه على رؤوس الأشهاد والخليفة على المنبر يخطب، فلم يسمع إنكاراً أو دفاعاً من أفاضل الصحابة العدول.

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) الفائق: ٧٨/١.

(٣) لسان العرب: ٣١٦/١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٩٦/١.

- ٣٣ -

حديث حكيم بن جبلة العبدي

الشهيد يوم الجمل

١٤٨/٩ كان هذا الرجل العظيم صالحاً ديّناً مطاعاً في قومه كما وصفه أبو عمر، وأثنى عليه المسعودي بالسيادة والزهد والنسك. كان أحد زعماء الثائرين على عثمان من أهل البصرة كما يأتي. وقال المسعودي: إنّ الناس لمّا نقموا على عثمان ما نقموا، سار فيمن سار إلى المدينة حكيم بن جبلة. وقال الذهبي: كان ممّن ألّب على عثمان ﷺ. وجاء في مقال خفاف الطائي في الحديث عن عثمان: حصره المكشوح، وحكم فيه حكيم، ووليه محمد وعمّار، وتجرّد في أمره ثلاثة نفر: عديّ بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحمق، وجدّ في أمره رجلان: طلحة والزبير. الحديث.

وقال أبو عمر: كان ممّن يعيب عثمان من أجل عبدالله بن عامر وغيره من عمّاله. قال أبو عبيد: قطعت رجل حكيم يوم الجمل فأخذها ثمّ زحف إلى الذي قطعها، فلم يزل يضربه بها حتى قتله، وقال:

يا نفس لن تراعي ... دعاك خير داعي
إن قُطِعَتْ كراعي ... إنّ معي ذراعي[1]

فالباحث يجد لهذا البطل الصالح الدين الزاهد الناسك قدماً أيّ قدم في التأليب على الخليفة، وله خطواته الواسعة في استحلال دمه والتجمهر عليه، وهو مع ذلك كلّه بعد صالح يُذكر ويُشكر ويُثنى عليه، ما اسودّت صحيفة تاريخه بمناجزته الخليفة

---

(١) راجع: كتاب صفين لابن مزاحم: ص٨٢ [ص٦٥]، مروج الذهب: ٧/٢ [٣٦١/٢ و ٣٧٥]، الاستيعاب: ١٢١/١ [القسم الأوّل/٣٦٦ رقم ٥٤٠]، دول الإسلام للذهبي: ١٨/١ [ص٢٣ حوادث سنة ٣٦هـ]، ابن أبي الحديد: ٢٥٩/١ [١١١/٣ خطبة ٤٣]. (المؤلّف)

والوقيعة فيه ومقته والنقمة عليه، ولم يتضعضع بها أركان صلاحه، وما اختلّ بها نظام نسكه، ولا شوّهت سمعته الدينيّة، ولا دنّست ساحة قدسه، وهذه كلّها لا تلتئم مع كون الخليفة إمام عدل.

- ٣٤ -

حديث هشام بن الوليد المخزومي أخي خالد

مرّ في (ص١٥) من هذا الجزء قول الرجل لعثمان لمّا ضرب عمّاراً حتى غُشي عليه: يا عثمان أمّا عليّ فاتّقيته وبني أبيه، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أُميّة عظيم السرّة. فقال عثمان: وإنّك لهاهنا يابن القسريّة؟ قال: فإنّهما قسريّتان، وكانت أُمّه وجدّته قسريّتين من بجيلة. فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج. ١٤٩/٩

ولهشام أبيات في عثمان ذكرها المرزباني في معجم الشعراء كما قاله ابن حجر في الإصابة (٦٠٦/٣) وذكر منها قوله:

لساني طويلٌ فاحترس من شدائِهِ ... عليك وسيفي من لسانيَ أطولُ

لعلّ الباحث لا يعزب عنه رأي هذا الصحابي ـ العادل ـ في الخليفة، ولا يجده شاذّاً عن بقيّة الصحابة في إصفاقهم على مقته بعد ما يراه كيف يجابه الرجل بفظاظة وخشونة، ويقابله بالقول القارص، ويهدّده بالهجاء والقتل، غير راع له أيّ حرمة وكرامة، لا يحسب تلكم القوارص زوراً من القول، وفنداً من الكلام، بل يرى الخليفة أهلاً لكلّ ذلك، فهل يجتمع هذا مع كون الرجل إمام عدل عند المخزومي؟

- ٣٥ -

حديث معاوية بن أبي سفيان الأموي

١ ـ من كتاب لأمير المؤمنين إلى معاوية: «فسبحان الله ما أشدّ لزومك

للأهواء المبتدعة والحيرة المتّبعة، ومع تضييع الحقائق واطّراح الوثائق التي هي لله طلبة، وعلى عباده حجّة، فأمّا إكثارك الحجاج في عثمان وقتله، فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له»[1].

٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: «فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك».

١٥٠/٩ راجع ما مرّ من حديث أمير المؤمنين.

٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى الرجل: «قد أسهبت في ذكر عثمان، ولعمري ما قتله غيرك، ولا خذله سواك، ولقد تربّصت به الدوائر، وتمنّيت له الأماني، طمعاً فيما ظهر منك، ودلّ عليه فعلك».

شرح ابن أبي الحديد[2] (٤١١/٣).

٤ ـ من كتاب لابن عبّاس إلى معاوية: أمّا ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفّان، وكراهتنا لسلطان بني أُميّة، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك وأخو عثمان: الوليد بن عقبة.

كتاب نصر (ص٤٧٢)، الإمامة والسياسة (٩٦/١)، شرح ابن أبي الحديد (٢٨٩/٢)[3].

٥ ـ من كتاب لابن عبّاس إلى معاوية: وأمّا قولك: إنّي من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي، فأُقسم بالله لأنت المتربّص بقتله، والمحبّ لهلاكه، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من

---

(١) نهج البلاغة: ٦٢/٢ [ص٤١٠ كتاب٣٧]. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨٤/١٥ كتاب ١٠.

(٣) وقعة صفّين: ص٤١٥، الإمامة والسياسة: ١٠٠/١، شرح نهج البلاغة: ٦٦/٨ خطبة ١٢٤.

أمره، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث ويستصرخ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً بأجرة أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يُقتل، فقتل كما كنت أردت، ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول: قُتل مظلوماً. فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين. مرّ تمام الكتاب في صفحة (١٣٤).

٦ ـ روى البلاذري في الأنساب[١] قال: لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه، بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فإنّني أنا الشاهد وأنت الغائب، قال: فأقام بذي خُشب حتى قُتل عثمان، فاستقدمه حينئذٍ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه، وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه.

راجع شرح ابن أبي الحديد[٢] (٥٧/٤).

٧ ـ من خطبة لشبث بن ربعي يخاطب معاوية: إنّه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب، إنّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلّا قولك: قُتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه. فاستجاب له سفهاء طغام، / وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي ١٥١/٩
أصبحت تطلب. الخ.

كتاب صفّين لابن مزاحم (ص ٢١٠)، تاريخ الطبري (٢٤٣/٥)، الكامل لابن الأثير (١٢٣/٣)، شرح ابن أبي الحديد (٣٤٢/١)[٣].

---

(١) أنساب الأشراف: ١٨٨/٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٥٤/١٦ كتاب ٣٧.

(٣) وقعة صفّين: ص١٨٧، تاريخ الأُمم والملوك: ٥٧٣/٤ حوادث سنة ٣٦هـ، الكامل في التاريخ: ٣٦٥/٢ حوادث سنة ٣٦هـ، شرح نهج البلاغة: ١٥/٤ خطبة ٥٤.

٨ ـ من كتاب لأبي أيّوب الأنصاري جواباً لمعاوية: فما نحن وقتلة عثمان، إنّ الذي تربّص بعثمان وثبّط أهل الشام عن نصرته لأنت، وإنّ الذين قتلوه غير الأنصار.

الإمامة والسياسة (٩٣/١) وفي طبعة (ص٨١)، شرح ابن أبي الحديد (٢٨١/٢)[١].

٩ ـ من كتاب لمحمد بن مسلمة الأنصاري جواباً لمعاوية: ولئن كنت نصرت عثمان ميّتاً لقد خذلته حيّاً، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب.

الإمامة والسياسة (٨٧/١)، شرح ابن أبي الحديد (٢٦٠/١)[٢].

١٠ ـ في محاورة بين معاوية وأبي الطفيل الكناني: قال معاوية: أكنت فيمن حضر قتل عثمان؟ قال: لا، ولكنّي فيمن حضر فلم ينصره، قال: فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة؟ قال: منعني ما منعك إذ تربّصت به ريب المنون وأنت بالشام، قال: أوَما ترى طلبي بدمه نصرة له؟ قال: بلى ولكنّك وإيّاه كما قال الجعدي[٣]:

لألفينّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

راجع ما مرّ في هذا الجزء (ص١٣٩)

١١ ـ لمّا أتى معاوية نعي عثمان وبيعة الناس عليّاً عليه السلام ضاق صدراً بما أتاه وتظاهر بالندم على خذلانه عثمان، وقال كما في كتاب صفّين[٤] (ص٨٨):

أتاني أمرٌ فيه للنفس غمّةٌ ... وفيه بكاءٌ للعيون طويلُ

---

(١) الإمامة والسياسة: ٩٧/١، شرح نهج البلاغة: ٤٤/٨ خطبة ١٢٤.

(٢) الإمامة والسياسة: ٩١/١، شرح نهج البلاغة: ١١٥/٣ خطبة ٤٣.

(٣) مرّ في صفحة ٢٠١ أنّ البيت لعَبيد بن الأبرص.

(٤) وقعة صفّين: ص٧٩.

وفيه فناءٌ شاملٌ وخزايةٌ ... وفيه اجتداعٌ للأنوف أصيلُ
مصابُ أمير المؤمنين وهذه ... تكاد لها صمّ الجبال تزولُ
فللّه عيناً من رأى مثل هالك ... أُصيب بلا ذنب وذاك جليلُ
تداعت عليه بالمدينةِ عصبةٌ ... فريقان منها قاتلٌ وخذولُ
دعاهم فصمُّوا عنه عند جوابه ... وذاكم على ما في النفوس دليلٌ
ندمت على ما كان من تبعي الهوى ... وقصري[1] فيه حسرةٌ وعويلُ

قال الأميني: إنّ زبدة مخض هذه الكلمات المعتضدة بعضها ببعض أنّ ابن هند لم يشذّ عن الصحابة في أمر عثمان، وإنّما يفترق عنهم بأنّ أُولئك كانوا مهاجمين عليه أو خاذلين له، وأمّا معاوية فقد اختصّ بالخذلان والتخذيل اللذين كان يروقه نتاجهما حتى وقع ما كان يحبّه ويتحرّاه، وحتى حسب صفاء الجوّ لما كان يضمره من التشبّث بثارات عثمان، والظاهر بعد الأخذ بجامع هذه النقول عن أعاظم الصحابة وبعد تصوير الحادثة نفسها من شتّى المصادر أنّ لخذلان معاوية أتمّ مدخليّة في انتهاء أمر الخليفة إلى ما انتهى إليه، والخاذل غير بعيد عن المجهز، ومن هنا وهنا يقول له الإمام عليه السلام: «فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك». ويقول: «ولعمري ما قتله غيرك، ولا خذله سواك»، إلى كلمات آخرين لا تخفى عليهم نوايا الرجل، فلو كان مستعجلاً بكتائبه إلى دخول المدينة، غير متربّص قتل ابن عمّه لحاموا عنه ونصروه، وكان مبلغ أمره عندئذٍ إمّا إلى الفوز بهم، أو تراخي الأمر إلى أن يبلغه بقيّة الأنصار من بلاد أُخرى، فيكون النصر بهم جميعاً، لكن معاوية ما كان يريد ذلك وإنّما كان مستبطئ أجل الرجل، طامعاً في تقلّده الخلافة من بعده، فتركه والقوم، فهو أظلم الظالمين إن كان قُتل مظلوماً كما قاله حبر الأُمّة، أو أنّه من الصحابة العدول ـ كما يحسبه القوم ـ وهذا رأيه في الخليفة المقتول. ١٥٢/٩

---

(١) قصري: أي حسبي، يقال، قصرك: أي حسبك وكفايتك. كما يقال: قصارك وقصاراك. (المؤلّف)

- ٣٦ -

حديث عثمان نفسه

دخل المغيرة بن شعبة على عثمان ﷺ وهو محصور فقال: يا أمير المؤمنين إنّ هؤلاء قد اجتمعوا عليك فإن أحببت فالحق بمكة، وإن أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام، ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام، وإن أبيت فاخرج ونخرج وتحاكم القوم إلى الله. فقال عثمان: أمّا ما ذكرت من الخروج إلى مكة فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأُمّة من الإنس والجنّ». فلن أكون ذلك الرجل إن شاء الله. الحديث.

وفي لفظ أحمد: «يُلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» فلن أكون أنا إيّاه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١٥٣/٩ وفي لفظ الخطيب: «يُلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب الأُمّة»، فلن أكونه.

وفي لفظ الحلبي: إنّ ابن الزبير لمّا قال لعثمان ﷺ وهو محاصر: إنّ عندي نجائب أعددتها لك فهل لك أن تنجو إلى مكة؟ فإنّهم لا يستحلّونك بها، قال له عثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُلحد رجل في الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم»، فلن أكون أنا.

راجع[1]: مسند أحمد (٦٧/١)، رجال إسناده كلهم ثقات، الإمامة والسياسة

---

(١) مسند أحمد: ١٠٧/١ ح٤٨٣، الإمامة والسياسة: ٤١/١، الرياض النضرة: ٦٢/٣، البداية والنهاية: ٣٧٤/٨ حوادث سنة ٣٩هـ، الصواعق المحرقة: ص١١١، تاريخ الخلفاء: ص١٥١، السيرة الحلبية: ١٧٥/١.

لابن قتيبة (ص٣٥)، تاريخ الخطيب (٢٧٢/١٤)، الرياض النضرة (١٢٩/٢)، تاريخ ابن كثير (٢١٠/٧)، مجمع الزوائد (٢٣٠/٧) قال: ورواه أحمد ورجاله ثقات وله طرق، الصواعق (ص٦٦)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص١٠٩)، السيرة الحلبيّة (١٨٨/١)، تاريخ الخميس (٢٦٣/٢)، إزالة الخفاء (٣٤٣/٢).

الإنسان على نفسه بصيرة:

تعطينا هذه الرواية أنّ ثقة عثمان بانطباق ما ذكره عن رسول الله ﷺ في الرجل الملحد بمكة على نفسه من جرّاء ما علم أنّه مرتكبه من الأعمال أشدّ وأكثر من ثقته بإيمانه بما رووه له من البشارة بالجنّة في العشرة المبشّرة إلى فضائل أُخرى صنعتها له أيدي الولاء والمحبّة، على أنّ هذه كلّها نصوص فيه، وأمّا ما خشي انطباقه عليه فهو وارد في رجل مجهول استقرب الخليفة أن يكونه هو، فامتنع عن الانفلات إلى مكة وآثر عليه بقاءه في الحصار حتى أُودي به، ولم يكن يعلم أنّه يقتل بمكة لو خرج إليها، وعلى فرض قتله بها فمن ذا الذي أخبره أنّه يكون هو ذلك الرجل؟

كيف يخاف عثمان أن يكون هو ذلك الرجل وقد اشترى الجنّة من النبيّ ﷺ مرّتين بيع الحقّ: حيث حفر بئر رومة، وحيث جهّز جيش العسرة[1]؟

كيف يخاف عثمان وقد عهد إليه رسول الله ﷺ بأنّه يُقتل ويُبعث يوم القيامة أميراً على كلّ مخذول، يغبطه أهل المشرق والمغرب، ويشفع في عدد ربيعة ومضر[2]؟ ١٥٤/٩

كيف يخاف عثمان وقد سمع وصيّة رسول الله ﷺ إلى أُمّته به بقوله: عليكم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١٠٧/٣ [١١٥/٣ ح٤٥٧٠] وصحّحه غير ممعن نظره في إسناده وعقّبه الذهبي بتضعيف عيسى بن المسيّب من رجال إسناده وقال، ضعّفه أبوداود وغيره. (المؤلّف)

(٢) سنوافيك الحديث بإسناده ومتنه كملاً. (المؤلّف)

بالأمير وأصحابه. وأشار إلى عثمان؟

كيف يخاف عثمان وقد أخبر ﷺ عن شأنه في الجنّة لمّا سُئل: أفي الجنّة برق؟ فقال: نعم والذي نفسي بيده إنّ عثمان ليتحوّل من منزل إلى منزل فتبرق له الجنّة[١].

كيف يخاف عثمان وقد قال ﷺ بمشهد منه ومسمع: ليس من نبيّ إلّا وله رفيق من أُمّته معه في الجنّة وإنّ عثمان رفيقي ومعي في الجنّة[٢]؟

كيف يخاف عثمان وقد قال له ﷺ معتنقاً إيّاه: أنت وليّي في الدنيا والآخرة. أو قال: هذا جليسي في الدنيا ووليّي في الآخرة[٣]؟

كيف يخاف عثمان بعد ما جاء عن جابر أنّ النبيّ ﷺ ما صعد المنبر فنزل حتى قال: عثمان في الجنّة[٤]؟

نعم؛ للباحث أن يجيب بأنّ هذه كلّها أباطيل وأكاذيب لا يصحّ شيء منها، فما ذنب عثمان؟ وكيف لا يخاف والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره؟

قريض يؤكد ما سبق:

ذكر البلاذري في الأنساب[٥] (١٠٥/٥) للأعور الشنّي بشر بن منقذ يكنّى أبا منقذ أحد بني شنّ بن أقصى كان مع أمير المؤمنين يوم الجمل، ترجمه المرزباني في معجم الشعراء (ص٣٩) قوله:

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص٣١٣. (المؤلّف)

(٢) سيأتيك الحديث بإسناده وأنّه باطل. (المؤلّف)

(٣) سنوقفك في هذا الجزء على أنّه باطل لا يصح. (المؤلّف)

(٤) من أكاذيب جاء بها محبّ الطبري في رياضه: ١٠٤/٢ [٣١/٣]. (المؤلّف)

(٥) أنساب الأشراف: ٢٢٩/٦.

بكت عينُ من يبكي ابنَ عفّان بعدما ... نـفى ورق الفـرقان كـلَّ مكـانِ
ثـوى تـاركاً للحقّ متّبعَ الهـوى ... وأورثَ حـربـاً حـشّها بـطِعانِ
برئت إلى الرحمنِ مـن ديـنِ نـعثلٍ ... وديـنِ ابـن صـخرٍ أيّهـا الرجـلانِ

ويقال: ابن الغريرة النهشلي، ويقال: الحباب بن يزيد المجاشعي[1]. ١٥٥/٩

وقال عليّ بن الغدير المضرّس الغنوي، ويقال: إهاب بن همام بن صعصعة المجاشعي:

لعـمرُ أبـيكِ فـلا تكـذبي ... لقـد ذهب الخـيرُ إلّا قـليلا
لقد فُـتنَ النـاسُ في ديـنِهمْ ... وخلّى ابن عفّان شرّاً طويلا
أعاذلُ كـلُّ امـريءٍ هـالكٌ ... فسيري إلى الله سيراً جمـيلا

راجع[2]: الأنساب (١٠٤/٥)، تاريخ الطبري (١٥٢/٥)، الاستيعاب(٤٨٠/٢)، تفسير ابن كثير (١٤٣/١).

وأخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفّين[3] (ص٤٣٥) من رجز همام بن الأغفل يوم صفّين قوله:

قد قرّت العين من الفسّاقِ ... ومن رؤوس الكفر والنفاقِ
إذ ظـهرت كـتائبُ العـراقِ ... نحن قتلنا صـاحبَ المُـرّاقِ
وقـائدَ البُـغاة والشـقاقِ ... عثمانَ يـومَ الدار والإحـراقِ[4]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر: ٢٥٨/٣ [٢٧٥/١٠ رقم٩١٠، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢١٩/٥]: الحتات بن يزيد. (المؤلّف)

(٢) أنساب الأشراف: ٢٢٨/٦، تاريخ الأُمم والملوك: ٤٢٦/٤ حوادث سنة ٣٥ هـ، الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٥٢ رقم١٧٧٨.

(٣) وقعة صفّين: ص٣٨٣.

(٤) إشارة إلى إحراق باب دار عثمان كما مرّ حديثه ويأتي. (المؤلّف)

لمّـا لفـفنا سـاقَهم بسـاقِ بالطعنِ والضربِ مع العناقِ

وقال محمد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي كما في كتاب صفّين[1] (ص٤٣٦):

نحن قتلنا نعثلاً بالسيره إذ صدَّ عن أعلامنا المنيره
يحكم بالجور على العشيره نحن قتلنا قبله المغيره[2]
نالته أرماحٌ لنا موتوره إنّا أُناسٌ ثابتو البصيره

وقال الفضل بن العبّاس مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن أبيات له:

أتطلب ثأراً لست منه ولا له واين ابن ذكوان الصفوريّ من عمرِو
كما اتّصلت بنتُ الحمار بأُمّها وتنسى أباها إذ تُسامي أُولي الفخرِ
ألا إنَّ خيرَ الناسِ بعد محمدٍ وصيُّ النبيّ المصطفىٰ عند ذي الذكرِ
وأوّلُ من صلّىٰ وصنوُ نبيِّه وأوّلُ من أردى الغواةَ لدى بدرِ
١٥٦/٩ فلو رأتِ الأنصارُ ظلمَ ابنِ عمِّكمْ لكانوا له من ظلمهِ حاضري النصرِ
كفىٰ ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله وأن يُسلموه للأحابيش من مصرِ

تاريخ الطبري[3] (١٥١/٥).

نادى عمرو بن العاص يوم صفّين بأعلى صوته:

يا أيّها الجند الصَّليب الايمانْ قوموا قياماً واستعينوا الرحمنْ
إنّي أتاني خبرٌ ذو ألوانْ[4] أنَّ عليّاً قتل ابن عفّانْ
ردّوا علينا شيخنا كما كان

---

(١) وقعة صفّين: ص٣٨٣.

(٢) هو المغيرة بن الأخنس المقتول يوم الدار مع عثمان كما يأتي حديثه. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٤٢٦/٤ حوادث سنة ٣٥ هـ.

(٤) في كتاب نصر: فأشجان. (المؤلّف)

فردّ عليه أهل العراق وقالوا:

أبت سيوف مذحج وهمدانْ بأن تردَّ نعثلاً كما كانْ
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن ذلك شأنٌ قد مضى وذا شانْ

ثمّ نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته:

رُدّوا علينا شيخنا ثمّ بجلْ أو لا تكونوا حرّزاً من الأسلْ[1]

فردّ عليه أهل العراق:

كيف نردُّ نعثلاً وقد قحلْ نحن ضربنا رأسه حتى انجفلْ[2]
وأبدل الله به خير بدلْ أعلم بالدين وأزكى بالعملْ[3]

شدّ الأشتر مالك بن الحارث يوم صفّين على محمد بن روضة وهو يقول:

لا يبعد الله سوى عثمانا وأنزل الله بكم هوانا
ولا يسلّي عنكم الأحزانا مخالف قد خالف الرحمانا
نصرتموه عابداً شيطاناً[4]

- ٣٧ -

حديث المهاجرين والأنصار

١ ـ من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى معاوية: «زعمت أنّك إنّما أفسد ١٥٧/٩

---

(١) في كتاب صفّين: جزراً من الأسل. الجزر: قطع اللحم تأكله السباع. الأسل: الرماح. (المؤلّف)

(٢) قحل: يبس فهو قاحل. انجفل: انقلب وسقط. (المؤلّف)

(٣) كتاب صفّين: ص٢٥٦، ٢٥٧، ٤٥٤ [ص٢٢٨، ٢٢٩]، شرح ابن أبي الحديد: ٤٨٢/١ [١٨٥/٥ خطبة ٦٥]، لسان العرب: ٧٠/١٤ [٤٦/١١]، تاج العروس: ٧٧/٨. (المؤلّف)

(٤) كتاب صفّين: ص١٩٩ [ص١٧٨]، شرح ابن أبي الحديد: ٣٣٠/١ [٣٢٩/٣ خطبة ٥١]. حذف منها الشطرين الأخيرين. (المؤلّف)

عليك بيعتي خفري بعثمان، ولعمري ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين، أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى، وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر، ولا قتلت فأخاف على نفسي قصاص القاتل»[١].

٢ ـ روى البلاذري، عن المدائني، عن عبدالله بن فائد أنّه قال: نظر ثابت بن عبدالله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إنّي لأُبغضهم. فقال سعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان: تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك. قال: صدقت، قتل أبي علوج الشام وجفاته وقتل جدّك المهاجرون والأنصار.

أنساب البلاذري[٢] (٥/١٩٥، ٣٧٢).

٣ ـ قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[٣] (١/٩٢): ذكروا أنّ أبا هريرة وأبا الدرداء[٤] قدما على معاوية من حمص وهو بصفّين، فوعظاه وقالا له: يا معاوية علام تُقاتل عليّاً؟ وهو أحقّ بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة. لأنّه رجل من المهاجرين الأوّلين السابقين بالإحسان، وأنت طليق، وأبوك من الأحزاب. أما والله ما نقول لك

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/٨٧ [١/٩١]، العقد الفريد: ٢/٢٨٤ [٤/١٣٧]، الكامل للمبرّد: ١/١٥٧ [١/٢٧١]، شرح ابن أبي الحديد: ١/٢٥٢ [٣/٨٩ خطبة ٤٣]. (المؤلّف)

(٢) أنساب الأشراف: ٦/٣٥٠ و ١٣٤.

(٣) الإمامة والسياسة: ١/٩٦.

(٤) كذا في الإمامة والسياسة، وهو لا يتم؛ لأنّ أبا الدرداء عويمر أو عامر الصحابي المعروف توفّي سنة ٣٢ هـ على الأشهر أي قبل مقتل عثمان بثلاث سنين، وقيل: بسنتين، وقيل: سنة ٣١ هـ.
أنظر: المعارف لابن قتيبة: ص٢٦٨، الاستيعاب: القسم الثالث/١٢٢٩ و ١٢٣٠ رقم ٢٠٠٦ والقسم الرابع/١٦٤٦ و ١٦٤٨ رقم ٢٩٤٠، المنتظم: ٥/١٨ رقم ٢٥٦، أُسد الغابة: ٤/٣١٩ رقم ٤١٣٦، الكامل في التاريخ: ٢/٢٦٢ حوادث سنة ٣١ هـ، الإصابة: ٣/٤٥ رقم ٦١١٧ وغيرها.

أن تكون العراق أحبّ إلينا من الشام، ولكنّ البقاء أحبّ إلينا من الفناء، والصلاح أحبّ إلينا من الفساد، فقال: لست أزعم أنّي أولى بهذا الأمر من عليّ، ولكنّي أُقاتله حتى يدفع إليّ قتلة عثمان. فقالا: إذا دفعهم إليك ماذا يكون؟ قال: أكون رجلاً من المسلمين، فأتيا عليّاً، فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شورى. فقدما على عسكر عليّ، فأتاهما الأشتر، فقال: يا هذان إنّه لم ينزلكما الشام حبّ معاوية، وقد زعمتما أنّه يطلب قتلة عثمان، فعمّن أخذتما ذلك فقبلتماه، أعمّن قتله؟ فصدّقتموهم على الذنب كما صدّقتموهم على القتل؟ أم عمّن نصره؟ فلا شهادة لمن جرّ إلى نفسه، أم عمّن اعتزل إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله؟ أو عن معاوية وقد زعم أنّ عليّاً قتله؟ إتّقيا الله، فإنّا شهدنا وغبتما، ونحن الحكّام على من غاب. فانصرفا ذلك اليوم.

١٥٨/٩ فلمّا أصبحا أتيا عليّاً، فقالا له: إنّ لك فضلاً لا يدفع، وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان، فإن فعلت ثمّ قاتلك كنّا معك. قال عليّ: «أتعرفانهم؟» قالا. نعم. قال: «فخذاهم»، فأتيا محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والأشتر، فقالا: أنتم من قتلة عثمان وقد أُمرنا بأخذكم. فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل، فقالوا: نحن قتلنا عثمان. فقالا: نرى أمراً شديداً ألبس علينا الرجل.

فانصرف أبو هريرة وأبو الدرداء إلى منزلهما بحمص. فلمّا قدما حمص لقيهما عبدالرحمن بن عثمان[1]، وسأل عن مسيرهما، فقصّا عليه القصّة، فقال: العجب منكما إنّكما من أصحاب رسول الله ﷺ، أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما،

---

(١) هناك شخصان بهذا الاسم؛ أحدهما عبدالرحمن بن عثمان بن عبيدالله التيمي ابن أخي طلحة التيمي، من مسلمة الفتح، قتل مع ابن الزبير بمكة؛ وثانيهما عبدالرحمن بن عثمان بن مظعون، ولعله هو الذي لقي أبا هريرة وصاحبه ونصحهما.

أتأتيان عليّاً وتطلبان إليه قتلة عثمان؟ وقد علمتما أنّ المهاجرين والأنصار لو حرّموا دم عثمان نصروه وبايعوا عليّاً على قتلته، فهل فعلوا؟ وأعجب من ذلك رغبتكما عمّا صنعوا وقولكما لعليّ: اجعلها شورى واخلعها من عنقك! وإنّكما لتعلمان أنّ من رضي بعليّ خير ممّن كرهه، وأنّ من بايعه خير ممّن لم يبايعه، ثمّ صرتما رسولي رجل من الطلقاء لا تحلّ له الخلافة. ففشا قوله وقولهما، فهمّ معاوية بقتله، ثمّ راقب فيه عشيرته.

وفي لفظ ابن مزاحم من كتاب صفّين[1] (ص٢١٣): خرج أبو أمامة الباهلي وأبو الدرداء[2]، فدخلا على معاوية وكانا معه فقالا: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله لهو أقدم منك سلماً، وأحقّ بهذا الأمر منك، وأقرب من النبيّ ﷺ، فعلام تقاتله؟ فقال: أُقاتله على دم عثمان، وأنّه آوى قتلته؛ فقولوا له: فليقدنا من قتلته، فأنا أوّل من بايعه من أهل الشام. فانطلقوا إلى عليّ فأخبروه بقول معاوية، فقال: «هم الذين ترون»، فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد لايُرى منهم إلّا الحدق فقالوا: كلّنا قَتَلَه، فإن شاؤوا فليروموا ذلك منّا.

٤ ـ مرّ في صفحة (١٣٩) من حديث أبي الطفيل قول معاوية له: أكنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممّن شهده فلم ينصره، قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار. الحديث، فراجع.

٥ ـ قال شعبة: ما رأيت رجلاً أوقع في رجال أهل المدينة من القاضي أبي إسحاق سعد ـ بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف المدني الزهري المتوفّى سنة (١٢٥) ـ ما كنت / أرفع له رجلاً منهم إلّا كذّبه، فقلت له في ذلك، فقال: إنّ أهل المدينة قتلوا عثمان. ١٥٩/٩

---

(١) وقعة صفّين: ص ١٩٠.

(٢) أُنظر هامش رقم (٤) من الصحيفة السابقة.

تاريخ ابن عساكر[١] (٨٣/٦).

٦ ـ ذكر ابن عساكر في تاريخه[٢] (٣١٩/٧) قال: كان أبو مسلم الخولاني التابعي في المدينة، فسمع مكفوفاً يقول: اللّهمّ العن عثمان وما ولد، فقال: يا مكفوف ألعثمان تقول هذا؟ يا أهل المدينة كنتم بين قاتل وخاذل فكلّاً جزى الله شرّاً، يا أهل المدينة لأنتم شرّ من ثمود، إنّ ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله، وخليفة الله أكرم عليه من ناقته.

قال الأميني: غايتنا الوحيدة في نقل هذا الحديث إيقاف الباحث على موقف الصحابة من أهل المدينة وأنّهم كانوا بين قاتل وخاذل، وأمّا رأي أبي مسلم الخولاني فيهم فتعرف جوابه من قول الأشتر قبيل هذا.

٧ ـ قال الواقدي في إسناده: لمّا كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله، وما الناس فيه من عمّاله ويكثرون عليه ويسأل بعضهم أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ولا يُنكر ما يقال فيه إلّا زيد ابن ثابت، وأبو أُسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت الأنصاري، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويعظه، فأتاه فقال له: «إنّ الناس ورائي قد كلّموني في أمرك، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما أعرّفك شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمر لا تعرفه، وإنّك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، لقد صحبت رسول الله ﷺ وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا، وما ابن أبي قحافة وابن الخطّاب بأولى بالحقّ منك، ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فإنّك لا تُبصّر من عمى،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٣/٢٠ رقم٢٤١١، وفي تهذيب تاريخ دمشق: ٨٥/٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٢٠/٢٧ رقم٣٢١٣، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٦٣/١٢. ويأتي بعض سيرة هذا الرجل مع قوله هذا في: ١٤١/١١ ـ ١٤٧.

ولا تُعلّم من جهل» فقال له عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنّفتك ولا أسلمتك ولا عتبت عليك إن وصلت رحماً[١] وسددت خلّة، وآويت ضائعاً، وولّيت من كان
١٦٠/٩ عمر يولّيه، نشدتك الله ألم / يولّ عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك؟ قال: نعم. قال: فلم تلومني إن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ قال عليّ: «سأخبرك أنّ عمر بن الخطّاب كان كلّ من ولّى فانّما يطأ على صماخه إن بلغه عنه حرف جلبه، ثمّ بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل، ضعفت ورفقت على أقربائك»، قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً. فقال عليّ: «لعمري إنّ رحمهم منّي لقريبة ولكن الفضل في غيرهم» قال: أوَلم يولّ عمر معاوية؟ فقال عليّ: «إنّ معاوية كان أشدّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ[٢] وهو الآن يبتزّ الأُمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس: هذا أمر عثمان. ويبلغك فلا تُغيّر على معاوية».

راجع[٣]: الأنساب للبلاذري (٦٠/٥)، تاريخ الطبري (٩٧/٥)، الكامل لابن الأثير (٦٣/٣)، تاريخ ابي الفداء (١٦٨/١)، تاريخ ابن خلدون (٣٩١/٢).

٨ ـ أخرج ابن سعد في طبقاته[٤] (٤٧/٣) طبع ليدن عن مجاهد، قال: أشرف عثمان على الذين حاصروه فقال: يا قوم لا تقتلوني فإنّي والٍ وأخ مسلم ـ إلى أن

---

(١) أُنظر إلى الرجل يحسب كلمته هذه تبرّر أعماله الشاذّة عن الكتاب والسنّة وتجعل أعطياته لأبناء أُميّة من الغنائم والصدقات صلة للرحم، ودفعه القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة إلى رجال الفتن والثورات المدلهمّة سدّاً للخلّة، وردّ الحكم وأبنائه مطرودي النبيّ الأعظم إلى المدينة إيواءً للضائع، دعه وحسبانه، لكن العجب كلّ العجب أنّه يروم إفحام مثل أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخزعبلات. (المؤلّف)

(٢) هو غلام عمر بن الخطاب.

(٣) أنساب الأشراف: ١٧٤/٦، تاريخ الأُمم والملوك: ٣٣٦/٤ حوادث سنة ٣٤هـ، الكامل في التاريخ: ٢٧٥/٢ حوادث سنة ٣٤هـ، تاريخ ابن خلدون: ٥٩٣/٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ٦٧/٣.

قال ـ: فلمّا أبوا قال: اللّهمّ احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تُبقِ منهم أحداً. قال مجاهد: فقتل الله منهم من قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاؤوا لمداهنتهم.

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلّف عن عثمان وخذله من الأنصار وغيرهم، وأعان على قتله من أبيات له:

خذلته الأنصار إذ حضر المو ت وكانت ولاته الأنصارُ[1]
من عذيري من الزبير ومن طلـ ـحة إذ جا أمرٌ له مقدارُ[2]
فتولّىٰ محمد بن أبي بكرٍ عياناً وخلفه عمّارُ
وعليٌّ في بيته يسأل النا س ابتداءً وعنده الأخبارُ
باسطاً للذي يريد يديه وعليه سكينةٌ ووقارُ[3]

وقال حميد بن ثور أبو المثنّى الهلالي في قتل عثمان، كما في تاريخ ابن عساكر[4] (٤٥٨/٤):

إنَّ الخلافةَ لمّا أُظعِنت ظعنت من أهل يثرب إذ غيرَ الهدىٰ سلكوا ١٦١/٩
صارت إلىٰ أهلها منهم ووارثها لمّا رأى اللهُ في عثمانَ ما انتهكوا
السافكي دمَه ظلماً ومعصيةً أيَّ دمٍ لاهُدوا من غيّهم سَفكوا
والهاتكي سترَ ذي حقٍّ ومحرمةٍ فأيَّ شرٍّ علىٰ أشياعهم هتكوا

---

(١) في العقد الفريد: ثقاته الأنصار.

(٢) في العقد الفريد:

من عذيري من الزبير ومن طلـ ـحة هاجا أمراً له إعصار

(المؤلّف)

(٣) مروج الذهب: ٤٤٢/١ [٣٦٤/٢]، العقد الفريد: ٢٦٧/٢ [١١٢/٤]. (المؤلّف)

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٢٧٣/١٥ رقم ١٧٩٠، وفي تهذيب تاريخ دمشق: ٤٦١/٤.

والخيلُ عابسةٌ نضج الدماء بها ... تنعى ابن أروىٰ علىٰ أبطالها الشككُ
من كلِّ أبيض هنديّ وسابغةٍ ... تغشى البنان لها من نسجها حبكُ
قد نال جلّهمُ حصرٌ بمحصرةٍ ... ونال فتّاكهم فتكٌ بما فتكوا
قرّت بذاك عيونٌ واشتفين به ... وقد تقرُّ بسعين الثائر الدركُ

- ٣٨ -

كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور

أخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار أنّه قال: لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النبيّ ﷺ إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرّقوا في الثغور:

إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ، تطلبون دين محمد ﷺ فإنّ دين محمد قد أفسده من خلفكم وتُرك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد ﷺ. وفي لفظ ابن الأثير: فإنّ دين محمد قد أفسده خليفتكم فأقيموه. وفي لفظ ابن أبي الحديد. قد أفسده خليفتكم فاخلعوه، فاختلفت عليه القلوب. فأقبلوا من كلّ أُفق حتى قتلوه[1].

وأخرج[2] من طريق محمد بن مسلمة قال: لمّا كانت سنة (٣٤) كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله ويسأل بعضهم بعضاً: أن اقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد. وكثر الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نِيل من أحد، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون ليس فيهم أحد ينهى ولا يذبّ إلّا نُفَير: زيد بن ثابت، وأبو أُسيد الساعدي، وكعب بن

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٥/٥ [٣٦٧/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٧٠/٥ [٢٨٧/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦٥/١ [١٤٩/٢ خطبة ٣٠]. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٣٦/٤ حوادث سنة ٣٤هـ.

مالك، وحسان بن ثابت. فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان ويعظه، فأتاه فقال له: إنّ الناس ورائي. إلى آخر ما مرّ في (ص ٧٤).

- ٣٩ -
كتاب المهاجرين إلى مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

١٦٢/٩ من المهاجرين الأوّلين وبقيّة الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين:

أمّا بعد؛ أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسْلَبَها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بُدّل، وسنّة رسول الله قد غيّرت، وأحكام الخليفتين قد بُدّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقيّة أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلّا أقبل إلينا، وأخذ الحقّ لنا وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيّكم وفارقكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقّنا، واستولي على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبيّنا خلافة نبوّة ورحمة، وهي اليوم ملك عضوض من غلب على شيء أكله[1].

- ٤٠ -
كتاب أهل المدينة إلى عثمان

أخرج الطبري في تاريخه[2] (١١٦/٥)؛ من طريق عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته. إلى آخر ما يأتي.

---

(١) الإمامة والسياسة: ٣٢/١ [٣٧/١]. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٣٦٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

الإجماع والخليفة:

١٦٣/٩ تُعلمنا هذه الأحاديث المتضافرة الواردة عن آحاد الصحابة من المهاجرين والأنصار أو عامّة الفريقين، أو عن جامعة الصحابة البالغة مائتين حديثاً أنّه لم يشذّ عن النقمة على عثمان منهم أحد ما خلا أربعة وهم: زيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وأسيد الساعدي. فمن مُجهز عليه إلى محبّذ لعمله، إلى محرّض على قتله، إلى ناشر لأحداثه، إلى مؤلّب عليه يسعى في إفساد أمره، إلى متجاسر عليه بالوقيعة فيه، إلى مُناقد في فعاله يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، إلى خاذل له بترك نصرته لا يرى هنالك في الناقمين الثائرين عليه منكراً ينهى عنه، أو في جانب الخليفة حقّاً يتحيّز إليه، وهم كما مرّ في (ص١٥٧) عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى» فكان ذلك إجماعاً منهم أثبت من إجماعهم على نصب الخليفة في الصدر الأوّل، فإن كانت فيه حجّة فهي في المقامين إن لم تكن في المقام الثاني أولى بالاتّباع.

ومن أمعن النظر فيما مرّ ويأتي من النصوص الواردة عن:

١ ـ مولانا أمير المؤمنين.

٢ ـ عائشة أُمّ المؤمنين.

٣ ـ عبدالرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشّرة ورجالات الشورى.

٤ ـ طلحة بن عبيدالله، أحد العشرة المبشّرة.

٥ ـ الزبير بن العوام، أحد العشرة المبشّرة.

٦ ـ عبدالله بن مسعود صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بدري.

٧ ـ عمّار جلدة ما بين عيني النبيّ، النازل فيه القرآن ـ بدري.

٨ ـ المقداد بن الأسود، الممدوح بلسان النبيّ الطاهر ـ بدري.

٩ ـ حجر بن عديّ الكوفي الصالح الناسك.

١٠ ـ هاشم المرقال، الذي كان من الفضلاء الخيار كما في الاستيعاب[١].

١١ ـ جهجاه بن سعيد الغفاري، من رجالات بيعة الشجرة.

١٢ ـ سهل بن حنيف الأنصاري ـ بدري. ١٦٤/٩

١٣ ـ رفاعة بن رافع الأنصاري ـ بدري.

١٤ ـ حجّاج بن غزيّة الأنصاري.

١٥ ـ أبي أيّوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله ﷺ ـ بدري.

١٦ ـ قيس بن سعد الأنصاري، أمير الخزرج الصالح ـ بدري.

١٧ ـ فروة بن عمرو البياضي الأنصاري ـ بدري.

١٨ ـ محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ـ بدري.

١٩ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري.

٢٠ ـ جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري ـ بدري.

٢١ ـ محمد بن مسلمة الأنصاري ـ بدري.

٢٢ ـ عبدالله بن عبّاس، حبر الأُمّة.

٢٣ ـ عمرو بن العاصي.

٢٤ ـ عامر بن واثلة أبي الطفيل الكناني الليثي.

٢٥ ـ سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشّرة.

٢٦ ـ مالك بن الحارث الأشتر: «وهل موجود كمالك؟». قاله أمير المؤمنين.

٢٧ ـ عبدالله بن عكيم.

٢٨ ـ محمد بن أبي حذيفة العبشمي.

٢٩ ـ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي.

٣٠ ـ صعصعة بن صوحان، سيّد عبد القيس.

---

(١) الاستيعاب: القسم الرابع/١٥٤٦ رقم ٢٧٠٠.

٣١ ـ حكيم بن جبلة العبدي، الشهيد يوم الجمل.

٣٢ ـ هشام بن الوليد المخزومي.

٣٣ ـ معاوية بن أبي سفيان.

٣٤ ـ زيد بن صوحان، من الخيار الأبرار كما في الحديث.

٣٥ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي، المشرّف بدعاء النبيّ ﷺ.

٣٦ ـ عدي بن حاتم الطائي الصحابي العظيم.

١٦٥/٩ ٣٧ ـ عروة بن الجعد الصحابي.

٣٨ ـ عبدالرحمن بن حسان العنزي الكوفي.

٣٩ ـ محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، الممدوح بلسان مولانا أمير المؤمنين.

٤٠ ـ كميل بن زياد النخعي.

٤١ ـ عائذ بن حملة الطهوي التميمي.

٤٢ ـ جندب بن زهير الأزدي.

٤٣ ـ الأرقم بن عبدالله الكندي.

٤٤ ـ شريك بن شداد الحضرمي.

٤٥ ـ قبيصة بن ضبيعة العبسي.

٤٦ ـ كريم بن عفيف الخثعمي العامري.

٤٧ ـ عاصم بن عوف البجلي.

٤٨ ـ ورقاء بن سميّ البجلي.

٤٩ ـ كدام بن حيّان العنزي.

٥٠ ـ صيفي بن فسيل الشيباني.

٥١ ـ محرز بن شهاب التميمي المنقري.

٥٢ ـ عبدالله بن حويّة السعدي التميمي.

٥٣ ـ عتبة بن الأخنس السعدي.

٥٤ ـ سعيد بن نمران الهمداني.

٥٥ ـ ثابت بن قيس النخعي.

٥٦ ـ أصعر بن قيس الحارثي.

٥٧ ـ يزيد بن المكفَّف النخعي.

٥٨ ـ الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني.

٥٩ ـ الفضل بن العبّاس الهاشمي.

٦٠ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

٦١ ـ زياد بن النضر الحارثي.

٦٢ ـ عبدالله الأصم العامري. ١٦٦/٩

٦٣ ـ عمرو بن الأهتم، نزيل الكوفة.

٦٤ ـ ذريح بن عباد العبدي.

٦٥ ـ بشر بن شريح القيسي.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٦٦ ـ سودان بن حمران السكوني.

٦٧ ـ عبدالرحمن بن عديس أبي محمد البلوي.

٦٨ ـ عروة بن شييم بن البيّاع الكناني الليثي.

٦٩ ـ كنانة بن بشر السكوني التجيبي.

٧٠ ـ الغافقي بن حرب العكّي.

٧١ ـ كعب بن عبدة، الزاهد الناسك.

٧٢ ـ مثنّى بن مخربة العبدي.

٧٣ ـ عامر بن بكير بن عبد ياليل الليثي الكناني ـ بدري.

٧٤ ـ عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي.

٧٥ ـ عبدالرحمن بن عبدالله الجمحي.

٧٦ ـ مسلم بن كريب القابضي الهمداني.

٧٧ ـ عمرو بن عبيد الحارثي الهمداني.

٧٨ ـ عمرو بن حزم الأنصاري.

٧٩ ـ عمير بن ضابئ التميمي البرجمي.

٨٠ ـ أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي.

إلى نظرائهم ممّن مرّ حديثه أو يأتي في هذا الجزء يزداد بصيرةً في انعقاد هذا الإجماع الذي لا محيد عن مؤدّاه، ولا منتدح عن الجري معه، ولا محيص عن أخذه حجّة قاطعة، وكيف لا؟ وفيهم عُمد الصحابة ودعائمها، وعظماء الملّة وأعضادها، وذوو الرأي والتقوى والصلاح من البدريّين وغيرهم، وفيهم أُمّ المؤمنين وغير واحد من العشرة المبشّرة، ورجال الشورى، فإذا لم يحتجّ بإجماع مثله لا يحتجّ بأيّ إجماع قطّ، ولو جاءت عن أحد من هؤلاء كلمة واحدة في حقّ أي إنسان مدحاً أو ذمّاً لاتّخذوه / حجّة دامغة، فكيف بهم، وقد اجتمعوا على كلمة واحدة. ١٦٧/٩

وبهذه كلّها تظهر قيمة الكلم التافهة التي جاء بها القوم لإغراء الدهماء بالجهل أمثال ما في تاريخ ابن كثير[1] (١٢/٨) من قوله: قال أيّوب والدارقطني: من قدّم عليّاً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حقّ وصدق وصحيح ومليح. انتهى.

إقرأ واضحك أو ابك. فمن قدّم عثمان على أيّ موحّد أسلم وجهه لله وهو مؤمن بعد هذا الإجماع المتسالم عليه فضلاً عن مولى المؤمنين عليّ صلوات الله عليه فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، والصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان.

﴿ لَقَد جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ ﴾[2]

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/٨ حوادث سنة ٤٠هـ.

(٢) يونس: ٩٤.

- ٤١ -

قصّة الحصار الأوّل

الاجتماع على عثمان من أهل الأمصار: المدينة، الكوفة، البصرة، مصر

١٦٨/٩ أخرج البلاذري وغيره بالإسناد: إلتقى أهل الأمصار الثلاثة: الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخربة العبدي، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر ابن عتّاب بن عوف السكوني ثمّ التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه، وقالوا: لا يسعنا الرضا بهذا، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستعتبوه، فإن أعتب، وإلّا رأوا رأيهم فيه ففعلوا ذلك.

فلمّا حضر الوقت خرج الأشتر مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين، وقال ابن قتيبة: أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق، وكان أُمراؤهم هو وزيد بن صوحان العبدي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم العامري، وعلى الجميع عمرو بن الأهتم.

وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مئة من أهل البصرة ولحق به بعد ذلك خمسون، فكان في مئة وخمسين وفيهم: ذريح بن عبّاد العبدي، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرّش ـ ابن المحترش ـ وقال ابن خلدون: وكلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات.

وجاء أهل مصر وهم أربعمئة، ويقال: خمسمئة، ويقال: سبعمئة، ويقال: ستمئة، ويقال: ألف، وفي شرح ابن أبي الحديد: كانوا ألفين. وكان فيهم: محمد بن

أبي بكر، وسودان بن حمران السكوني، وميسرة ـ ويقال قتيرة ـ السكوني، وعمرو ابن الحمق الخزاعي وكان من رؤوسهم، وعليهم أُمراء أربعة: ١٦٩/٩

١ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، على ربع.
٢ ـ عبدالرحمن بن عديس أبو محمد البلوي، على ربع.
٣ ـ عروة بن شُيَيم بن البياع الكناني الليثي، على ربع.
٤ ـ كنانة بن بشر السكوني التجيبي، على ربع.

وعليهم جميعاً: الغافقي بن حرب العكّي، وكان يصلّي بالناس في أيّام الحصار، قال الطبري: كان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعي، وكان من أصحاب النبيّ ﷺ، وإلى عبدالرحمن بن عديس التجيبي.

فلمّا أتوا المدينة أتوا دار عثمان، ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار منهم: عمّار بن ياسر العنسي[1] وكان بدريّاً، ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدريّاً، والحجاج بن غزية وكانت له صحبة، وعامر بن بكير وكان بدريّاً أحد بني كنانة.

وفي كتاب لنائلة امرأة عثمان إلى معاوية في رواية ابن عبد ربّه: وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير فأمروهم بقتله، وكان معهم من القبائل خزاعة، وسعد بن بكر، وهذيل، وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب، وهؤلاء كانوا أشدّ الناس عليه.

وفي حديث سعيد بن المسيّب في الأنساب والعقد والفريد وغيرهما: وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر، فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها، وحنقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر.

---

(١) العبسي في جميع الطبعات السابقة، والصواب ما أثبتناه.

وفي لفظ المسعودي: وفي الناس بنو زهرة لأجل عبدالله بن مسعود، لأنّه كان من أحلافها، وهذيل لأنّه كان منها، وبنو مخزوم وأحلافها لعمّار، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر، وتيم بن مرّة مع محمد بن أبي بكر، وغير هؤلاء ممّن لا يحمل ذكره كتابنا. فحصروا عثمان الحصار الأوّل[١].

كتاب المصريّين إلى عثمان:

أخرج الطبري في تاريخه[٢] (١١٦/٥) من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه، ١٧٠/٩
قال: كتب أهل مصر بالسقيا[٣] أو بذي خُشب[٤] إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئاً، فأمر به فأُخرج من الدار، وكان فيما كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فالله الله ثمّ الله

---

(١) راجع طبقات ابن سعد طبع ليدن: ٤٩/٣ [٦٦/٣]، الأنساب للبلاذري: ٢٦/٥ و ٥٩ [١٣٤/٦ ١٧٣]، الإمامة والسياسة: ٣٤/١ [٣٥/١]، المعارف لابن قتيبة: ص٨٤ [ص١٩٦]، تاريخ الطبري: ١١٦/٥ [٣٦٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، مروج الذهب: ٤٤١/١ [٣٦٢/٢]، العقد الفريد: ٢٦٢/٢ و ٢٦٣ و ٢٦٩ [١٠٦/٤ و ١٠٨ و ١١٤]، الرياض النضرة: ١٢٣/٢ و ١٢٤ [٥٦/٣ ـ ٥٨]، الكامل لابن الأثير: ٦٦/٣ [٢٨٠/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]، تاريخ ابن خلدون: ٣٩٣/٢ [٥٩٣/٢]، شرح ابن أبي الحديد: ١٠٢/١ [١٤٠/٢ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن كثير: ١٧٠/٧ و ١٧٣، ١٧٤ [١٩٤/٧ و ١٩٥ و ١٩٧ حوادث سنة ٣٥هـ]، حياة الحيوان للدميري: ٥٣/١ [٧٧/١]، الإصابة: ٤١١/٢ [رقم٥١٦٣]، الصواعق المحرقة: ص٦٩ [ص١١٦]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٠٦ [ص١٤٨]، تاريخ الخميس: ٢٥٩/٢ [٢٦١/٢]. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٦٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٣) من أسافل أودية تهامة [معجم البلدان: ٢٢٨/٣]. (المؤلّف)

(٤) وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة كما مرّ. (المؤلّف)

الله، فإنّك على دنيا فاستتمّ إليها معها آخرة، ولا تلبس[١] نصيبك من الآخرة، فلا تسوغ لك الدنيا، واعلم أنّا والله لله نغضب وفي الله نرضى، وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مجلّحة مبلّجة، فهذه مقالتنا لك وقضيّتنا إليك، والله عذيرنا منك. والسلام.

عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنّة وذلك في سنة (٣٥هـ):

أخرج البلاذري من رواية أبي مخنف في الأنساب[٢] (٦٢/٥): إنّ المصريّين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرّة الأولى. إلى أن قال: وأتى المغيرة ابن شعبة [عثمان][٣] فقال له: دعني آت القوم فأنظر ما يريدون، فمضى نحوهم، فلمّا دنا منهم صاحوا به: يا أعور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك. فرجع، ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له: ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى ممّا ساءهم.
١٧١/٩ فلمّا دنا منهم سلّم فقالوا / لا سلّم الله عليك، ارجع يا عدوّ الله، ارجع يابن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون، فقال له ابن عمر وغيره: ليس لهم إلّا عليّ بن أبي طالب. [فبعث عثمان إلى عليّ][٤] فلمّا أتاه قال: يا أبا الحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه. قال: «نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنّك تفي لهم بكلّ ما أضمنه عنك»، قال: نعم. فأخذ عليّ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ، وخرج إلى القوم فقالوا: وراءك. قال: «لا، بل أمامي، تُعطون كتاب الله وتُعتبون من كلّ ما سخطتم»، فعرض عليهم ما بذل عثمان، فقالوا: أتضمن ذلك عنه؟ قال: «نعم». قالوا: رضينا. وأقبل وجوههم وأشرافهم مع عليّ حتى دخلوا

---

(١) كذا، ولعلّه: لا تنس نصيبك، أخذاً من القرآن الكريم. (المؤلّف)

(٢) أنساب الأشراف: ١٧٩/٦.

(٣) الزيادة من المصدر.

(٤) أنساب الأشراف: ١٧٩/٦.

على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كلّ شيء فقالوا: اكتب بهذا كتاباً. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، إنّ لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه، يُعطى المحروم، ويُؤمن الخائف، ويردّ المنفيّ، ولا تجمّر[1] البعوث، ويُوفّر الفيء، وعليّ بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء [بما][2] في هذا الكتاب.

شهد: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن مالك بن أبي وقّاص[3]، وعبدالله بن عمرو[4]، وزيد بن ثابت، وسهل بن حُنيف، وأبو أيوب خالد ابن زيد.

وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين.

فأخذ كلّ قوم كتاباً فانصرفوا.

وقال عليّ بن أبي طالب لعثمان: «أخرج فتكلّم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأَشهِد اللهَ ما في قلبك، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، ولا تأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول: يا عليّ اركب إليهم. فإن لم أفعل قلت: قطع رحمي، واستخفّ بحقّي»، فخرج عثمان فخطب الناس فأقرّ بما فعل واستغفر الله منه، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زلّ فليُنب». فأنا أوّل من اتّعظ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردّوني برأيهم، فوالله لو ردّني إلى الحقّ عبد

---

(١) تجمّر الجيش: تحبس في أرض العدو ولم يقفل. (المؤلّف)

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري.

(٤) في المصدر: عبدالله بن عمر.

لاتّبعته وما عن الله مذهب إلّا إليه، فسرّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه. / فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال: شاهت وجوهكم ما اجتماعكم؟ أمير ١٧٢/٩
المؤمنين مشغول عنكم، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه، فانصرفوا، وبلغ عليّاً الخبر فأتى عثمان وهو مُغضب فقال: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بإفساد دينك، وخديعتك عن عقلك؟ وإنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يُصدرك، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمعاتبتك».

وقالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة: قد سمعت قول عليّ بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنّه غير عائد إليك، وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة، فبعث إلى عليّ فلم يأتِه.

وأخرج ابن سعد من طريق أبي عون قال: سمعت عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال: قبّحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر حتى استهلّت دموعه، فلم يزل مروان يفتله في الذروة والغارب[1] حتى لفته عن رأيه.

قال: وجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر ومعه عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان: صنع مروان بالناس. قلت: نعم[2].

صورة أُخرى من توبة الخليفة:

أخرج الطبري من طريق عليّ بن عمر عن أبيه، قال: إنّ عليّاً جاء عثمان بعد

---

(١) لم يزل يفتل في الذروة والغارب. مثل في المخادعة، أي يدور من وراء خديعته. (المؤلّف)

(٢) وأخرج الطبري [في تاريخ الأُمم والملوك: ٣٦٣/٤ حوادث سنة ٣٥هـ] حديث أبي عون هذا وتبعه ابن الأثير [في الكامل في التاريخ: ٢٨٥/٢ حوادث سنة ٣٥هـ] وسيوافيك لفظه، وأوعز إليه الدميري في حياة الحيوان: ٥٣/١ [٧٧/١]. (المؤلّف)

انصراف المصريّين، فقال له: «تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك، ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول: يا عليّ اركب إليهم، ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول: يا عليّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقّك». قال: فخرج عثمان وخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ أيّها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلّا وأنا أعرفه، ولكنّي منّتني نفسي وكذّبتني، وضلّ عنّي رشدي، ولقد سمعت رسول / الله ﷺ يقول: «من زلّ فليتب[1] ومن أخطأ فليتب ولا يتمادى في الهلكة، ١٧٣/٩
إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أوّل من اتّعظ، أستغفر الله ممّا فعلت، وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليُروني رأيهم، فوالله لئن ردّني إلى الحقّ عبد لأستنّنّ بسنّة العبد، ولأذلنّ ذلّ العبد، ولأكونن كالمرقوق، إن مُلك صبر، وإن عُتق شكر، وما من الله مذهب إلّا إليه، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي.

قال: فرقّ الناس له يومئذٍ، وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن يزيد[2] فقال: يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك، الله الله في نفسك، فأقم على ما قلت.

فلمّا نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً[3] ونفراً من بني أُميّة ولم يكونوا

---

(١) كذا في تاريخ الطبري: والصحيح ما مرّ في رواية البلاذري: من زلّ فليُتب. (المؤلّف)

(٢) في تاريخ الطبري: سعيد بن زيد.

(٣) هو سعيد بن العاص. (المؤلّف)

شهدوا الخطبة، فلمّا جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين: أتكلّم أم اصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت فإنّهم والله قاتلوه ومؤثّموه، إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان فقال: ما أنتِ وذاك؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضّأ. فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، وإنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنّه عمّه وأنّه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه. قال: فأعرض عنها مروان، ثم قال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم اصمت؟ قال: بل تكلّم. فقال مروان: بأبي أنت وأُمّي والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت وأنت مُمنّع منيع فكنت أوّل من رضي بها وأعان عليها ولكنّك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطُبيين، وخلف السيل الزبى، وحين أعطى الخطّة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها، وإنّك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي استحي أن أُكلّمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم؟ كأنّكم قد جئتم لنهب، شاهت الوجوه، كلّ إنسان آخذ بأذن صاحبه ألا من أُريدَ[1]؟ جئتم / تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنّا، أما والله لئن ١٧٤/٩
رُمتمونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غبّ رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم، فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا، قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليّاً فأخبره الخبر، فجاء عليّ عليه السلام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك[2] عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يسار به؟ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه،

---

(١) كذا في تاريخ الطبري، وفي الكامل: شاهت الوجوه إلى من أريد. (المؤلّف)

(٢) في لفظ البلاذري: إلّا بإفساد دينك، وخديعتك عن عقلك. وفي لفظ ابن كثير: إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك، وإنّ مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به. (المؤلّف)

وايم الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يُصدرك، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغُلبت على أمرك».

فلمّا خرج عليّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلّمي. فقال: قد سمعت قول عليّ لك وأنّه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: فما أصنع؟ قالت: تتّقي الله وحده لا شريك له وتتّبع سنّة صاحبيك من قبلك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة، وإنّما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإنّ له قرابة منك وهو لا يُعصى. قال: فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه، وقال: «قد أعلمته أنّي لست بعائد». فبلغ مروان مقالة نائلة فيه، فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلّم. فقال: إنّ بنت الفرافصة، فقال عثمان: لا تذكرنّها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك، فكفّ مروان[1].

صورة أُخرى من التوبة:

من طريق أبي عون، قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم، قال: قبّح الله مروان، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلّة من الدموع وهو يقول: اللّهمّ إنّي أتوب إليك، اللّهمّ إنّي أتوب إليك، اللّهمّ إنّي أتوب إليك، والله لئن ردّني الحقّ إلى / أن أكون عبداً قنّاً لأرضينّ به، إذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ، فوالله ١٧٥/٩

(١) الأنساب للبلاذري: ٦٤/٥ و ٦٥ [١٧٧/٦ و ١٧٩]، تاريخ الطبري: ١١١/٥ [٣٦٠/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٦٨/٣ [٢٨٥/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]، تاريخ ابن كثير: ١٧٢/٧ [١٩٣/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦٣/١ و ١٦٤ [١٤٦/٢ ـ ١٤٧ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن خلدون: ٣٩٦/٢ و ٣٩٧ [٥٩٧/٢ ـ ٥٩٨]. (المؤلّف)

لا أحتجب منكم ولأعطينّكم [الرضا][1] ولأزيدنّكم على الرضا، ولأُنَحِيَنَّ مروان وذويه.

قال: فلمّا دخل أمر بالباب ففتح، ودخل بيته ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه، وأزاله عمّا كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيّام ما خرج استحياء من الناس، وخرج مروان إلى الناس، فقال: شاهت الوجوه إلّا من أُريد، ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه وإلّا قرّ في بيته. قال عبدالرحمن: فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر وأجد عنده عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع. قال: فأقبل عليَّ عليٌّ، فقال: «أحضرت خطبة عثمان؟» قلت: نعم. قال: «أفحضرت مقالة مروان للناس؟» قلت: نعم. قال عليّ: «عياذ الله يا للمسلمين، إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ وصحبة رسول الله ﷺ».

قال عبدالرحمن بن الأسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان: ائتني. فقال عليّ بصوت مرتفعٍ عالٍ مغضب: «قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد». قال: فانصرف الرسول، فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً[2]، فسألت ناتلاً غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ، فقال عبدالرحمن بن الأسود: فغدوت فجلست مع عليّ عليه السلام فقال لي: «جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إنّي غير عائد وإنّي فاعل، قال: فقلت له: بعدما تكلّمت به على منبر رسول الله ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثمّ دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم؟ قال:

---

(١) الزيادة من المصدر.

(٢) في المصدر: خائباً.

فرجع وهو يقول: قطعت رحمي وخذلتني وجرّأت الناس عليّ. فقلت: والله إنّي لأذبّ الناس عنك، ولكنّي كلّما جئتك بهنةٍ أظنّها لك رضاً جاء بأخرى، فسمعت قول مروان عليّ واستدخلت مروان». قال: ثمّ انصرف إلى بيته، فلم أزل أرى عليّاً منكّباً عنه لا يفعل ما كان يفعل[1].

عهد آخر بعد حنث الأوّل:

أخرج الطبري من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه، قال: كتب أهل المدينة إلى / عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى ١٧٦/٩
يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردّهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداده، فقال: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل، وهم محمّلي عهداً وقد كان منّي في قدمتهم الأولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك، فإنّما هم بغوا عليك فلا عهد لهم.

فأرسل إلى عليّ فدعاه، فلمّا جاءه قال: يا أبا حسن إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، وكان منّي ما قد علمت، ولست آمنهم على قتلي، فارددهم عنّي، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أن أُعتبهم من كلّ ما يكرهون، وأن أُعطيهم الحقّ من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي.

فقال له عليّ: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنّي لأرى قوماً

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٢/٥ [٣٦٣/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٩٦/٣ [٢٨٦/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]. (المؤلّف)

لا يرضون إلّا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعنّ عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تفِ لهم بشيء من ذلك، فلا تغرّني هذه المرّة من شيء، فإنّي معطيهم عليك الحقّ».

قال: نعم، فأعطهم فوالله لأَفِينّ لهم.

فخرج عليّ إلى الناس، فقال: «أيّها الناس إنّكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أُعطِيتموه، إنّ عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه». قال الناس: قد قبلنا، فاستوثق منه لنا، فإنّا والله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم عليّ: «ذلك لكم». ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإنّي لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد، قال له عليّ: «ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك»، قال: نعم، ولكن أجّلني في ما بالمدينة ثلاثة أيّام. قال عليّ: «نعم». فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً على أن يردّ كلّ مظلمة، ويعزل كلّ عامل كرهوه، ثمّ أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه.

١٧٧/٩ فجعل يتأهّب للقتال ويستعدّ بالسلاح، وقد كان اتّخذ / جنداً عظيماً من رقيق الخمس، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوه، ولم يعزل عاملاً، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريّين وهم بذي خُشب، فأخبرهم الخبر وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من إحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟ قال: بلى أنا على ذلك. قال: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك؟ الحديث[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٦/٥ [٣٦٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٧١/٣ و ٧٢ [٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ حوادث سنة ٣٥هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦٦/١ [١٤٩/٢ خطبة ٣٠]. (المؤلّف)

سياسة ضئيلة:

لمّا تكلّم عليّ مع المصريّين ورجّعهم إلى بلادهم ورجع هو إلى المدينة دخل على عثمان وأخبره أنّهم رجعوا، فمكث عثمان ذلك اليوم، حتى إذا كان الغد جاءه مروان فقال له: تكلّم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه، فأبى عثمان أن يخرج، فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلمّا تيقّنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم.

فناداه الناس من كلّ ناحية: اتّق الله يا عثمان وتب إلى الله. وكان أوّلهم عمرو ابن العاصي. قال: اتّق الله يا عثمان فإنّك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب إلى الله نتب. إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء صفحة (١٣٧).

قصّة الحصار الثاني[1]

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال: لمّا شخص المصريّون بعد الكتاب

---

(١) مصادرها: الأنساب: ٢٦/٥ ـ ٦٩ و ٩٥ [١٣٣/٦ ـ ١٨٥ و ٢١٩]، الإمامة والسياسة: ٣٣/١ ـ ٣٧ [٣٩/١]، المعارف لابن قتيبة: ص٨٤ [ص١٩٤]، العقد الفريد: ٢٦٣/٢ [١٠٦/٤]، تاريخ الطبري: ١١٩/٥ و ١٢٠ [٣٧٢/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الرياض النضرة: ١٢٣/٢ و ١٢٥ [٥٦/٣]، الكامل لابن الأثير: ٧٠/٣ و ٧١ [٢٨٧/٢ حوادث سنة ٣٥هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦٥/١ و ١٦٦ [١٥١/٢ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن خلدون: ٣٩٧/٢ [٥٩٨/٢]، تاريخ ابن كثير: ١٧٣/٧، ١٧٤ و ١٨٦ و ١٨٩ [١٩٤/٧ ـ ٢١١ حوادث سنة ٣٥هـ]، حياة الحيوان للدميري: ٥٣/١ [٧٧/١]، الصواعق المحرقة: ص٦٩ [ص١١٧]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٠٦ و ١٠٧ [ص١٤٨ و ١٥١]، السيرة الحلبية: ٨٤/٢ و ٨٦ و ٨٧ [٧٥/٢ و ٧٧ و ٧٨]، تاريخ الخميس: ٢٥٩/٢، واللفظ للبلاذري والطبري. (المؤلّف)

١٧٨/٩ الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة[١] أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت؟ فقال: رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين. وكان أسود، فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وفتّشناه ألّا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً، فقال بعضهم لبعض: خلّوا سبيله، فقال كنانة بن بشر: أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء؟ فقال: إنّ للناس حِيَلاً. ثمّ حلّ الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة، أو قال: مضمومة، في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرئ فإذا فيه:

أمّا بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس وكنانة وعروة، ثمّ دعهم يتشحّطون في دمائهم حتى يموتوا، ثمّ أوثقهم على جذوع النخل.

فيقال: إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلمّا عرفوا ما في الكتاب، قالوا: عثمان مُحِلّ. ثمّ رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص، فدخل به عليّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال: أمّا الخطّ فخطّ كاتبي، وأمّا الخاتم فعلى خاتمي، قال عليّ: «فمن تتّهم؟» قال: أتّهمك وأتّهم كاتبي. فخرج عليّ مغضباً وهو يقول: «بل هو أمرك». قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان ثمّ أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

وفي لفظ جُهيم الفهري قال: أنا حاضر أمر عثمان فذكر كلاماً في أمر عمّار. فانصرف القوم راضين، ثمّ وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريّين، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم

---

(١) أيله بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأوّل الشام [معجم البلدان: ٢٩٢/١]. (المؤلّف)

يعلم به. فقال له عليّ: «فمن تتّهم فيه؟» فقال: أتهم كاتبي وأتّهمك يا عليّ! لأنّك مُطاع عند القوم ولم تردّهم عنّي.

وجاء المصريّون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم: يا عثمان أهذا كتابك؟ فجحد وحلف، فقالوا: هذا شرّ، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك / يلي أُمور المسلمين، فاختلع من الخلافة. فقال: ما كنت لأنزع قميصاً قمّصنيه ١٧٩/٩
الله، أو قال: سربلنيه الله. وقالت بنو أُميّة: يا عليّ أفسدت علينا أمرنا ودسست وألّبت، فقال: «يا سفهاء إنّكم لتعلمون أنّه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وأنّي رددت أهل مصر عن عثمان ثمّ أصلحت أمره مرّة بعد أُخرى فما حيلتي؟» وانصرف وهو يقول: «اللّهمّ إنّي بريء ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدث».

قال: وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه: والله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت بقصّته وأنتم مُعتبون من كلّ ما ساءكم، فأمّروا على مصركم من أحببتم، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم. فقالوا: قد اتّهمناك بالكتاب فاعتزلنا.

وأخرج ابن سعد[1] من طريق جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: إنّ عثمان وجّه إلى المصريّين لمّا أقبلوا يريدونه محمد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضا وانصرفوا، فلمّا كانوا ببعض الطريق رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه، فإذا غلام لعثمان ففتّشوه، فإذا معه قصبة من رصاص في جوف إداوة فيها كتاب إلى عامل مصر: أن افعل بفلان كذا، وبفلان كذا، فرجع القوم إلى المدينة فأرسل إليهم عثمان محمد بن مسلمة، فلم يرجعوا وحصروه.

صورة أُخرى:

عن سعيد بن المسيّب قال: إنّ عثمان لمّا ولي كره ولايته نفر من أصحاب

---

(١) الطبقات الكبرى: ٦٥/٣.

رسول الله ﷺ لأنّ عثمان كان يحبّ قومه، فولي الناس اثنتي عشرة سنة، وكان كثيراً ما يولّي بني أُميّة ممّن لم يكن له من رسول الله ﷺ صحبة، وكان يجيء من أُمرائه ما يكره أصحاب محمد، فكان يُستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلمّا كان في الحجج الآخرة استأثر ببني عمّه فولّاهم وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلّمون منه، وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمّار بن ياسر، فكان في قلوب هُذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها، وحنقت بنو مخزوم لحال عمّار بن ياسر، فلمّا جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح، كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه، فأبى أن ينزع عمّا نهاهُ / عثمان عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج ١٨٠/٩
من أهل مصر سبعمئة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب ـ وكان متكلّم القوم ـ فقال له: «إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قِبَله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حقّ فأنصفهم منه». فقال لهم: اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصدّيق فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولّاه ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً، فلمّا كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنّه رجل يطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر: ما قصّتك؟ وما شأنك؟ كأنّك هارب أو طالب. فقال لهم مرّة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال أُخرى: أنا غلام مروان، وجّهني إلى عامل مصر برسالة، قالوا: فمعك كتاب؟ قال: لا. ففتّشوه، فلم يجدوا معه شيئاً وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا

الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح.

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمّ فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إليّ متظلّماً منك إن شاء الله، فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممّن كان معه ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبيّ ﷺ ثمّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلّا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبيّ ﷺ بمنازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتمّ لما في الكتاب.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه على / ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة تقرصه كثيراً، ودخل عليّ ١٨١/٩
وطلحة والزبير وسعد وعمّار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلّهم بدريّ على عثمان ومع عليّ الكتاب والغلام والبعير، فقال له عليّ: «هذا الغلام غلامك؟» قال: نعم. قال: «والبعير بعيرك؟» قال: نعم. قال: «وأنت كتبت هذا الكتاب؟» قال: لا، وحلف بالله: ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمت شأنه، فقال له عليّ: «أفالخاتم خاتمك؟» قال: نعم. قال: «فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به؟» فحلف بالله: ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قطّ. وعرفوا أن الخطّ خطّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أنّه لا يحلف بباطل، إلّا أنّ قوماً قالوا: لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا أن يدفع إلينا مروان

حتى نبحثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب، وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقّ؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منّا في أمر مروان، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان.

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء، فأشرف على الناس فقال: أفيكم عليّ؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت، ثمّ قال ألا أحد يبلّغ عليّاً فيسقينا ماءً؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً فما كادت تصل إليه، وجُرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أُميّة حتى وصلت.

لفظ الواقدي:

من طريق محمد بن مسلمة، وقد أسلفنا صدره في (ص١٣٢، ١٣٣)، وإليك بقيّته: فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فإذا قدم عليك عبدالرحمن بن عديس فاجلده مئة، واحلق رأسه ولحيته، أَطِل حبسه حتى يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق، فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمران مثل ذلك، وعروة بن البيّاع الليثي مثل ذلك. قال: فقلت: وما يدريكم أنّ عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيقتات[1] مروان على عثمان بهذا؟ فهذا شرّ، فيخرج نفسه من هذا الأمر. ثمّ قالوا: انطلق معنا إليه فقد كلّمنا عليّاً ووعدنا أن يكلّمه إذا صلّى الظهر، وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال: لا أدخل في أمركم، وجئنا سعيد /بن زيد بن عمرو فقال مثل هذا، فقال محمد: فأين وعدكم عليّ؟ قالوا: وعدنا إذا صلّى الظهر أن يدخل عليه. قال محمد: فصلّيت مع عليّ، قال: ثمّ دخلت أنا وعليّ عليه فقلنا: إنّ هؤلاء المصريّين بالباب فأذن لهم، قال: ومروان جالس فقال مروان: ١٨٢/٩

---

(١) لعله: يفتات. مخفف: يفتئت، بمعنى: يفتري ويختلق.

دعني جُعلت فداك أُكلّمهم. فقال عثمان: فضّ الله فاك اخرج عنّي، وما كلامك في هذا الأمر؟ فخرج مروان وأقبل عليّ عليه، قال: وقد أنهى المصريّون إليه مثل الذي أنهوا إليّ فجعل عليّ يُخبره ما وجدوا في كتابهم، فجعل يُقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شوورِ فيه، فقال محمد بن مسلمة: والله إنّه لصادق، ولكن هذا عمل مروان، فقال عليّ: «فأدخلهم عليك فليسمعوا عذرك». قال: ثمّ أقبل عثمان على عليّ فقال: إنّ لي قرابة ورحماً والله لو كنت في هذه الحلقة لحللتها عنك، فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّهم يسمعون منك. قال عليّ: «والله ما أنا بفاعل ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم» قال: فأدخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذٍ فما سلّموا عليه بالخلافة، فعرفت أنّه الشرّ بعينه، قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام. قال: فتكلّم القوم وقد قدّموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمّة وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، ثمّ ذكروا أشياء ممّا أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه، قال: فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلّا دمك أو تنزع، فردّنا عليّ ومحمد بن مسلمة وضمن لنا محمد النزوع عن كلّ ما تكلّمنا فيه، ثمّ أقبلوا على محمد بن مسلمة فقالوا: هل قلت ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم. ثمّ رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ويكون حجّة لنا بعد حجّة، حتى إذا كنّا بالبُويب[1] أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبدالله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا، وهذا كتابك، قال: فحمد الله عثمان وأثنى عليه ثم قال: والله ما كتبت ولا أمرت ولا شوورت ولا علمت، قال: فقلت وعليّ جميعاً: قد صدق. قال: فاستراح إليها عثمان، فقال المصريّون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري. قال: أفيُجترأ عليك

---

(١) البويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر [معجم البلدان: ٥١٢/١]. (المؤلّف)

فيُبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين، ويُنقش على خاتمك، ويُكتب إلى
١٨٣/٩ عاملك بهذه الأُمور / العظام وأنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا. فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه. قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ وجلّ. قال: وكثرت الأصوات واللغط فما كنت أظنّ أنّهم يخرجون حتى يواثبوه قال: وقام عليّ فخرج، فلمّا قام عليّ قمت وقال للمصريّين: اخرجوا، فخرجوا، ورجعت إلى منزلي ورجع عليّ إلى منزله فما برحوا محاصريه حتى قتلوه.

وأخرج الطبري من طريق عبدالرحمن بن يسار أنّ الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي[1] وهو الذي كان يدعو عليه أمير المؤمنين عليه السلام في قنوته مع أناس كما مرّ حديثه في (١٣٢/٢)، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه[2] (١٦٥/١).

وأخرج من طريق عثمان بن محمد الأخنسي قال: كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر، فقدم أهل مصر يوم الجمعة، وقتلوه في الجمعة الأخرى. تاريخ الطبري[3] (١٣٢/٥).

الخليفة توّاب عوّاد:

أخرج الطبري من طريق سفيان بن أبي العوجاء، قال: قدم المصريّون القدمة الأولى، فكلّم عثمان محمد بن مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذي خشب فردّهم، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبدالله بن سعد، فكرّوا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلّف بها من الناس الأشتر

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٥/٥ [٣٦٧/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]. (المؤلّف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٥٠/٢ خطبة ٣٠.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٩٤/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: هـذا مُـفتعل. قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك؟ قال: أجل، ولكنّه كتبه بـغير إذني. قـالوا: فـالجمل جملك؟ قال: أجل، ولكنّه أخذ بغير علمي. قالوا: ما أنت إلّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرتَ به من سفك دمائنا بغير حقّها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تُخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُقتطع مثل [هذا][1] الأمر دونه لضعفه وغفلته، وقالوا له: إنّك ضربت رجالاً من أصحاب النبيّ ﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجـعة الحقّ عندما يستنكرون / من أعمالك، فأقِد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم، فقال: ١٨٤/٩
الإمام يُخطئ ويُصيب فلا أقيد من نفسي؛ لأنّي لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ آتي على نفسي. قالوا: إنّك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة، ثمّ عدت إليها وإلى مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحقّ، ولامنا فيك محمد بن مسلمة، وضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرته فتبرّأ منك وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الأعذار إليك، نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب. وزعمت أنّه كُتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخطّ كاتبك وعليه خاتمك، فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والأثرة في القسم والعقوبة للأمر بالتبسّط من الناس، والإظهار للتوبة، ثمّ الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نـرجـع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يُحدث مثل ما جرّبنا منك، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك، فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا، فإنّ ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منّا، فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم. قال:

---

(١) من تاريخ الطبري.

الحمد لله أَحمَدُهُ وأستعينه، وأومن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، أمّا بعد؛ فإنّكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء، أمّا قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمّصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به وخصّني به على غيري، ولكنّي أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإنّي والله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إنّ هذا لو كان أوّل حدث أحدثته ثمّ تُبت منه ولم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنّه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت، ولقد انصرفنا عنك في المرّة الأولى وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك؟ وقد بلونا منك أنّك لا تُعطي من نفسك التوبة من ذنب إلّا عُدت إليه، فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك / من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال ١٨٥/٩
قاتلناهم، حتى نخلص إليك فنقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان: أمّا أن أتبرّأ من الإمارة؛ فإن تصلبوني أحبّ إليّ من أن أتبرّأ من أمر الله عزّ وجلّ وخلافته. وأمّا قولكم: تقاتلون من قاتل دوني؛ فإنّي لا آمر أحداً بقتالكم[1]، فمن قاتل دوني فإنّما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أُريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد[2] فقادوا الجنود وبعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق، فالله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تُبقوا عليّ؛ فإنّكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً. قال: ثمّ انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب، وأرسل إلى محمد بن

---

(١) لم يكن معه هناك غير بني أبيه حتى يأمر أحداً بالقتال، وهم ليسوا هناك وقد تحصّنوا يوم قتله بكندوج أُمّ حبيبة كما يأتيك حديثه. (المؤلّف)

(٢) كان يتأهّب للقتال، ويستعدّ بالسلاح، ويكتب إلى الأجناد، ويجلب إلى المدينة الجنود المجنّدة من الشام وغيرها، غير أنّه كان يغفّل الناس بكلماته هذه وستوافيك كتبه. (المؤلّف)

مسلمة فكلّمه أن يردّهم، فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرّتين. تاريخ الطبري[١] (١٢٠/٥، ١٢١).

نظرة في أحاديث الحصارين

أوّل ما يقع عليه النظر من هذه الأحاديث: أنّ المجهزين على عثمان هم المهاجرون والأنصار من الصحابة ـ ولم يشذّ عنهم إلّا أربعة أسلفنا ذكرهم في صفحة (ص١٦٣) ـ وهم الذين أصفقوا مع أهل مصر والكوفة والبصرة على مقت الخليفة وقتله بعد أن أعيتهم الحيل، وأعوزهم السعي في استتابته، وإكفائه عن الأحداث، ونزوعه عمّا هو عليه من الجرائم وإنّ في المقبلين من تلكم البلاد من عظماء الصحابة، ومن رجال الفضيلة والفقه والتقى من التابعين جماعات لا يستهان بعدّتهم، ولا يُغمز في دينهم، وهم رؤساء هاتيك الجماهير والمؤلّبين لهم على عثمان:

فمن الكوفيّين:

١ ـ زيد الخير، له إدراك أثنى عليه النبيّ الأعظم، وأنّه من الخيار الأبرار.

٢ ـ مالك بن الحارث الأشتر، له إدراك، أوقفناك على عظمته وفضله وموقفه من الإيمان، ومبلغه من الثقة والصلاح.

٣ ـ كعب بن عبدة النهدي، وقد سمعت عن البلاذري أنّه كان ناسكاً.

٤ ـ زياد بن النضر الحارثي، له إدراك. ١٨٦/٩

٥ ـ عمرو بن الأهتم، صحابيّ خطيب بليغ شريف في قومه، ترجمه[٢] ابن عبد البرّ في الاستيعاب، وابن الأثير في أُسد الغابة، وابن حجر في الإصابة.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٧٥/٤ و ٣٧٦ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/١١٦٣ رقم١٨٩٢، أُسد الغابة: ١٩٦/٤ رقم٣٨٦٢، الإصابة: ٥٢٤/٢ رقم ٥٧٧٠.

وفي المصريّين:

٦ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي، صحب النبيّ وحفظ عنه أحاديث، وحظي بدعائه ﷺ له كما مرّ تفصيله (ص ٤٥).

٧ ـ عمرو بن بديل الخزاعي، صحابيّ عادل مترجم في معاجم الصحابة.

٨ ـ عبدالله بن بديل الخزاعي، قال أبو عمر: كان سيد خزاعة وخزاعة عيبة رسول الله ﷺ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وكان له قدر وجلالة، وكان من وجوه الصحابة.

راجع[١]: الاستيعاب، وأُسد الغابة، والإصابة.

٩ ـ عبدالرحمن بن عديس أبو محمد البلوي، صحب النبيّ وسمع منه، وكان ممّن بايع تحت الشجرة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

١٠ ـ محمد بن أبي بكر، وحسبك فيه ما في الاستيعاب والإصابة[٢] من أنّ عليّاً ـ أمير المؤمنين ـ كان يُثني عليه ويفضّله وكانت له عبادة واجتهاد، وكان من أفضل أهل زمانه.

ورئيس البصريّين:

١١ ـ حكيم بن جبلة العبدي، قال أبو عمر في الاستيعاب[٣]: أدرك النبيّ ﷺ وكان رجلاً صالحاً له دين، مطاعاً في قومه. وقال المسعودي في المروج[٤] (٧/٢): كان

---

(١) الاستيعاب: القسم الثالث/٨٧٢ رقم ١٤٨١، أُسد الغابة: ١٨٤/٣ رقم ٢٨٣٢، الإصابة: ٢/ ٢٨٠ رقم ٤٥٥٩.

(٢) الاستيعاب: القسم الثالث/١٣٦٧ رقم ٣٢٢٠، الإصابة: ٤٧٢/٣ رقم ٨٢٩٤.

(٣) الاستيعاب: القسم الأوّل/٣٦٦ رقم ٥٤٠.

(٤) مروج الذهب: ٣٧٥/٢.

من سادات عبد القيس وزهّادها ونسّاكها. وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين بقوله كما في الكامل[1] (٣/٩٦):

دعا حكيم دعوةً سميعه نال بها المنزلة الرفيعه
يالهف ما نفسي على ربيعه ربيعة السامعة المطيعه
قد سبقتني فيهم الوقيعه

وإنّ ما جرى في غضون تلكم المعامع، وتضاعيف ذلك الحوار من أخذ وردّ وهتاف وقول، كلّها تنمّ عن صلاح القوم وتقواهم، وأنّهم لم يغضبوا إلّا لله، ولا دعوا إلّا إلى أمره، ولا نهضوا إلّا لإقامة الأمت والعوج، وتقويم دين الله وتنزيهه عن المعرّات والأحداث، ولم يجلبهم إلى ذلك الموقف مطمع في إمارة، أو نزوع إلى حكم أو هوى في مال، ولذلك كان يرضيهم كلّ ما يبديه الخليفة من النزول على رغباتهم، والنزوع عن أحداثه، والإنابة إلى الله ممّا نقموا به عليه، غير أنّه كان يثيرهم في الآونة بعد الأخرى ما كانوا يشاهدونه من المقام على الهنات، ونقض العهد مرّة بعد مرّة حتى إذا اطمأنّوا إلى أنّ الرجل غير منكفٍ عمّا كان يقترفه، ولا مطمئنّ عمّا كان يفعله، فاطمأنّوا إلى بقاء التكليف عليهم بالوثوب، فوقفوا لإزالة ما رأوه منكراً ذلك الموقف الشديد حتى قُضي من الأمر ما كان مقدوراً. ١٨٧/٩

ولو كان للقوم غاية غيرما وصفناه لما أثنى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على المصريّين منهم بقوله من كتاب كتبه إلى أهل مصر: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه، وذُهب بحقّه»، إلى آخر ما مرّ في صفحة (٧٤). ولما كانوا مذكورين في المعاجم والكتب بالثناء الجميل عليهم بعد تلكم المواقف المشهودة، ولو صدر عن أيّ أحد أقلّ ممّا صدر من أولئك الثائرين على عثمان في حقّ فرد من أفراد المسلمين

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٦ حوادث سنة ٣٦هـ.

فضلاً عن الخليفة لعُدّ جنايةً لا تغفر، وذنباً لا يبرّر، وسقط صاحبه إلى هوّة الضعة، ولا تبقى له بعد حرمة ولا كرامة، غير أنّ....

الثاني من مواقع النظر في الأحاديث المذكورة: أنّ الخليفة كانت عنده جرائم يستنكرها المسلمون وينكرونها عليه وهو يعترف بها فيتوب عنها، ثمّ يروغ عن التوبة فيعود إليها، ولا أدري أنّه في أيّ الحالين أصدق؟ أحين اعترف بالأحداث فتاب؟ أم حين عبث به مروان فرقى المنبر وقال: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلمّا تيقّنوا أنّه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم؟

الثالث: أنّه أعطى العهود والمواثيق المؤكّدة على النزوع عمّا كان يرتكبه ممّا ينقمونه عليه وسجّل ذلك في صكوك يبثّها في البلاد بأيدي الناهضين عليه، إذ كان على علم بأنّ البلاد قد تمخّضت عليه كما مرّ في كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ لم يلبث حتى نكثها بعد ما ضمن له العمل على ذلك مثل مولانا أمير المؤمنين ومحمد ابن مسلمة ذلك الصحابيّ العظيم، وقد شهدت ذلك الضمان أُمّة كبيرة من الصحابة، فكأنّه ما كان يرى للعهد لزوماً، ولا للضمان حرمة، ولا للضامنين مكانة، ولا لنكث العهد معرّة، ولعلّه كان يجد مبرّراً لتلكم الفجائع أو الفضائح، وعلى أيّ فالمسلمون ـ ويقدمهم الصحابة العدول ـ لم يرُقهم ذلك المبرّر ولا اعترفوا به، فمضوا إلى ما فعلوه قدماً غير مُتحوّبين ولا متأثّمين. ١٨٨/٩

الرابع: أنّ التزامه في كتاب عهده في الحصار الأوّل بالعمل بالكتاب والسنّة وهو في حيّز النزوع عمّا كان يرتكبه قبل ذلك، وقد أعتب بذلك المتجمهرين عليه المنكرين على أحداثه المنحازة عنها، يرشدنا إلى أنّه كان في أعماله قبل ذلك الالتزام حائداً عن الكتاب والسنّة، وحسب أيّ إنسان من الضعة أن تكون أعماله منتئية عنها.

الخامس: إنّ الطريد ابن الطريد، أو قل عن لسان النبيّ الأمين[1]: «الوزغ ابن

---

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثامن: ص ٢٦٠. (المؤلّف)

الوزغ، اللعين ابن اللعين»، مروان بن الحكم كان يؤثّر في نفسيّات الخليفة حتى يحوّله كما قال مولانا أمير المؤمنين[1] عن دينه وعقله، ويجعله مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به. فلم يزل به حتى أربكه عند منتقض العهود ومنتكث المواثيق، فأورده مورد الهلكة. وعجيب من الخليفة أن يتأثّر بتسويلات الرجل وهو يعلم محلّه من الدين وموقفه من الإيمان، ومبوّأه من الصدق والأمانة، وهو يعلم أنّه هو وزبانيته هم الذين جرّوا عليه الويلات وأركبوه النهابير، وأنّهم سيوردونه ثمّ لا يصدرونه، يعلم ذلك كلّه وهو بين الناب والمخلب وفي منصرم الحياة، ومع ذلك كلّه لا يزال مقيماً على هاتيك الوساوس المروانيّة، فيا للعجب.

وأعجب من ذلك أنّه مع هذا التأثّر يتّخذ نصح الناصحين له كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكثير من الصحابة العدول بأعتاب الناس ورفض تمويهات مروان الموبقة له ظهريّاً فلا يُعير لهم بعد تمام الحجّة وقطع سُبل المعاذير أُذناً واعية، وهو يعلم أنّهم لا يعدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعونه إلى ما فيه نجاته ونجاح الأُمّة.

لفت نظر: وقع في عدّ أيّام حصار عثمان خلاف بين المؤرّخين فقال الواقدي: حاصروه تسعة وأربعين يوماً. وقال الزبير: حاصروه شهرين وعشرين يوماً. وفي رواية / أنّهم حصروه أربعين ليلة. وقال ابن كثير: استمرّ الحصر أكثر من شهر. ١٨٩/٩
وقيل: بضعاً وأربعين. وقال الشعبي: كانت مدّته اثنتين وعشرين ليلة. وفي رواية للطبري: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين. وفي بعض الروايات: حصروه عشرين يوماً بعد قضيّة جهجاه المذكورة (ص١٢٣) إلى أقوال أُخرى، ولعلّ كلّاً منها ناظر إلى ناحية من مدّة أيّام الحصارين أو مدّة أحدهما، ومن مدّة نزول المتجمهرين حول داره، ومن أيّام ضاق عليه الخناق، ومُنِع من إدخال الماء عليه،

---

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء صفحة: ١٧٤. (المؤلّف)

وحيل بينه وبين اختلاف الناس إليه، ومن حصار الثائرين عليه من الأمصار، ومن إصفاق أهل المدينة معهم على الحصار. إلى تأويلات أُخرى يتأتّى بها الجمع بين تلكم الأقوال.

كتب عثمان أيام الحصار[1]

أخرج الطبري في تاريخه من طريق ابن الكلبي، قال: إنّما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنّه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، وأن يصلب بعضهم. فلمّا أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك؟ قال: غلامي انطلق بغير علمي، قالوا: جملك؟ قال: أخذه من الدار بغير أمري. قالوا: خاتمك؟ قال: نقش عليه. فقال عبدالرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر:

أقبلن من بلبيس والصعيد[2] خوصاً كأمثال القسيِّ عود
مُستحقبات حلق الحديد يطلبن حقَّ الله في الوليد
وعند عثمان وفي سعيد يا ربِّ فارجعنا بما نريد

فلمّا رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية

---

(١) الإمامة والسياسة: ٣٢/٢ ـ ٣٣ [٣٧/١ ـ ٣٨]، الأنساب: ٧١/٥ و ٧٢ [١٨٨/٦ و ١٨٩]، تاريخ الطبري: ١٠٥/٥، ١١٥، ١١٦، ١١٩ [٣٥١/٤ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٧٣ حوادث سنة ٣٥هـ]، تاريخ اليعقوبي: ١٥٢/٢ [١٧٥/٢]، الكامل لابن الأثير: ٦٧/٥، ٧١ [٢٨٧/٢ و ٢٨٨ حوادث سنة ٣٥هـ]، شرح ابن أبي الحديد: ١٦٥/١ [١٥٠/٢ خطبة ٣٠]، تاريخ ابن خلدون: ٣٩٤/٢ [٥٩٥/٢]، الفتنة الكبرى: ص٢٢٦ [المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين: ـ الفتنة الكبرى ـ: ج ٤٢١/٤]. (المؤلّف)

(٢) بلبيس: بكسر الباءين وسكون اللام: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام [معجم البلدان: ٤٧٩/١]، الصعيد: بلاد واسعة كبيرة بمصر يقال: إنها تسعمئة وسبع وخمسون قرية [معجم البلدان: ٤٠٨/٣]. (المؤلّف)

ابن أبي سفيان وهو بالشام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد، فإنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة، فابعث إليّ ١٩٠/٩
من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب وذلول.

فلمّا جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم، فلمّا أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز، وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظّم حقّه عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم؛ ووعدهم أن يجنّدهم[1] جنداً وبطانة دون الناس، وذكّرهم بلاءه عندهم وصنيعه إليهم، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل؛ فإنّ القوم معاجلي.

فلمّا قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثمّ القسري، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر عثمان فعظّم حقّه، وحضّهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه، فتابعه ناس كثير، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى[2]، بلغهم قتل عثمان ﷺ، فرجعوا.

وأخرج البلاذري من طريق الشعبي قال: كتب عثمان إلى معاوية: أن أمددني، فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كريز[3] البجلي، فتلقّاه الناس بمقتل عثمان فرجع من الطريق وقال: لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته، لأنّ الخاذل والقاتل سواء.

---

(١) في تاريخ الطبري: ينجدهم.

(٢) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة [معجم البلدان: ٣٤٥/٥]. (المؤلّف)

(٣) في المصدر: كُرز، وهو كما مرّ قبل قليل.

كتابه إلى أهل الشام:

قال ابن قتيبة: وكتب إلى أهل الشام عامّة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصّة:

أمّا بعد؛ فإنّي في قوم طال فيهم مقامي، واستعجلوا القدر فيّ، وقد خيّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل إلى دحلٍ[1]، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني، وبين أن أَقِيدهم ممّن قتلت. ومن كان على سلطان يخطئ ويصيب، فياغوثاه يا غوثاه، ولا أمير عليكم دوني، فالعجل العجل يا معاوية، وأدرك ثمّ أدرك وما أراك تدرك.

كتابه إلى أهل البصرة:

١٩١/٩ وكتب إلى عبدالله بن عامر: أن اندب إليّ أهل البصرة ـ نسخة كتابه إلى أهل الشام ـ فجمع عبدالله بن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضّونه على نصر عثمان والمسير إليه، فيهم: مجاشع بن مسعود السلمي، وكان أوّل من تكلّم وهو يومئذٍ سيّد قيس بالبصرة، وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمي، فخطب وحضّ الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، فاستعمل عليهم عبدالله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم، حتى إذا نزل الناس الربذة ونزلت مقدّمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان.

وقال البلاذري: وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز ومعاوية بن أبي سفيان يعلمهما أنّ أهل البغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره فليس يُرضيهم بزعمهم شيء دون قتله أو يخلع السربال الذي سربله الله إيّاه، ويأمرهما بإغاثته برجال ذوي نجدة وبأس ورأي، لعلّ الله أن يدفع بهم عنه بأس من يكيده ويريده، وكان رسوله إلى ابن عامر جبير بن مُطعم، وإلى معاوية المسور بن

---

(١) هي جزيرة بين اليمن وبلاد البَجَة بين الصعيد وتهامة. معجم البلدان: ٤٤٤/٢.

مخرمة الزهري. فأمّا ابن عامر فوجّه إليه مجاشع بن مسعود السلمي في خمسمئة أعطاهم خمسمئة خمسمئة درهم، وكان فيمن ندب مع مجاشع زفر بن الحارث على مئة رجل. وأمّا معاوية فبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري في ألف فارس، فقدم حبيب أمامه يزيد بن أسد البجلي جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد القسري من بجيلة، وبلغ أهل مصر ومن معهم ممّن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية، فزادهم ذلك شدّة عليه وجدّاً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل.

كتابه إلى أهل الامصار:

أخرج الطبري وغيره وقالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدّهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً، فبلّغ عن الله ما أمره به ثمّ مضى وقد قضى الذي عليه، وخلّف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه، وبيان الأُمور / التي قدّر، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر ﷺ ١٩٢/٩ وعمر ﷺ، ثمّ أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأُمّة، ثمّ أجمع أهل الشورى عن ملأٍ منهم ومن الناس على غير طلب منّي ولا محبّة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متّبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلّف، فلمّا انتهت الأُمور، وانتكث الشرّ بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلّا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجّة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء ممّا كانوا يرضون وأشياء عن ملأٍ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبّرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين، وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عزّ وجلّ جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة، وثابتْ إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأُحد إلّا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

فأتى الكتاب أهل الأمصار، فخرجوا على الصعبة والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن حُديج السكوني، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو. الحديث.

كتابه إلى أهل مكة ومن حضر الموسم سنة (٣٥):

ذكر ابن قتيبة قال: كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم، فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عبّاس يخطب، وهو يومئذٍ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم، فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحجّ من المسلمين:

أمّا بعد؛ فإنّي كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر، ولا آكل من الطعام ما يكفيني، خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي، لا أُدعى إلى توبة أقبلها، ولا تسمع مني حجّة أقولها، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلّا قدم عليّ فأخذ الحقّ فيّ، ومنعني من الظلم والباطل.

١٩٣/٩ قال: ثمّ قام ابن عبّاس، فأتمّ خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه.

قال الأميني: هذا ما يمكننا أن نؤمن به من كتاب عثمان إلى الحضور في الموسم، وهناك كتاب مفصّل إلى الحاجّ يُنسب إليه يتضمّن آياً من الحكم والموعظة الحسنة يطفح عن جوانبه الورع الشديد في دين الله، والأخذ بالكتاب والسنّة، والاحتذاء بسيرة الشيخين، يبعد جدّاً عن نفسيّات عثمان وعمّا عرفته الأُمّة من تاريخ حياته، والكتاب أخرجه الطبري في تاريخه[1] (٥/١٤٠ ـ ١٤٣)، وراق الدكتور طه حسين ما

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤/٤٠٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

وجد فيه من المعاني الراقية والجمل الرائقة، والفصول القيّمة، فذكره في ملحق كتابه الفتنة الكبرى[١] (ص٢٢٧ ـ ٢٣١) ذاهلاً عن أنّ الكتاب لم يرو إلّا من طريق ابن أبي سبرة القرشي العامري المدني الوضّاع الكذّاب السابق ذكره في سلسلة الوضّاعين في الجزء الخامس، قال الواقدي: كان كثير الحديث وليس بحجّة، وقال صالح بن أحمد عن أبيه: كان يضع الحديث. وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ليس بشيء كان يضع الحديث ويكذب، وعن ابن مَعِين[٢]: ليس حديثه بشيء، ضعيف الحديث، وقال ابن المديني: كان ضعيفاً في الحديث، وقال مرّة: كان منكر الحديث. وقال الجوزجاني: يضعف حديثه. وقال البخاري[٣]: ضعيف. وقال مرّة: منكر الحديث. وقال النسائي[٤]: متروك الحديث. وقال ابن عدي[٥]: عامّة ما يرويه غير محفوظ، وهو في جملة من يضع الحديث. وقال ابن حبّان[٦]: كان ممّن يروي الموضوعات عن الثقات لا يجوز الاحتجاج به. وقال الحاكم أبو عبدالله: يروي الموضوعات عن الأثبات[٧].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نظرة في الكتب المذكورة:

لقد تضمّنت هذه الكتب أشياء هي كافية في إثارة عواطف المؤمنين على من كتبها ولو لم يكن له سابقة سوء غيرها. منها:

قوله عن المهاجرين والأنصار وليس في المدينة غيرهم: إنّ أهل المدينة قد

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين ـ الفتنة الكبرى ـ: ج٤/٤٢١.

(٢) التاريخ: ١٥٧/٣ رقم٦٥٩.

(٣) التاريخ الكبير: ج٩/٨ رقم٦٥ كتاب الكنى ٥٦.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٢٦٢ رقم٦٩٧.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٩٧/٧ رقم ٢٢٠٠.

(٦) كتاب المجروحين: ١٤٧/٣.

(٧) راجع: تاريخ الخطيب: ٣٦٧/١٤ ـ ٣٧٢ [رقم٧٦٩٧]، تهذيب التهذيب: ٢٧/١٢ [٣١/١٢].

(المؤلّف)

كفروا، وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة. وقوله: فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأُحد وهو يريد أصحاب محمد ﷺ المشهود لهم جمعاء بالعدالة عند قاطبة أهل السنّة، ولقد صعّدوا وصوّبوا في إثبات ذلك بما لا مزيد عليه عندهم، ولا يزالون
١٩٤/٩ يحتجّون بأقوالهم / وما يؤثر عنهم من قول أو عمل في أحكام الدين، كما يحتجّون بما يؤثر عن رسول الله ﷺ من السنّة، ثقة بإيمانهم، وطمأنينة بعدالتهم، ويرون أنّهم لا ينبسون ببنت شفة ولا يخطون في أمر الدين خطوة إلّا بأثر ثابت عن رسول الله ﷺ مسموع أو منقول أو مشاهدة عمل منه ﷺ يطابق ما يرتأونه أو يعملون به، فهل على مؤمن هذا شأنه قذف أثقل عليه من هذا؟ أو تشويه أمسّ بكرامته من ذلك؟ ولعمر الحقّ إنّ من يغضّ عن مثله فلا يستثيره خلو عن العاطفة الدينيّة، خلو عن الحماس الإسلامي، خلو عن الشهامة المبدئيّة، خلو عن الغيرة على الحقّ، خلو وخلو ولذلك اشتدّت الصحابة عليه بعد وقوفهم على هذا وأمثاله.

ثمّ إنّه ليس لأحد طاعة مفترضة في أعناق المسلمين بعد الله ورسوله إلّا إمام حقّ يعمل بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، والمتجمهرون على عثمان وهم الصحابة أجمع كانوا يرون أنّه تخطّاهما، وأنّ ما كان ينوء به من فعل أو قول قد عديا الحقّ منهما، فأيّ طاعة واجبة والحال هذه ـ وحسبان القوم كما ذكرناه ـ حتى يُؤاخذوا على الخلف؟

والبيعة إنّما لزمت إن كان صاحبها باقياً على ما بويع عليه، والقوم إنّما بايعوه على متابعة الكتاب والسنّة والمضيّ على سيرة الشيخين، وبطبع الحال أنّها تنتكث عند نكوص صاحبها عن الشروط. وهو الذي نقمه المسلمون على خليفتهم، فلا موجب لمؤاخذتهم أو منابذتهم، وهاهنا رأى المسلمون أنّ الرجل زاد ضغثاً على إبّالة، فهو على أحداثه الممقوتة طفق يستثير الجنود عليهم، ويحرّضهم على القتل والنهب، فتداركوا الأمر فأوردوه حياض المنيّة قبل أن يجلب إليهم البليّة، وتلافوا

الأمر قبل أن يمسّهم الشرّ، وما بالهم لا تستثيرهم تلكم القذائف؟ وهم يرون أنّهم هم الذين آووا ونصروا ولم يألوا جهداً في جهاد الكفّار حتى ضرب الدين بجرانه، فمن العجيب والحالة هذه أن يشبّهوا بالأحزاب والكفرة يوم أحد.

ومنها: تلوّنه في باب التوبة التي تظاهر بها على صهوة المنبر بملأ من الصحابة، وسجّل ذلك بكتاب شهد عليه عدّة من أعيان الأُمّة وفي مقدّمهم سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام، وكتب ذلك إلى الأمصار النائية كما تقدّم في صفحة (١٧٦) / وهو في كلّ ١٩٥/٩
ذلك يعترف بالخطيئة ويلتزم بالإقلاع عنها، لكنّه سرعان ما نكث التوبة وأبطل المواثيق المؤكّدة بكتبه هذه، إذ حسب أنّ من يكتب إليهم سينفرون إليه مقانب وكتائب وهم أولياؤه ومواليه، فنفى عنه المآثم التي شهد عليها أهل المدينة بل وأهل الأمصار من خيرة الأُمّة، وهو يريد أن يقلب عليهم ظهر المجن، فيؤاخذ وينتقم وكأنّه نسي ذلك كلّه حتى قال في كتابه إلى أهل مكة: لا أدعى إلى توبة أقبلها، ولا تُسمع منّي حجّة أقولها.

يقول له المحامي عن المدنيّين: أوَلم تُدْعَ أيّها الخليفة إلى التوبة فتبت على الأعواد وعلى رؤوس الأشهاد مرّة بعد أُخرى؟ لكنّهم وجدوك لا تقرّ على قرار، ولا تستمرّ على مبدأ، وشاهدوك تتلوّن تلوّن الحرباء[1] فجزموا بأنّ التوبة لا تردعك عن الأحداث، وأنّ النزوع لايزعك عن الخطايا، وجئت تماطل القوم بذلك كلّه حتى يوافيك جيوشك فتهلك الحرث والنسل، وتمكن من أهل دار الهجرة مثل يزيد ابن كرز[2] الذي يقول: لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته. إلخ.

عرف القوم أيّها الخليفة نواياك السيّئة فيهم، وعرفوا انحرافك عن الطريقة المثلى بإبعاد مروان إيّاك عنها كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخاطبك: أما

---

(١) الحرباء: ضرب من الزواحف تتلوّن في الشمس ألواناً مختلفة، يضرب بها المثل في التقلّب. (المؤلّف)

(٢) لايخفى ما هنا من نسبته إلى جدّه ولذلك أثبتنا له ألف (بن)؛ لتدلّ عليه. وقد مرّ حديثه ص ٢٦٥.

رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك؟ وإنّ مثلك مثل الظعينة يُقاد حيث يُسار به[١]، فنهضوا للدفع عنهم وعن بيضة الإسلام من قبل أن يقعوا بين الناب والمخلب، فوقع ما وقع وكان أمر الله قدراً مقدورا.

ولنا هاهنا مناقشة أُخرى في حساب الخليفة فنقول له: ما بالك تكرّر أيّها الخليفة قولك عن الخلافة: إنّها رداء الله الذي كساني، أو أنّها قميص سربلنيه الله. أو ما يماثل ذلك؟ تطفح به كتبك أو يطفو على خُطَبِك، ويلوكها فمك بين كلمك، كأنّك قد حفظتها كلمة ناجعة لدينك ودنياك، واتّخذتها ورداً لك كأنّك تحاذر في تركها النسيان غير أنّه عزب عنك محاسبة من تخاطبهم بها إيّاك، فما جواب قومك إن قالوا لك متى سربلك الله بهذا القميص؟ وقد مات من سربلك، وانقلب عليك بعدُ قبل موته وعددته لذلك منافقاً، وأوصى أن لا تصلّي عليه أنت، وكان يقول لعليّ أمير المؤمنين: ١٩٦/٩
خذ سيفك وآخذ سيفي إنّه قد خالف ما أعطاني، وكان يحثّ الناس عليك ويقول: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه، وحلف أن لا يكلّمك أبداً، وقد دخلت عليه عائداً في مرضه فتحوّل إلى الحائط ولم يكلّمك[٢] وهاجرك إلى آخر نفس لفظه. وتبعه على خلافك الباقون من أهل الشورى.

وكنّا نحسب أنّ نصب الخليفة لا يجب على الله سبحانه إن كنّا مقتفين أثر الشيخين وإنّما هو مفوّض إلى الأُمّة تختار عليها من شاءت، وإن حدنا في ذلك عن قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٣] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤] وعن نصوص النبيّ الأعظم وقد مرّ شطر منها في غضون أجزاء كتابنا هذا.

---

(١) راجع ما مرّ في صفحة: ١٧٤، ١٧٥ من هذا الجزء. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ في هذه الجزء من حديث عبدالرحمن بن عوف: ص٨٦ ـ ٩٠. (المؤلّف)

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ٣٦.

فهل ترى أيّها الخليفة أنّه كان يجب على الله سبحانه أن يمضي خيرة الأُمّة؟ أكان في رأي الجليل إعواز في تقييض الإمام بنفسه حتى ينتظر في ذلك مشتبك آراء الأُمّة أو مرتبك أهوائهم فيمضي ما ارتأوه؟ وبهذه المناسبة تنسب ذلك السربال إليه، لا أظنّك أيّها الخليفة يسعك أن تقرّر ما استفهمناه، غير أنّ آخر دعواك بعد العجز عن الجواب: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله.

وعلى كلّ لقد أوقفنا موقف الحيرة في أمر هذا السربال ومن حاكه والنول الذي حيك عليه، فقد وجدنا أوّل الخلفاء تسربله بانتخاب غير دستوري، بانتخاب جرّ الويلات على الأُمّة حتى اليوم، بانتخاب سوّد صحيفة التاريخ وشوّه سمعة السلف، وقد تقمّصه ابن أبي قحافة وهو يعلم أنّ في الأُمّة من محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، كما قاله مولانا أمير المؤمنين ثمّ مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده، فيا عجباً يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته[1] فتقمّصه الثاني بالنصّ ممّن قبله وهو يعلم أنّ في الأُمّة من هو / أولى منه كما قال مولانا أمير المؤمنين[2] وسربلك إيّاه أيّها الخليفة ١٩٧/٩
عبدالرحمن بن عوف وفي لسانه قوله لعليّ: بايع وإلّا ضربت عنقك، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فخرج عليّ مغضباً فلحقه أصحاب الشورى قائلين: بايع وإلّا جاهدناك[3]. فأيّ من هذه السرابيل منسوج بيد الحقّ حتى يصحّ عزوه إليه سبحانه؟ ولهذا البحث ذيول ضافية حولها أبحاث مترامية الأطراف، حول خلافة الخلفاء من بني أُميّة وغيرهم يشبه بعضها بعضاً، ولعلّك في غنىً عن التبسّط في ذلك والاسترسال حول توثّبهم على عرش الإمامة.

نعم؛ الخلافة التي يصحّ فيها أن يقال: إنّها سربال من الله سبحانه هي التي

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص٨١. (المؤلّف)

(٢) يأتي حديثه بلفظه. (المؤلّف)

(٣) الأنساب للبلاذري: ٢٢/٥ [١٢٨/٦]. (المؤلّف)

قيّض صاحبها المولى جلّت قدرته، وبلّغ عنه نبيّه الأمين ﷺ، هي التي أخبر به النبيّ الأعظم من أوّل يومه فقال: «إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»[١] فهي إمرة إلهيّة لا تتمّ إلّا بالنصّ وليس لصاحبها أن ينزعها»، هي التي قرنت بولاية الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[٢] وهي التي أكمل الله بها الدين وأتمّ بها النعمة[٣] وشتّان بينها وبين رجال الانتخاب وإن كان دستوريّاً.

وأمّا ما ارتآه المتجمهرون وعبثت به الميول والشهوات، فهي سلطة عادية يفوز بها المتغلّبون، وبيد الأُمّة حلّها وعقدها، والغاية منها عند من يحذو حذو الخليفة في جملة من الصولات: كلاءة الثغور، واقتصاص القاتل، وقطع المتلصّص، إلى آخر ما مرّ تفصيله في الجزء السابع (صفحة ١٣١ ـ ١٥٢) وليس في عهدة المتسلّق على عرشه تبليغ الأحكام، وترويض النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتعليم الملكات الفاضلة، وتربية الملأ في عالم النشوء والارتقاء، فإنّ تلكم الغايات في تلكم السلطات تحصل بمن هو خلو عن ذلك كلّه كما شوهد فيمن فاز بها عن غير نصّ إلهيّ.

يوم الدار والقتال فيها

١٩٨/٩ أخرج ابن سعد في طبقاته[٤] (٢٥/٥) طبع ليدن؛ من طريق أبي حفصة مولى مروان، قال: خرج مروان بن الحكم يومئذٍ يرتجز ويقول: من يبارز؟ فبرز إليه عروة ابن شِيَيْم بن البياع الليثي فضربه على قفاه بالسيف فخرّ لوجهه، فقام إليه عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي بسكّين معه ليقطع رأسه، فقامت إليه أُمّه التي أرضعته وهي

---

(١) مرّ حديثه في الجزء السابع: ص ١٣٤. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مضى في الجزء الثاني: ص ٤٧، والجزء الثالث: ص ١٥٥ ـ ١٦٢. (المؤلّف)

(٣) راجع الجزء الأوّل من كتابنا هذا: ص ٢٣٠ ـ ٢٣٨. (المؤلّف)

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٧/٥.

فاطمة الثقفيّة وهي جدّة[١] إبراهيم بن العربيّ صاحب اليمامة فقالت: إن كنت تريد قتله فقد قتلته، فما تصنع بلحمه أن تبضّعه؟ فاستحيا عبيد بن رفاعة منها فتركه.

وروى عن عيّاش بن عبّاس، قال: حدّثني من حضر ابن البيّاع يومئذٍ يبارز مروان بن الحكم، فكأنّي أنظر إلى قبائه قد أدخل طرفيه في منطقته وتحت القباء الدرع، فضرب مروان على قفاه ضربة فقطع علابيّ رقبته ووقع لوجهه، فأرادوا أن يذفّفوا عليه فقيل: تبضّعون اللحم؟ فترك.

وأخرج البلاذري[٢] من طريق خالد بن حرب قال: لجأ بنو أُميّة يوم قتل عثمان إلى أُمّ حبيبة[٣] فجعلت آل العاص وآل حرب وآل أبي العاص وآل أُسيد في كندوج[٤] وجعلت سائرهم في مكان آخر، ونظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في مشيته فقال: بأبي وأُمّي أُمّ حبيبة، ما كان أعلمها بهذا الحيّ حين جعلتك في كندوج!

قال: ومشى الناس إلى عثمان وتسلّقوا عليه من دار بني حزم الأنصاري، فقاتل دونه ثلاثة من قريش: عبدالله بن وهب بن زمعة بن الأسود[٥]، وعبدالله بن عوف

---

(١) كذا في الطبقات الكبرىٰ، وسيأتي في صفحة ٢٧٨ أنّها أم إبراهيم بن عربي الكناني كما في أنساب الأشراف: ١٩٨/٦. إلّا أنّ ما في تاريخ الطبري: ٣٨١/٤ فاطمة بنت أوس جدّة إبراهيم ابن عديّ، وليس إبراهيم بن عربي وهو الصواب حسب الظاهر، إذ إنّ إبراهيم بن عربي هو صاحب ديوان عبدالملك بن مروان، وأمّا إبراهيم بن عديّ فهو واليه على اليمامة. راجع: تاريخ الأُمم والملوك: ١٤٤/٦، ١٤٦ حوادث سنة ٦٩هـ، الكامل في التاريخ: ١٧٧/٣.

(٢) أنساب الأشراف: ١٩٩/٦.

(٣) زوجة رسول الله ﷺ. (المؤلّف)

(٤) كندوج: شبه المخزن بالبيت. (المؤلّف)

(٥) قال ابن الأثير في أُسد الغابة: ٢٧٣/٣ [٤١٥/٣ رقم٣٢٤١]: قتل يوم الجمل أو يوم الدار، وقال ابن حجر في الإصابة: ٣٨١/٢ [رقم٥٠٢٧]: قتل يوم الدار. (المؤلّف)

١٩٩/٩ ابن السبّاق[١]، وعبدالله[٢] بن عبدالرحمن / بن العوام، وكان عبدالله بن عبدالرحمن بن العوام يقول: يا عباد الله بيننا وبينكم كتاب الله. فشدّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله الجمحي وهو يقول:

لأضربنّ اليوم بالقرضابِ[٣] بقيّة الكفّار والأحزابِ
ضرب امرئٍ ليس بذي ارتيابِ أأنت تدعونا إلى الكتابِ
نبذته في سائر الأحقابِ

فقتله، وشدّ جماعة من الناس على عبدالله بن وهب بن زمعة، وعبدالله بن عوف بن السبّاق، فقتلوهما في جانب الدار.

جاء مالك الأشتر حتى انتهى إلى عثمان، فلم ير عنده أحداً فرجع، فقال له مسلم بن كريب القابضي من همدان: أيا أشتر دعوتنا إلى قتل رجل فأجبناك حتى إذا نظرت إليه نكصت عنه على عقبيك. فقال له الأشتر: لله أبوك أما تراه ليس له مانع ولا عنه وازع؟ فلمّا ذهب لينصرف قال ناتل مولى عثمان: واثكلاه هذا والله الأشتر الذي سعّر البلاد كلّها على أمير المؤمنين، قتلني الله إن لم أقتله. فشدّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من همدان: وراءك الرجل يا أشتر، فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى ونادى الأشتر: يا عمرو بن عبيد إليك الرجل، فاتبع عمرو ناتلاً فقتله.

---

(١) هو عبدالله بن أبي مرّة ـ أبي ميسرة ـ العبدري، قتل مع عثمان كما في الاستيعاب: ٣/٢ [القسم الثالث/٩٩٨ رقم١٦٧٢] والإصابة ٣٦٧/٢ [رقم٤٩٥٠]. (المؤلّف)

(٢) ذكر أبو عمر في الاستيعاب [القسم الثاني/٨٤٤ رقم١٤٤٦] وابن الأثير في أُسد الغابة [٤٨٠/٣ رقم٣٣٦٣] في ترجمة عبدالرحمن، وابن حجر في الإصابة: ٤١٥/٢ [رقم٥١٧٨]: أنّه ممّن قتل يوم الدار. (المؤلّف)

(٣) القرضوب والقرضاب: السيف القاطع يقطع العظام.

وقال مروان في يوم الدار:

وما قلت يوم الدار للقوم حاجزوا رُويداً ولا اختاروا الحياة على القتلِ
ولكنَّني قد قلت للقوم قاتلوا بأسيافكم لا يوصلنَّ إلى الكهلِ

وفي رواية أبي مخنف: تهيّأ مروان وعدّة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا منه وحملوا على من دخل الدار فأخرجوهم. ورُمي عثمان بالحجارة من دار بني حزم بن زيد الأنصاري ونادوا: لسنا نرميك، الله يرميك، فقال: لو رماني الله لم يخطئني، وشدّ المغيرة بن الأخنس بالسيف وهو يقول:

قد علمت جاريةٌ عطبول لها وشاحٌ ولها جديل
أنّي لمن حاربت ذو تنكيل

فشدّ عليه رفاعة بن رافع وهو يقول:

قد علمت خودٌ سحوب للذيلْ ترخي قروناً مثل أذناب الخيلْ
أنّ لِقرني فيالوغىٰ منّيالويلْ ٢٠٠/٩

فضربه على رأسه بالسيف فقتله. ويقال: بل قتله رجل من عرض الناس، وخرج مروان بن الحكم وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل والكفّ والأنامل الطفول
أنّي أروع أوّل الرعيل

ثمّ ضرب عن يمينه وشماله فحمل عليه الحجّاج بن غزية وهو يقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الليتين قعساء الكفل
أنّي غداة الروع مقدامٌ بطل

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفه، وخرّ مروان لوجهه، وجاءت

فاطمة بنت شريك الأنصاريّة من بُلَيّ[١] ـ وهي أُمّ[٢] إبراهيم بن عربي الكناني الذي كان عبدالملك بن مروان ولّاه اليمامة، وهي التي كانت ربّت مروان ـ فقامت على رأسه ثمّ أمرت به فحمل، وأُدخل بيتاً فيه كُنّة[٣] وشدّ عامر بن بكير الكناني وهو بدري على سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية فضربة بالسيف على رأسه، وقامت نائلة بنت الفرافصة على رأسه ثمّ احتملته فأدخلته بيتاً وأغلقت بابه[٤].

وفي رواية الطبري[٥] من طريق أبي حفصة مولى مروان: لمّا حُصر عثمان ﷺ شمّرت معه بنو أُميّة، ودخل معه مروان الدار، فكنت معه في الدار، فأنا والله أنشبتُ القتال بين الناس، رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته، وهو نيار الأسلمي فنشب القتال، ثمّ نزلت فاقتتل الناس على الباب، فأرسلوا إلى عثمان أن أمكنّا من قاتله. قال: والله ما أعرف له قاتلاً، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلمّا أصبحوا غدوا، فأوّل من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثمّ دخلت الشعل على أثره تُنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب وقد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شيء، قد احترق الخشب واحترقت الأبواب، ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، ثم قال لمروان: / اجلس فلا تخرج. فعصاه مروان، فقال: والله لا تُقتل ولا يُخلص إليك وأنا أسمع الصوت، ثمّ خرج إلى الناس، فقلت: ما لمولاي مُتّرك. فخرجت معه أذبّ عنه ونحن قليل، فأسمع مروان يقول: ٢٠١/٩

---

(١) بُلَي: تلّ قصير أسفل حاذة ـ موضع بنجد ـ بينها وبين ذات عرق. معجم البلدان: ٤٩٤/١.

(٢) كذا في أنساب الأشراف: ١٩٨/٦. راجع تعليقتنا في هامش صفحة ٢٧٥.

(٣) كُنّة بالضم: جناح يخرج من الحائط. والسقيفة تشرع فوق باب الدار. وقيل: هو مخدع أو رفّ يشرع في البيت. (المؤلّف)

(٤) الأنساب: ٧٨/٥ ـ ٨١ [١٩٧/٦ ـ ١٩٩]. (المؤلّف)

(٥) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٧٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

قد علمت ذات القرون الميلِ والكفّ والأنامل الطفولِ
أنّي أروع أوّل الرعيلِ بفارهٍ مثل قطا الشليلِ

وقال أبو بكر بن الحارث: كأنّي أنظر إلى عبدالرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى مسجد نبيّ الله ﷺ وعثمان محصور، فخرج مروان فقال: من يبارز؟ فقال عبدالرحمن بن عديس لفلان بن عروة[1]: قم إلى هذا الرجل. فقام إليه غلام شابّ طوال فأخذ رفيف الدرع فغرزه في منطقته، فأعور له عن ساقه، فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه، فكأنّي أنظر إليه حين استدار، وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفّف عليه... إلى آخر ما مرّ عن ابن سعد.

ومن طريق حسين بن عيسى، عن أبيه، قال: لمّا مضت أيّام التشريق أطافوا بدار عثمان ﷺ، وأبى إلّا الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصّته فجمعهم. فقام رجل من أصحاب النبيّ ﷺ يقال له: نيار بن عياض[2] ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فنادى: يا عثمان، فأشرف عليه من أعلى داره، فناشده الله وذكّره الله لمّا اعتزلهم، فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا أنّ الذي رماه كثير بن الصلت الكندي، فقالوا لعثمان عند ذلك: إدفع الينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به. فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي، فلمّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد بن العاص في عصابة، وخرج المغيرة بن الأخنس الثقفي في عصابة، فاقتتلوا

---

(١) لعل الصحيح: عروة بن شِيَيْم بن البيّاع الليثي، كما جاء في رواية الطبري في تاريخه: ١٣٢/٥ [٣٩٤/٤ حوادث سنة ٣٥هـ. وقد تقدّم تصحيح المؤلّف في هامش ص ١٩١ لما ذكره الطبري هناك]، ومرّ في: ص١٩٨ من رواية ابن سعد في طبقاته. (المؤلّف)

(٢) كذا ذكره الطبري في تاريخه: ٣٢٨/٤ وأورده في الصفحة ٣٩٠ باسم: نيار بن عبدالله الأسلمي، وبهذا الاسم أيضاً ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة: ٥٧٨/٣ رقم ٨٨٣٦، وابن الأثير في الكامل في التاريخ: ١٧٥/٣، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٤٣٨/٣٩.

قتالاً شديداً، وكان الذي حداهم على القتال أنّه بلغهم أنّ مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صِراراً ـ وهي من المدينة على ليلة ـ، وأنّ أهل الشام قد توجّهوا مقبلين، فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجزاً:

٢٠٢/٩ قد علمت جاريةٌ عُطبولُ لها وشاحٌ ولها حُجولُ
أنّي بنصل السيف خنشليلُ

فحمل عليه عبدالله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي، وهو يقول:

إن تكُ بالسيف كما تقولُ فاثبت لِقرنٍ ماجدٍ يصولُ
بمشرفيٍّ حدُّهُ مصقولُ

فضربه عبدالله فقتله، وحمل رفاعة بن رافع الأنصاري ثمّ الزّرقي على مروان ابن الحكم، فضربه فصرعه، فنزع عنه وهو يرى أنّه قد قتله، وجرح عبدالله بن الزبير جراحات وانهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر، فاعتصموا ببابه، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً، فقتل في المعركة على الباب زياد بن نُعَيم الفهري[1] في ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفّان، ثم نادى الناس، فأقبلوا عليهم[2] من داره، فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا، وخلّي لهم عن باب الدار فخرجوا هُرّاباً في طرق المدينة، وبقي عثمان في أُناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه، وقُتل عثمان رضي الله عنه[3].

---

(١) عدّه من قتلى يوم الدار: أبو عمر في الاستيعاب [القسم الثاني/٥٣٤ رقم٨٣٥]، وابن حجر في الإصابة [٥٥٩/١ رقم٢٨٦٧]. (المؤلّف)

(٢) في الطبري: فأقبلوا عليه.

(٣) تاريخ الطبري: ١٢٢/٥ ـ ١٢٥ [٣٧٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ]، الكامل لابن الأثير: ٧٣/٣، ٧٤ [٢٩٣/٢، ٢٩٤ حوادث سنة ٣٥]. (المؤلّف)

وفرّ خالد بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد يوم الدار، وإليه أشار عبدالرحمن ابن سيحان[١] بقوله:

يلومونني أن جُلتُ في الدار حاسراً ... وقد فرّ منها خالدٌ وهو دارعُ[٢]
فإن كان نادىٰ دعوةً فسمعتها ... فشلّت يدي واستكَّ منّي المسامعُ

فقال خالد:

لعمري لقد أبصرتهم فتركتهم ... بعينك إذ ممشاك في الدار واسعُ[٣]

وقال أبو عمر: قتل المغيرة بن الأخنس يوم الدار مع عثمان ﷺ وله يوم / الدار ٢٠٣/٩
أخبار كثيرة، ومنها: أنّه قال لعثمان حين أحرقوا بابه: والله لا قال الناس عنّا إنّا خذلناك، وخرج بسيفه وهو يقول:

لمّا تهدّمت الأبوابُ واحترقتْ ... عمّتُ منهنَّ باباً غيرَ محترقِ
حقّاً أقولُ لعبدِ اللهِ آمره ... إن لم تقاتل لدى عثمانَ فانطلقِ
واللهِ لا أتركُه ما دام بي رمقٌ ... حتىٰ يُزايَلَ بين الرأس والعنقِ
هو الإمامُ فلست اليومَ خاذلَهُ ... إنّ الفرارَ عليّ اليوم كالسرقِ

وحمل على الناس فضربه رجل على ساقه فقطعها، ثمّ قتله. فقال رجل من بني زهرة لطلحة بن عبيدالله: قُتل المغيرة بن الأخنس، فقال: قُتل سيّد حلفاء قريش.

---

(١) كذا في الأنساب، وفي الاستيعاب، والإصابة: أزهر بن سحبان. (المؤلّف)

(٢) الأنساب للبلاذري:

يلومونني في الدار أن غبت عنهم ... وقد فرّ عنهم خالد وهو دارع

(المؤلّف)

(٣) الأنساب: ١١٧/٥ [٢٤٦/٦]، الاستيعاب: ١٥٥/١ [القسم الثاني/٤٣٢ رقم٦٠٩]، الإصابة: ١٠٣/١ [رقم٤٤٢]، ٤١٠ [رقم٢١٨٣]. (المؤلّف)

راجع الاستيعاب[١] ترجمة المغيرة.

وقال ابن كثير في تاريخه[٢] (١٨٨/٧): ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان زياد بن نُعَيم الفهري، والمغيرة بن الأخنس بن شريق، ونيار بن عبدالله الأسلمي، في أُناس وقت المعركة.

قال الأميني: لقد حدتني إلى سرد هذه الأحاديث الدلالة بها منضمّة إلى ما سبقها من الأخبار على أنّه لم يكن مع عثمان من يدافع عنه غير الأمويّين ومواليهم وحثالة ممّن كان ينسج على نولهم تجاه هياج المهاجرين والأنصار فقتل من أولئك من قتل، وضمّ إليه كندوج أُمّ حبيبة آخرين، وتفرّق شذّاذ منهم هاربين في أزقّة المدينة، فلم يبق إلّا الرجل نفسه وأهله حتى انتهت إليه نوبة القتل من دون أيّ مُدافع عنه، فتحفّظ على هذا؛ فإنّه سوف ينفعك فيما يأتي من البحث عن سلسلة الموضوعات.

لفت نظر:

عدّ نيار بن عبدالله من أصحاب عثمان كما فعله ابن كثير غلط فاحش دعاه إليه حبّه إكثار عدد المدافعين عن الخليفة، المقتولين دونه، وقد عرفت أنّه كان شيخاً كبيراً حضر ذلك الموقف للنصيحة والموعظة الحسنة لعثمان فقتله مولى مروان بسهم، فشبّ به القتال، وطولب عثمان بقاتله ليقتصّ منه وامتنع عن دفعه فهاج بذلك غضب الأنصار عليه.

حديث مقتل عثمان

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

٢٠٤/٩ أخرج الطبري في تاريخه وغيره؛ من طريق يوسف بن عبدالله بن سلام، قال:

---

(١) الاستيعاب: القسم الرابع/١٤٤٤ رقم ٢٤٧٩.

(٢) البداية والنهاية: ٢١٠/٧ حوادث سنة ٣٥هـ

أشرف عثمان على الناس وهو محصور وقد أحاطوا بالدار من كلّ ناحية، فقال: أنشدكم بالله جلّ وعزّ هل تعلمون أنّكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ﷺ أن يخير لكم، وأن يجمعكم على خيركم؟ فما ظنّكم بالله؟ أتقولونه[1]: لم يستجب لكم، وهنتم على الله سبحانه؟ وأنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه، وجميع أُموركم لم تتفرّق، أم تقولون: هان على الله دينه فلم يُبال من ولاه؟ والدين يومئذ يُعبد به الله ولم يتفرّق أهله، فتوكلوا أو تخذلوا وتعاقبوا، أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة؟ وإنّما كابرتم مكابرة، فوكل الله الأُمّة إذا عصته، لم تشاوروا في الإمام، ولم تجتهدوا في موضع كراهته، أم تقولون: لم يدر الله ما عاقبة أمري؟ فكنت في بعض أمري مُحسناً ولأهل الدين رضى فما أحدثت بعد في أمري ما يسخط الله وتسخطون ممّا لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسربلني سربال كرامته، وأنشدكم بالله هل تعلمون لي من سابقة خير و سلف خير قدّمه الله لي، وأشهدنيه من حقّه وجهاد عدوّه، حقّ على كلّ من جاء من بعدي أن يعرفوا لي فضلها؟ فمهلاً لا تقتلوني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إسلامه، أو قتل نفساً بغير نفس فيُقتل بها، فإنّكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثمّ لم يرفعه الله عزّ وجلّ عنكم إلى يوم القيامة، ولا تقتلوني فإنّكم إن قتلتموني لم تصلّوا من بعدي جميعاً أبداً، ولم تقتسموا بعدي فيئاً جميعاً أبداً، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا له: أمّا ما ذكرت من استخارة الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر ﷺ فيمن يولّون عليهم ثمّ ولّوك بعد استخارة الله، فإنّ كلّ ما صنع الله الخيرة، ولكنّ الله سبحانه جعل أمرك بليّة ابتلى بها عباده.

وأمّا ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله ﷺ فإنّك قد كنت ذا قدم وسلف وكنت أهلاً للولاية ولكن بدّلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت. ٢٠٥/٩

---

(١) كذا في المصدر، ولعله: أتقولون.

وأمّا ما ذكرت ممّا يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فإنّه لا ينبغي ترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً.

وأمّا قولك: إنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت: قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه، وقد بغيت، ومنعت الحقّ وحُلت دونه وكابرت عليه، تأبى أن تقيد من نفسك من ظلمت عمداً، وتمسّكت بالإمارة علينا، وقد جرت في حكمك وقسمك، فإن زعمت أنّك لم تُكابرنا عليه وأنّ الذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنّما يقاتلون بغير أمرك فإنّما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة، فلو أنّك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك.

قال البلاذري وغيره: لمّا بلغ أهل مصر ومن معهم ممّن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدّة عليه وجدّاً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل.

وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار، وأمرهم بمنع من يدخل عليه والخروج من عنده، وأن يُدخل إليه الماء، وأتت أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بأداوة وقد اشتدّ عليه الحصار فمنعوها من الدخول، فقالت: إنّه كان المتولّي لوصايانا وأمر أيتامنا وأنا أُريد مناظرته في ذلك، فأذنوا لها فأعطته الأداوة.

وقال جبير بن مطعم: حصر عثمان حتى كان لا يشرب إلّا من فقير[1] في داره فدخلت على عليّ فقلت: أرضيت بهذا أن يُحصر ابن عمّتك حتى والله ما يشرب إلّا من فقير في داره؟ فقال: سبحان الله أو قد بلغوا به هذه الحال؟ قلت: نعم، فعمد إلى روايا ماء فأدخلها إليه فسقاه.

---

(١) الفقير: البئر القليلة الماء.

ولمّا وقعت الواقعة، وقام القتال، وقتل في المعركة زياد بن نُعَيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفّان ثمّ نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا وخلّي لهم عن باب الدار فخرجوا هراباً في طرق المدينة. وبقي عثمان في أُناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان ﷺ.

أخرج ابن سعد والطبري من طريق عبدالرحمن بن محمد قال: إنّ محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب، وسودان ابن حمران، وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة، فتقدّمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال: قد أخزاك الله يا نعثل، فقال عثمان: لست بنعثل، ولكن عبدالله وأمير المؤمنين. فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان. فقال عثمان: يابن أخي دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه، فقال محمد: ما أُريد بك أشدّ من قبضي على لحيتك. فقال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به، ثمّ طعن جبينه بمشقص[1] في يده. ٢٠٦/٩

وفي لفظ البلاذري: تناول عثمان المصحف ووضعه في حجره وقال: عباد الله لكم ما فيه، والعتبى ممّا تكرهون، اللّهمّ اشهد، فقال محمد بن أبي بكر: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين! ثمّ رفع جماعة قداح كانت في يده فوجأ بها في خُشَشائه[2] حتى وقعت في أوداجه فحزّت ولم تقطع، فقال: عباد الله لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا.

وفي لفظ ابن كثير: جاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك

---

(١) المشقص: نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض. (المؤلّف)

(٢) الخشاء: العظم الدقيق العاري من الشعر الناتئ خلف الأذن. (المؤلّف)

ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك.

وفي لفظ ابن عساكر: قال محمد بن أبي بكر: على أيّ دين أنت يا نعثل؟ قال: على دين الاسلام، ولست بنعثل ولكنّي أمير المؤمنين. قال: غيّرت كتاب الله. فقال: كتاب الله بيني وبينكم. فتقدّم إليه وأخذ بلحيته وقال: إنّا لايُقبل منّا يوم القيامة أن نقول: ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل، وشحطه بيده من البيت إلى باب الدار وهو يقول: يابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي.

قال ابن سعد والطبري: ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أُذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثمّ علاه بالسيف حتى قتله.

٢٠٧/٩ وفي رواية ابن أبي عون ضرب كنانة بن بشر التجيبي جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجنبه، قال الوليد بن عقبة أو غيره:

علاه بالعمود أخو تجيب فأوهى الرأس منه والجبينا[1]

وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجنبه فقتله، وأمّا عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات، وقال: أمّا ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ لله، وأما ستّ فإنّي طعنت إيّاهنّ لما كان في صدري عليه.

وأقبل عمير بن ضابئ عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه، وفي الإصابة: لمّا قتل عثمان وثب عمير بن ضابئ عليه فكسر ضلعين من أضلاعه. وقال المسعودي: وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي وخضخض بسيفه بطنه. وسيوافيك حديث

---

(١) من المستغرب جداً أنّ أبا عمر بن عبدالبر ذكر هذا البيت في الاستيعاب في ترجمة مولانا أمير المؤمنين بعد ذكر قتله وقال: قال شاعرهم:

علاه بالعمود أخو تجوبٍ فأوهى الرأس منه والجبينا

(المؤلّف)

آخر عنه لدة هذا.

وفي لفظ الطبري وابن عبد ربّة وابن كثير: ضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، ضربوه على مقدّم العين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه، فألقت نائلة وابنة شيبة بن ربيعة زوجتاه بنفسهما عليه. فقال ابن عديس: اتركوه. فتركوه ووطئتا وطئاً شديداً. وفي لفظ ابن كثير: في رواية: إنّ الغافقي بن حرب تقدّم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بحديدة في فيه.

وذكر البلاذري من طريق الحسن عن وثاب، وكان مع عثمان يوم الدار وأصابته طعنتان كأنّهما كيّتان، قال: بعثني عثمان فدعوت الأشتر له، فقال: يا أشتر ما يريد الناس منّي؟ قال: يخيّرونك أن تخلع لهم أمرهم، أو تقصّ من نفسك وإلّا فهم قاتلوك. قال: أمّا الخلع فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، وأمّا القصاص فوالله لقد علمت أنّ صاحبيّ كانا يعاقبان، وما يقوم بدني للقصاص، وأمّا قتلي فوالله لئن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبداً ولا تقاتلون عدوّاً جميعاً أبداً.

وقال وثاب: أصابتني جراحة فأنا أنزف مرّة وأقوم مرّة، فقال لي عثمان: هل عندك وضوء؟ قلت: نعم. فتوضّأ ثمّ أخذ المصحف فتحرّم به من الفسقة، فبينا هو ٢٠٨/٩
كذلك إذجاء رُويجل كأنّه ذئب فاطّلع ثمّ رجع، فقلنا لقد ردّهم أمر ونهاهم، فدخل محمد بن أبي بكر حتى جثا على ركبتيه، وكان عثمان حسن اللحية، فجعل يهزّها حتى سمع نقيض أضراسه ثمّ قال: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر؟ فقال: يابن أخي مهلاً فوالله ما كان أبوك ليجلس منّي هذا المجلس، قال: فأشعره[1] وتعاونوا عليه فقتلوه.

---

(١) الإشعار: الإدماء بطعن أو رمي أو وجء.

وأخرج من طريق ابن سيرين، قال: جاء ابن بديل إلى عثمان: ـ وكان بينهما شحناء ـ ومعه السيف وهو يقول: لأقتلنّه، فقالت له جارية عثمان: لأنت أهون على الله من ذلك، فدخل على عثمان فضربه ضربة لا أدري ما أخذت منه.

راجع[1]: طبقات ابن سعد طبع ليدن (٥١/٣)، أنساب البلاذري (٧٢/٥، ٨٢، ٨٣، ٩٢، ٩٧، ٩٨)، الإمامة والسياسة (٣٩/١)، تاريخ الطبري (١٢٥/٥، ١٣١، ١٣٢)، العقد الفريد (٢٧٠/٢)، مروج الذهب (٤٤٢/١)، الاستيعاب (٤٧٧/٢، ٤٧٨)، تاريخ ابن عساكر (٣٧٢/٤)، الكامل لابن الأثير (٧٢/٣، ٧٥)، شرح ابن أبي الحديد (١٦٦/١، ١٦٨)، تاريخ ابن خلدون (٤٠١/٢)، تاريخ أبي الفداء (١٧٠/١)، تاريخ ابن كثير (١٨٤/٧، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨)، حياة الحيوان للدميري (٥٤/١)، مجمع الزوائد (٢٣٢/٧)، تاريخ الخميس (٢٦٣/٢)، السيرة الحلبية (٨٥/٢)، الإصابة (٢١٥/٢)، إزالة الخفاء (٢٣٩/٢ ـ ٢٤٢).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تجهيز الخليفة ودفنه

أخرج الطبري؛ من طريق أبي بشير العابدي، قال: نُبذ عثمان ﷺ ثلاثة أيّام لا يُدفن، ثمّ إنّ حكيم بن حزام القرشي ثمّ أحد بني أسد بن عبد العزّى، وجُبير ابن مطعم كلّما عليّاً في دفنه وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل وأذن لهم عليّ،

---

(١) الطبقات الكبرى: ٧٣/٣، أنساب الأشراف: ١٨٩/٦ و ٢٠٢ و ٢١٣ و ٢٢٠، الإمامة والسياسة: ٤٤/١، تاريخ الأمم والملوك: ٣٨٢/٤ و ٣٨٣ و ٣٩٣ و ٣٩٥ حوادث سنة ٣٥هـ، العقد الفريد: ١١٣/٤، مروج الذهب: ٣٦٢/٢، الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٣٧ رقم١٧٧٨، تاريخ مدينة دمشق: ٤٠٣/٣٩ رقم٤٦١٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٢٢/١٦، الكامل في التاريخ: ٢٩٣/٢ حوادث سنة ٣٥هـ، شرح نهج البلاغة: ١٥٥/٢ خطبة ٣٠، تاريخ ابن خلدون: ٣٠٠/٢، البداية والنهاية: ٢٠٦/٧ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢١٠، ٢١١ حوادث سنة ٣٥هـ، حياة الحيوان: ٧٨/١، السيرة الحلبية: ٧٦/٢.

فلمّا سُمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُقال له: حُشّ كوكب[1] كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلمّا خرج به على الناس رجموا سريره وهمّوا بطرحه، فبلغ ذلك عليّاً، فأرسل إليهم يعزم /عليهم لَيكُفُنّ عنه، ففعلوا، فانطلق به حتى دفن ﷺ في حشّ كوكب، فلمّا ظهر ٢٠٩/٩
معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.

ومن طريق أبي كرب ـ وكان عاملاً على بيت مال عثمان ـ قال: دفن عثمان ﷺ بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعثل نعثل، وكادت ترجم، فقالوا: الحائط الحائط، فدفن في حائط خارجاً.

ومن طريق عبدالله بن ساعدة، قال: لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثمّ حمله أربعة: حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، ونيار بن مكرم، وأبو جهم بن حذيفة، فلمّا وضع ليصلّى عليه، جاء نفر من الصحابة يمنعونهم الصلاة عليه، فيهم: أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي، وأبوحيّة المازني في عدّة ومنعوهم أن يُدفن بالبقيع، فقال أبو جهم: ادفنوه فقد صلّى الله عليه وملائكته، فقالوا: لا والله لا يُدفن في مقابر المسلمين أبداً، فدفنوه في حشّ كوكب، فلمّا ملكت بنو أُميّة أدخلوا ذلك الحشّ في البقيع، فهو اليوم مقبرة بني أُميّة.

ومن طريق عبدالله بن موسى المخزومي، قال: لمّا قُتل عثمان ﷺ أرادوا حزّ رأسه، فوقعت عليه نائلة وأُمّ البنين فمنعنهم وصحن وضربن الوجوه وخرقن ثيابهنّ، فقال ابن عديس: اتركوه، فأُخرج عثمان ولم يُغسّل إلى البقيع، وأرادوا أن يصلّوا عليه

---

(١) قال أبو عمر في الاستيعاب [القسم الثالث /١٠٤٨ رقم ١٧٧٨]، وياقوت في المعجم [٢٦٢/٢]، والمحبّ الطبري في الرياض [٦٥/٣]: كوكب: رجل من الأنصار، والحشّ: البستان. (المؤلّف)

في موضع الجنائز فأبت الأنصار، وأقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوع على باب، فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال: سجنت ضابئاً حتى مات في السجن.

وأخرج ابن سعد والطبري من طريق مالك بن أبي عامر، قال: كنت أحد حملة عثمان ﷺ حين قتل، حملناه على باب، وإنّ رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، وإنّ بنا من الخوف لأمراً عظيماً حتى وارياه في قبره في حشّ كوكب.

وأخرج البلاذري من رواية أبي مخنف: أنّ عثمان ﷺ قتل يوم الجمعة، فترك في داره قتيلاً، فجاء جبير بن مطعم، وعبدالرحمن بن أبي بكر، ومسور بن مخرمة الزهري، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي ليصلّوا عليه ويجنّوه[1]، فجاء رجال من الأنصار / فقالوا: لا ندعكم تصلّون عليه، فقال أبو الجهم: إلّا تَدَعونا نصلّي عليه فقد ٢١٠/٩
صلّت عليه الملائكة، فقال الحجّاج ابن غزيّة: إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله، قال: نعم حشرني الله معه، قال ابن غزيّة: إنّ الله حاشرك معه ومع الشيطان، والله إنّ [تركي] إلحاقك به لخطأ وعجز. فسكت أبو الجهم، ثمّ إنّ القوم أغفلوا أمر عثمان وشغلوا عنه، فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه ودفنوه، وأمّهم جبير بن مطعم وحملت أم البنين بنت عُيينة بن حصن امرأة عثمان لهم السراج، وحمل على باب صغير من جريد قد خرجت عنه رجلاه، وأخرج حديث منع الصلاة عليه أبو عمر في الاستيعاب من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

وقال: إنّه لقيهم قوم من الأنصار فقاتلوهم حتى طرحوه، ثمّ توطّأ عمير بن ضابئ بن الحارث بن أرطاة التميمي ثمّ البرجمي بطنه، وجعل يقول: ما رأيت كافراً ألين بطناً منه، وكان أشدّ الناس على عثمان، فكان يقول يومئذٍ: أرني ضابئاً، أحي لي ضابئاً ليرى ما عليه عثمان من الحال. وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء[2](ص١٢٨):

---

(١) الإجنان: الدفن.

(٢) الشعر والشعراء: ص٢١٩.

جاء عمير بن ضابئ فرفسه برجله.

قال البلاذري: ودفن عثمان في حشّ كوكب وهو نخل لرجل قديم يقال له: كوكب، ثمّ أقبل الناس حين دفن إلى عليّ فبايعوه. وأرادوا دفن عثمان بالبقيع فمنعهم من ذلك قوم فيهم أسلم بن بجرة الساعدي، ويقال:جبلة بن عمرو الساعدي، وقال ابن داب: صلّى عليه مسور بن مخرمة.

وقال المدائني عن الوقاصي عن الزهري: امتنعوا من دفن عثمان، فوقفت أُمّ حبيبة بباب المسجد، ثمّ قالت: لتخَلُّنّ بيننا وبين دفن هذا الرجل أو لأكشفنّ ستر رسول الله. فخلّوا بينهم وبين دفنه.

وأخرج من طريق أبي الزناد، قال: خرجت نائلة امرأة عثمان ليلة دُفن ومعها سراج وقد شقّت جيبها وهي تصيح: واعثماناه، والأمير المؤمنيناه، فقال لها جبير بن مطعم: اطفئي السراج فقد ترين من بالباب، فأطفأت السراج وانتهوا إلى البقيع، فصلّى عليه جبير وخلفه حكيم بن حزام، وأبوجهم، ونيار بن مكرم، ونائلة وأُم البنين امرأتاه ونزل في حفرته نيار وأبو جهم وجُبير، وكان حكيم والامرأتان يدلّونه على الرجال / حتى قبر وبني عليه وغمّوا[1] قبره وتفرّقوا. وفي لفظ أبي عمر: فلمّا ٢١١/٩
دفنوه غيّبوا قبره، وذكره السمهودي في وفاء الوفا (٩٩/٢) من طريق ابن شبّة[2] عن الزهري.

وأخرج ابن الجوزي، والمحبّ الطبري، والهيثمي[3]، من طريق عبدالله بن فروخ، قال: شهدت عثمان بن عفّان دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسّل. وقال المحبّ: خرّجه البخاري والبغوي في معجمه. وذكر ابن الأثير في الكامل وابن أبي الحديد في

---

(١) غما البيت يغموه غموماً إذا غطّاه.

(٢) تاريخ المدينة: ١٢٤٠/٤.

(٣) مجمع الزوائد: ٢٣٣/٧.

الشرح؛ أنّه لم يغسّل وكفّن في ثيابه.

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب من طريق مالك، قال: لمّا قُتل عثمان ﷺ أُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام، فلمّا كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلاً[١]، فيهم حويطب بن عبد العزّى، وحكيم بن حزام، وعبدالله بن الزبير [وجدّي][٢] فاحتملوه، فلمّا صاروا به إلى المقبره ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن: والله لئن دفنتموه هاهنا لنخبرنّ الناس غداً، فاحتملوه وكان على باب، وإنّ رأسه على الباب ليقول: طق طق، حتى صاروا به إلى حشّ كوكب، فاحتفروا له، وكانت عائشة بنت عثمان ﷺ معها مصباح في جرّة، فلمّا أخرجوه ليدفنوه صاحت، فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك، قال: فسكتت، فدفن.

وذكره المحبّ الطبري في الرياض نقلاً عن القلعي، وذكر عن الخجندي أنّه أقام في حشّ كوكب ثلاثاً مطروحاً لا يصلّى عليه.

وذكر الصفدي في تمام المتون[٣] (ص٧٩) عن مالك أنّ عثمان أُلقي على المزبلة ثلاثة أيّام.

وقال اليعقوبي: أقام ثلاثاً لم يُدفن، وحضر دفنه حكيم، وجبير، وحويطب، وعمرو بن عثمان ابنه، ودُفن ليلاً في موضع يُعرف بحشّ كوكب، وصلّى عليه هؤلاء الأربعة وقيل: لم يصلّ عليه، وقيل: أحد الأربعة قد صلّى عليه، فدفن بغير صلاة.

وقال ابن قتيبة: ذكروا أنّ عبدالرحمن بن أزهر قال: لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لا عليه ولا له، فإنّي لجالس بفناء داري ليلاً بعد ما قتل عثمان بليلة إذ

---

(١) أحاديث الباب مطلقة على أنّ الذين تولّوا إجنانه كانوا أربعة. وقال المحبّ الطبري [٦٥/٣]: وقد قيل: إنّ الذين تولّوا تجهيزه كانوا خمسة أو ستّة، أربعة رجال وامرأتان: نائلة وأمّ البنين. (المؤلّف)

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) تمام المتون: ص١٩١.

جاءني المنذر بن الزبير، فقال: إنّ أخي يدعوك فقمت إليه، فقال لي: إنّا أردنا أن ندفن عثمان فهل لك؟ قلت: والله ما دخلت في شيء من شأنه وما أريد ذلك، فانصرفت عنه ثمّ اتّبعته، فإذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم، وأبو الجهم، والمسور، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير، فاحتملوه على باب وإنّ رأسه ليقول: طق طق، فوضعوه في موضع الجنائز، فقام إليهم رجال من الأنصار فقالوا لهم: لا والله لا تصلّون عليه، فقال أبو الجهم: ألا تدعونا نصلّي عليه؟ فقد صلّى الله تعالى عليه وملائكته. فقال له رجل منهم: إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله، فقال له: حشرني الله معه، فقال له: إنّ الله حاشرك مع الشياطين، والله إن تركناكم به لعجز منّا. فقال القوم لأبي الجهم: اسكت عنهم وكفّ، فسكت، فاحتملوه ثمّ انطلقوا مسرعين كأنّي أسمع وقع رأسه على اللوح، حتى وضعوه في أدنى البقيع فأتاهم جبلة ابن عمرو الساعدي من الأنصار فقال: لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ولا نترككم تصلّون عليه، فقال أبو الجهم: انطلقوا بنا إن لم نصلّ عليه فقد صلّى الله عليه، فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حُقّ، حتى إذا أتوا به جسر[1] كوكب حفروا له حفرة، ثمّ قاموا يصلّون عليه وأمّهم جبير بن مطعم، ثمّ دلّوه في حفرته، فلمّا رأته ابنته صاحت، فقال ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك فدفنوه، ولم يلحدوه بلبن، وحثوا عليه التراب حثواً. ٢١٢/٩

وقال ياقوت الحموي: لمّا قتل عثمان أُلقي في حشّ كوكب ثمّ دفن في جنبه.

وذكر ابن كثير بعض ما أسلفناه نقلاً عن البلاذري فقال: ثمّ أخرجوا بعبدي عثمان اللذين قتلا في الدار وهما: صُبيح ونُجيح ﷺ فدفنا إلى جانبه بحشّ كوكب،

---

(١) كذا في النسخة: والصحيح: حش. (المؤلّف)

وقيل: إنّ الخوارج لم يمكّنوا من دفنهما، بل جرّوهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط[1] فأكلتهما الكلاب، وقد اعتنى معاوية في أيّام إمارته بقبر عثمان، ورفع الجدار بينه وبين البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله.

وذكر الحلبي في السيرة، عن ابن الماجشون، عن مالك: أنّ عثمان بعد قتله
٢١٣/٩ أُلقي / على المزبلة ثلاثة أيّام، وقيل، أُغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيّام، لا يستطيع أحد أن يدفنه.. إلى آخر ما مرّ من حديث مالك. ولمّا دفنوه عفوا قبره خوفاً عليه أن يُنبش، وأمّا غلاماه اللذان قتلا معه فجرّوهما برجليهما وألقوهما على التلال، فأكلتهما الكلاب.

وذكر ابن أبي الحديد وابن الأثير والدميري أنّه أقام ثلاثة أيّام لم يُدفن ولم يصلّ عليه، وقيل لم يغسّل ولم يكفّن، وقيل: صلّى عليه جبير بن مطعم ودُفن ليلاً.

وذكر السمهودي في وفاء الوفا عن عثمان بن محمد الأخنسي عن أُمّ حكيمة قالت: كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفّان: جبير، حكيم، أبوجهم، نيار الأسلمي وحملوه على باب اسمع قرع رأسه على الباب كأنّه دباة ويقول: دب دب. حتى جاؤوا به حشّ كوكب فدفن به ثمّ هدم عليه الجدار وصُلّي عليه هناك.

راجع[2]: طبقات ابن سعد طبع ليدن (٥٥/٣)، أنساب البلاذري (٨٣/٥ ـ ٨٦،

---

(١) البلاط من الأرض: وجهها، أو منتهى الصلب منها. وفي لفظ الحلبي كما يأتي: التلال، ولعله الصحيح. (المؤلّف)

(٢) الطبقات الكبرى: ٧٨/٣، أنساب الأشراف: ٢٠٣/٦ و ٢٠٥ و ٢٢٢، الإمامة والسياسة: ٤٦/١، تاريخ الأُمم والملوك: ٤١٢/٤، ٤١٣، ٤١٤ حوادث سنة ٣٥هـ، تاريخ اليعقوبي: ١٧٦/٢، الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٤٧ ـ ١٠٤٩، رقم١٧٧٨، صفة الصفوة: ٣٠٥/١ رقم٤، الكامل في التاريخ: ٢٩٥/٢ حوادث سنة ٣٥هـ، الرياض النضرة: ٦٥/٣ ـ ٦٦، معجم البلدان: ٢٦٢/٢، شرح نهج البلاغة: ١٥٨/٢ خطبة ٣٠، البداية والنهاية: ٢١٣/٧ حوادث سنة ٣٥هـ، حياة الحيوان: ٧٨/١، وفاء الوفا: ٩١٣/٣، السيرة الحلبية: ٧٦/٢.

٩٩)، الإمامة والسياسة (٤٠/١)، تاريخ الطبري (١٤٣/٥، ١٤٤)، تاريخ اليعقوبي (١٥٣/٢)، الاستيعاب (٤٧٨/٢، ٤٧٩) صفة الصفوة (١١٧/١)، الكامل لابن الأثير (٧٦/٣)، الرياض النضرة (١٣١/٢، ١٣٢)، معجم البلدان (٢٨١/٣)، شرح ابن أبي الحديد (١٦٨/١)، تاريخ ابن كثير (١٩٠/٧، ١٩١)، حياة الحيوان للدميري (٥٤/١)، وفاء الوفا للسمهودي (٩٩/٢)، السيرة الحلبية (٨٥/٢)، تاريخ الخميس (٢٦٥/٢).

وقال الشاعر المفلق أحمد شوقي بك في دول العرب (ص٤٩).

من لقتيل بالسفا[1] مكفّنِ ... مرّت به ثلاثة لم يُدفنِ
تعرضه نوادباً أرامله ... ويشفق النعش ويأبى حامله
قد حيل بين الأرض وابن آدما ... ونوزعت دار البقاء قادما

قال الأميني: إنّ هاهنا صحيفة غامضة أقف تجاهها موقف السادر لا تطاوعني النفس على الركون إلى أيّ من شقّي الاحتمال اللذّين يختلجان في الصدر، وذلك أنّ ما ارتكب من الخليفة في التضييق عليه وقتله بتلكم الصور المشدّدة، ثمّ ما نيل منه بعد القتل من المنع عن تجهيزه وتغسيله ودفنه والصلاة عليه والوقيعة فيه بالسباب المقذع وتحقيره برمي جنازته بالحجارة وكسر بعض أضلاعه، يستدعي إمّا فسق الصحابة أجمع / فإنّهم كانوا بين مباشر لهاتيك الأحوال، وبين خاذل للمودى به، وبين مؤلّب ٢١٤/٩
عليه، إلى مثبّط عنه، إلى راضٍ بما فعلوا، إلى محبّذ لتلكم الأهوال، وكان يرنّ في مسامعهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[3]. وقوله

---

(١) السفا: الغبار. (المؤلّف)

(٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) المائدة: ٣٢.

تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾[1].

وما جاء في ذلك من السنّة أكثر، وما يؤثر عن نبيّ العظمة ﷺ من وجوب دفن موتى المؤمنين وتغسيلهم وتكفينهم والصلاة عليهم، وأنّ حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً، فالقوم إن كانوا متعمّدين في مخالفة هذه النصوص فهم فسّاق إن لم نقل إنّهم مرّاق عن الدين بخروجهم على الإمام المفترض طاعته.

أو أنّ هذه الأحوال تستدعي انحراف الخليفة عن الطريقة المثلى، وأنّ القوم اعتقدوا بخروجه عن مصاديق تلكم الأوامر والمناهي المؤكّدة التي تطابق عليها الكتاب والسنّة. وليس من السهل الهيّن الخوض إلى أيّ من طرفي الترديد. أمّا الصحابة فكلّهم عدول عند القوم يُركن إليهم ويُحتجّ بأقوالهم وأفعالهم ويوثق بإيمانهم، وقد كهربتهم صحبة الرسول ﷺ فأخرج درن نفوسهم، وكان في المعمعة منهم بقايا العشرة المبشّرة كطلحة والزبير، ولطلحة خاصّة فُظاظات حول ذلك الجلاد، إلى أُناس آخرين من ذوي المآثر نظراء عمّار بن ياسر، ومالك الأشتر، وعبدالله بن بُديل، وكان بين ظهرانيهم إمام المسلمين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو المرموق يومئذ للخلافة، وقد انثنت إليه الخناصر، والأُمّة أطوع له من الظلّ لذيه. أفتراه والحالة هذه سكت عن تلكم الفظائع وهو مطلّ عليها من كثب وهو أعلم الناس بنواميس الشريعة، وأهداهم إلى طريقها المهيع، وهو يعلم أنّ من المحظور ارتكابها؟ لاها الله.

أو أنّه عليه السلام أخذ الحياد في ذلك المأزق الحرج وهو مستبيح للحياد أو لما يعملون به؟ أنا لا أدري.

---

(١) النساء: ٩٣.

وليس من المستطاع القول بأنّ معظم الصحابة ما كانوا عالمين بتلكم الوقائع، أو أنّهم ما كانوا يحسبون أنّ الأمر يبلغ ذلك المبلغ، أو أنّهم كانوا غير راضين بهاتيك الأحدوثة، فإنّ الواقعة ما كانت مُباغتة ولا غيلة حتى يعزب عن أحد علمها، فإنّ الحوار استدام أكثر من شهرين، وطيلة هذه المدّة لم يكن للمتجمهرين طلبة من ٢١٥/٩
الخليفة إلّا الإقلاع عن إحداثه، أو التنازل عن عرش الخلافة، وكانوا يهدّدونه بالقتل إن لم يخضع لإحدى الطلبتين، وكانت نعرات القوم في ذلك تتموّج بها الفضاء، وعقيرة عثمان في التوبة تارة وعدم التنازل أُخرى وتخويفهم بمغبّات القتل ثالثة تتسرّب في فجوات الجوّ، فلو كان معظم الصحابة منحازين عن ذلك الرأي لكان في وسعهم تفريق الجمع بالقهر أو الموعظة، لكن بالرغم ممّا يزعم عليهم لم يُؤثَرْ عن أحد منهم ما يثبت ذلك أو يُقرّبه، وما أسلفناه من الأحاديث الجمّة النامّة عن معتقدات الصحابة في الخليفة وفي التوثّب عليه تُفنّد هذه المزعمة الفارغة، إن لم نقل إنّها تثبت ما يعلمه الكلّ من الإجماع على مقت الخليفة والتصافق على ما نقموا عليه والرضا بما نيل منه، حتى إنّ أحداً لم يُرو عنه أنّه ساءه نداء قاتله حين طاف بالمدينة ثلاثاً قائلاً: أنا قاتل نعثل[1].

وأمّا ثاني الاحتمالين فمن المستصعب أن يبلغ سوء الظن بالخليفة هذا المدى، وإن كانت الصحابة جزموا بذلك، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب، وقد أوقفناك على قول السيّدة عائشة: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر.

وقولها لمروان: وددت والله أنّه في غرارة من غرائري هذه وأنّي طوّقت حمله حتى ألقيه في البحر. وقولها لابن عبّاس: إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية.

وقول عبدالرحمن بن عوف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنّه قد خالف ما أعطاني. وقوله: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه. وقوله له: لله عليّ أن لا أكلّمك أبداً.

---

(١) الاستيعاب: ٤٧٨/٢ [القسم الثالث/١٠٤٦ رقم١٧٧٨]. (المؤلّف)

وقول طلحة لمجمع بن جارية ـ لمّا قال له: أظنّكم والله قاتليه ـ: فإن قتل فلا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل. وقد مرّ أنّ طلحة كان أشدّ الناس على عثمان في قتله يوم الدار، وقتل دون دمه.

٢١٦/٩ وقول الزبير: اقتلوه فقد بدّل دينكم. / وقوله: إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً.

وقول عمّار يوم صفّين: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله. وقوله: ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقناه بالنار. وقوله: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. وقوله: والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله. وقوله: إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان.

وقول حجر بن عدي وأصحابه: وهو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ.

وقول عبدالرحمن العنزي: هو أوّل من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحقّ.

وقول هاشم المرقال: إنّما قتله أصحاب محمد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين.

وقول عمرو بن العاص: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرّض عليه حتى إنّي لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. وقوله له: ركبت بهذه الأُمّة نهابير من الأُمور فركبوها معك، وملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل. وقوله: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع.

وقول سعد بن أبي وقاص: إنّه قُتل بسيف سلّته عائشة، وصقّله طلحة، وسمّه

ابن أبي طالب، وسكت الزبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه. إلخ.

وقول جهجاه الغفاري: قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر، ندرّعك عباءةً، ولنطرحك في الجامعة، ولنحملك على شارف من الإبل ثمّ نطرحك في جبل الدخان.

وقول مالك الأشتر: إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنّة نبيّه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره.

وقول عمرو بن زرارة: إنّ عثمان قد ترك الحقّ وهو يعرفه. إلخ.

وقول الحجاج بن غزيّة الأنصاري: والله لولم يبق من عمره إلّا بين الظهر والعصر / لتقرّبنا إلى الله بدمه. ٢١٧/٩

وقول قيس بن سعد الأنصاري: أوّل الناس كان فيه ـ قتل عثمان ـ قياماً عشيرتي ولهم أُسوة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقول جبلة بن عمرو الأنصاري: يا نعثل والله لأقتلنّك ولأحملنّك على قلوص جرباء ولأخرجنّك إلى حرّة النار. وقوله وقد سئل الكفّ عن عثمان: والله لا ألق الله غداً فأقول: إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل.

وقول محمد بن أبي بكر له: على أيّ دين أنت يا نعثل؟ غيّرت كتاب الله. وقوله له: الآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين.

وقول الصحابة مجيبين لقوله: لا تقتلوني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: إنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت، قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه، وقد بغيت، ومنعت الحقّ، وحلت دونه وكابرت عليه. إلخ.

وقول عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث من أبيات مرّت (٢٨٨/٨):

وشبَّهته كسرىٰ وقد كان مثله شبيهاً بكسرىٰ هديه وضرائبه

إلى كلمات آخرين محكمات وأُخر متشابهات، يشبه بعضها بعضاً.

إنّ في هذا المأزق الحرج لا بدّ لنا من ركوب إحدى الصعبتين، والحكم هو الفطرة السليمة مهما دار الأمر بين تخطئة إنسان واحد محتفّ بالأحداث، وبين تضليل آلاف مؤلّفة فيهم الأئمّة والعلماء والحكماء والصالحون وقد ورد في فضلهم ما ورد كما نرتئيه نحن، أو أنّ كلهم عدول يُحتجّ بأقوالهم وأفعالهم كما يحسبه أهل السنّة، وإن كان في البين اجتهاد كما يحسبونه في أمثال المقام فهو في الطرفين، والتحكّم بإصابة إنسان واحد وخطأ تلك الأُمّة الكبيرة في اجتهادها، تهوّر بحت، وتمحّل لا يُصار إليه ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُم بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) المائدة: ٤٢.

سلسلة الموضوعات
في قصّة الدار وتبرير الخليفة والنظر فيها

٢١٨/٩ ١ ـ قال الطبري في تاريخه[١] (٩٨/٥): فيما كتب به إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، عن يزيد الفقعسي قال: كان عبدالله بن سبأ يهوديّاً من أهل صنعاء، أُمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع، ويكذّب بأنّ محمداً يرجع، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٢]. فمحمد أحقّ بالرجوع من عيسى. قال: فقُبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبيّ ولكلّ نبيّ وصيّ وكان عليّ وصيّ محمد. ثمّ قال: محمد خاتم الأنبياء وعليّ خاتم الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يُجز وصيّة رسول الله ﷺ ووثب على وصيّ رسول‌الله ﷺ وتناول أمر الأُمّة، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حقّ وهذا وصيّ رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا بالطعن على أُمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٤٠/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) القصص: ٨٥.

هذا الأمر. فبثّ دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويُسرّون غير ما يُبدون، فيقول أهل كلّ مصر: إنّا لفي عافية ممّا ابتُلي به هؤلاء، إلّا أهل المدينة فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنّا لفي عافية ممّا فيه الناس، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإنّا قد أتانا ... وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم / شركائي وشهود المؤمنين ٢١٩/٩
فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممّن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أُسامة ابن زيد إلى البصرة، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبدالله بن عمر إلى الشام، وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمّار، فقالوا: أيّها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم، وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلّا أنّ أمراءهم يُقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطأ الناس عمّاراً حتى ظنّوا أنّه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلّا كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح يُخبرهم أنّ عمّاراً قد استمّاله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه، منهم: عبدالله بن السوداء، وخالد بن مُلجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر.

قال الأميني: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثه أُمراء الأُمّة وساستها في البلاد، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات المخطرة، والتأديب بالضرب والإهانة، والزجّ إلى أعماق السجون؟ ولا آل أمره إلى

الإعدام المريح للأمّة من شرّه وفساده، كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهتاف القرآن الكريم يرنّ في مسامع الملأ الديني: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسعَوْنَ فِي الأَرضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيدِيهِمْ وَأَرجُلُهُمْ مِن خِلَافٍ أو يُنفَوا مِنَ الأَرضِ ذلِكَ لَهُم خِزيٌ فِي الدُّنيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

فهلّا اجتاح الخليفة جرثومة تلكم القلاقل بقتله، وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أُمّة محمد ﷺ؟ ففعل بهم ما فعل ممّا أسلفنا بعضه في هذا الجزء والجزء الثامن.

هب أنّ ابن سبأ هو الذي أمال الأمصار على مناوأة الخليفة فهل كان هو مختلقاً تلكم الأنباء من دون انطباقها على شيء من أعمال عثمان وولاته؟ فنهضت الأُمّة وفيهم وجوه المهاجرين والأنصار على لا شيء؟ أو أنّ ما كان يقوله قد انطبق على ما كانوا يأتون به من الجرائم والمآثم، فكانت نهضة الأُمّة لاكتساحها نهضةً دينيّة يخضع لها كلّ مسلم، / وإن كان ابن اليهوديّة خلط نفسه بالناهضين لأيّ غاية راقته، ٩/٢٢٠
وما أكثر الأخلاط في الحركات الصحيحة من غير أن يمسّ كونهم مع الهائجين بشيء من كرامتهم!

ولو كان ما أنهاه إليهم ابن سبأ عزواً مختلقاً فهلّاً ـ لمّا قدمت وفود الأمصار المدينة ـ قال لهم المدنيّون: إنّ الرجل بريء من هذه القذائف والهنات وهو بين ظهرانيهم يرون ما يفعل، ويسمعون ما يقول؟ لكنّهم بدلاً من ذلك أصفقوا مع القادمين، بل صاروا هم القدوة والأسوة في تلك النهضة، وكانوا قبل مقدمهم ناقمين عليه.

ونحن نصافق الدكتور طه حسين عند رأيه هاهنا، حيث قال في كتابه الفتنة

---

(١) المائدة: ٣٣.

الكبرى[1] (ص ١٣٤): وأكبر الظنّ أنّ عبدالله بن سبأ هذا ـ إن كان كلّ ما يُروى عنه صحيحاً ـ إنّما قال ما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف، فهو قد استغلّ الفتنة ولم يُثِرْها، وأكبر الظنّ كذلك أنّ خصوم الشيعة أيّام الأمويّين والعبّاسيّين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا، ليشكّكوا في بعض ما نُسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية، وليشنّعوا على عليّ وشيعته من ناحية أُخرى، فيردّوا بعض أُمور الشيعة إلى يهوديّ أسلم كيداً للمسلمين، وما أكثر ما شنّع خصوم الشيعة على الشيعة! وما أكثر ما شنّع الشيعة على خصومهم في أمر عثمان وفي غير أمر عثمان!

فلنقف من هذا كلّه موقف التحفّظ والتحرّج والاحتياط، ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أُقبل من صنعاء وكان أبوه يهوديّاً وكانت أُمّه سوداء، وكان هو يهوديّاً ثمّ أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً، ثمّ أُتيح له من النجح ما كان يبتغي، فحرّض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه، وفرّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً.

هذه كلّها أُمور لا تستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها أُمور التاريخ، وإنّما الشيء الواضح الذي ليس فيه شكّ هو أنّ ظروف الحياة الإسلاميّة في ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأي وافتراق الأهواء ونشأة المذاهب السياسيّة المتباينة، فالمستمسكون بنصوص القرآن وسنّة النبيّ وسيرة صاحبيه كانوا يرون أُموراً تطرأ ينكرونها ولا يعرفونها، ويريدون أن تُواجَه كما كان عمر يواجهها في حزم وشدّة وضبط للنفس وضبط للرعيّة، والشباب الناشئون في قريش وغير
٢٢١/٩ قريش / من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الأُمور الجديدة بنفوس جديدة، فيها الطمع، وفيها الطموح، وفيها الأثرة، وفيها الأمل البعيد، وفيها الهمّ الذي لا يعرف

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين ـ الفتنة الكبرى ـ: ج ٣٢٩/٤.

حدّاً يقف عنده، وفيها من أجل هذا كلّه التنافس والتزاحم لا على المناصب وحدها بل عليها وعلى كلّ شيء من حولها. وهذه الأُمور الجديدة نفسها كانت خليقة أن تدفع الشيوخ والشباب إلى ما دفعوا إليه، فهذه أقطار واسعة من الأرض تفتح عليهم، وهذه أموال لا تحصى تُجبى لهم من هذه الأقطار، فأيّ غرابة في أن يتنافسوا في إدارة هذه الأقطار المفتوحة والانتفاع بهذه الأموال المجموعة؟ وهذه بلاد أُخرى لم تفتح وكلّ شيء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها، فما لهم لا يستبقون إلى الفتح؟ وما لهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد والغنيمة إن كانوا من طلّاب الدنيا، ومن الأجر والمثوبة إن كانوا من طلّاب الآخرة؟ ثمّ ما لهم جميعاً لا يختلفون في سياسة هذا الملك الضخم وهذا الثراء العريض؟ وأيّ غرابة في أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش إلى هذه الأبواب التي فُتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد والسلطان والثراء؟ وأيّ غرابة في أن يهمّ بمنافستهم في ذلك شباب الأنصار وشباب الأحياء الأخرى من العرب؟ وفي أن تمتلئ قلوبهم موجدةً وحفيظة وغيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم وبين هذه المنافسة، ويؤثر قريشاً بعظائم الأُمور، ويؤثر بني أُميّة بأعظم هذه العظائم من الأُمور خطراً وأجلّها شأناً.

والشيء الذي ليس فيه شكّ هو أنّ عثمان قد ولّى الوليد وسعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً، وولّى عبدالله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى. وجمع الشام كلّها لمعاوية وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حدّ ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريش وغيرها من أحياء العرب، وولّى عبدالله بن أبي سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص، وكلّ هؤلاء الولاة من ذوي قرابة عثمان، منهم أخوه لأُمّه، ومنهم أخوه في الرضاعة، ومنهم خاله، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الأدنى إلى أُميّة بن عبد شمس.

كلّ هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها، وما نعلم أنّ ابن سبأ قد أغرى عثمان بتولية من ولّى وعزل من عزل، وقد أنكر الناس في جميع العصور على الملوك

٢٢٢/٩ والقياصرة / والولاة والأمراء إيثار ذوي قرابتهم بشؤون الحكم، وليس المسلمون الذين كانوا رعيّة لعثمان بدعاً من الناس، فهم قد أنكروا وعرفوا ما ينكر الناس ويعرفون في جميع العصور. انتهى حرفيّاً.

على أنّ ما تضمّنته هذه الرواية من بعث عمّار إلى مصر وغيره إلى بقيّة البلاد ممّا لا يكاد أن يُذعن به، أو أن يكون له مقيل من الصحّة، ولم يُذكر في غير هذه الرواية الموضوعة المكذوبة على ألسنة رواتها المتراوحين بين زندقة وكذب وجهالة، فإنّ ما يعطيه النظر في مجموع ما روي حول مشكلة عثمان أنّ عمّاراً ومحمد بن مسلمة لم يفارقا المدينة طيلة أيّامها ومنذ مبدئها إلى غايتها المفضية إلى مقتل عثمان، وعمّار هو الذي كان في مقدّم الثائرين عليه من أوّل يومه الناقمين على أعماله، وقد أراد نفيه إلى الربذة منفى أبي ذر بعد وفاته فيها رضوان الله عليهما فمنعته المهاجرون والأنصار كما مرّ حديثه، وكم وقع عليه في تضاعيف تلكم الأحوال تعذيب وضرب وتعنيف، وكان عثمان يعلم بكراهة عمّار إيّاه منذ يومه الأوّل، فمتى كان يستنصح عمّاراً حتى يبعثه إلى البلاد فيحكي له أخبارها، أو يستميله ابن سبأ وأصحابه؟ وهذا ممّا لا يعزب علمه عن أيّ باحث كما تنبّه له الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرى[1] (ص١٢٨) حيث قال: أكاد أقطع بأنّ عمّاراً لم يُرسل إلى مصر ولم يشارك هذين الفتيين[2] فيما كانا بسبيله من التحريض، وإنّما هي قصّة اخترعها العاذرون لعثمان فيما كان بينه وبين عمّار قبل ذلك أو بعده، ممّا سنراه بعد حين. انتهى.

٢ ـ قال الطبري[3] (ص٩٩): كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعطية، قالوا: كتب عثمان إلى أهل الأمصار:

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين ـ الفتنة الكبرى ـ: ج ٣٢٤/٤.

(٢) يعني بهما: محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٤٢/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

أمّا بعد؛ فإنّي آخذ العمّال بموافاتي في كلّ موسم، وقد سلّطت الأُمّة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمّالي إلّا أعطيته، وليس لي ولعيالي حقّ قبل الرعيّة إلّا متروك لهم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أنّ أقواماً يُشتمون، وآخرون يُضربون، فيامن ضُرب سرّاً وشُتم سرّاً، من ادّعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسم فليأخذ بحقّه حيث كان منّي أو من عمّالي أو تَصدّقوا / فإنّ الله يجزي المتصدّقين. ٢٢٣/٩

فلمّا قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا: إنّ الأُمّة لَتمخض بشرّ، وبعث إلى عمّال الأمصار فقدموا عليه: عبدالله بن عامر، ومعاوية، وعبدالله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً، فقال: ويحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة؟ إنّي والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يُعصب هذا إلّا بي، فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم نرجع إليك الخبر عن القوم؟ ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا برّوا ولا نعلم هذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء، وما هي إلّا إذاعة لا يحلّ الأخذ بها ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا عليّ، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يصنع في السرّ فيلقى به غير ذي المعرفة، فيخبر به فيتحدّث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثمّ قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبدالله بن سعد: خُذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنّه خير من أن تدعهم.

قال معاوية: قد ولّيتني فولّيت قوماً لا يأتيك عنهم إلّا الخير والرجلان أعلم بناحيتيهما.

قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب. قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنّك قد لنت لهم، وتراخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة

صاحبيك فتشتدّ في موضع الشدّة وتلين في موضع اللين، إنّ الشدّة تنبغي لمن لا يألو الناس شرّاً، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعاً اللين.

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كلّ ما أشرتم به عليّ قد سمعت، ولكلّ أمر باب يؤتى منه، إنّ هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأُمّة كائن، وإنّ بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاناة والمتابعة إلّا في حدود الله تعالى ذكره التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها، فإن سدّه شيء فرفق، فذاك والله ليفتحنّ، وليست لأحد عليّ حجّة حقّ، وقد علم الله أنّي لم آل الناس خيراً ولا نفسي، ووالله إنّ رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرّكها، كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم، وإذا تُعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها.

فلمّا نفر عثمان أشخص معاوية وعبدالله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه، ولمّا استقلّ عثمان رجز الحادي:

٢٢٤/٩ قد علمت ضوامرُ المطيّ وضُمّراتُ عُوَّجِ القسيّ
أنّ الأمير بعده عليّ وفي الزبير خلفٌ رضيّ
وطلحة الحامي لها وليّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأمير بعده صاحب البغلة، وأشار إلى معاوية.

٣ ـ وأخرج[1] (ص١٠١) بالإسناد الشعبي المذكور:

كان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج: يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبَل لك به، فإنّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا. فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي. قال:

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٤٥/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إيّاك. قال: أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجندٍ تُساكنهم، وأُضيّق على أهل دار الهجرة والنصرة؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لتُغتالُنّ ولتُغْزَيَنّ. قال: حسبي الله ونعم الوكيل. وقال معاوية: يا أيسار الجزور، وأين أيسار الجزور. الحديث بطوله.

٤ ـ وأخرج[١] (ص١٠٣) بالإسناد الشعبي:

لمّا كان في شوّال سنة (٣٥) خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أُمراء المقلل يقول: ستمئة. والمكثر يقول: ألف. على الرفاق: عبدالرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني[٢]، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكّي. ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنّما خرجوا كالحجّاج ومعهم ابن السوداء. وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعلى الرفاق: زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم، أحد بني عامر بن صعصعة، وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم. وخرج أهل البصرة في أربع رفاق، وعلى الرفاق: حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عبّاد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي، وابن المحرّش بن عبد عمرو الحنفي، وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي، سوى من تلاحق بهم من الناس، فأمّا أهل مصر فإنّهم كانوا يشتهون عليّاً، وأمّا أهل البصرة فإنّهم كانوا يشتهون طلحة، وأمّا أهل الكوفة [فإنّهم][٣] كانوا / يشتهون الزبير، فخرجوا وهم ٢٢٥/٩

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٤٨/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) كذا في الطبعة المعتمدة عند المؤلّف. وفي الطبعة المعتمدة عندنا: عبدالرحمن بن عُدَيس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شيم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد بن رومان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران السكوني، وقُتيرة بن فلان السكوني.

(٣) الزيادة من المصدر.

على الخروج جميع وفي الناس شتّى لا يشكّ كلّ فرقة إلّا أنّ الفلج معها، وأمرها سيتمّ دون الأُخْرَيَين، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشب[١]، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص[٢]، وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامّتهم بذي المروة[٣]، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم وقالا: لا تعجلوا ولا تُعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد، فإنّه بلغنا أنّهم قد عسكروا لنا، فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ، وإنّ أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلّوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنرجعنّ إليكم بالخبر. قالوا: اذهبا، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبيّ ﷺ وعليّاً وطلحة والزبير[٤] وقالا: إنّما نأتمّ هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمّالنا، ما جئنا إلّا لذلك واستأذنا للناس بالدخول، فكلّهم أبى ونهى وقال: بيض ما يفرخن. فرجعا إليهم، فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليّاً، ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال كلّ فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلّا كدناهم وفرّقنا جماعتهم، ثمّ كررنا حتى نبغتهم. فأتى المصريّون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت[٥] عليه حُلّة أفوافٍ معتمّ بشقيقة حمراء يمانيّة متقلّد السيف ليس عليه قميص، وقد سرّح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان وعليّ عند أحجار الزيت، فسلّم عليه المصريّون وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال: لقد علم الصالحون أنّ جيش ذي المروة وذي خُشب ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا

---

(١) ذوخشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة.

(٢) الأعوص: موضع على أميال من المدينة يسيرة [معجم البلدان: ٢٢٣/١]. (المؤلّف)

(٣) ذو المروة: قرية بين خُشب ووادي القرى.

(٤) لا تنس هاهنا ما أسلفنا لك في هذا الجزء من حديث أُمّ المؤمنين وعليّ أمير المؤمنين وطلحة والزبير. (المؤلّف)

(٥) أحجار الزيت: موضع بالمدينة داخلها قريب من الزوراء [معجم البلدان: ١٠٩/١]. (المؤلّف)

لا صحبكم الله[١]. قالوا: نعم. فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريّون طلحة وهو في جماعة أُخرى إلى جنب عليّ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان، فسلّم البصريّون عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم وقال: لقد علم المؤمنون أنّ جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون / على لسان محمد ﷺ[٢]. ٢٢٦/٩

وأتى الكوفيّون الزبير وهو في جماعة أُخرى، وقد سرّح ابنه عبدالله إلى عثمان، فسلّموا عليه وعرضوا له، فصاح بهم وأطردهم وقال: لقد علم المسلمون أنّ جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ[٣].

فخرج القوم وأروهم أنّهم يرجعون، فانفشّوا[٤] عن ذي خُشب والأعوص، حتى انتهوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل، كي يفترق أهل المدينة ثم يكرّوا راجعين. فافترق أهل المدينة لخروجهم. فلمّا بلغ القوم عساكرهم كرّوا بهم فبغتوهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلّا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا: من كفّ يده فهو آمن. وصلّى عثمان بالناس أيّاماً، ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلّموهم وفيهم عليّ، فقال: ما ردّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريّون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيّون [مثل ذلك، وقال الكوفيّون][٥] والبصريّون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، كأنّما كانوا على

---

(١) راجع ما مضى من حديث عليّ أمير المؤمنين تعرف جليّة الحال. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ من حديث طلحة وصولته وجولته في تلك الثورة تعلم صدق الخبر. (المؤلّف)

(٣) راجع ما أسلفنا من حديث الزبير حتى يتبيّن لك الرشد من الغي. (المؤلّف)

(٤) انفشّوا: تفرّقوا.

(٥) الزيادة من المصدر.

ميعاد، فقال لهم عليّ: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ثمّ طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة، قالوا: فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا وهو في ذلك يُصلّي بهم وهم يصلّون خلفه، ويغشي من شاء عثمان وهم في عينه أدقّ من التراب، وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، وكانوا زمراً بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع... إلخ.

قال الأميني: تُعطي هذه الرواية أنّ الذي ردّ الكتائب المقبلة من مصر والبصرة والكوفة هم زعماء جيش أحجار الزيت: أمير المؤمنين عليّ وطلحة والزبير يوم صاحوا بهم وطردوهم ورووا رواية اللعن عن النبيّ ﷺ وفيهم البدريّون وغيرهم من أصحاب محمد العدول، فما تمكّنت الكتائب من دخول المدينة وقد أسلفنا إصفاق المؤرّخين على أنّهم دخلوها وحاصروا الدار مع المدنيّين أربعين يوماً أو أكثر أو أقلّ حتى توسّل عثمان بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فكان هو الوسيط بينه وبين القوم، وجرى هنالك مامرّ تفصيله من توبة عثمان على صهوة المنبر، ومن كتاب عهده إلى البلاد على ذلك، فانكفأت / عنه الجماهير الثائرة بعد ضمان عليّ عليه السلام ومحمد بن مسلمة بما عهد عثمان ٢٢٧/٩
على نفسه، لكنّهم ارتجعوا إليه بعد ما وقفوا على نكوصه وكتابه المتضمّن لقتل من شخص إليه من مصر فوقع الحصار الثاني المفضي إلى الإجهاز عليه، وأنت إذا عطفت النظرة إلى ما سبق من أخبار الحصارين وأعمال طلحة والزبير فيهما وقبلهما وبعدهما نظرة ممعنة لا تكاد أن تستصحّ دفاعهما عنه في هذا الموقف، وكان طلحة أشدّ الناس عليه، حتى منع من إيصال الماء إليه، ومن دفنه في مقابر المسلمين، لكن رواة السوء المتسلسلة في هذه الأحاديث راقهم إخفاء مناوأة القوم لعثمان فاختلقوا له هذه وأمثالها.

٥ ـ وأخرج[1] (ص١٢٦) بالإسناد الشعبي:

آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة: إنّ الله عزّ وجلّ إنّما أعطاكم الدنيا

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٨٤/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

لتطلبوا بها الآخرة ولم يُعطِكموها لتركنوا إليها، إنّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنّكم الفانية، ولا تشغلنّكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإنّ الدنيا منقطعة، وإنّ المصير إلى الله، اتّقوا الله جلّ وعزّ فإنّ تقواه جنّة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغِيَر، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَاذْكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إذ كُنتُم أعْدَاءً فَألَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحْتُم بِنِعمَتِهِ إخوَاناً﴾[1].

قالوا: لمّا قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته، وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله، قال: اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب، وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنّي، وأرسل إلى طلحة والزبير وعليّ وعدّة: أن ادنوا فاجتمعوا فأشرف عليهم، فقال: يا أيّها الناس اجلسوا، فجلسوا جميعاً، المحارب الطارئ، والمسالم المقيم، فقال: يا أهل المدينة إني أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، وإنّي والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله فيّ قضاه، ولأدعنّ هؤلاء وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتّخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنيا حتى يكون الله عزّ وجلّ الصانع في ذلك ما أحبّ، وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلّا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباهاً لهم، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار.

٦ ـ وروى[2] (ص١٢٦) بالإسناد الشعبي: ٢٢٨/٩

قالوا: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين، فلمّا مضت من الأربعين ثماني عشرة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيّأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، ومعاوية من مصر، والقعقاع من الكوفة، ومجاشع من البصرة، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان، ومنعوه كلّ شيء حتى الماء، وقد كان يدخل عليّ بالشيء ممّا

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٨٥/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

يريد، وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة، فعثروا في داره بالحجارة ليُرْموا فيقولوا: قوتلنا وذلك ليلاً، فناداهم؛ ألا تتّقون الله؟ ألا تعلمون أنّ في الدار غيري؟ قالوا: لا والله ما رميناك. قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله. قال: كذبتم إنّ الله عزّ وجلّ لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا، وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه، فسرح ابناً لعمرو إلى عليّ بأنّهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا، وإلى طلحة والزبير وإلى عائشة ﵂ وأزواج النبيّ ﷺ فكان أوّلهم إنجاداً له عليّ وأُمّ حبيبة، جاء عليّ في الغلس فقال: يا أيّها الناس إنّ الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة، فإنّ الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي، وما تعرّض لكم هذه الرجل، فبم تستحلّون حصره وقتله؟ قالوا: لا والله ولا نعمة عين، لا نتركه يأكل ولا يشرب، فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني، فرجع.

وجاءت أُمّ حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة، فقيل: أُمّ المؤمنين أُمّ حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إنّ وصايا بني أُميّة إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل. قالوا: كاذبة وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فندّت بأُمّ حبيبة فتلقّاها الناس وقد مالت رحالتها، فتعلّقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها.

وتجهّزت عائشة خارجة إلى الحجّ هاربة، واستتبعت أخاها، فأبى، فقالت: أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلنّ. وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر، فقال: يا محمد تستتبعك أُمّ المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحلّ فتتبعهم؟ فقال: ما أنت وذاك يابن التميميّة؟ فقال: يابن الخثعميّة إنّ هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف، وانصرف وهو يقول:

٢٢٩/٩

عجبتُ لِما يخوضُ الناس فيه ... يسرومون الخلافة أنْ تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ... ولاقوا بعدها ذلّاً ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى ... سواءً كلّهم ضلّوا السبيلا

ولحق بالكوفة، وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم فقال: يا أُمّ المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل. فقالت: أتريد أن يُصنع بي كما صُنع بأُمّ حبيبة، ثمّ لا أجد من يمنعني، لا والله ولا أعير ولا أدري إلى ما يسلم أمر هؤلاء، وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأُمّ حبيبة، فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات عليهم الرقباء، فأشرف عثمان على الناس فقال: يا عبدالله بن عبّاس، فدعي له، فقال: اذهب فأنت على الموسم. وكان ممّن لزم الباب فقال: والله يا أمير المؤمنين، لجهاد هؤلاء أحبّ إليّ من الحجّ، فأقسم عليه لينطلقنّ، فانطلق ابن عبّاس على الموسم تلك السنة، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيّته فانصرف بها، وفي الزبير اختلاف أأدرك مقتله أو خرج قبله؟ وقال عثمان: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾[1] الآية. اللّهمّ حُل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبل.

قال الأميني: هذه الرواية مفتعلة من شيعة عثمان المصطفّين في إسنادها تجاه ما ثبت عن عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من جهودهم المتواصلة في التضييق على الرجل، وإسعار نار الحرب والإجهاز عليه بما أسلفناه في هذا الجزء لكن أكدى الظنّ وأخفق الأمل أنّ هاتيك الروايات أخرجها الأثبات من حملة التاريخ، وأصفق عليها المؤرّخون وهذه تفرّد بها هؤلاء الوضّاعون، ومن ذا الذي يعير سمعاً لها بعد الإخبات إلى التاريخ الصحيح، وملء أُذنه هتاف عائشة: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر. إلى كلمات أُخرى لها مرّ مجملها في هذا الجزء (ص ٢١٥) وفصّلناها في (ص ٧٧ ـ ٨٦).

---

(١) هود: ٨٩.

وإنّ تهالك طلحة دون التشديد عليه وقتله بكلّ ما تسنّى له ممّا لا يجهله مُلمّ بالحديث والتاريخ، وكان يوم الدار مقنّعاً بثوب يرميها بالسهام، وهو الذي منع منه الماء، وهو الذي حمل الناس إلى سطح دار ابن حزم فتسوّروا منها دار عثمان، وهو الذي منعه من أن يدفن في مقابر المسلمين، وهو الذي أقعد لمجهّزيه في الطريق ناساً يرمونهم بالحجارة، وهو الذي قتله مروان ثمّ قال لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك، وهو الذي قال فيه وفي صاحبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «كان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف[1]، وأرفق حدائهما العنيف». ٢٣٠/٩

ولو كان طلحة كما زعمه الوضّاعون فما معنى هتاف عثمان: اللّهمّ اكفني طلحة ابن عبيدالله فإنّه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم. وقوله: وَيلي على ابن الحضرمية ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرّض على نفسي، اللّهمّ لا تمتّعه به ولقّه عواقب بغيه.

وإلى الآن يرنّ في الأسماع قول الزبير يومئذ: اقتلوه فقد بدّل دينكم. وقوله: ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدئ بابني، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً. وقوله لعثمان: إنّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة يمنعون من ظلمك، ويأخذونك بالحقّ. إلخ.

وإلى الآن في صفحات التاريخ قول سعد بن أبي وقّاص: قتله سيف سلّته عائشة وشحّذه طلحة، وسمّه عليّ. قيل: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده وصمت بلسانه. إلى كلمات آخرين مرّت في هذا الجزء.

ولو كان ابن عبّاس كما اختلق عليه هؤلاء فلماذا لم يكترث بكتاب عثمان واستغاثته به لمّا أُلقي على الحجيج وهو أميرهم وهو على منصّة الخطابة، فمضى في خطبته من حيث انقطعت، ولم يتعرّض لذلك بشيء، ولا اعتدّ بخطابه حتى جرى

---

(١) الوجيف: ضرب من السير السريع.

المقدور المحتّم؟ ولماذا كان يحاذر بطش معاوية به على مقتل عثمان لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يرسله إلى الشام.

راجع مصادر هذه كلّها فيما مرّ من صفحات هذا الجزء.

٧ ـ وأخرج[١] (ص١٢٨) بالإسناد الشعبي:

قالوا: فلمّا بويع الناس السابق[٢] فقدم بالسلامة فأخبرهم من الموسم أنّهم يريدون جميعاً المصريّين وأشياعهم، وأنّهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم، فلمّا أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطان وقالوا: لا يخرجنا ممّا وقعنا فيه إلّا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنّا، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلّا قتله، فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان / بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، ٢٣١/٩
واجتلدوا فناداهم عثمان: الله الله أنتم في حلٍّ من نصرتي، فأبوا، ففتح الباب وخرج ومعه الترس والسيف لينهنههم، فلمّا رأوه أدبر البصريّون وركبهم هؤلاء ونهنههم فتراجعوا وعظم على الفريقين، وأقسم على الصحابة ليدخلُنّ فأبوا أن ينصرفوا، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريّين، وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حجّ ثمّ تعجّل في نفر حجّوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يُقتل وشهد المناوشة ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل، وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألّا ندعهم حتى تموت؟ فاتّخذ عثمان تلك الأيّام القرآن نحباً يصلّي وعنده المصحف فإذا أعيا جلس فقرأ فيه، وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة، وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب، فلمّا بقي المصريّون لا يمنعهم أحد من الباب ولا يقدرون على الدخول جاءوا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة، فتأجّج

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٨٧/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) كذا في الطبعة المعتمدة لدى المؤلّف، وفي الطبعة المعتمدة لدينا: فلما بويع الناس جاء السابق.

الباب والسقيفة، حتى إذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب، فثار أهل الدار وعثمان يصلّي حتى منعوهم الدخول، وكان أوّل من برز لهم المغيرة بن الأخنس وهو يرتجز:

قد علمت جاريةٌ عُطبولُ ذاتُ وشاح ولها جديلُ
أنّي بنصلِ السيفِ خنشليلُ لأَمنَعنَّ منكمُ خليلي
بصارم ليس بذي فلولِ

وخرج الحسن بن علي وهو يقول:

لا دينهم ديني ولا أنا منهمُ حتىٰ أسير إلى طمارِ شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:

أنا ابن من حامى عليه بأُحد وردَّ أحزاباً على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:

صبرنا غداة الدار والموتُ واقبُ بأسيافنا دون ابن أروىٰ نُضاربُ
وكنّا غداة الروع في الدار نصرةً نُشافههم بالضرب والموت ثاقبُ

فكان آخر من خرج عبدالله بن الزبير، أمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصّية بما أراد وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، فخرج عبدالله بن الزبير آخرهم فما زال يدّعي ويحدّث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه. ٢٣٢/٩

٨ ـ وأخرج[1] (ص١٢٩) بالإسناد الشعبي:

قالوا: وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة، وقد افتتح ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٨٩/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

﴿القُرآنَ لِتَشقَىٰ﴾[١]، وكان سريع القراءة، فما كرثه ما سمع، وما يُخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه، ثمّ عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُم فَاخشَوهُم فَزَادَهُم إِيمَاناً وَقَالُوا حَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيل﴾[٢]. وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه:

قد علمت ذات القرون الميلِ والحلي والأنامل الطفولِ
لتصدقنّ بيعتي خليلي بصارمٍ ذي رونقٍ مصقولِ
لا أستقيل إن أقلت قيلي

وأقبل أبو هريرة والناس محجمون عن الدار إلّا أولئك العصبة، فدسروا[٣] فاستقتلوا، فقام معهم وقال: أنا أُسوتكم. وقال: هذا يوم طاب امضرب ـ يعني أنّه حلَّ القتال وطاب، وهذه لغة حمير ـ ونادى: يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، وبادر مروان يومئذ ونادى: رجل رجل. فبرز له رجل من بني ليث يُدعى النباع[٤]، فاختلفا ضربتين، فضربه مروان أسفل رجليه وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه، فانكبّ مروان واستلق، فاجترّ هذا أصحابه، واجترّ الآخر أصحابه، فقال المصريّون: أما والله لا أن[٥] تكونوا حجّة علينا في الأُمّة لقد قتلناكم بعد تحذير. فقال المغيرة: من بارز؟ فبرز له رجل فاجتلدا وهو يقول:

أضربهم باليابسِ
ضرب غلام بائسِ
من الحياة آيسِ

---

(١) سورة طه: ١ ـ ٢.

(٢) آل عمران: ١٧٣.

(٣) دسروا: دفعوا.

(٤) كذا والصحيح: البياع، وهو عروة بن شيم الليثي كما مرّ. (المؤلّف)

(٥) في الطبعة المعتمدة لدينا من تاريخ الأُمم والملوك: ٤/٣٩٠: لولا أن تكونوا.

فأجابه صاحبه... وقال الناس: قُتل المغيرة بن الأخنس، فقال الذي قتله: إنّا لله. فقال له عبدالرحمن بن عديس: مالك؟ قال: إنّي أُتيت فيما يرى النائم، فقيل لي: بشّر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتليت به. وقتل قباث الكناني نيار بن عبدالله الأسلمي، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملؤوها، ولا يشعر الذين بالباب، وأقبلت القبائل على أبنائهم، فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم، وندبوا رجلاً لقتله، فانتدب له / رجل، فدخل عليه البيت، فقال: اخلعها وندعك. فقال: ويحك والله ما كشفتُ امرأة في جاهليّة ولا إسلام ولا تغنّيت ولا تمنّيت، ولا وضعت يميني على عورتي مذ بايعت رسول الله ﷺ، ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عزّ وجلّ، وأنا على مكاني حتى يُكرم الله أهل السعادة ويُهين أهل الشقاء. ٢٣٣/٩

فخرج وقالوا: ما صنعت؟ فقال: علقنا والله، والله ما ينجينا من الناس إلّا قتله وما يحلّ لنا قتله، فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث، فقال: ممّن الرجل؟ فقال: ليثيّ. فقال: لست بصاحبي. قال: وكيف؟ فقال: ألست الذي دعا لك النبيّ ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا؟ قال: بلىٰ. قال: فلن تضيع. فرجع وفارق القوم، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش، فقال: يا عثمان إنّي قاتلك. قال: كلّا يا فلان لا تقتلني. قال: وكيف؟ قال: إنّ رسول الله استغفر لك يوم كذا وكذا، فلن تقارف دماً حراماً، فاستغفر ورجع وفارق أصحابه، فأقبل عبدالله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله، وقال: يا قوم لا تسلّوا سيف الله عليكم فوالله إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم إنّ سلطانكم اليوم يقوم بالدرّة، فإن قتلتموه لا يقيم إلّا بالسيف، ويلكم إنّ مدينتكم محفوفة بملائكة الله، والله لئن قتلتموه لتتركنّها. فقالوا: يابن اليهوديّة وما أنت وهذا؟ فرجع عنهم.

قالوا: وكان آخر من دخل عليه ممّن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك أعلى الله تغضب؟ هل لي إليك جُرم إلّا حقّه أخذته منك، فنكل ورجع. قالوا: فلمّا خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران

السكونيّان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، فاستقرّ بين يديه وسالت عليه الدماء، وجاء سودان بن حمران ليضربه، فانكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتّقت السيف بيدها، فتعمّدها ونفح أصابعها، فأطنّ أصابع يدها وولّت فغمز أوراكها، وقال: إنّها لكبيرة العجيزة. وضرب عثمان فقتله، ودخل غِلمة لعثمان مع القوم لينصروه، وقد كان عثمان أعتق من كفّ منهم، فلمّا رأوا سودان قد ضربه، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت وأخرجوا من فيه، ثمّ أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلمّا خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجل ملاءة نائلة والرجل يُدعى كلثوم / بن ٢٣٤/٩
تجيب فتنحّت نائلة، فقال: ويح أُمّك من عجيزة ما أتمّك! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقُتل، وتنادى القوم: أبصر رجل من صاحبه، وتنادوا في الدار: أدركوا بيت المال لا تُسبَقوا إليه، وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيه إلّا غرارتان[١]، فقالوا: النجاء، فإنّ القوم إنّما يحاولون الدنيا فهربوا، وأتوا بيت المال فانتهبوه، وماج الناس فيه، فالتانئ[٢] يسترجع ويبكي، والطارئ يفرح، وندم القوم، وكان الزبير قد خرج من المدينة، فأقام على طريق مكّة لئلّا يشهد مقتله، فلمّا أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحم الله عثمان وانتصر له. وقيل: إنّ القوم نادمون. فقال: دبّروا دبّروا: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[٣] الآية. وأتى الخبر طلحة فقال: رحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام وقيل له: إنّ القوم نادمون. فقال: تبّاً لهم وقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤]. وأتى عليّ فقيل: قُتل

---

(١) ذكره ابن كثير في تاريخه: ١٨٩/٧ [٢١٠/٧ حوادث سنة ٣٥هـ] وحرّفه وبدّله بقوله: فأخذوا بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً. (المؤلّف)

(٢) التانئ: المقيم.

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) سورة يس: ٥٠.

عثمان، فقال: رحم الله عثمان وخلف علينا بخير. وقيل: ندم القوم. فقرأ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾[1] الآية. وطُلب سعد، فإذا هو في حائطه، وقد قال: لا أشهد قتله. فلمّا جاءه قتله قال: فررنا إلى المُدنِيَة فدنينا وقرأ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنعاً﴾[2]. اللّهمّ أندمهم ثمّ خذهم.

٩ ـ وأخرج[3] (ص ١٣١) بالإسناد الشعبي:

قال المغيرة بن شعبة لعليّ: إنّ هذا الرجل مقتول، وإنّه إن قُتل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس. فأبى وحُصر عثمان اثنين وعشرين يوماً ثمّ أحرقوا الباب، وفي الدار أُناس كثير؛ فيهم عبدالله بن الزبير ومروان، فقالوا: ائذن لنا. فقال: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه، وإنّ القوم لم يحرقوا باب الدار إلّا وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأُحرِّج على رجل يستقتل ويقاتل، وخرج الناس كلّهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده، فقال: إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم، فأقسمت عليك لمّا خرجت. وأمر عثمان أبا كَرِب ـ رجلاً من همدان ـ وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال، / وليس فيه إلّا غرارتان من ورِق، فلمّا أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعّد محمد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان، فلمّا دخل على عثمان هربا، ودخل محمد ابن أبي بكر على عثمان؛ فأخذ بلحيته، فقال: أرسل لحيتي فلم يكن أبوك ليتناولها، فأرسلها، ودخلوا عليه، فمنهم من يجؤه بنعل سيفه وآخر يلكزه، وجاءه رجل بمشاقص معه، فوجأه في ترقوته، فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله، وكان كبيراً، وغُشي عليه ودخل آخرون، فلمّا رأوه مغشيّاً عليه ٢٣٥/٩

---

(١) الحشر: ١٦.

(٢) الكهف: ١٠٤.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٩٢/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

جرّوا برجله، فصاحت نائلة وبناته، وجاء التجيبي مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه، فوقته نائله، فقطع يدها، واتّكأ بالسيف عليه في صدره، وقتل عثمان ﷺ قبل غروب الشمس، ونادى منادٍ: ما يحلّ دمُه ويحرج ماله، فانتهبوا كلّ شيء، ثمّ تبادروا بيت المال، فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا، وقالوا: الهرب الهرب، هذا ما طلب القوم.

١٠ ـ وأخرج[1] (ص ١٣٥) بالإسناد الشعبي:

لمّا حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين، وليدنوا من العرب، فمنهم من أتى البصرة، ومنهم من أتى الكوفة، ومنهم من أتى الشام. فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة، إلّا ما كان من أبناء الشام، فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلّا من كان بالشام، فأخبروا عثمان بخبرهم، فقام عثمان في الناس خطيباً، فقال:

يا أهل المدينة أنتم أصل الإسلام، وإنّما يفسد الناس بفسادكم، ويصلحون بصلاحكم، والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدثٌ أحدثه إلّا سيّرته، ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون أُولئك بكلام ولا طلب، فإنّ من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلّم أحد منهم بما عليه ولا له. وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أو شَهْرِ سلاح عصاً فما فوقها إلّا سيّره. فضجّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنّهم يقولون: ما أحدث التسيير إلّا أنّ رسول الله ﷺ سيّر الحكم بن أبي العاص، فقال: إنّ الحكم كان مكيّاً، فسيّره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف، ثمّ ردّه إلى بلده، فرسول الله ﷺ سيّره بذنبه ورسول الله ﷺ ردّه بعفوه، وقد سيّره الخليفة من بعده، وعمر ﷺ من بعد الخليفة، وايم الله لآخذنّ العفو من أخلاقكم، ولأبذلنّه لكم من خلقي، وقد دنت أُمور، ولا أُحبّ أن تحلّ بنا وبكم وأنا على وجلٍ وحذر، فاحذروا واعتبروا. ٢٣٦/٩

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣٩٨/٤ حوادث سنة ٣٥هـ.

قال الأميني: هذه سلسلة بلاء وحلقة أكاذيب جاء بها أبو جعفر الطبري في تاريخه بإسناد واحد أبطلناه وزيّفناه وأوقفناك عليه وعلى ترجمة رجاله في الجزء الثامن(ص ٨٤، ١٤٠، ١٤١، ٣٣٣)، أضف إليها ما ذكره المحبّ الطبري ممّا أسلفنا صدره في هذا الجزء صفحة (١٧٩) من طريق سعيد بن المسيب ممّا اتّفق الرواة والحفّاظ والمؤرّخون على نقله وجاء بعض بزيادة مفتعلة وتبعه المحبّ الطبري وإليك نصّها:

ثمّ بلغ عليّاً أنّهم يريدون قتل عثمان، فقال: إنّما أردنا منه مروان فأمّا قتل عثمان فلا. وقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدّة من أصحاب النبيّ ﷺ أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان، فلمّا رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن عليّ بدمائه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمد بن طلحة، وشجّ قنبر مولى عليّ، ثمّ إنّ بعض من حصر عثمان خشي أن يغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة، فأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاء بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون، ولكن اذهبوا بنا نتسوّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد، فتسوّروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان، وما يعلم أحد ممّن كان معه، لأنّ كلّ من كان معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلّا امرأته، فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا، وصرخت امرأته فلم يُسمع صراخها من الجلبة، فصعدت إلى الناس فقالت: إنّ أمير المؤمنين قتل. فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً فانكبّوا عليه يبكون، ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً فبلغ عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، وقال عليّ لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبدالله بن الزبير، وخرج عليّ وهو

غضبان، فلقيه طلحة فقال: مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن / والحسين؟ وكان يرى ٢٣٧/٩
أنّه أعان على قتل عثمان. فقال: عليك كذا وكذا، رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدريّ لم تقم عليه بيّنة ولا حجّة. فقال طلحة: لو دفع مروان لم يُقتل. فقال عليّ: لو أخرج إليكم مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة. وخرج علي فأتى منزله وجاء الناس كلّهم إلى عليّ ليبايعوه، فقال لهم: ليس هذا إليكم إنّما هو إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا قال: ما نرى أحقّ لها منك، فلمّا رأى عليّ ذلك جاء المسجد فصعد المنبر، وكان أوّل من صعد إليه وبايعه طلحة والزبير وسعد وأصحاب محمد ﷺ، وطلب مروان فهرب، وطلب نفراً من ولد مروان وبني أبي معيط فهربوا[1].

وفي لفظ المسعودي في مروج الذهب[2] (٤٤١/١): لمّا بلغ عليّاً أنّهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبدالله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداءً بمن ذكرنا، فصدّوهم عن الدار، فرمي من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم، وجرح الحسن، وشجّ قنبر، وجرح محمد بن طلحة، فخشي القوم أن يتعصّب بنو هاشم وبنو أُميّة، فتركوا القوم في القتال على الباب، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوّروا عليها، وكان ممّن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران، وعند عثمان زوجته، وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته، فقال: يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك، فتراخت يده وخرج عنه إلى الدار، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت

---

(١) الرياض النضرة: ١٢٥/٢ [٥٧/٣]، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٠٨ [ص١٤٩]، نقلاً عن ابن عساكر[تاريخ مدينة دمشق: ٤١٨/٣٩ ـ ٤١٩ رقم ٤٦١٩]، تاريخ الخميس: ٢٦١/٢، ٢٦٢، نقلاً عن الرياض. (المؤلّف)

(٢) مروج الذهب: ٣٦٢/٢.

امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين.

فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أُميّة، فوجدوه وقد فاضت نفسه ﷺ فبكوا. فبلغ ذلك عليّاً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل عليّ الدار وهو كالواله الحزين، فقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب، ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة
٢٣٨/٩ ولعن عبدالله بن الزبير، فقال له طلحة: لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن، ولو دفع مروان [إليهم][1] ما قتل، وهرب مروان وغيره من بني أُميّة، وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا. وقال عليّ لزوجته نائلة بنت الفرافصة: من قتله وأنت كنت معه؟ فقالت: دخل إليه رجلان، وقصّت خبر محمد بن أبي بكر، فلم ينكر ما قالت، وقال: والله لقد دخلت [عليه][2] وأنا أُريد قتله، فلمّا خاطبني بما قال خرجت، ولا أعلم بتخلّف الرجلين عنّي، والله ما كان لي في قتله [من][3] سبب، ولقد قُتل وأنا لا أعلم بقتله.

وروى ابن الجوزي في التبصرة[4] من طريق ابن عمر، قال: جاء عليّ إلى عثمان ﷺ يوم الدار وقد أغلق الباب ومعه الحسن بن عليّ وعليه سلاحه فقال للحسن: ادخل إلى أمير المؤمنين فأقرأهُ السلام وقل له: إنّما جئت لنصرتك فمرني بأمرك، فدخل الحسن ثمّ خرج فقال لأبيه: إنّ أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: لا حاجة لي بقتال وإهراق الدماء، قال: فنزع عليّ عمامة سوداء ورمى بها بين يدي الباب وجعل ينادي: ﴿ ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِيْ كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾[5].

وعن شداد بن أوس ـ نزيل الشام والمتوفّى بها في عهد معاوية ـ أنّه قال: لمّا اشتدّ الحصار بعثمان ﷺ يوم الدار رأيت عليّاً خارجاً من منزله معتمّاً بعمامة رسول الله

---

(١) و(٢) و(٣) الزيادة من المصدر.

(٤) راجع تلخيصه قرة العيون المبصرة: ١/ ١٨٠. (المؤلّف)

(٥) يوسف: ٥٢.

متقلّداً سيفه وأمامه ابنه الحسن والحسين وعبدالله بن عمر ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار، فحملوا على الناس وفرّقوهم ثمّ دخلوا على عثمان.

فقال عليّ: السلام عليك يا أمير المؤمنين إنّ رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر، وإنّي والله لا أرى القوم إلّا قاتليك فمرنا فلنقاتل. فقال عثمان: أنشد الله رجلاً رأى لله عزّ وجلّ عليه حقّاً وأقرّ أن لي عليه حقّاً أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فيّ. فأعاد عليّ ﷺ القول فأجاب عثمان بمثل ما أجاب، فرأيت عليّاً خارجاً من الباب وهو يقول: اللّهمّ إنّك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود. ثمّ دخل المسجد وحضرت الصلاة فقالوا له: يا أبا الحسن تقدّم فصلّ بالناس، فقال: لا أُصلّي بكم والإمام محصور ولكن أُصلّي وحدي، فصلّى وحده وانصرف إلى منزله / فلحقه ابنه وقال: والله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار، قال: إنّا لله ٢٣٩/٩
وإنّا إليه راجعون، هم والله قاتلوه، قالوا: أين هو يا أبا الحسن؟ قال: في الجنّة والله زلفى، قالوا: وأين هم يا أبا الحسن؟ قال: في النار والله ـ ثلاثاً.

الرياض النضرة[١] (١٢٧/٢)، تاريخ الخميس (٢٦٢/٢).

ومن طريق محمد بن طلحة عن كناسة[٢] مولى صفيّة، قال: شهدت مقتل عثمان فأُخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش مضرّجين بالدم محمولين كانوا يدرؤون عن عثمان وهم: الحسن بن عليّ وعبدالله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان، فقلت له: هل تدري محمد بن أبي بكر بشيء من دونه[٣]؟ قال: معاذ الله، دخل عليه فقال له عثمان: يابن أخي لست بصاحبي. وكلّمه بكلام فخرج[٤].

---

(١) الرياض النضرة: ٦٠/٣.

(٢) كذا في بعض النسخ، والصحيح: كنانة. (المؤلّف)

(٣) كذا في تهذيب التهذيب، وفي الاستيعاب: هل ندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟

(٤) الاستيعاب: ٤٧٨/٢ [القسم الثالث/١٠٤٦ رقم١٧٧٨]، تهذيب التهذيب: ١٤١/٧ [١٢٩/٧]، تاريخ الخميس: ٢٦٤/٢. (المؤلّف)

في الإسناد كنانة: ذكره الأزدي في الضعفاء، وقال: لا يقوم إسناد حديثه. وقال الترمذي: ليس إسناده بذاك. وقال أيضاً: ليس إسناده بمعروف[١].

وروى البخاري في تاريخه (ج ٤ قسم ١ ص٢٣٧)، من طريق كنانة مولى صفيّة، قال: كنت أقود بصفيّة لتردّ عن عثمان، فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى قالت: ردّوني ولا يفضحني هذا الكلب، وكنت فيمن حمل الحسن جريحاً، ورأيت قاتل عثمان من أهل مصر يقال له: جبلة.

وقال سعيد المقبري عن أبي هريرة: كنت محصوراً مع عثمان في الدار، فرمي رجل منّا، فقلت: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب، قتلوا رجلاً منّا. قال: عزمت عليك يا أبا هريرة إلّا رميت بسيفك، فإنّما تراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي اليوم، قال أبو هريرة: فرميت بسيفي، فلا أدري أين هو حتى الساعة[٢].

لم أقف على رجال إسناد هذه الأسطورة غير سعيد المقبري، وهو سعيد بن أبي سعيد أبو سعد المدني، والمقبري نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها. قال يعقوب بن شيبة والواقدي وابن حبّان[٣]: إنّه تغيّر وكبر واختلط قبل موته بأربع سنين. راجع / تهذيب التهذيب[٤] (٣٨/٤)، ومتن الرواية أقوى شاهد على اختلاط ٢٤٠/٩
الرجل، فإنّ أوّل من رمى يوم الدار هو رجل من أصحاب عثمان، رمى نيار بن عياض الأسلمي وكان شيخاً كبيراً فقتله الرجل، كما مرّ في (ص٢٠١) ومضى في (ص٢٠٠): أنّ أبا حفصة مولى مروان هو الذي أنشب القتال ورمى نياراً الأسلمي، ولعلّك تعرف أبا هريرة ومبلغه من الصدق والأمانة على ودائع العلم والدين، وإن

---

(١) تهذيب التهذيب: ٤٥٠/٨ [٤٠٣/٨]. (المؤلّف)

(٢) الاستيعاب: ٤٧٨/٢ [القسم الثالث/١٠٤٦ رقم١٧٧٨]، تهذيب التهذيب: ١٤٢/٧ [١٢٩/٧]، تاريخ الخميس: ٢٦٣/٢. (المؤلّف)

(٣) الثقات: ٢٨٤/٤.

(٤) تهذيب التهذيب: ٣٤/٤.

كنت في جهل من هذا فراجع كتاب أبي هريرة لسيّدنا الحجّة شرف الدين العاملي حيّاه الله وبيّاه، ولعلّ تقاعد أبي هريرة عن نصرة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حروبه الدامية كان لأنّه لم يك يدري أين سيفه.

وعن أشعب بن حنين مولى عثمان: أنّه كان مع عثمان في الدار، فلمّا حصر جرّد مماليكه السيوف فقال لهم عثمان: من أغمد سيفه فهو حرّ. فلمّا وقعت في أذني كنت والله أوّل من أغمد سيفه، فأعتقت.

قال الذهبي: هذا الخبر باطل لأنّه يقتضي أنّ لأشعب صحبة وليس كذلك. لسان الميزان[1] (١٢٦/٤).

صورة مفصلة

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: كنّا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصور في الدار، فقال: وبم يقتلونني؟ وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحلّ دم امرئٍ مسلم إلّا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفساً بغير حقّ فيقتل بها»، فوالله ما أحببت لديني بدلاً منذ هداني الله تعالى، ولا زنيت في جاهليّة ولا إسلام، ولا قتلت نفساً بغير حقّ، فبم يقتلونني؟ فلمّا اشتدّ عطشه أشرف على الناس فقال: أفيكم عليّ؟ فقالوا: لا. فقال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت ثمّ قال: ألا أحد يبلغ عليّاً فيسقينا ماءً؟ فبلغ ذلك عليّاً، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً، فما وصل إليه حتى جرح بسببها عدّة من بني هاشم وبني أُميّة، فلمّا بلغ عليّاً أنّ عثمان محاصر يراد قتله قام خارجاً من منزله معتمّاً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله متقلّداً سيفه وأمامه ابنه الحسن وعبدالله بن عمر في نفر من الصحابة والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، ودخلوا على عثمان وهو محصور فقال له عليّ كرّم الله وجهه: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إنّك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى، وإنّني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً

---

(١) لسان الميزان: ١٤٦/٤ رقم٥٤٨٧.

٢٤١/٩ اختر إحداهنّ: /إمّا أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحقّ وهم على الباطل، وإمّا أن تخرق باباً سوى الباب الذي هم عليه، فتركب رواحلك وتلحق بمكة فإنّهم لن يستحلّوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق بالشام فإنّهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: أمّا أن أخرج إلى مكة فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم». فلن أكون أنا، وأمّا أن ألحق بالشام فلن أُفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ، قال: فأذن لنا أن نقاتلهم ونكشفهم عنك، قال: فلا أكون أوّل من يأذن في محاربة أُمّة محمد ﷺ، فخرج عليّ وهو يسترجع وقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدّة من أصحاب محمد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان. فلمّا رأى ذلك محمد بن أبي بكر وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وغيره، فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان، فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره، لأنّ كلّ من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن في الدار عند عثمان إلّا امرأته، فنقبوا الحائط فدخل عليه محمد بن أبي بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته، فقال له عثمان: والله لو رآك أبوك لساءه فعلك، فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا، قيل: جلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات، ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس، وصعدت امرأته فقالت: إنّ أمير المؤمنين قد قُتل، فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً، وانتشر الدم على المصحف على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]، وبلغ الخبر عليّاً وطلحة

---

(١) البقرة: ١٣٧.

والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم، حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، وقال عليّ لابنيه: كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن، وضرب على صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير، وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله، وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له: نبايعك فمدّ يدك فلابدّ لنا من أمير. فقال عليّ: والله إنّي لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان، وإنّي لأستحي من الله تعالى أن أُبايع وعثمان لم ٢٤٢/٩
يُدفن بعد، فافترقوا ثمّ رجعوا فسألوه البيعة، فقال: اللّهمّ إنّي مشفق ممّا أقدم عليه، ثم قال[1] لهم: ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر حتى أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك، مدّ يدك نبايعك. فبايعوه، فهرب مروان وولده، وجاء عليّ وسأل امرأة عثمان، فقال لها: من قتل عثمان؟ قالت: لا أدري دخل عليه محمد بن أبي بكر ومعه رجلان لا أعرفهما، فدعا محمداً فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان، فقال محمد: لم تكذب، والله دخلت عليه وأنا أريد قتله، فذكر لي أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى، والله ما قتلته ولا أمسكته. فقالت امرأته: صدق ولكنّه أدخلهما عليه.

راجع أخبار الدول للقرماني[2] ـ هامش الكامل لابن الأثير ـ (١/٢١٠ ـ ٢١٣).

نظرة في الموضوعات

هذه الموضوعات اختلقت تجاه التاريخ الصحيح المتسالم عليه المأخوذ من مئات الآثار الثابتة المعتضد بعضها ببعض، فيضادّها ما أسلفناه في البحث عن آراء أعاظم الصحابة في عثمان وما جرى بينهم وبينه من سيّئ القول والفعل، وفيهم بقيّة

---

(١) في الطبعة التي اعتمدها المؤلّف من أخبار الدول: فقال لهم.

(٢) أخبار الدول: ١/٢٩٨ ـ ٣٠١.

أصحاب الشورى وغير واحد من العشرة المبشّرة وعدّة من البدريّين، وقد جاء فيه ما يربو على مئة وخمسين حديثاً راجع (ص٦٩ ـ ١٥٧) من هذا الجزء.

وتكذّبها أحاديث جمّة ممّا قدمنا ذكرها (ص١٥٧ ـ ١٦٣) من حديث المهاجرين والأنصار وأنّهم هم قتلة عثمان.

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور من أنّ الرجل أفسد دين محمد فهلمّوا وأقيموا دين محمد ﷺ.

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويقسمون له بالله أنّهم لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من الله.

ومن حديث كتاب المهاجرين إلى مصر أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسْلَبَها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بُدّل وسنّة رسوله قد غُيّرت. إلى آخر ما مرّ في (ص١٦١، ١٦٢).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٤٣/٩ ومن حديث الحصار الأوّل المذكور في صفحة (١٦٨ ـ ١٧٧).

ومن حديث كتاب المصريّين إلى عثمان: إنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة، أو ضلالة مجلحة مبلجة. إلى آخر ما مرّ (ص١٧٠).

ومن حديث عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنّة سنة (٣٥) كما مرّ (ص١٧٠ ـ ١٧٢).

ومن حديث توبته مرّة بعد أُخرى كما فصّلناه (ص١٧٢ ـ ١٧٧).

ومن حديث الحصار الثاني الذي أسلفناه (ص١٧٧ ـ ١٨٩).

ومن حديث كتاب عثمان إلى معاوية في أنّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة. إلى آخر ما سبق في صفحة (١٩٠).

ومن حديث كتابه إلى الشام عامة: إنّي في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا

القدر فيّ. وخيّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل، وبين أن أنزع لهم رداء الله. إلى آخر ما مرّ (ص ١٩٠).

ومن حديث كتابه إلىٰ أهل البصرة المذكور صفحة (١٩١).

ومن حديث كتابه إلى أهل الأمصار مستنجداً يدعوهم إلى الجهاد مع أهل المدينة واللحوق به لنصره كما مرّ (ص ١٩١).

ومن حديث كتابه إلى أهل مكة ومن حضر الموسم ينشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابه إلّا قدم عليه. إلخ.

ومن حديث يوم الدار والقتال فيه، وحديث من قُتل في ذلك المعترك ممّا مضى في (ص ١٩٨ ـ ٢٠٣).

ومن حديث مقتل عثمان وتجهيزه ودفنه بحش كوكب بدير سلع مقابر اليهود المذكور (ص ٢٠٤ ـ ٢١٧).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وممّا ثبت من أحوال هؤلاء الذين زعموا أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان، وانّهم لم يفتأوا مناوئين له إلى أن قُتل، وبعد مقتله إلى أن قُبر في أشنع الحالات. أمّا عليّ أمير المؤمنين فمن المتسالم عليه أنّه لم يحضر مقتل الرجل في المدينة فضلاً عن دخوله عليه قبيل ذلك واستئذانه منه للذبّ عنه وبعد مقتله وبكائه عليه وصفعه ودفعه وسبّه / ولعنه وحواره حول الواقعة، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٠) ردّا ٢٤٤/٩
على الحديث: الظاهر أنّ هذا ضعيف لأنّ عليّاً لم يكن بالمدينة حين حصر عثمان ولا شهد قتله.

وقد سأله عثمان أن يخرج إلى ماله بينبع ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة، وكان ذلك مرّة بعد أُخرى، وفي إحداهما قال لا بن عبّاس: قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي. فأتى ابن عبّاس عليّاً فأخبره فقال ﷺ: «يابن عبّاس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب أُقبل وأُدبر، بعث إليّ أن اخرج، ثمّ

بعث إليّ أن اقدم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن اخرج».

وعليّ عليه السلام هو الذي مرّ حديث رأيه في عثمان، فراجع حتى يأتيك اليقين بأنّه صلوات الله عليه لم يكن كالواله الحزين، ولم يكن ذاهباً عقله يوم الدار، ولا يقذفه بهذه الفرية الشائنة إلّا من ذهبت به الخيلاء، وتخبّطه الشيطان من المسّ، وخبل حبّ آل أُميّة قلبه واختبله، فلا يبالي بما يقول، ولا يكترث لما يتقوّل.

وأما طلحة فحدّث عنه ولا حرج، كان أشدّ الناس على عثمان نقمة، وله أيّام الحصارين وفي يومي الدار والتجهيز خطوات واسعة ومواقف هائلة خطرة ثائرة على الرجل كما مرّ تفصيل ذلك كلّه، وإن كنت في ريب من ذلك فاسأل عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتسمع منه قوله: «والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط ممّا أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشكّ» وقوله: «لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل». إلى أقواله الأخرى التي أوقفناك عليها.

وسل عنه عثمان نفسه وقد مرّت فيه كلماته المعربة عن جليّة الحال، وسل عنه مروان لماذا قتله؟ وما معنى قوله حين قتله لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك؟ وسل عنه سعداً ومحمد بن طلحة وغيرهما ممّن مرّ حديثهم.

وأمّا الزبير فإن سألت عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فعلى الخبير سقطت قال عليه السلام له: «أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته؟ سلّط الله على أشدّنا عليه اليوم ما يكره»، وقال فيه وفي طلحة: «إنّهم يطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه، وإن كان ولوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم». إلى آخر ما / أسلفناه من كلماته عليه السلام. ٢٤٥/٩

وقد مرّ قول ابن عبّاس: أمّا طلحة والزبير فإنّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه. وقول عمّار بن ياسر في خطبة له: إنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن وآخر من أمر.

وقول سعيد بن العاص لمروان: هؤلاء قتلة عثمان معك إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان: طلحة والزبير، وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غُلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم والحوبة بالحوبة.

وأمّا سعد بن أبي وقّاص فهو القائل كما مر حديثه: وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه ولكن عثمان غيّر وتغيّر، وأحسن وأساء فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله.

واعطف على هؤلاء بقيّة الصحابة الذين حسب واضعو هذه الروايات أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان، وقد أسلفنا إجماعهم عدا ثلاثة رجال منهم على مقته المفضي إلى قتله، وهل ترى من المعقول أن يمقته الآباء إلى هذا الحدّ الموصوف ثمّ يبعثوا أبناءهم للمجالدة عنه؟ إن هذا إلّا اختلاق.

وهل من المعقول أنّ القوم كانوا يحضون له الولاء، وحضروا للمناضلة عنه، فباغتهم الرجلان اللذان أجهزا عليه وفرّا ولم يعلم بهما أحد إلى أن أخبرتهم بهما بنت الفرافصة ولم تعرفهما هي أيضاً، وكانت إلى جنب القتيل تراهما وتبصر ما ارتكباه منه؟

وهل عرف مختلق الرواية التهافت الشائن بين طرفي ما وضعه من تحرّيه تقليل عدد المناوئين لعثمان المجهزين عليه حتى كاد أن يخرج الصحابة الآباء منهم والأبناء عن ذلك الجمهور، وممّا عزاه إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لمّا انثال إليه القوم ليبايعوه: والله إنّي لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان. إلخ. وهو نصّ على أنّ مبايعيه أولئك هم كانوا قتلوا عثمان وهم هم المهاجرون والأنصار الصحابة الأوّلون الذين جاء عنهم يوم صفّين لمّا طلب معاوية من الإمام عليه السلام قتلة عثمان وأمر عليه السلام بتبرّزهم فنهض أكثر من عشرة آلاف قائلين: نحن قتلته، يقدمهم عمّار بن ياسر، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وفيهم البدريّون. فهل الكلمة المعزوّة إلى الإمام عليه السلام

لمبايعيه عبارة أُخرى عن الرجلين المجهولين اللذين فرّا ولم يعرف أحد خبرهما؟ أو
٢٤٦/٩ هما وأخلاط من / الناس الذين كانت الصحابة تضادّهم في المرمى؟ وهل في المعقول أن يلهج بهذا إلّا معتوه؟

وهل نحت هذا الإنسان الوضّاع إن صدق في أحلامه عذراً مقبولاً لأُولئك الصحابة العدول الذابّين عن عثمان بأنفسهم وأبنائهم الناقمين على من ناوأه في تأخيرهم دفنه ثلاثاً وقد أُلقي في المزبلة حتى زجّ بجثمانه إلى حشّ كوكب، دير سلع، مقبرة اليهود، ورمي بالحجارة، وشُيّع بالمهانة، وكُسر ضلع من أضلاعه، وأودع الجدث بأثيابه من غير غسل ولا كفن، ولم يشيّعه إلّا أربعة، ولم يمكنهم الصلاة عليه؟ فهل كلّ هذا مشروع في الإسلام، والصحابة العدول يرونه ويعتقدون بأنّه خليفة المسلمين، وأنّ من قتله ظالم، ولا ينبسون فيه ببنت شفة، ولا يجرون فيه أحكام الإسلام؟ أو أنّهم ارتكبوا ذلك الحوب الكبير وهم لا يتحوّبون متعمدين؟ معاذ الله من أن يقال ذلك. أو أنّ هذا الإنسان زحزحته بوادره عن مجاري تلكم الأحكام، وحالت شوارده بينه وبين حرمات الله، وشرشرت منه جلباب الحرمة والكرامة ومزّقته تمزيقاً، حتى وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة؟

ومن الكذب الصريح في هذه الروايات عدّ سعد بن أبي وقاص في الرعيل الأوّل ممّن بايع عليّاً ﷺ، وهو من المتقاعدين عن بيعته إلى آخر نفس لفظه، وهذا هو المعروف منه والمتسالم عليه عند رواة الحديث ورجال التاريخ، وقد نحتت يد الافتعال في ذلك له عذراً أشنع من العمل، راجع مستدرك الحاكم[1] (١١٦/٣).

ومن المضحك جدّاً ما حكاه البلاذري في الأنساب[2] (٩٣/٥) عن ابن سيرين من قوله: لقد قتل عثمان وإنّ في الدار لسبعمئة منهم الحسن وابن الزبير، فلو أذن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٢٦/٣ ح٤٦٠١.

(٢) أنساب الأشراف: ٢١٥/٦.

وعن الحسن البصري[١] قال: أتت الأنصار عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين ننصر الله مرّتين، نصرنا رسول الله ﷺ وننصرك. قال: لا حاجة لي في ذلك ارجعوا. قال الحسن: والله لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه.

أيّ عذر معقول أو مشروع هذا؟ يُقتل خليفة المسلمين في عُقر داره بين ظهراني سبعمئة صحابي عادل وهم ينظرون إليه، ومحمد بن أبي بكر قابض على لحيته عال بها / حتى سمع وقع أضراسه، وشحطه من البيت إلى باب داره، وعمرو بن ٢٤٧/٩
الحمق يثب ويجلس على صدره، وعمير بن ضابئ يكسر أضلاعه، وجبينه موجوء بمشقص كنانة بن بشر، ورأسه مضروس بعمود التجيبي، والغافقي يضرب فمه بحديد، وترد عليه طعنة بعد أُخرى حتى أثخنته الجراح وبه حياة، فأرادوا قطع رأسه فألقت زوجتاه بنفسهما عليه، كلّ هذه بين يدي أولئك المئات العدول أنصار الخليفة غير أنّهم ينتظرون حتى اليوم إلى إذن القتيل وإلّا كانوا أخرجوهم من أقطار المدينة، ولو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه!! أين هذه الأُضحوكة من الإسلام والكتاب والسنّة والعقل والعاطفة والمنطق والإجماع والتاريخ الصحيح؟

نظرة في المؤلّفات

إنّ ما سطرناه في عثمان إلى هذا الحدّ أساس ما علّوا عليه بنيان فضله، وتبرير ساحته عن لوث أفعاله وتروكه، وتعذيره في النهابير التي ركبها والدفاع عنه، وقد أوقفناك على الصحيح الثابت ممّا جاء فيه، وعلى المزيّف الباطل ممّا وضع له، ومن جنايات المؤرّخين ضربهم الصفح عن الأوّل، وركونهم إلى الفريق الثاني من الروايات فبنوا ما شادوه على شفا جُرف هارٍ، فلم يأت بغيرها أيّ عثماني في العقيدة، أمويّ في النزعة، ضع يدك على أيّ كتاب لأحدهم في التاريخ والحديث مثل تاريخ الأُمم والملوك للطبري، والتمهيد للباقلاني، والكامل لابن الأثير، والرياض النضرة

---

(١) راجع إزالة الخفاء: ٢/٢٤٢. (المؤلّف)

للمحبّ الطبري، وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ ابن خلدون، والبداية والنهاية لابن كثير، والصواعق لابن حجر، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وروض المناظر لابن الشحنة الحنفي، وتاريخ أخبار الدول للقرماني، وتاريخ الخميس للديار بكري، ونزهة المجالس للصفوري، ونور الأبصار للشبلنجي، تجده مشحوناً بتلكم الموضوعات المسلسلة، أتوا بها مرسلين إيّاها إرسال المسلّم، وشوّهوا بها صحيفة التاريخ بعد ما سوّدوا صحائفهم، وموّهوا بها على الحقائق الراهنة.

وجاء بعد هؤلاء المحدثون المتسرّعون وهم يحسبون أنّهم يمحّصون التاريخ والحديث تمحيصاً، ويحلّلون القضايا والحوادث تحليلاً صحيحاً، متجرّدين عن الأهواء والنزعات غير متحيّزين إلى فئة، ولا جانحين إلى مذهب، لكنّهم بالرغم من
٢٤٨/٩ هاتيك الدعوى / وقعوا في ذلك وهم لا يشعرون، فحملوا إلينا كلّ تلكم الدسائس في صور مبهرجة رجاء أن تنطلي عند الرجرجة الدهماء، لكن قلم التنقيب أماط الستار عن تمويههم، وعرّف الملأ الباحث أنّهم إنّما ردّوا ما هنالك من بوائق ومخازي.

كما ردّها يوماً بسوأته عمرو

وأثبتوا فضائل بنيت على أساس منهدم، وربطوها بعرى متفككة.

[الفتوحات الإسلامية:]

فهلمّ معي نقرأ صحيفة من الفتوحات الإسلامية تأليف مفتي مكة السيّد أحمد زيني دحلان ممّا ذكره في الجزء الثاني من سيرة الخلفاء الأربعة (ص٣٥٤ ـ ٥١٧) قال[1] في (ص٤٩٢) تحت عنوان: ذكر ما كان لسيّدنا عثمان من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة: كان عثمان ﷺ زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، عادلاً في بيت المال[2] لا يأخذ لنفسه منه شيئاً[3] لأنّه كان غنيّاً، وغناه كان مشهوراً في حياة

---

(١) الفتوحات الإسلامية: ٢/٣٢٣ـ ٣٢٥.

(٢) فلماذا نقم عليه الصحابة أجمع؟ ولماذا قتلوا ذلك الزاهد الراغب العادل. (المؤلّف)

(٣) راجع الجزء الثامن: ص٢٨١، ٢٨٢. (المؤلّف)

النبيﷺ وبعد وفاته، وكان كثير الإنفاق، في نهاية الجود والسماحة والبذل في القريب والبعيد[١] وأنزل الله فيه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[٤].

وكان يخطب الناس وعليه إزار غليظ عدنيّ ثمنه أربعة دراهم[٥] وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته يأكل الخلّ والزيت. قال الحسن البصري: دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متّكئاً على ردائه فأتاه سقّاءان يختصمان إليه فقضى بينهما، / وعن ٢٤٩/٩
عبدالله بن شدّاد قال: رأيت عثمان ﷺ يوم الجمعة وهو يومئذٍ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم. وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان؟ قال: كان قطرياً. قالوا: كم ثمنه؟ قال: ثمانية دراهم. وكان ﷺ شديد التواضع، قال الحسن البصري: رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثمّ يجيء الرجل فيجلس إليه، فيجلس هو كأنّه أحدهم، وروى خيثمة قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين، وفي رواية أُخرى لخيثمة أيضاً: رأيت عثمان يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصاة في جنبه فيقول الناس: يا أمير المؤمنين، وكان يلي وضوءه في الليل بنفسه

---

(١) إلّا من كان يمتّ للبيت الهاشمي ويحمل ولاء العترة كأبي ذر وعمار وابن مسعود ونظرائهم. (المؤلّف)

(٢) مرّ في الجزء الثامن: ص٥٧ بطلان هذا التقوّل على الله. (المؤلّف)

(٣) أسلفنا في هذا الجزء في ترجمة عمّار القول الصحيح في نزول الآية. (المؤلّف)

(٤) مرّ في الجزء الثاني: ص٥١ نزولها في عليّ وحمزة وعبيدة بن الحرث. وأخرج البخاري في صحيحه في التفسير: ٩١/٧ [١٧٩٥/٤ ح٤٥٠٥] نزولها في أنس بن النضر، وذكر ابن حجر نزولها في جماعة ولم يذكر فيهم عثمان، راجع فتح الباري: ٤٢٠/٨ [٥١٨/٨]. (المؤلّف)

(٥) راجع ما رويناه في الجزء الثامن: ص٢٨٥. (المؤلّف)

فقيل له: لو أمرت بعض الخدم لكفوك، قال: لا، الليل لهم يستريحون فيه، وكان ﷺ يعتق في كلّ جمعة رقبة منذ أسلم إلّا أن لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعها في الجمعة الأخرى.

قال العلّامة ابن حجر في الصواعق[1]: إنّ جملة ما أعتقه عثمان ﷺ ألفان وأربعمئة. ومن تواضعه: أنّه كان يردف غلامه خلفه أيّام خلافته ولا يعيب ذلك، وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلّا هجعة من أوّله، وكان يختم القرآن كلّ ليلة في صلاته، وكان كثيراً ما يختمه في ركعة، وكان إذا مرّ على المقبرة يبكي حتى تبتلّ لحيته، وكان من العشرة المبشّرين بالجنّة، ومن أصحاب النبيّ ﷺ توفّي وهو عنهم راض، وكان من السابقين للإسلام، فإنّه أسلم بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة، وشهد له النبيّ ﷺ بالجنّة والزهد في الدنيا، فقد صحّ عنه ﷺ أنّه قال: رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك[2]. وكثرت الفتوحات في زمن خلافته فقد فتح في زمنه إفريقية وسواحل الأردن وسواحل الروم وإصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك، وكثرت أموال الصحابة في خلافته حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمئة ألف، ونخلة بألف، وعن الحسن البصري قال: كانت الأرزاق في زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيراً، وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاماً يصلح العسكر.

وأخرج أبويعلى[3]، عن جابر عن النبيّ، ﷺ قال: عثمان في الجنّة، وقال: لكلّ نبيّ خليل / في الجنّة وإنّ خليلي عثمان بن عفان. وفي رواية: لكلّ نبيٍّ رفيق في ٢٥٠/٩

---

(١) الصواعق المحرقة: ص ١١٢.

(٢) هل تؤيّد هذه الصحيحة المزعومة وما قبلها سيرة الرجل؟ ﴿ما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]. (المؤلّف)

(٣) مسند أبي يعلى: ٢٨/٢ ح ٦٦٥.

الجنّة ورفيقي فيها عثمان بن عفان. وقال ﷺ: ليدخلنّ بشفاعة عثمان سبعون ألفاً كلّهم استحقّوا النار الجنّة بغير حساب.

وأخرج أبويعلى عن أنس ﷺ: أوّل من هاجر إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال رسول الله ﷺ: صحبهما الله إنّ عثمان لأوّل من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوط[1]، ولمّا زوّج النبيّ ﷺ بنته أُمّ كلثوم لعثمان قال لها: إنّ بعلك لأشبه الناس بجدّك إبراهيم وأبيك محمد ﷺ. وقال ﷺ أشدّ أُمّتي حياءً عثمان بن عفان. وقال ﷺ: إنّ الله أوحى إليّ أن أزوّج كريمتيّ يعني رقيّة وأُمّ كلثوم من عثمان. وقال ﷺ: إنّ عثمان حيي تستحي منه الملائكة، وقال ﷺ: إنّما يشبّه عثمان بأبينا إبراهيم. وقال ﷺ: وما زوّجت عثمان بأُمّ كلثوم إلّا بوحي من السماء. وقال ﷺ لعثمان: يا عثمان هذا جبريل يخبرني أنّ الله زوّجك أُمّ كلثوم بمثل صداق رقيّة وعلى مثل صحبتها.

وأخرج الترمذي[2]، عن عبدالرحمن بن خبّاب، قال: شهدت النبيّ ﷺ وهو يحثّ على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله عليّ مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثمّ حضّ على الجيش فقال عثمان: يا رسول الله: عليّ ثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول: ما على عثمان ما فعل[3] بعد اليوم.

وعن عبدالرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العسرة فنثره في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يقلّبها ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم. وفي رواية عن حذيفة: إنّها عشرة آلاف دينار فجعل رسول الله ﷺ يقلّبها ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررتَ وما أعلنتَ وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما عمل بعدها.

---

(١) أُنظر: الجامع لأحكام القران: ٢٢٥/١٣، الدر المنثور: ٤٠٩/٦.

(٢) سنن الترمذي: ٥٨٤/٥ ح ٣٧٠٠.

(٣) في سنن الترمذي: ما عمل.

وأخرج الواحدي[١]: أنّ الله أنزل بسبب ذلك في حقّ عثمان: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُم أَجْرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُون﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: ارتقبت النبيّ ﷺ ليلة من أوّل الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول: اللّهمّ عثمان بن عفان رضيتُ عنه فارض عنه، فما زال رافعاً يديه حتى طلع الفجر. وعن جابر بن عطيّة قال: قال رسول الله ﷺ: غفر الله لك يا عثمان ما قدّمتَ وما أخّرتَ، وما أسررتَ وما أعلنتَ، وما أخفيتَ وما أبديتَ، وما هو كائن إلى يوم القيامة... إلخ.

٢٥١/٩ هذه بلايا تمنّتها يد الغلو في الفضائل، مُنيت بها الأُمّة، وطمست تحت أطباقها حقائق العلم والدين، وانطمست بها أنوار الهداية، وستعرف أنّها روايات مختلقة زيّفتها نظّارة التنقيب ولا يصحّ منها شيء، غير أنّ المفتي دحلان على مطمار[٢] قومه أرسلها إرسال المسلّم، وموّهها على أغرار الملأ الدينيّ، ولا يجد عن سردها منتدحاً، ذلك مبلغهم من العلم إن هم إلّا يَظُنّون، ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنهُ مَسؤُولا﴾[٣].

الفتنة الكبرى:

واقرأ صحيفة من الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين: قال في بدء كتابه[٤]: هذا حديث أُريد أن أخلصه للحقّ ما وسعني إخلاصه للحقّ وحده، وأن أتحرّى فيه الصواب ما استطعت إلى تحرّي الصواب سبيلا، وأن أحمل نفسي فيه على الإنصاف لا أحيد عنه ولا أمالئ فيه حزباً من أحزاب المسلمين على حزب، ولا أُشايع فيه

---

(١) أسباب النزول: ص٥٥.

(٢) يقال: جاء الرجل على مطمار أبيه أي جاء يشبهه في خلقه وخلُقه.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين ـ الفتنة الكبرى ـ: ج٤/١٩٩.

فريقاً من الذين اختصموا في قضيّة عثمان دون فريق، فلست عثمانيّ الهوى، ولست شيعة لعليّ، ولست أفكّر في هذه القضيّة كما كان يفكّر فيها الذين عاصروا عثمان واحتملوا معه ثقلها وجنوا معه أو بعده نتائجها.

وأنا أعلم أنّ الناس ما زالوا ينقسمون في أمر هذه القضيّة إلى الآن كما كانوا ينقسمون فيها أيّام عثمان؛ فمنهم العثمانيّ الذي لا يعدل بعثمان أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ بعد الشيخين، ومنهم الشيعيّ الذي لا يعدل بعليّ عليه السلام بعد النبيّ أحداً، لا يستثني الشيخين ولا يكاد يرجو لمكانهما وقاراً، ومنهم من يتردّد بين هذا وذاك، يقتصد في عثمانيّته شيئاً، أو يقتصد في تشيّعه لعليّ شيئاً، فيعرف لأصحاب النبيّ كلّهم مكانتهم، ويعرف لأصحاب السابقة منهم سابقتهم، ثم لا يفضّل بعد ذلك أحداً منهم على الآخر، يرى أنّهم جميعاً قد اجتهدوا ونصحوا لله ولرسوله وللمسلمين، فأخطأ منهم من أخطأ، وأصاب منهم من أصاب، ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنّهم لم يتعمّدوا خطيئة ولم يقصدوا إلى إساءة، وكلّ هؤلاء إنّما يرون آراءهم هذه يستمسكون بها ويذودون عنها ويتفانون في سبيلها، لأنّهم يفكّرون في هذه القضيّة تفكيراً دينيّاً، يصدرون فيه عن الإيمان، ويبتغون به ما يبتغي المؤمن من المحافظة على دينه والاستمساك بيقينه وابتغاء / رضوان الله بكلّ ما يعمل في ذلك أو يقول. ٢٥٢/٩

وأنا أُريد أن أنظر إلى هذه القضيّة نظرة خالصة مجرّدة لا تصدر عن عاطفة ولا هوى، ولا تتأثّر بالإيمان ولا بالدين، وإنّما هي نظرة المؤرّخ الذي يجرّد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات والعواطف والأهواء مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها...إلخ.

هكذا يحسب الدكتور ويبدي أنّه لا يروقه النزول على حكم العاطفة ولا التحيّز إلى فئة أو جنوح إلى مذهب، وقد تجرّد فيما كتب عن كلّ ذلك حتى عن الإيمان والدين، وزعم أنّه قصر نظرته في قضايا عثمان على البساطة ليتسنّى له الحكم

الطبيعي، والقول في تلكم الحوادث على الحقائق المحضة، هكذا يحسب الدكتور، لكنّه سرعان ما انقلب على عقبيه كرّاً على ما فرّ منه، فلم يسعه إلّا الركون إلى العواطف ومتابعة النزعات، فلم يرتد إلّا تلكم السفاسف التي اختلقتها سماسرة العثمانيين، ولم يسرح في مسيره إلّا مقيّداً بسلاسل أساطير الأوّلين التي سردها الطبري ومن شايعه أو سبقه بتلك الأسانيد الواهية والمتون المزيّفة التي أوقفناك عليها في هذا الجزء وفيما سبقه من الأجزاء، فلم نجد مائزاً بين هذا الكتاب وبين غيره من الكتب التي حسب الدكتور أنّ مؤلّفيها حدت بهم الميول والنزعات، فما هو إلّا فتنة كبرى كما سمّاه هو بذلك!

ترى الدكتور يحايد حذراً من أن يحيد عن مهيع الحقّ ويجور في الحكم، وزعم الحياد أسلم في اليوم الحاضر كما كان في الأمس الدابر، فذهب مذهب سعد بن أبي وقّاص الحائد في القضيّة واتّبع أثره، قال في ديباجة كتابه[1]: عاش قوم من أصحاب النبيّ حين حدثت هذه القضيّة وحين اختصم المسلمون حولها أعنف خصومة عرفها تاريخهم فلم يشاركوا فيها ولم يحتملوا من أعبائها قليلاً ولا كثيراً، وإنّما اعتزلوا المختصمين وفرّوا بدينهم إلى الله، وقال قائلهم سعد بن أبي وقّاص ﷺ: لا أُقاتل حتى تأتوني بسيف يعقل ويبصر وينطق فيقول: أصاب هذا وأخطأ ذاك.

فأنا أُريد أن أذهب مذهب سعد وأصحابه ﷺ، لا أُجادل عن أُولئك ولا عن هؤلاء، وإنّما أُحاول أن أتبيّن لنفسي وأُبيّن للناس الظروف التي دفعت أُولئك وهؤلاء إلى الفتنة، وما استتبعت من الخصومة العنيفة التي فرّقتهم وما زالت تفرّقهم إلى الآن، وستظلّ تفرّقهم في أكبر الظنّ إلى آخر الدهر، وسيرى الذين يقرؤون / هذا الحديث أنّ ٢٥٣/٩
الأمر كان أجلّ من عثمان وعليّ وممّن شايعهما وقام من دونهما، وأنّ غير عثمان لو ولي خلافة المسلمين في تلك الظروف التي وليها عثمان لتعرّض لمثل ما تعرّض له من

---

(١) الفتنة الكبرى: ٤/٢٠٠.

ضروب المحن والفتن، ومن اختصام الناس حوله واقتتالهم بعد ذلك فيه. انتهى.

هاهنا نجد الدكتور جارياً على ما عهد إلى نفسه تجرّد عن العواطف، وجانب المبادئ الدينيّة، وحايد الدين الحنيف حقّاً، ونظر إلى القضيّة بالحريّة المحضة، وحسبها فتنةً يحقّ للعاقل أن يكون فيها كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب، ونعم الرأي هذا لولا الإسلام المقدّس، لولا ما جاء به نبيّ العظمة، لولا ما نطق به كتاب الله العزيز، لولا ما تقتضيه فروض الإنسانيّة والعواطف البشريّة القاضية بخلاف ما ذهب إليه الدكتور، وإنّي لست أقضي العجب منه، ولست أدري كيف يُقدّس مذهب ابن أبي وقّاص؟ أيسوغ للباحث المسلم أن يصفح في تلكم القضايا عن حكم الدين المقدّس، ويشذّ عمّا قرّره نبيّ الإسلام، ويسحق العواطف كلّها حتى ما يستدعيه الطبع الإنساني والغريزة العادلة في كسح الفساد والتفاني دون صالح المجتمع العام؟ ألم يكن هنالك كتاب ناطق أو سنّة محكمة أو شريعة حاكمة أو عقل سليم يبعث الملأ الدينيّ إلى الدفاع عن كلّ مسلم مُدّت إليه يد الظلم والجور فضلاً عن خليفة الوقت الواجب طاعته؟

ما الذي أحوج المتمسّك بعرى الدين الحنيف إلى سيف يعقل ويبصر وينطق والله يقول: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[1]. ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِم ﴾[2]. ﴿ وَمَا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[3]؟

ما الذي أذهل الدكتور عن قول الصحابي العظيم حذيفة بن اليمان: لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك، إنّما الفتنة إذا اشتبه عليك الحقّ والباطل؟ وكيف يشتبه الحكم

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) العنكبوت: ٥١.

(٣) النحل: ٦٤.

في القضيّة على المسلم النابه وهي لا تخلو عن وجهين، فإنّ عثمان إن كان إماماً عادلاً قائماً بالقسط عاملاً بالكتاب والسنّة مرضيّاً عند الله، فالخروج عليه معلوم الحكم عند جميع فرق المسلمين لا يختلف فيه اثنان، ولا تشذّ فئة عن فئة، وإن لم يكن كذلك وكان كما حسبه أُولئك العدول من أصحاب محمد ﷺ، ومرّت آراؤهم ومعتقداتهم
٢٥٤/٩ فيه / فالحكم أيضاً بيّن مبرهن بالكتاب العزيز كما استدلّ بذلك الثائرون عليه لمّا قال لهم: لا تقتلوني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إسلامه أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها. فقالوا: إنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت: قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه، وقد بغيت، ومنعت الحقّ، وحلت دونه وكابرت عليه. الحديث. راجع (ص ٢٠٥).

فنحن لا نعرف وجهاً للحياد كما ذهب إليه ابن أبي وقّاص في القضيّة وفي المواقف الهائلة بعدها، فالحياد ـ وإن راق الدكتور ـ تقاعد عن حكم الله، وتقاعس عن الواجب الدينيّ، وخروج عمّا قرّرته الحنيفيّة البيضاء، نعم، الحياد حيلة أُولئك المتشاغبين المتقاعدين عن بيعة إمام المتّقين أمير المؤمنين، المتقاعسين عن نصرته، المتحايدين عن حكم الكتاب والسنّة في حروبه ومغازيه، وعذر تترّس به سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر وأبوهريرة وأبو موسى الأشعري ومحمد بن مسلمة السابقون الأوّلون من رجال الحياد الزائف، والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

كتاب: عثمان بن عفّان

واعطف على كتاب عثمان بن عفّان للمدرّس في كلّية اللغة العربيّة بمصر الأُستاذ صادق إبراهيم عرجون نظرة ممعنة حيث يقول في فاتحته: فهذا طراز من البحث في سيرة ثالث الراشدين عثمان ﷺ، صوّرت به حياته صورة لا أعيذها من

إجمال غير مجحف بحقّ، ولا أعضها عن تفصيل يظهر حجّة أو يدفع شبهة.

وقد احتفلت فيه بتحقيق ما احتفّ بهذه السيرة الأسيفة من عوامل اجتماعيّة وسياسيّة، دفعت المجتمع الإسلامي دفعاً عاصفاً إلى أخطر انقلاب عرفه التاريخ في الإسلام.

وسيرة عثمان ﷺ حريّة بالبحث الممحّص الهادئ، ليكشف منها ما سترته الأقاصيص العابثة من فضائل، وما شوّهته الروايات الغالطة من محاسن، ويصحّح ما غالطت فيه من حقائق، ويزيّف ما بهرجه المتقوّلون من أكاذيب مزوّرة وحكايات باطلة.

وقد حاولت جهدي أن أتتبّع الخطوط الأصيلة في حياة عثمان ﷺ، فلاءمت ٢٥٥/٩
بينها حتى ارتسمت منها هذه الصورة التي أرجو أن تكون لبنة بين لبنات متساندة في دراسة حياة رجالات الإسلام، وسير أبطاله الغرّ الميامين، تبصرة وذكرى للمؤمنين. والله وليّ التوفيق. انتهى.

ثمّ ألق نظرة أُخرى على مواضيع كتابه تجدها غير منطبقة على ما تقوّل في شيء منها، وإنّما هي نعرات طائفيّة ممقوتة، وفضائل مفتعلة دسّتها يد الغلو فيها، وسفاسف موضوعة حبّذت الشهوات اختلاقها. كلّل أساطير السلف بزخرف القول، وزخرف أباطيل الأوّلين بالبيان المزوّر، لم نجد له فحصاً عن حال الأسانيد، وتهافت المتون، وفقه الحديث، وطرق مواضيع مهمّة من فقه عثمان وأغاليطه وأحداثه وهو يروقه التفصّي عنها، فلم يتفصّ إلّا بالتافهات لا سيّما في المسائل الفقهيّة التي هو بمجنب عنها، فنحت لها أعذاراً باردة، أو أنّها أعظم من تلكم المآثم، فلنمرّ عليها كراماً.

وما ظنّك بكتاب يكون من مصادره كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ذلك المتحذلق المختلق، وكتاب الخضري ذلك الأمويّ المباهت، ومحاضرات كرد علي

العثماني الشامي المناوئ لأهل بيت الوحي، وأمثال هذه من كتب السلف والخلف ممّا لا يعرّج عليه؟ وفيه الخلط والخبط، وضوضاء الدجّالين، ولغط المستأجرين.

ومن أعجب ما رأيت قوله في (ص ٤١) من الكتاب تحت عنوان: الكذب على رسول الله: وفي هذه المرحلة من تاريخ الإسلام بُدئت أكاذيب الفرق والأحزاب فيما يكيد به بعضها لبعض، حتى أخذت تلك الأكاذيب صورة الحجاج بأحاديث يتقوّلها زعماء الفرق ورؤساء الأحزاب على سيّدنا رسول الله ﷺ، وقد كثر من هذه الأكاذيب ما زعموه كان في حقّ الأئمّة والخلفاء، وقالت كلّ شيعة فيمن شايعته وفي منافسيه عندها ما شاء لها الهوى، وتجاذب هذا النوع طرفي الإفراط والتفريط مدحاً وذمّاً، واختلاقاً وتقوّلا، حتى غشّى سير هؤلاء الأجلّاء بغشاء من الغموض حجب الحقائق عن كثير من الناظرين.

وليس بأقلّ خطراً من ذلك ما اقترفوه في جنب القرآن الكريم من تأويلات محرّفة لآيات الله تعالى عن مواضعها، ومن هنا وهناك تألّفت سلسلة الموضوعات والخرافات والأساطير التي ابتلي بها المسلمون، وانتشرت بينهم التلبيسات الملتوية ٢٥٦/٩
والشُّبَه الغامضة، فشوّهت جمال الشريعة المطهّرة، وحُشي بها كثير من كتب المؤلّفين المتقدّمين والمتأخرين، حتى أصبحت وبالاً على الدين، وشرّاً على المسلمين، وحائلاً دون نهضتهم وتقدّمهم، وسلاحاً في أيدي خصوم الإسلام، وعائقاً عن الوصول إلى كثير من الحقائق التاريخيّة والعلميّة والدينيّة، ولولا توفيق الله تعالى رحمةً بهذه الأُمّة، ورعاية لهذا الدين الكريم، لطائفة من أئمّة المسلمين المصطفين الأخيار، انتهضوا لنقد الأسانيد وتنقيح الروايات، وبهرجة الزائف منها، وحظر الرواية عن كلّ صاحب بدعة في الإسلام، لما بقيت للإسلام صورته النيّرة التي جاء بها القرآن الحكيم، وأدّاها رسول الله ﷺ إلى أصحابه نقيّة صافية. انتهى.

هذه نفثات الأُستاذ الصادق، وهذه حسراته وزفراته المتصاعدة وراء ضياع التاريخ الإسلامي، وراء طمس الحقائق تحت أطباق الظلمات، وراء تشويه الأساطير

والمخاريق والأباطيل جمال الشريعة المطهّرة، ولعمر الحقّ لقد أحسن وأجاد، والرائد لا يكذب، غير أنّ المسكين هو من أُسراء تلكم السلاسل المتسلسلة من الموضوعات والخرافات التي أُبتلي بها المسلمون، وعاقته الأغشية المدلهمّة عن الوصول إلى الحقائق التاريخيّة والعلميّة والدينيّة، وثبّطته التلبيسات الملتوية عن نيل الصحيح الناصع من التاريخ والحديث، فما أصاب من الحقّ نيلاً، وما أسعفته فكرته هذه على الطامّات ولا قدر شعرة، وما أوضحت له سبل النجاح، وما هدته إلى المهيع اللائح، فليته ثمّ ليته كان يأخذ بأقوال أُولئك الأئمّة المصطفين الأخيار في نقد الأسانيد في الجرح والتعديل، وكان يعمل بها ويتّخذها دستوراً لنفسه، مقياساً فيما سطره من الأكاذيب والأفائك، وليته كان يرحم هذه الأُمّة، ويرعى هذا الدين الكريم مثلما هم رحموا ورعوا، وما زرّف[1] في تأليفه، وما أعاد لأساطير الأوّلين الخلقة جدّتها بعد ألف وثلاثمئة عامٍ من عمرها.

وهل هو بعدما وقف على هذا الجزء ووجد كتابه مؤلّفاً من سلسلة بلايا وحلقة أباطيل زيّفها أُولئك الأئمّة الذين هو اصطفاهم واختارهم وأثنى عليهم يقرع سنّ الندم ويتّبع سنن الحقّ اللاحب؟ أو أنّه يلج فيما سوّد به صحائف كتابه أو صحيفة تاريخه ويتمادى في غيّه وليّه؟ وما التوفيق إلّا بالله.

كتاب: إنصاف عثمان

تأليف الأُستاذ محمد أحمد جاد المولى بك:

٢٥٧/٩ هذا الكتاب أخدع من السراب، صفر من شواهد الإنصاف، شرجه الأُستاذ من سلسلة أخبار مدسوسة وروايات مختلقة، وإن درس هو بزعمه تاريخ عثمان دراسة الحذر منها فقال في ديباجته (ص٤): درسنا تاريخ عثمان وعصره والثورة عليه دراسة الحذر من الأخبار المدسوسة، اليقظ لمواطن العبرة، المرجع كلّ حدث إلى

---

(١) يقال: زرّف في الحديث إذا زاد فيه.

بواعثه الأصليّة وإن رانت عليها الشبهات.

ولم نكتف بما قال المؤرخون، بل مددنا بصرنا إلى أبعد من ذلك، فحلّلنا شخصيّته، وبيّنا ما لها من صلة بالثورة عليه، ودرسنا حال المسلمين وقد نعموا بالراحة والثراء وانساحوا في الأصقاع يخالطون الأعاجم ويصهرون إليهم ويتخلّقون بعاداتهم، وحال قريش وما انتابها من تفرّق وتنازع على الرئاسة، وبيّنا صلة ذلك بالتجنّي على الخليفة، وجلونا الفتنة التي أرّثها في الأمصار أعداء عثمان وأعداء الإسلام، ونخلنا ذلك كله وصفّيناه، واستخلصنا منه الأسباب الصريحة للفتنة.

ولم نغفل أن نعرض لما أُخذ على عثمان، ولا أن ننتصف له حيث يستحقّ الإنصاف.

ومن حقّ عثمان أن تُخصّص لدراسته ودراسة عصره عشرات الكتب، فإنّه الخليفة المهضوم الحقّ، المظلوم في الحكم عليه، على ما له من سابقة وفضل وإصلاحات، وعصره عصر انتقال واضطراب وثورات سياسيّة واجتماعيّة.

ونحن وإن بالغنا في الإحاطة وتوقّي الزلل عرضة للتقصير، ولكنّا اجتهدنا رأينا، فنرجو أن نكون قد وُفّقنا لإبراز صورة واضحة لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين ففيها عظات وعبر. والله المستعان. انتهى.

هذه لُفاظته، وهذا حسن طويّته وحرصه على النجاح، غير أنّك تجده في جمعه وتأليفه كحاطب ليل رزم في حزمته كلّ رطب ويابس، وجاء يخبط خبط عشواء من دون أيّ فحص وتنقيب، لا يفقه ولا ينقه، لا يستصحب دراية في الحديث توقفه على الصحيح الثابت، وتعرّفه الزائف البهرج، ولا بصيرة تميّز له الحوّ من اللوّ[1]، ولا علماً ناجعاً يجعجعه ويهديه إلى الفوز والنجاح، ولا فقهاً ينجيه من غمرات تلكم المعارك ٢٥٨/٩
الوبيلة، ولا تثبّتاً يُرشده إلى ما يُنقذه من تلكم التلبيسات الملتويه، جوّل في مضمار تلكم الطامّات التي جاء بها الطبري وغيره وحسبها أصولاً مُسلّمة، واستند في آرائه

---

(١) أي: لايعرف الحقّ من الباطل.

إلى فضائل مفتعلة نتاج أيدي الأمويّين نسباً ونزعة، ومن المأسوف عليه جدّاً أنّه أكدى وإن اجتهد رأيه، ولم يظفر بأمله وإن بالغ في الإحاطة بزعمه، وأبرز لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين صورة معقّدة معضلةً تخلو عن كلّ عظة وعبرة.

بسط القول في عبدالله بن سبأ وعزا إليه كل تلكم المعامع والثورات، وحسبه مادّة الفكرة الناقمة على الخليفة وأساسها الوحيد في البلاد، ورأى معظم الصحابة أتباع نعرات ذلك المبتدع الغاشم، وطوع تلبيس ذلك اليهوديّ المهتوك.

قال في (ص٤٢): عند ذلك يجد ابن سبأ منفذاً إلى هذا الشيخ الزاهد ـ يعني أباذر ـ في عرض الدنيا فينشر آراءه في مجلسه ويغريه بالحكومة ويحرّضه على الأغنياء، وصار يقول له: يا أباذر ألا تعجب لمعاوية يقول: المال مال الله، ألا كلّ شيء لله؟ كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين. ظلّ أبوذر يدعو إلى الاشتراكيّة المتطرّفة بإرغام الأغنياء أن يساعدوا الفقراء ويتركوا أموالهم لهم، واتّخذ برّ الإسلام بالفقراء سبيلاً إلى ذهاب المال من أربابه، وما قصد الإسلام هذا بل كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالمَحرُومِ﴾[1]. زيادة على الزكاة الشرعيّة. إلخ.

وقال في (ص٦١): أمّا عمّار فقد توجّه إلى مصر وكان حاكمها مُبغَضاً من المصريّين لا يجدون حرجاً في رميه بكلّ نقيصة، واستطاع أتباع ابن سبأ بحذقهم ومهارتهم في ذلك المكفهر أن يخدعوه بزخرف القول وزوره، وكان مع هذا في نفس عمّار شيء من عثمان لأنّه نفّذ فيه حكم الله لمّا تقاذف هو والعبّاس بن عتبة بن أبي لهب، ولهذا لم يعد إلى الخليفة، ولم يطلعه على شيء ممّا رأى، ومال إلى اتباع ابن سبأ. انتهى.

هذه صفحة من تلك الصورة الواضحة التي وفّق الأُستاذ لإبرازها، هذه هي

---

(١) المعارج: ٢٤ ـ ٢٥.

الغاية المتوخّاة التي بزعمه فيها عظات وعبر، هل يدري القارئ عن أيّ أبي ذر وعمّار يحدّث هذا الثرثار المجازف حتى لا يبالي بما يقول ولا يكترث لما أسرف فيهما من القول؟ ولست أدري لماذا اقتحم الرجل في هذه الأبحاث الغامضة الخطرة التي يتيه فيها الناقد البصير؟ لماذا اقتحم فيها مع ضؤولة رأيه وجهله بأحوال الرجال ومقادير أفذاذ الأُمّة، وعدم عرفانه نفسيّات خيرة البشر وصلحاء الصحابة ومبلغهم من الدين؟ لماذا اقتحم فيها مع بعده عن دراية الحديث، وعلم الدين، وفقه التاريخ؟ ٢٥٩/٩

تراه تشزّر وتعبّأ للدفاع عمّن شغفه حبّه بكل ما تيسّر له ولو بالوقيعة في عدول الصحابة أو في الصحابة العدول، وقد بيّنّا في الجزء الثامن (ص٣٤٩) حديث الرجل في أبي ذر وأنّه موضوع عنعنه أُناس لا يعوّل عليهم عند مهرة الفنّ، وفصّلنا القول في هذا الجزء في حديث عمّار وأنّه قطّ لم يتوجّه إلى مصر، وأنّ ما ركن إليه الأُستاذ لا يصحّ إسناده، ونحاشي عمّاراً عن أن يحمل ضغينة على أحد لإنفاذه حكم الله فيه، وهل الأُستاذ طبّق المفصل في رأيه هذا وبين يديه الذكر الحكيم وآيه النازلة في عمّار؟ وفي صفحات الكتب قول رسول الله ﷺ: «ملئ عمّار إيماناً إلى أخمص قدميه». وقوله: «إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار». وقوله: «ما خُيّر عمّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما» إلى أحاديث أُخرى مرّت في هذا الجزء (ص٢٠ ـ ٢٨) تضادّ تلكم الخزعبلات.

وللأستاذ في تبرير الخليفة كلمات ضخمة موجزة في طيّها دسائس مطمورة، وتمويه على الحقائق التاريخية، يتلقّاها الدهماء بالقبول ولا يرى عن الصفح عنها مندوحة قال في (ص٣٥): من المسلّم به أنّ الوليد هذا عُيّن سنة (٢٥) هجرية وهي السنة الأُولى من حكم عثمان، وقد أجمع الناقدون والمؤرّخون على أنّه لم يقع منه خلال الستّ سنوات الأُولى ما يسوّغ توجيه النقد إليه، إذ كانوا يرون رائده تحرّي المصلحة العامة، وإسناد المناصب إلى الجديرين بها لا فرق بين قريب وبعيد. انتهى.

دعوى الإجماع والاتّفاق والإصفاق المكذوبة سيرة مطّردة عند القوم جيلاً بعد

جيل سلفاً وخلفاً، وكتب الفقة والكلام والحديث والتاريخ مشحونة بهذه السيرة المقوتة، ومن أمعن النظر فيكتاب المحلّى لابن حزم، وكتابه الفصل في الملل والنحل، ومنهاج السنّة لابن تيميّة، والبداية والنهاية لابن كثير، يجد مئات من الإجماعات المدّعاة المشمرجة، والأُستاذ اقتفى أثر أُولئك الأمناء على ودائع العلم والدين وحذا حذوهم، كأنّه لم يكُ يحسب أن يأتي عليه يوم يناقشه قلم التنقيب الحساب، أو أنّه غير مكترث / لأيّ تبعة ومغبّة. ٢٦٠/٩

أنّى من المتسالم عليه تولية الوليد سنة (٢٥)؟ وإن هو إلّا قول سيف بن عمر كما نصّ عليه الطبري في تاريخه[١] (٤٧/٧) وزيّفه، وعزاه ابن الأثير في الكامل[٢] إلى البعض، وقد عرّفناك سيفاً في الجزء الثامن (ص٨٤) وأنّه: ضعيف متروك، ساقط، وضّاع، اتّهم بالزندقة، فالمعتمد عند المؤرّخين أنّ تولية الوليد كانت سنة (٢٦).

ثمّ أنّى يصحّ كون السنة الـ(٢٥) هي السنة الأُولى من حكم عثمان؟ وإنّما توفّي عمر في أواخر ذي الحجّة سنة (٢٣) وبويع عثمان بعد ثلاثة أيّام من موت عمر، فالسنة الأُولى من حكم عثمان هي (٢٤).

وأين وأنّى يسع لناقد أو مؤرّخ فضلاً عن إجماع الناقدين والمؤرّخين أن يحسب صفو الجوّ من بوائق عثمان وبوادره ونوادره خلال الستّ سنوات الأُولى، وهذه صفحات تاريخه في تلكم السنين مسودّة بهنات وهنات؟ بل التاريخ سجّل له من أوّل يوم تسنّم عرش الخلافة، وقام نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، صرعة وعثرةً لا تُستقال، منها:

١ ـ أبطل القصاص لمّا استُخلف ولم يقد عبيد الله بن عمر وقد أتى عظيماً وقتل الهرمزان والجفينة وابنة أبي لؤلؤة، وأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٢٥١/٤ حوادث سنة ٢٦هـ.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٣٠/٢ حوادث سنة ٢٦هـ.

يشجّعون عثمان على قتل ابن عمر أخذاً بالكتاب والسنّة، غير أنّ عمرو بن العاص فتلهُ عن رأيه، فذهب دم أُولئك الأبرياء هدراً. وكانت أوّل قارورة كُسرت في الإسلام بيد عثمان يوم ولي الأمر.

٢ ـ لمّا استخلف صعد المنبر وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول‌الله ﷺ ولم يجلس أبو بكر وعمر فيه، وجلس أبو بكر دونه بمرقاة، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة، فتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ[1].

٣ ـ ردّ الحكم بن أبي العاص طريد النبيّ الأقدس ولعينه إلى المدينة لمّا ولي الخلافة، وبقي فيها حتى لعق لسانه، وهذا الإيواء ممّا نُقم به على عثمان كما مرّ حديثه في (٢٤٢/٨، ٢٥٤، ٢٥٨).

٤ ـ ولّى الوليد بن عقبة سنة (٢٥ ـ ٢٦) وعزل سعد بن أبي وقّاص أحد العشرة المبشّرة، وكان هذا في طليعة ما نقموا على عثمان[2] ثمّ وقع ما وقع من الوليد من شرب الخمر وتقاعد الخليفة عن حدّه. راجع الجزء الثامن (ص ١٢٠ ـ ١٢٥). ٢٦١/٩

٥ ـ هبته الوليد ما استقرض عبدالله بن مسعود من مال المسلمين لمّا قدم الوليد الكوفة وكان ابن مسعود على بيت المال، حتى نقم الخليفة على ابن مسعود وعزله وحبس عطاءه أربع سنين إلى أن مات سنة (٣٢) وجرى بينه وبين الخليفة ما مرّ حديثه في هذا الجزء، وهذا ممّا أخذت الأُمّة خليفتهم به.

٦ ـ زاد الأذان الثالث في أوليات خلافته كما في تاريخ ابن كثير، وقد فصّلنا القول في أُحدوثته هذه في الجزء الثامن (ص ١٢٥ ـ ١٢٨).

٧ ـ وسّع المسجد الحرام سنة (٢٦) وابتاع من قوم منازلهم، وأبىٰ آخرون فهدم

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٤٠/٢ [١٦٢/٢]، تاريخ ابن كثير: ١٤٨/٧ [١٦٧/٧ حوادث سنة ٢٥هـ]. (المؤلّف)

(٢) دول الإسلام: ٩/١ [ص١٣]، البداية والنهاية: ١٥١/٢ [١٦٩/٧ حوادث سنة ٢٥هـ]. (المؤلّف)

عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال: ما جرّأكم عليّ إلّا حلمي .راجع الجزء الثامن (ص١٢٩).

٨ ـ أعطى خُمس الغنائم في غزوة إفريقية الثانية مروان بن الحكم وهو من عمدة مآثم الخليفة، وكان ذلك سنة(٢٧) من الهجرة الشريفة. راجع (٢٥٧/٨ ـ ٢٦٠).

٩ ـ حجّ سنة (٢٩) وأتمّ الصلاة في مكان القصر في عامه هذا كما في تاريخ ابن كثير[1] (١٥٤/٧)، وهذه الأُحدوثة مرّت على تفصيلها في (٩٨/٨ ـ ١١٩).

١٠ ـ أعطى خُمس إفريقية عبدالله بن سعد بن أبي سرح في غزوتها الأُولى. راجع الجزء الثامن (ص٢٧٩).

إلى بوادر وعثرات أُخرى صدرت من الخليفة خلال الست سنوات الأُولى كل منها يسوّغ توجيه النقد إليه، وكان من أوّل يومه مهما قرع سمعه نقد ناقد أو نصح ناصح لا يصيخ إليه، بل كان يؤاخذ من أغمز فيه، ويسومه سوء العذاب، وكان يُلقي العرى إلى بني أُميّة في البلاد، ويفوّض إليهم مقاليد الأُمور، ويحسبه العلاج الوحيد في حلّ تلكم المشاكل، وتقصير خُطى أُولئك الناقدين الآمرين بالمعروف والناهين / عن ٢٦٢/٩
المنكر، حتى تمخّضت عليه البلاد ووعرت القلوب، واتّسع الخرق على الراقع.

وفي ظنّي الغالب أنّ تقدّم ثقافة مصر اليوم هو الذي بعث أساتذتها إلى الإكثار في التأليف حول عثمان وتدعيم فضائله وفواضله، وشططوا في إطرائه وبالغوا في الذبّ عنه بتنفيق الكلام وتزويره، وتسطير الحدد من القول، وسرد المبوّق النهرج، وذلك روماً لتقديس ساحتهم عمّا اقترفته أيدي سلفهم الثائر المتجمهر على الخليفة، إذ حسبوه وصمةً شوّهت سمعة الخلف منهم والسلف، وسوّدت صحيفة تاريخ مصر والمصريّين، فهل يتأتّى أمل الخلف بهذه الكتيبات المزخرفة؟ لعلّه يتأتّى مثلما رام

---

١١) تاريخ ابن كثير: ١٧٣/٧ حوادث سنة ٢٩هـ.

السلف تحقّق توبتهم بالحوبة ﴿ لَا يَعلَمُونَ الكِتَابَ إلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1].

نظرة في كتب أُخرى:

وقس على هذه الكتب كتاب تاريخ الخلفاء تأليف الأُستاذ عبد الوهاب النجّار المشحونة صفحاته بمرمّعات[2] الرواية وسقطات التاريخ، وكتاب عثمان للأستاذ عمر أبي نصر، ليس فيه إلّا إعادة لما سبق إليه الشيخ محمد الخضري من نفسيّاته الأمويّة جدّتها، فما ينقمه الباحث من مواضيع جار فيها بهرجه اللاحق في كتابه.

وكتاب تاريخ الخلفاء الراشدين للأستاذ السيّد علي فكري وهو الجزء الثالث من كتابه أحسن القصص وهذا أهدأ ما أُلف في الموضوع، ينمّ عن سلامة نفس المؤلّف ونزاهة قلمه، وهو وإن ألّفه من تلكم السلاسل الوبيلة من الموضوعات، غير أنّه لا يتطرّق إلى الأبحاث الخطرة، ولا يقتحم المعارك المدلهمّة، ممّا نُقم به على الخليفة من الطامّات والأحداث، وما قيل في براءته عن لوثها، وكأنّه ترجم لخليفة خضعت الرقاب لعظمته، وتسالمت الأُمّة عليه من جميع نواحيه، ولم يطرق سمعه ما هنالك من حوار وأخذ وردّ، ونقد ودفاع، وكأنّ ما سطّره في فضل الخليفة، وكرم طباعه، وسلامة نفسه، أُصول موضوعة لا يتوجّه إليها غمز ولا انتقاد، وستعرف حالها ومحلّها من الاعتبار، فلا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه.

ذكر السيّد الأُستاذ ما جاء في مناقب عثمان من الحديث المختلق من دون أيّ بحث وتنقيب، من دون أيّ نقض وإبرام، إلى أن تخلّص من البحث عنه بقوله في (ص١٦٣): / بعد أن فتح المسلمون تلك الأقاليم واطمأنّوا وكثرت عندهم الخيرات والأموال، أخذوا ينقمون على الخليفة حيث رأى من الصالح للأُمّة عزل بعض الولاة ٢٦٣/٩

---

(١) البقرة: ٧٨.

(٢) يقال: دعه يترمّع في طمّته، أي: يتسكع في ضلالته.

فعزلهم، وولّى من فيه الكفاية من أقاربه وذوي رحمه، فظنّ الناس به ظنوناً هو بريء منها، وفشت الفتنة واستفحل أمرها، حتى ظهرت وفود من الكوفة والبصرة ومصر في وقت واحد طالبين تولية غير عثمان، أو عزل من ولّاهم على الأمصار.

وأخيراً استقرّ الحال على إجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العمّال، وعلى ذلك اختار أهل مصر أن يولّى عليهم محمد بن أبي بكر الصدّيق، فكتب عثمان لهم بذلك عهداً ورحلوا من المدينة مع واليهم الجديد، وبينما هم ذاهبون رأوا عبداً من عبيد الخليفة على راحلة من إبله يستحثّها فأوقفوه وفتّشوه، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة لعبد الله بن أبي سرح مضمونه: إذا قدم عليك ابن أبي بكر ومن معه فاحتل في قتلهم.

فأخذوا الكتاب ورجعوا إلى المدينة، وأطلعوا الخليفة عليه فأقسم لهم أنّه ما فعل ولا أمر ولا علم فقالوا: هذا أشدّ، يؤخذ خاتمك، وبعير من إبلك، وعبد من عبيدك وأنت لا تعلم! ما أنت إلّا مغلوب على أمرك، فطلبوا منه الاعتزال أو تسليم الكاتب فأبى، فأجمعوا على محاصرته، فحاصروه في داره ومنعوا عنه الزاد والماء أيّاماً عديدة، وهاجت الثوّار، وكثر القيل والقال، فطلب منه بعض الصحابة الإذن بالمدافعة عنه فلم يقبل، ولم يأذن لأحد حتى إنّه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه: من أغمد منكم سيفه فهو حرّ. استسلاماً للقضاء فتسلّق بعض الأشرار الدار، ودخلوا عليه وقتلوه، والمصحف بين يديه يتلو فيه سورة البقرة فنزلت قطرة من دمه على: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾. وكان يومئذٍ صائماً. انتهى.

ولعلّ الأُستاذ بعد الوقوف على هذا الجزء من كتابنا ينتبه لمواقع النظر في تأليفه فيميّز الحيّ من الليّ، ويعرف الصحيح من المعلول، ويتّبع الحقّ والحقّ أحقّ أن يُتّبع.

وفي مقدّم هؤلاء الأساتذة أُستاذ تاريخ الأُمم الإسلاميّة بالجامعة المصريّة ووكيل مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد الخضري صاحب المحاضرات، وقد

٢٦٤/٩ قدّمنا في / الجزء الثالث (ص٢٤٩ ـ ٢٦٥) شيئاً ممّا يرجع إليه وإلى كتابه، وعرّفناك موقفه من الدجل والجناية على التاريخ الصحيح، وبُعده عن أدب الدين، عن أدب العلم، عن أدب الإنسانيّة، وأنّ كتابه علبة السفاسف، وعيبة السقطات، وصحائفه مشحونة بالأكاذيب والأفائك والنسب المفتعلة، والآراء الساقطة، فإن كان الإسلام هذا تاريخه فعلى الإسلام السلام.

عهد النبيّ الأقدس ﷺ إلى عثمان

١ ـ أخرج إمام الحنابلة أحمد في المسند[1] (٨٦/٦، ١٤٩)، قال: حدّثنا أبو المغيرة الحمصي، حدّثنا الوليد بن سليمان الدمشقي، حدّثني ربيعة بن يزيد الدمشقي، عن عبدالله بن عامر الدمشقي، عن النعمان بن بشير ـ قاضي دمشق ـ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلمّا رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمته أن ضرب منكبه وقال: يا عثمان إنّ الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني. ثلاثاً. فقلت لها: يا أُمّ المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله، ما ذكرته. قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أُمّ المؤمنين: أن اكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاباً.

رجال الإسناد كلّهم شاميّون عثمانيّون، وفي مقدّمهم النعمان بن بشير الخارج على إمام زمانه ومحاربه تحت راية الفئة الباغية، وجاء فيه عن قيس بن سعد الأنصاري الصحابيّ العظيم أنّه ضالّ مضلّ. ومتن الرواية كما يأتي بيانه يكذّب نفسها.

٢ ـ أخرج أحمد في المسند[2] (١١٤/٦)، من طريق محمد بن كناسة الأسدي

---

(١) مسند أحمد: ١٢٦/٧ ح٢٤٠٤٥ و ٢١٤ ح٢٤٦٣٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٦٥ ح٢٤٣١٦.

أبي يحيى ، عن إسحاق بن سعيد الأموي ـ حفيد العاص ـ، عن أبيه سعيد ـ ابن عمّ عثمان الذي كان بدمشق ـ، قال: بلغني أنّ عائشة قالت: ما استمعت على رسول الله إلا مرّة فإنّ عثمان جاءه في نحر الظهيرة فظننت أنّه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول: إنّ الله ملبسك قميصاً تريدك أُمّتي على خلعه فلا تخلعه، فلمّا رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلّا خلعه علمت أنّه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه.

عمد رجال الإسناد أُمويّون أبناء بيت عثمان بني أبيه، ينتهي إلى عائشة وقد ٢٦٥/٩
أوقفناك على حديثها في هذا الجزء، وهو مع ذلك مرسل لا يُعلم من بلّغه سعيد بن العاص ولعلّه أحد الكذّابين الوضّاعين.

٣ ـ أخرج الطبراني[١]، عن مطلب بن شعيب الأزدي، عن عبدالله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف، قال: كنّا عند شفى الأصبحي، فقال: حدّثنا عبدالله بن عمر قال: التفت رسول الله، فقال: يا عثمان إنّ الله كساك قميصاً فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه، فوالله لئن خلعته لا ترى الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط.

ذكره ابن كثير في تاريخه[٢] (٢٠٨/٧) فقال: وقد رواه أبو يعلى من طريق عبدالله بن عمر عن أُخته حفصة أُمّ المؤمنين. وفي سياق متنه غرابة والله أعلم.

رجال الإسناد:

١ ـ عبدالله بن صالح أبو صالح المصري كاتب الليث، قال أحمد[٣]: كان أوّل

---

(١) المعجم الأوسط: ٣٩٨/٣ ح ٢٨٥٤.

(٢) البداية والنهاية: ٢٣٣/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٣) العلل ومعرفة الرجال: ٢١٣/٣ رقم ٤٩١٩.

أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشيء. وقال عبدالله بن أحمد: سمعت أبي ذكره يوماً فذمّه وكرهه. وقال صالح بن محمد: كان ابن مَعِين يوثقه، وعندي أنّه كان يكذب في الحديث. وقال ابن المديني: ضربت على حديثه وما أروي عنه شيئاً. وقال أحمد بن صالح: متّهم ليس بشيء. وقال النسائي[١]: ليس بثقة، وقال أبو زُرعة: كذّاب. وقال أبو حاتم[٢]: الأحاديث التي أخرجها أبو صالح في آخر عمره فأنكروها عليه أرى أنّ هذا ممّا افتعل خالد بن نجيح، وكان أبو صالح يصحبه... إلخ. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن حبّان[٣]: منكر الحديث جدّاً يروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات، وكان صدوقاً في نفسه وإنّما وقعت المناكير فيحديثه من قبل جار له كان يضع الحديث على شيخ عبدالله بن صالح، ويكتب بخطّ يشبه خطّ عبدالله، ويرميه في داره بين كتبه، فيتوهّم عبدالله أنّه خطّه فيحدّث به.

تهذيب التهذيب[٤] (٥/٢٥٦ ـ ٢٦٠).

٢ ـ سعيد بن أبي هلال المصري، قال أحمد: ما أدري أيّ شيء يخلط في الأحاديث. وقال ابن حزم: ليس بالقوي. وقال ابن حجر: لعلّه اعتمد على قول الإمام أحمد فيه.

تهذيب التهذيب[٥] (٤/٩٥).

٢٦٦/٩ ٣ ـ ربيعة بن سيف الإسكندراني، قال ابن حبّان[٦]: يُخطئ كثيراً. وقال ابن يونس: في حديثه مناكير. وقال البخاري[٧]: روى أحاديث لا يُتابَع عليها. وقال

---

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٤٩ رقم٣٥١.

(٢) الجرح والتعديل: ٥/٨٧ رقم٣٩٨.

(٣) كتاب المجروحين: ٢/٤٠.

(٤) تهذيب التهذيب: ٥/٢٢٥.

(٥) المصدر السابق: ٤/٨٣.

(٦) الثقات: ٦/٣٠١.

(٧) التاريخ الكبير: ٣/٢٩٠ رقم٩٨٧ وفيه: عنده مناكير.

النسائي: ضعيف.

تهذيب التهذيب[١] (٢٥٦/٣).

٤ ـ أخرج أحمد[٢]؛ من طريق سنان بن هارون، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: يُقتل فيها هذا المقنّع يومئذٍ مظلوماً. فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان.

تاريخ ابن كثير[٣] (٢٠٨/٧).

سنان بن هارون: كوفي، قال النسائي: ضعيف. وقال الساجي: ضعيف منكر الأحاديث. وقال ابن حبّان[٤]: منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير[٥]، وكليب بن وائل ضعّفه أبو زُرعة كما في تهذيب التهذيب[٦] (٤٤٧/٨).

٥ ـ أخرج أحمد في المسند[٧] (٣٤٥/٢) من طريق موسى بن عقبة، قال: حدّثني جدّي أبو أُمّي أبو حبيبة أنّه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنّه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً ـ أو قال: اختلافاً وفتنة ـ، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك. وذكره ابن كثير في تاريخه[٨] (٢٠٩/٧) فقال:

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢٢١/٣.

(٢) مسند أحمد: ٢٦١/٢ ح٥٩١٧.

(٣) البداية والنهاية: ٢٣٤/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٤) كتاب المجروحين ٣٥٤/١.

(٥) تهذيب التهذيب: ٢٤٣/٤ [٢١٣/٤]. (المؤلّف)

(٦) المصدر السابق: ٤٠١/٨.

(٧) مسند أحمد: ١٨/٣ ح٨٣٣٦.

(٨) البداية والنهاية: ٢٣٤/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

تفرّد به أحمد وإسناده جيّد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

نحن لا نعرف جودة هذا الإسناد وحسنه وفيه جدّ أُم موسى وهو نكرة لا يُعرف ولا يوجد له قطّ ذكر في المعاجم. وهل من المعقول عزو هذه الرواية إلى رسول الله ﷺ وهو جدّ عليم بأنّ أصحاب عثمان هم مروان ومن يشاكله في العيث والفساد حشوة بني أُميّة، حثالة أُمّته ﷺ؟ أفمن الجائز أن يوصي رسول الله ﷺ أُمّته باتّباع أُولئك الخابلين خلاف وجوه صحابته وعدولهم المتجمهرين على عثمان؟ حاشا نبيّ العظمة عن هذه الأفانك.

٦ ـ أخرج الترمذي[١]: عن طريق سعيد الجريري[٢]، عن عبدالله بن شقيق، عن عبدالله / بن حوالة، قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنت وفتنة تكون في أقطار ٢٦٧/٩
الأرض؟ قلت: ما خار الله لي ورسوله. قال: اتبع هذا الرجل فإنّه يومئذ ومن اتّبعه على الحقّ قال: فاتّبعته، فأخذت بمنكبه ففتلته، فقلت: هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم. فإذا هو عثمان بن عفّان.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأخرجه أحمد في المسند[٣] (١٠٩/٤)، من طريق سعيد الجريري، بالإسناد المذكور ولفظه: كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنّها صياصي بقر[٤]؟ قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله، قال: وكيف تفعل في أُخرى تخرج بعدها كأنّ الأولى فيها انتفاحة أرنب؟ قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله، قال: اتّبعوا هذا. قال: ورجل مقفّ حينئذٍ، قال: فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هذا؟ قال: نعم. قال: وإذا هو عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

قال الأميني: ستوافيك ترجمة سعيد الجريري في حديث (٢٥) من مناقب عثمان

---

(١) سنن الترمذي: ٥٨٦/٥ ح ٣٧٠٤.

(٢) زاد ابن كثير [٢٣٥/٧ حوادث سنة ٣٥هـ] هاهنا في الإسناد: عبدالله بن سفيان. (المؤلّف)

(٣) مسند أحمد: ٨٢/٥ ح ١٦٥٥٦.

(٤) صياصي البقر: قرونها.

وأنّ روايته لا تصحّ لاختلاله ثلاث سنين. وأمّا عبدالله بن شقيق المنتهي إليه أسانيد الرواية فهو من تابعي أهل البصرة، قال ابن سعد في الطبقات[١]: كان عثمانيّاً وكان ثقة. وقال يحيى بن سعيد: كان سليمان التيمي سبّئ الرأي في عبدالله. وقال أحمد بن حنبل: ثقة وكان يحمل على عليّ. وقال ابن مَعِين: ثقة من خيار المسلمين، وقال ابن خراش: كان ثقة وكان عثمانيّاً يبغض عليّاً[٢].

ألا تعجب من توثيق الحفّاظ هذا الرجل المتحامل على عليّ أمير المؤمنين ومبغضه وعدّه من خيار المسلمين وبين أيدينا قول رسول الله ﷺ الصحيح الثابت: «لا يحبّ عليّاً منافق ولا يبغضه مؤمن»، و «لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق»، وقول عليّ أمير المؤمنين الوارد في الصحيح: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأُميّ إليّ أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»، وقوله: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني». الحديث. وثبت عن غير واحد من الصحابة قولهم: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب[٣].

وجاء في الصحيح مرفوعاً: «لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»[٤]. ٢٦٨/٩

وفي حديث: «لو أنّ عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة ثم أتى الله عزّ وجل ببغض عليّ جاحداً لحقّه ناكثاً لولايته لأتعس الله خيره وجدع أنفه».

وفي حديث: «لو أنّ عبداً عبدالله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه ثم قُتل

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٢٦/٧.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٥٤/٥ [٢٢٣/٥ وانظر أيضاً تهذيب الكمال: ٨٩/٥ رقم ٣٣٣٣]. (المؤلّف)

(٣) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: ص١٨٢ ـ ١٨٧. (المؤلّف)

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الثاني: ص٣٠١. (المؤلّف)

بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يُوالِك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها».

وفي حديث: «لو أنّ عبداً من عباد الله عزّ وجلّ عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثمّ لقي الله عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ وعترتي أكبّه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنّم».

وفي حديث: «يا عليّ لو أنّ أُمّتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا وصلّوا حتى يكونوا كالأوتار ثم أبغضوك لأكبّهم الله في النار»[١].

وفي الصحيح على شرط الشيخين مرفوعاً: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني»[٢].

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم[٣] (١٣٥/٣) مرفوعاً: «يا عليّ طوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك».

وفي حديث مرفوعاً: أرسل رسول الله الأنصار، فأتوه، فقال لهم: «يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا عليّ فأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجلّ»[٤].

وفي حديث مرفوعاً: «إنّ عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّني، ومن أبغضه أبغضني»[٥]. ٢٦٩/٩

---

(١) مرّت هذه الأحاديث بمصادرها في الجزء الثاني: ص٣٠١، ٣٠٢. (المؤلّف)

(٢) المستدرك للحاكم: ١٣٠/٣ [١٤١/٣ ح٤٦٤٨]. (المؤلّف)

(٣) المستدرك على الصحيحين: ١٤٥/٣ ح٤٦٥٧.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٣/١. (المؤلّف)

(٥) حلية الأولياء: ٦٧/١. (المؤلّف)

وفي مرفوع: «ألا من أبغض هذا ـ يعني عليّاً ـ فقد أبغض الله ورسوله، ومن أحبّ هذا فقد أحبّ الله ورسوله».

وفي حديث مرفوعاً: «هذا جبريل يخبرني أنّ السعيد حقّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته، وأنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته».

إلى أحاديث مرّت في الجزء الثالث (ص٢٦).

وقبل هذه كلّها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾[١]. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمَنُ وُدًّا﴾[٢]. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ﴾[٣]. راجع الجزء الثاني فيما ورد في هذه الآيات الكريمة.

ولا تنسَ دعاء النبيّ الأعظم يوم الغدير في ذلك المحتشد الرحيب بقوله: «اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، اللّهمّ من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً».

وفي لفظ: «اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

وفي لفظ: «اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، وأحبّ من أحبّه».

وفي لفظ: «اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) مريم: ٩٦.

(٣) البيّنة: ٧.

من أبغضه، وانصر من نصره، وأعزّ من أعزّه، وأعن من أعانه».

وهناك ألفاظ أُخرى مرّت في الجزء الأوّل من كتابنا هذا.

فعبدالله بن شقيق أخذاً بمجامع تلكم النصوص شهادة الله ورسوله، منافق شقيّ عدوّ لله ولرسوله يبغضه المولى سبحانه، لا خير فيه ولا في حديثه، لا يُقبل قوله ولا يُصدّق في روايته، أتعس الله خيره وجدع أنفه، وأكبّه على منخره يوم القيامة في نار جهنّم. دع الحفّاظ يقولون: ثقة من خيار المسلمين.

٢٧٠/٩ ٧ ـ أخرج أحمد في المسند[1] (٣٣/٥، ٣٥) من طريق عبدالله بن شقيق البصري، قال: حدّثني هرم بن الحارث وأسامة بن خُرَيْم[2]، عن مرّة البهزي، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة، فقال: كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنّها صياصي بقر؟ قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: عليكم هذا وأصحابه ـ أو: اتبعوا هذا وأصحابه ـ قال: فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا. فإذا هو عثمان بن عفّان. فقال: هذا وأصحابه.

عرفت عبدالله بن شقيق، وأنّه منافق لا يُؤخذ بحديثه ولا يُعوّل عليه إن صدّقنا النبي الأقدس فيما جاء به.

٨ ـ أخرج أحمد في المسند[3] (٧٥/٦)؛ من طريق فرج بن فضالة، بإسناده عن عائشة، قالت: كنت عند النبيّ ﷺ فقال: يا عائشة لو كان عندنا من يحدّثنا، قالت: قلت: يا رسول الله ألا أبعث إلى أبي بكر؟ فسكت، ثم قال: لو كان عندنا من يحدّثنا، فقلت: ألا أبعث إلى عمر، فسكت، قالت: ثمّ دعا وصيفاً بين يديه فسارّه فذهب،

---

(١) مسند أحمد: ١٠/٦ ح ١٩٨٤٠ و ١٢ ح ١٩٨٥٩.

(٢) في الأصل بطبعتيه الأولى والثانية: خزيم، وكذا في بعض المصادر. والصواب ما أثبتناه، وهو الموافق للمصدر.

(٣) المصدر السابق: ١١١/٧ ح ٢٣٩٤٥.

قالت: فإذا عثمان يستأذن، فأذن له، فدخل فناجاه النبيّ ﷺ طويلاً ثمّ قال: يا عثمان إنّ الله عزّ وجلّ مقمّصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة. يقولها له مرّتين أو ثلاثاً. وأخرجه الحاكم في المستدرك[1] (١٠٠/٣) من طريق فرج بن فضالة وقال: هذا حديث صحيح عالي الإسناد ولم يخرجاه. وعقّبه الذهبي في تلخيصه فقال: أنّى له الصحّة ومداره على فرج بن فضالة؟

أقول: فرج بن فضالة متّفق على ضعفه وعدم الاحتجاج به، وستوافيك ترجمته في الحديث الـ(١٧) من مناقب عثمان في هذا الجزء إن شاء الله.

وأخرج أحمد في مسنده[2] (٥٢/٦) من طريق قيس بن أبي حازم، عن أبي سهلة مولى عثمان، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي بعض أصحابي، قلت: أبو بكر؟ قال: لا، قلت: عمر، قال: لا، قلت: ابن عمّك علي؟ قال: لا، قلت: عثمان، قال: نعم، فلمّا جاء قال: تنحّي، جعل يسارّه ولون عثمان يتغيّر، فلمّا كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وإنّي صابر نفسي عليه.

وأخرجه[3] أبو نُعَيم في الحلية (٥٨/١)، والحاكم في المستدرك (٩٩/٣)، وأبو عمر في الاستيعاب (٤٧٧/٢)، وذكره ابن كثير في تاريخه (٢٠٥/٦) نقلاً عن أحمد والأسانيد كلّها تنتهي إلى قيس بن أبي حازم، قالوا: كان يحمل على عليّ ﷺ، وقال ابن حجر: والمشهور عنه أنّه كان يقدّم عثمان ولذلك تجنّب كثير من قدماء الكوفيّين الرواية عنه، وكبر قيس حتى جاوز المئة بسنين كثيرة حتى خرف وذهب عقله. ٢٧١/٩

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٠٦/٣ ح ٤٥٤٤، وكذا في تلخيصه.

(٢) مسند أحمد: ٧٨/٧ ح ٢٣٧٣٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ١٠٦/٣ ح ٤٥٤٣، الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٤٣ رقم ١٧٧٨، البداية والنهاية: ٢٠٢/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

تهذيب التهذيب[١] (٣٨٨/٨).

لنا أن نصافق الكوفيّين على تجنّب الرواية عن قيس المتحامل على مولانا أمير المؤمنين إن اتّبعنا الرسول الأمين في النصوص المذكورة قُبيل هذا (ص٢٦٧ ـ ٢٦٩) ولا يسوغ لأيّ باحث أن يعوّل على رواية منافق شقيّ خرف وذهب عقله، وقد مرّ عن ابن أبي الحديد في صفحة (ص٧٣) من هذا الجزء قوله: وقد طعن مشايخنا المتكلّمون في قيس وقالوا: إنّه فاسق ولا تُقبل روايته.

٩ ـ أخرج ابن عدي[٢]: عن أبي يعلى، عن المقدمي محمد بن أبي بكر، عن أبي معشر يوسف بن يزيد البراء البصري، عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن عثمان: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أسرّ إليه أنّه يُقتل ظلماً[٣].

زيّفه ابن عدي كما في لسان الميزان، وعدّه من أحاديث عمر بن أبان التي كلّها غير محفوظة، وأبان بن عثمان لم يسمع من أبيه كما قاله أحمد بن حنبل فكيف بعمر بن أبان، وسنوقفك على ترجمة أبي معشر وإبراهيم بن عمر في المنقبة الثالثة من مناقب عثمان وأنّهما لا يعوّل عليهما ولا يصحّ حديثهما.

١٠ ـ ذكر الذهبي في الميزان[٤] (٣٠٠/١) من طريق أنس مرفوعاً: يا عثمان إنّك ستلي الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها، وصُم ذلك اليوم تفطر عندي.

قال الذهبي: في سنده خالد بن أبي الرحال الأنصاري عنده عجائب، قال ابن حبّان[٥]:

---

(١) تهذيب التهذيب: ٣٤٦/٨.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ٥٧/٥ رقم١٢٣٢.

(٣) لسان الميزان: ٢٨٢/٤ [٣٢٥/٤ رقم١٦٦٢]. (المؤلّف)

(٤) ميزان الاعتدال: ٦٣٩/١ رقم٢٤٥٩.

(٥) كتاب المجروحين ٢٨٤/١.

لا يجوز الاحتجاج به. وفي لسان الميزان[١] (٦/٧٩٤) قال: أبو حاتم[٢]: ليس بالقويّ.

نظرة في أحاديث العهد

هذه سلسلة روايات أصفق على وضعها دجّالون تتراوح أسانيدها بين أُموي ٢٧٢/٩
وشامي وبصري، وبين عثماني متحامل على سيّد العترة، وبين أناس آخرين من ضعيف إلى كذّاب إلى متروك إلى ساقط. على أنّ متونها أكثر عللاً من أسانيدها فإنّ الخضوع لصحّتها يستدعي الوقيعة في الصحابة كلّهم؛ لأنّ المنصوص عليه في غير واحد منها أنّ الذين أجلبوا على عثمان وأرادوا خلعه أُناس منافقون، وفي بعضها: فإنّ عثمان يومئذٍ وأصحابه على الحقّ، وعليكم بالأمين وأصحابه. وقد علمت أنّ المتجمهرين عليه هم الصحابة كلّهم المهاجرون منهم والأنصار ماخلا ثلاثة: زيد بن ثابت، حسّان بن ثابت، أسيد الساعدي. أو: هم وكعب بن مالك، وأُناس من زعانفة الأمويّين، وأين هذا من الاعتقاد بعدالتهم جمعاء كما عند القوم؟ ومن الخضوع لجلالة كثيرين منهم الذين علمت منهم نواياهم الصالحة، وأعمالهم البارّة، والنصوص النبويّة الصادرة فيهم، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه الكريم كما عند الأُمّة أجمع؟

ثمّ إنّ عثمان وإن كان يتظاهر بامتثال الأمر الموجود في هذه الروايات وغيرها بالصبر وعدم القتال، غير أنّ عمله كان مبايناً لذلك لمكاتبته إلى الأوساط الإسلاميّة يستجلب منها الجيوش لمقاتلة أهل المدينة، ويرى قتالهم قتال الأحزاب يوم بدر، وينصّ على أنّ القوم قد كفروا، فلو اتّصلت به كتائب الأمداد يومئذٍ لألقحها حرباً زبوناً وفتنةً عمياء، وإنّما كان ينكص عن النضال لإعواز الناصر لإصفاق الصحابة عليه عدا أُولئك الثلاثة وما كانوا يغنون عنه شيئاً، ولا سيّما حسان بن ثابت الذي لم يكن يجسر أن يأخذ سلب القتيل الذي قتلته امرأة[٣].

---

(١) لسان الميزان: ٧/٤٦٩ رقم ٥٤٥٤.

(٢) الجرح والتعديل: ٧/٢٤٢ رقم ١٣٢٧.

(٣) راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا: ص ٦٤. (المؤلّف)

على أنّه لم يتقاعد عن المقاتلة أيضاً بمن كان معه من حثالة بني أُميّة فقد بذلوا كلّ ما حووه من بسالة وشجاعة، غير أنّ القضاء الحاتم أخزاهم وحال بينهم وبين النجاح، إلى أن لجأوا إلى أُمّ حبيبة فجعلتهم في كندوج ثمّ خرجوا من المدينة هاربين.

ثمّ هب أنّ عائشة كانت نسيت ما روته حين ألّبت الجماهير على عثمان وأمرت بقتله وسمّته نعثلاً كافراً، فهل بقيّة الرواة وهم: عبدالله بن عمر وأبو هريرة ومرّة البهزي وعبد الله بن حوالة وأبو سهلة وأنس أصفقوا معها على النسيان؟ أو أنّهم ما كانوا يروونها يومئذٍ ثمّ اقتضت الظروف أن يروونها؟ أو أنّها اختلقت بعدهم على ألسنتهم؟ ٢٧٣/٩

ولو كان لهذه الكلمات المعزوّة إلى رسول الله ﷺ ـ من قوله: عليكم بالأمين وأصحابه، وقوله: اتّبعوا هذا وأصحابه، وقوله: اتّبع هذا الرجل فإنّه يومئذٍ ومن اتّبعه على الحقّ ـ مقيلٌ من الصحّة لاستدعى أن يفيضها على الصحابة كلّهم، لأنّ قضيّتها انّ تلك الفتنة الموعود بها من الفتن المضلّة، وأنّ عثمان عندئذٍ في جانب الحقّ، وما كان رسول الله ﷺ بالذي يشحّ على أُمّته بالإرشاد إلى ما فيه هداياتهم وصلاحهم الديني، وهو مقيّض لذلك ومبعوث لأجله، فلماذا لم يروها غير هؤلاء؟ ولا عرفها غيرهم ولو بوساطتهم؟ وهل كان إلقاؤها عليهم مسارة لا يطّلع عليها أحد؟ ولماذا ترك هؤلاء الاحتجاج بها يوم الدار؟ وفي القوم ـ وهم الأكثرون ـ من إن يسمع بها لا يتباطأ عن الخضوع للأمر النبويّ المطاع.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَولَ أَمْ جَاءَهُم مَا لَم يَأتِ آبَاءَهُم الأَوَّلِينَ ﴾[1]، ﴿ إِنْ هَذا إِلَّا اخْتِلَاق ﴾[2].

---

(١) المؤمنون: ٦٨.

(٢) سورة ص: ٧.

نظرة في مناقب عثمان

الواردة في الصحاح والمسانيد

إلى هنا سبرنا صحيفة من حياة عثمان ولا أدري أهي بيضاء أم غيرها؟ لكن الباحث الممعن فيها يوقفه التنقيب على نفسيّاته ومقداره، والغاية من هذا الإسهاب أن نجعل نتيجة هذا الخوض والبحث مقياساً في أمره نردّ إليه كلّ ما يؤثر في حقّه فإن ساوى المقياس أثبتناه، وإن طاله أو قصر عنه عرفنا أنّه من الغلوّ في الفضائل.

وما سردنا إلى هنا من دعارة في الخلق، وعرامة في الطباع، وعرارة في الشكيمة، وشرّة في الغرائز، وفظاظة في الأعمال، وتعسّف في الحكم، واتّباع للشهوات، وميل عن الحقّ، ودناءة في النفس، وسقطة في الرأي، وسرف في القول، إلى الكثير المتوفر من أمثال هذه ممّا لا تحمد فعليّته ولا عقباه، لا يدع الباحث أن يخضع لشيء ممّا قيل أو تقوّل فيه من الفضل قويت أسانيده أو وهنت.

كما أنّ آراء الصحابة الأوّلين التي زففناها إلى مناظرك في هذا الجزء من صفحة ٢٧٤/٩ (٦٩ ـ ١٦٨) لا تدع مجالاً للبحث عن صحّة تلكم المفتعلات فضلاً عن إثباتها، وأنّك تجد في مرسليها أو مسنديها لفائف من زبانية الميول والأهواء من بصري أو شامي أنهوا أسانيدهم في الغالب إلى موالي عثمان أو إلى رجال بيته الساقط، وذلك ممّا يُعطي أنّها من صنائع معاوية للخليفة المقتول الذي اتّخذ أمره سلّماً إلى ما كان يبتغيه من المرتقى، وكان معاوية يهب القناطير المقنطرة لوضع الأحاديث في فضائل أبناء بيته الشجرة المنعوتة في القرآن، من بني أُميّة عامّة، ومن آل أبي العاص خاصّة، أضف إلى ذلك ما يكتنف أغلب تلك المتون من الموهنات التي لا يقاومها أيّ تمحّل في تصحيحها.

وإليك نبذة من تلكم الموضوعات:

١ ـ أخرج مسلم وأحمد من طريق عُقيل الأمويّ، عن الليث العثماني[١]، عن يحيى بن سعيد الأمويّ، عن سعيد بن العاص ابن عمّ عثمان، عن عائشة وعثمان قالا: إنّ أبابكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه، لابس مِـرْط[٢] عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف، ثمّ استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف، قال عثمان: ثمّ استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك. فقضيت إليه[٣] حاجتي ثمّ انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله؟ ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر ﷺ كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: إنّ عثمان رجل حيي[٤] وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ في حاجته[٥].

٢ ـ أخرج مسلم وغيره من طريق عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدّث. ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث. ثمّ استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه، فلمّا خرج قالت عائشة ﷺ: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله، ثمّ دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثمّ دخل عثمان فجلست

---

(١) ورد سند الحديث في صحيح مسلم، ومسند أحمد هكذا: عن الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن يحيى بن سعيد بن العاص ... .

(٢) المرط: كساء من صوف أو كتّان.

(٣) وفي أحد ألفاظ أحمد: فقضى إليّ حاجتي.

(٤) حيي كغني: ذو حياء. وفي شرح مسلم: أي كثير الحياء. (المؤلّف)

(٥) صحيح مسلم: ١١٧/٧ [١٨/٥ ح٢٧ كتاب فضائل الصحابة]، مسند أحمد: ٧١/١ و ١٥٥/٦، ١٦٧ [١١٤/١ ح٥١٦ و ٢٢٢/٧ ح ٢٤٦٩٠ و ٢٣٩ ح ٢٤٨١١]. (المؤلّف)

وسوّيت ثيابك. فقال: / ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة[١]. ٢٧٥/٩

وأخرج البخاري[٢] في مناقب عثمان حديثاً، وقال في ذيله: زاد عاصم: أنّ النبيّ ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء، قد كشف[٣] عن ركبتيه ـ أو ركبته ـ فلمّا دخل عثمان غطّاها. قال ابن حجر في فتح الباري[٤] (٤٣/٧): قال ابن التين: أنكر الداوودي هذه الرواية وقال: هذه الرواية ليست من هذا الحديث بل دخل لرواتها حديث في حديث، وإنّما ذلك الحديث: إنّ أبا بكر أتى النبيّ ﷺ وهو في بيته قد انكشف فخذه فجلس أبوبكر ثمّ دخل عمر ثمّ دخل عثمان فغطّاها. الحديث.

قال الأميني: الحياء هو انقباض النفس عمّا لا يلائم خطّة الشرف من الناحية الدينيّة أو الإنسانيّة، وأصله فطريّ للإنسان، وكماله اكتسابيّ يتأتّى بالإيمان، فهو يتدرّج في الرقيّ بتدرّج الإيمان والمعرفة، فتنتهي إلى ملكة راسخة تأبى لصاحبها التورّط في المخازي كلّها، فيكون بها الإنسان محدوداً في أفعاله وتروكه وشهواته وميوله، وتنبسط تلكم الحدود على الأعضاء والجوارح وعلى النفس والعقل فلا يسع أيّاً منها الخروج عن حدّه، قال رسول الله ﷺ: «الاستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى»[٥]. فكلّ عمل خارج عن حدود الدين والإنسانيّة منافٍ للحياء، وهو الرادع الوحيد عن الفحشاء

---

(١) مسند أحمد: ٦٢/٦ [٩٢/٧ ح٢٣٨٠٩]، صحيح مسلم: ١١٦/٧ [١٨/٥ ح٢٦ كتاب فضائل الصحابة]، مصابيح السنّة: ٢٧٣/٢ [١٦٤/٤ ح٤٧٤٨]، الرياض النضرة: ٨٨/٢ [١٢/٣]، تاريخ ابن كثير: ٢٠٢/٧ [٢٢٧/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]. **(المؤلّف)**

(٢) صحيح البخاري: ١٣٥١/٣ ح٣٤٩٢.

(٣) في المصدر: قد انكشف.

(٤) فتح الباري: ٥٥/٧.

(٥) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح [٥٥٠/٤ ح٢٤٥٨] والمنذري في الترغيب والترهيب: ١٦٦/٣ [٤٠٠/٣ ح١٣]. **(المؤلّف)**

والمنكر، وعن كلّ ما يلوّث ذيل الإنسانيّة والعفّة والإيمان من صغيرة أو كبيرة، ومن لم يستح فله أن يفعل ما يشاء، وجاء في النبويّ على المحدّث به وآله السلام: «إذا لم تستح فاصنع ـ فافعل ـ ما شئت»[1].

وعلى هذا فكلّ من الفحش والبذاء والكذب والخيانة والغدر والمكر ونقض العهد والتخلّع والمجون وما يجري مجراها أضداد للحياء، وقد وقع التقابل بينها وبينه في لسان المشرّع الأعظم منها قوله ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[2]. ٢٧٦/٩

وقوله ﷺ: «الحياء والعيّ من الإيمان وهما يقرّبان من الجنّة ويباعدان من النار، والفحش والبذاء من الشيطان وهما يقرّبان من النار ويباعدان من الجنّة».

أخرجه الطبراني[3] كما في الترغيب والترهيب (١٦٥/٣).

وقوله ﷺ: «يا عائشة لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً، ولو كان الفحش رجلاً كان رجل سوء».

رواه[4] الطبراني وأبو الشيخ كما في الترغيب والترهيب (١٦٦/٣).

وقوله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلّا شانه، وما كان الحياء في شيء إلّا زانه».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه [٢٢٦٨/٥ ح٥٧٦٩]. (المؤلّف)

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب: ١٦٥/٣ [٣٩٨/٣ ح٥]: أخرجه أحمد [في مسنده: ٢٩٤/٣ ح١٠١٣٤] ورجاله رجال الصحيح، والترمذي [في سننه: ١٢/٥ ح٢٦١٥]، وابن حبّان في صحيحه [٣٧٣/٢ ح٦٠٨]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. (المؤلّف)

(٣) المعجم الكبير: ١٧٨/١٨ ح٤٠٩، الترغيب والترهيب: ٣٩٨/٣ ح٦.

(٤) المعجم الصغير: ٢٤٠/١، الترغيب والترهيب: ٣٩٩/٣ ح٨.

أخرجه[١] ابن ماجه في سننه (٥٤٦/٢)، والترمذي في الصحيح.

وقوله ﷺ: «إنّ الله عزّ وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا مقيتاً ممقّتاً، فإذا لم تلقه إلّا مقيتاً ممقّتاً نُزِعت منه الأمانة، فإذا نُزِعت منه الأمانة لم تلقه إلّا خائنا مخوّناً، فإذا لم تلقه إلّا خائناً مخوّناً نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلّا رجيماً مُلَعّناً، فإذا لم تلقه إلّا رجيماً مُلَعّناً نزعت منه ربقة الإسلام».

أخرجه[٢] ابن ماجه كما في الترغيب والترهيب (١٦٧/٢).

وقال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلّا بخير»[٣]. وقال المناوي في شرحه في فيض القدير (٤٢٧/٣): لأنّ من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربّه أشدّ فلا يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة، قال ابن عربي: الحياء أن لا يفعل الإنسان ما يخجله إذا عرف منه أنّه فعله، والمؤمن يعلم بأنّ الله يرى كلّ ما يفعله، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك، وبأنّه لا بدّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤدّيه إلى ترك ما يخجل منه، وذلك هو الحياء فمن ثمّ لا يأتي إلّا بخير.

وقال: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حقّ الغير، وقال بعض الحكماء: من كسا[٤] الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

---

(١) سنن ابن ماجه: ١٤٠٠/٢ ح ٤١٨٥، سنن الترمذي: ٣٠٧/٤ ح ١٩٧٤.

(٢) سنن ابن ماجه: ١٣٤٧/٢ ح ٤٠٥٤، الترغيب والترهيب: ٤٠٠/٢ ح ١٤.

(٣) أخرجه البخاري [في صحيحه: ٢٢٦٧/٥ ح ٥٧٦٦]، ومسلم [في صحيحه: ٩٣/١ ح ٦٠ كتاب الإيمان]، وابن ماجه، والمنذري [في الترغيب الترهيب: ٣٩٧/٣ ح ٢]. (المؤلّف)

(٤) لعل الصحيح: من كساه الحياء ثوبه. (المؤلّف)

[وصحيح أيضاً ما ذكر في المتن، فيكون الضمير العائد على الاسم الموصول محذوفاً ـ أي الهاء ـ فهو من قبيل: ﴿فمنهم من هدى الله﴾].

٢٧٧/٩ إذن هلمّ معي لنسبر حياة الخليفة ـ عثمان ـ علّنا نجد فيها ما يصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له إن لم يُكفِئنا الإياس منها بخفّي حنين، فارجع البصر كرّتين فيما سردناه من أفعال الخليفة وتروكه ومحاوراته وأقواله، ثمّ انظر هل تجد في شيء منها ما يدعم هذه الدعوى له فضلاً عن أن يكون أحيأ الناس، أو أشدّ الأُمّة حياءً، أو تستحيي منه الملائكة؟

أيصلح شاهداً لذلك قوله لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: والله ما أنت عندي أفضل من مروان؟ هلّا كان يعلم أنّ الله عدّ عليّاً في كتابه نفس النبيّ الأقدس وقد طهّره بنصّ الذكر الحكيم، ومروان طريد ابن طريد، وزغ ابن وزغ، لعين ابن لعين؟ راجع الجزء الثامن (ص ٢٦٠).

أو اتّهامه ذلك الإمام الطاهر سيّد العترة بكتاب كتبه هو في قتل محمد بن أبي بكر وأصحابه وتعذيبهم وتنكيلهم، فينكر ما كتب ويقول له عليه السلام: أتّهمك وأتّهم كاتبي مروان؟!

أو قوله للإمام عليه السلام: لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سُلّماً وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأ؟ أو قوله له عليه السلام لمّا كلّمه في أمر عمّار ونفيه إيّاه: أنت أحقّ بالنفي منه؟

أو قوله لأصحابه مروان ومن كان على شاكلته يستشيرهم في أمر أبي ذر: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله؟ وملء مسامع الصحابة قوله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء، وما أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، إلى كلمات أُخرى له صلى الله عليه وآله في الثناء عليه. راجع الجزء الثامن (ص ٣١٢).

أو قوله لعمّار لمّا سمع منه ـ رحم الله أباذر من كلّ أنفسنا ـ: يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره؟! وأمر فدُفِعَ في قفاه، وعمّار كما عرفته في هذا الجزء

(ص ٢٠ ـ ٢٨) جلدة ما بين عيني رسول الله وأنفه، وهو الطيّب المطيّب، ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، اختلط الإيمان بلحمه ودمه، يدور مع الحقّ حيث دار، وقد جاء الثناء عليه في الذكر الحكيم.

إذا كان حقّاً ما يدّعيه عثمان لنفسه[1] من أنّه لم يمسّ فرجه قط بيمينه منذ بايع رسول الله ﷺ تشريفاً ليد النبيّ الكريمة. فليت شعري لماذا طفق يلوك بلسانه اسم ٢٧٨/٩
أير ياسر أبي عمّار؟ وطالما لهج بأحاديث النبوّة به، ورتّل كتاب الله ترتيلاً، أما كان عليه أن يكفّ لسانه عن البذاءة كرامةً للكتاب والسنّة، كما ادّعى كلاءة نفسه عن مسّ فرجه كرامة ليد النبوّة؟ إن لم يُداحمنا[2] هنالك من يُنكر دعواه في اليد قياساً على ما شوهد منه في اللسان مرّة بعد أُخرى.

أيصلح شاهداً لذلك قوله على صهوة المنبر بين ملأ المسلمين في ابن مسعود لمّا قدم المدينة: ألا إنّه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح؟ وابن مسعود أحد الذين أطراهم الكتاب العزيز، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ هدياً ودلاً وسمتاً. راجع ما مرّ في هذا الجزء (ص٣ ـ ١١).

أو قوله لعبد الرحمن بن عوف: إنّك منافق[3]؟ وهو أحد العشرة المبشّرة فيما يحسبون.

أو قوله لصعصعة بن صوحان: البجباج النفّاج؟ وهو ذلك السيّد الخطيب الفصيح الديّن. كما مرّ في (ص٤٣) من هذا الجزء.

أو شتمه المغيرة بن الوليد المخزومي لمّا دافع عن عمّار حينما ضربه عثمان حتى غُشي عليه؟

---

(١) يأتي حديثه بتمامه. (المؤلّف)

(٢) الدحم: الدفع الشديد، وداحمه: دافعه بشدة.

(٣) السيرة الحلبية: ٨٧/٢ [٧٨/٢]، الصواعق: ص٦٨ [ص ١١٤]. (المؤلّف)

أو قوله في كتابه إلى معاوية: إنّ أهل المدينة قد كفروا؟ أو قوله في كتاب آخر له: فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأُحد؟ وهو يريد الأنصار الذين آووا ونصروا، والمهاجرين الذين صدّقوا واتّبعوا، وهم الذين يحسب أتباع الخليفة أنّ كلّهم عدول، ولم يكن بينهم متخلّف عن النقمة عليه إلّا ثلاثة أو أربعة حفظ التاريخ ترجمة حياتهم الموصومة.

أو قوله في كتابه إلى الأشتر وأصحابه: إنّي قد سيّرتكم إلى حمص، فإنّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً؟

أو قوله المائن على منبر رسول الله ﷺ: إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلمّا تيقّنوا أنّه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم؟ يقول ذلك / بعد ما عهد على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنّة، وكتب بهذا كتاباً وشهد عليه ٢٧٩/٩
أُمّة من الصحابة بعد ما اعترف بهناته بين الملأ أو أظهر الندامة منها وتاب عنها ولذلك كلّه رجع المصريّون وغيرهم من الثائرين عليه إلى بلادهم، وكان يحنث عهده وينقض توبته بتلبيس أبالسته مروان ونظرائه، فهل يفعل مثل هذا من تردّى بأبراد الحياء؟

أو مقارفته ليلة وفاة أُمّ كلثوم كريمة النبيّ الأقدس؟ وكان ذلك ممقوتاً جدّاً لرسول الله ﷺ حتى إنّه ألمح إليه بقوله: «هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟» فمنعه بذلك عن دفن حليلته، وألصق به هوان الأبد.

أو تربّعه على صهوة منبر رسول الله ﷺ لمّا استخلف؟ وكان أبوبكر يجلس دون مقامه ﷺ بمرقاة ثمّ عمر دونه بمرقاة، وكان من حقّ عثمان الذي كان أشدّ حياءً من صاحبيه أن لا يطأ ذلك المرتقى، وأن يتّبع ـ ولا أقلّ ـ سيرة الشيخين في الحياء والأدب، لكنّه....

أو مخالفته الكتاب والسنّة ؟ كما كتب المهاجرون الأوّلون وبقيّة الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين: أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسلبَها أهلُها فإنّ كتاب الله قد بُدّل، وسنّة رسوله قد غُيّرت[1]. وكتبوا إلى الصحابة في الثغور: إنّ دين محمد قد أفسده من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد ﷺ. ورفعت عائشة نعل رسول الله ﷺ وهي تقول: تركت سنّة رسول الله صاحب هذا النعل. وتقول: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعدُ. وتقول: عثمان قد أبلى سنّة رسول الله. وتقول: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً إنّه قد كفر. إلى كلمات أُخرى لها ولغيرها في مخالفة الرجل الكتاب والسنّة.

أو إعرابه عن تلكم الآراء الشاذّة عن الكتاب والسنّة في الصلاة والصّلات والصدقات والأخماس والزكوات والحجّ والنكاح والحدود والديات بلهجة شديدة بمثل قوله: هذا رأي رأيته ؟ وقوله: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام، هذا مال الله أُعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم. فقال له عليّ: «إذن تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه». وقال عمّار: أُشهد الله أنّ أنفي أوّل راغم من / ذلك. أو قال: أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك. ٢٨٠/٩

راجع صفحة (١٥) من هذا الجزء.

أو حثّه الناس على الأخذ بتلكم الآراء المنتشية عن ناموس الإسلام المقدّس حتى قال له أمير المؤمنين، لمّا قال له عثمان: لا تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت، «ولم أكن لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس» أو قال له: «لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك» وكاد أمير المؤمنين يُقتل من جرّاء تلك الأحدوثة ؟ مرّ حديثه في (٢١٩/٦ و ١٣٠/٨).

وقد فتح بذلك باب الجرأة على الله والتقوّل عليه بمصراعيه، فجاء بعده معاوية

---

(١) راجع ما مرّ: ص١٦٢ من هذا الجزء. (المؤلّف)

ومروان وأبناء أبيه الآخرون يلعبون بدين الله لعبة الصبيان بالدوّامة[١].

أو إيواؤه عبيد الله بن عمر لمّا قتل نفوساً أبرياء ولم يقتصّ منه ونقم عليه بذلك جلّ الصحابة ـ لو لم نقل كلّهم ـ ممّن يأبه به وبرأيه ؟

أو تعطيله الحدّ على الوليد بن عقبة لرحمه وقرابته منه وقد شرب الخمر وقاء في محراب المسجد الأعظم بالكوفة، حتى وقع التحاور والتحارش بين المسلمين، واحتدم الحوار والمكالمة وتضاربوا بالنعال ؟ مرّ في الجزء الثامن (ص ١٢٠ ـ ١٢٥).

أو تسليطه بني أُميّة رجال العيث والفساد أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على رقاب الناس ونواميس الإسلام المقدّسة وتوطيده لهم الملك العضوض، وتأسيسه بهم حكومة أمويّة غاشمة في الحواضر الإسلاميّة ؟ كما فصّلنا القول فيه في الجزء الثامن (ص٢٨٨ ـ ٢٩٢).

أو ردّه إلى المدينة وإيواؤه عمّه وأبناءه وكان قد طردهم رسول الله ﷺ تنزيهاً لتلك الأرض المقدّسة من أولئك الأدناس الأرجاس ؟

أو تفويضه الصالح العام إلى مروان المهتوك، وتطوّره في سياسة العباد بتقلّباته ؟ كأنّ بيده مقاليد أُمور الأُمّة حتى قال له مولانا أمير المؤمنين: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به ؟». وقال: «ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك، وإنّي / لأراه سيوردك ثمّ لا يُصدرك». ٢٨١/٩

أو كتابه إلى وُلاته في قتل صلحاء الأُمّة وحبسهم وتنكيلهم وتعذيبهم ؟

أو تسييره عباد الله الصالحين من الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان من

---

(١) لعبة من خشب يلفّ الصبيّ عليها خيطاً ثمّ ينفضه بسرعة فتدوم أي تدور على الأرض. وفي اللغة الدارجة: مرصع، وشاخة. (المؤلّف)

معتقل إلى معتقل، ونفيهم عن عقر دورهم من المدينة والبصرة والكوفة، وإيذاؤهم بكلّ ما يمكنه من ضرب ووقيعة وتنكيل؟

مشرّدين نفوا عن عقر دارِهمُ كأنّهم قد جَنوا ما ليس يغتفرُ

حتى هلك في تسييره سيّد غفار أبو ذر الصدّيق المصدّق بعد ما تسلّخ لحم أفخاذه من الجهد في تسييره.

هذه نبذ يسيرة قرأناها في صحيفة حياء الخليفة ليعطي الباحث الممعن فيها للنصفة حقّها، فيصدق السائل في جوابه، فهل يجد في شيء منها دلالة على تلفّع الرجل بشيء من أبراد الحياء؟ أو يجدها أدلّة واضحة على فقده لهاتيك الملكة الفاضلة، ويجده متردّياً بضدّ هذه الغريزة في كلّ تلكم الأحوال؟ وعلى هذه فقس ما سواها.

على أنّ أبا بكر كان أولى بالاستحياء منه إن صحّ ما مرّ في الجزء السابع (ص٢٤٨) من رواية استحياء الله منه، وتكذيبه نبيّه استحياء من أبي بكر[1]، فكيف لم يهتش ﷺ له ولم يُبال به ويهتش لعثمان؟

لنا كرّة ثانية لرواية الحياء من ناحية أُخرى، فإنّ مختلق هذه الأفيكة أعشاه الحبّ المعمي والمصمّ حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أنّ لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبيّ الإسلام ﷺ ـ والعياذ بالله ـ حيث نسب إليه ﷺ الكشف عن أفخاذه بمنتدىً من صحابته غير مكترث لحضورهم حتى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة فاستحى منه وسترها، ونحن نقول أوّلاً: إنّ هذا الفعل ممّا لا يرتكبه عظماء الناس ورجالات الأُمم وإنّما تجيء بمثله الطبقات الواطئة من أذناب الأعراب، فنبيّ العظمة الذي يهزأ بالطود في وقاره، ويُزري بالبحر في

---

(١) من المخازي المفتعلة كما مرّ تفصيله. (المؤلّف)

معارفه، وكان كما وصفه أبو سعيد الخدري أشدّ حياءً من العذراء في خدرها[١] وكان
٢٨٢/٩ إذا كره شيئاً / عرفناه في وجهه. وقد أدّبه الله تعالى فلم يدع فيه من شائنة، وهذّبه حتى استعظم خلقه الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، لا يستسيغ ذو لبّ مؤمن به وبفضله أن يعزو إليه مثل هذا التخلّع الشائن.

على أنّ الشريعة التي صدع بها جعلت الأفخاذ عورة وأمرت بسترها:

١ ـ أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده[٣] (٢٩٠/٥)، بالإسناد عن محمد بن جحش ختن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرّ على مَعْمَر[٤] بفناء المسجد محتبياً كاشفاً عن طرف فخذه، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «خمّر فخذك يا مَعْمَر فإنّ الفخذ عورة».

وفي لفظ بإسناد آخر من طريق ابن جحش، قال: مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأنا معه على مَعْمَر وفخذاه مكشوفتان، فقال: «يا مَعْمَر غطّ فخذيك فإنّ الفخذ[ين] عورة».

وأخرجه البخاري[٥] بهذا الطريق وطريق ابن عبّاس وجرهد في صحيحه باب ما يذكر في الفخذ (١٣٨/١) ثمّ ذكر من طريق أنس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حسر عن فخذه، فقال: حديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط، وأخرجه من طريق ابن جحش في تاريخه (ج١ قسم ١٢/١)، وأخرجه البيهقي في سننه (٢٢٨/٢)، والحاكم في المستدرك[٦] (١٨٠/٤).

---

(١) أخرجه الشيخان: البخاري في صحيحه باب صفة النبي: ٢٠٣/٥ [١٣٠٦/٣ ح٣٣٦٩]، ومسلم في صحيحه: ٧٨/٧ [٤٨٨/٤ ح٦٧ كتاب الفضائل]. (المؤلّف)

(٢) القلم: ٤.

(٣) مسند أحمد: ٣٩٢/٦ ح٢١٩٨٨ و ٢١٩٨٩، وما بين المعقوفين منه.

(٤) هو مَعْمَر بن عبدالله بن نافع بن نضلة القرشي العدوي، وقيل غير ذلك. ويُنسب أحياناً إلى جدّه نضلة. راجع: الإصابة: ٤٤٨/٣ و٤٤٩ رقم ٨١٥١ و٨١٥٤، تهذيب الكمال: ٣١٤/٢٨ رقم ٦١٠٦.

(٥) صحيح البخاري: ١٤٥/١ باب ١١.

(٦) المستدرك على الصحيحين: ٢٠٠/٤ ح٧٣٦١.

قال ابن حجر في الإصابة (٤٤٨/٣): أخرجه أحمد والحاكم وصحّحه، وأخرجه ابن قانع من وجه آخر عن الأعرج عن مَعْمَر أنّ النبيّ ﷺ مرّ به وهو كاشف عن فخذه. الحديث.

وقال العسقلاني في فتح الباري[1] (٣٨٠/١): رجاله رجال الصحيح غير أبي كثير، فقد روى عنه جماعة لكن لم أجد فيه تصريحاً بتعديل، وقد أخرج ابن قانع هذا الحديث من طريقه أيضاً. ووقع لي حديث محمد بن جحش مسلسلاً بالمحمدين من ابتدائه إلى انتهائه وقد أمليته في الأربعين المتباينة.

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢/٢) عن أحمد والطبراني في الكبير[2] فقال: رجال أحمد ثقات.

٢ ـ عن عليّ ﷺ مرفوعاً: «لا تُبرز فخذك ـ فخذيك ـ ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميّت».

أخرجه[3]: البيهقي في سننه (٢٢٨/٢)، والحاكم في المستدرك (١٨٠/٤)، والبزّار كما في نيل الأوطار (٤٨/٢). ٢٨٣/٩

٣ ـ عن جرهد الأسلمي قال: مرّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشفت فخذي، فقال: «غطّ فخذك فإنّ الفخذ عورة».

أخرجه[4]: البخاري في صحيحه كما سمعت تعليقاً، ورواه مالك في الموطّأ وأبو داود وأحمد والترمذي وقال: حسن. وذكره القسطلاني في إرشاد الساري عن مالك

---

(١) فتح الباري: ٤٧٩/١.

(٢) المعجم الكبير: ٢٧١/٢ ح٢١٣٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٢٠٠/٤ ح٧٣٦٢، نيل الأوطار: ٦٩/٢.

(٤) صحيح البخاري: ١٤٥/١ باب١١، سنن أبي داود: ٤٠/٤ ح٤٠١٤، مسند أحمد: ٥٢٦/٤ ح١٥٤٩٩، سنن الترمذي: ١٠٣/٥ ح٢٧٩٨، إرشاد الساري: ٣٢/٢، الإحسان في صحيح ابن حبّان: ٦٠٩/٤ ح١٧١٠، نيل الأوطار: ٧١/٢، المستدرك على الصحيحين: ٢٠٠/٤ ح٧٣٦٠.

والترمذي فقال: وصحّحه ابن حبّان، وذكر الشوكاني في نيل الأوطار (٥٠/٢) تصحيح ابن حبّان إيّاه، وأخرجه البيهقي في سننه (٢٢٨/٢) من طريقين، والحاكم في المستدرك (١٨٠/٤).

٤ ـ عن ابن عبّاس: مرّ رسول‌الله ﷺ على رجل وفخذه خارجة، فقال: «غطِّ فخذيك، فإنّ فخذ الرجل من عورته».

أخرجه[١]: البخاري تعليقاً كما مرّ، ورواه الترمذي وأحمد في مسنده (٢٧٥/١)، والبيهقي في سننه (٢٢٨/٢) فقال: قال الشيخ: وهذه[٢] أسانيد صحيحة يُحتجّ بها، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١٨١/٤).

٥ ـ أخرج الدارقطني في سننه[٣] من طريق عبدالله بن عمر، قال: قال رسول‌الله ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع، وإذا زوّج أحدكم أمته عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرّة وفوق الركبة، فإنّ ما تحت السرّة إلى الركبة من العورة».

وأخرجه[٤]: أحمد في مسنده (١٨٧/٢) ولفظه: «فلا ينظرنّ إلى شيء من عورته فإنّما أسفل من سرّته إلى ركبتيه من عورته» وذكره الزيلعي في نصب الراية (٢٩٦/١) نقلاً عن الدارقطني وأبي داود وأحمد والعقيلي فقال: وله طريق آخر عند

---

(١) التاريخ الكبير: ١٢/١ رقم٢، سنن الترمذي: ١٠٣/٥ ح٢٧٩٦ مسند أحمد: ٤٥٤/١ ح٢٤٨٩، المستدرك على الصحيحين: ٢٠٠/٤ ح٧٣٦٣.

(٢) يعني أسانيد حديث ابن جحش، وجرهد وابن عباس. (المؤلّف)

(٣) سنن الدارقطني: ٢٣٠/١ ح٢.

(٤) مسند أحمد: ٣٨٧/٢ ح٦٧١٧، سنن أبي داود: ١٣٣/١ ح٤٩٥، الضعفاء الكبير: ١٦٨/٢ رقم٦٨٢، الكامل في ضعفاء الرجال: ٦٠/٣ رقم٦١٠، إرشاد الساري: ٣٣/٢.

ابن عدي في الكامل. وأخرجه البيهقي في سننه (٢٢٩/٢) من أربعة طرق، وذكره القسطلاني في إرشاد الساري (٣٨٩/١).

٦ ـ أخرج الدارقطني في سننه[١] (ص٨٥)، والبيهقي في سننه (٢٢٩/٢) من طريق أبي أيّوب مرفوعاً: «ما فوق الركبتين من العورة وما أسفل من السرّة من العورة». / وذكره الزيلعي في نصب الراية (٢٩٧/١). ٢٨٤/٩

هذه الأحاديث أخذها الأعلام أئمّة الفقه والفتيا وذهبوا إلى أنّ الفخذ عورة، وهو رأي أكثر العلماء كما قال النووي[٢]، والجمهور كما قاله القسطلاني والشوكاني[٣]، قال ابن رشد في بداية المجتهد[٤] (١١١/١): ذهب مالك والشافعي إلى أنّ حدّ العورة من الرجل ما بين السرّة إلى الركبة، وكذلك قال أبو حنيفة. وقال قوم: العورة هما السوأتان فقط من الرجل، وسبب الخلاف في ذلك أثران متعارضان كلاهما ثابت، أحدهما: حديث جرهد: أنّ النبيّ ﷺ قال: «الفخذ عورة»، والثاني: حديث أنس: أنّ النبيّ ﷺ حسر عن فخذه وهو جالس مع أصحابه، ثمّ ذكر قول البخاري المذكور.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري[٥] (٣٨٩/١): قال الجمهور من التابعين وأبو حنيفة ومالك في أصحّ أقواله، والشافعي وأحمد في أصحّ روايتيه، وأبو يوسف ومحمد: الفخذ عورة. وذهب ابن أبي ذئب وداود وأحمد في إحدى روايتيه،

---

(١) سنن الدارقطني: ٢٣٠/١ ح٥.

(٢) فتح الباري: ٣٨٢/١ [٤٨١/١]، نيل الأوطار: ٤٩/٢ [٧٠/٢]. (المؤلّف)
[وانظر شرح صحيح مسلم للنووي: ٢١٩/٩].

(٣) إرشاد الساري: ٣٨٩/١ [٣٣/٢]، نيل الأوطار: ٥٠/٢ [٧١/٢]. (المؤلّف)

(٤) بداية المجتهد: ١١٧/١.

(٥) إرشاد الساري: ٣٣/٢.

والإصطخري من الشافعية وابن حزم إلى أنّه ليس بعورة.

وفي الفقه على المذاهب الأربعة[١] (١٤٢/١): أمّا عورة الرجل خارج الصلاة فهي ما بين سرّته وركبته، فيحلّ النظر إلى ما عدا ذلك من بدنه مطلقاً عند أمن الفتنة. وفيه: قال المالكيّة والشافعيّة: إنّ عورة الرجل خارج الصلاة تختلف باختلاف الناظر إليه، فبالنسبة للمحارم والرجال هي ما بين سرّته وركبته، وبالنسبة للأجنبيّة منه هي جميع بدنه، إلّا أنّ المالكيّة استثنوا الوجه والأطراف وهي الرأس واليدان والرجلان، فيجوز للأجنبيّة النظر إليها عند أمن التلذّذ، وإلّا منع، خلافاً للشافعيّة فإنّهم قالوا: يحرم النظر إلى ذلك مطلقاً.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار[٢] (٤٩/٢) بعد ذكر حديث عليّ أمير المؤمنين المذكور مرفوعاً: والحديث يدلّ على أنّ الفخذ عورة، وقد ذهب إلى ذلك العترة والشافعي وأبو حنيفة، قال النووي: ذهب أكثر العلماء إلى أنّ الفخذ عورة. وعن أحمد ومالك في رواية: العورة القبل والدبر فقط. إلى أن قال: والحقّ أنّ الفخذ من العورة، وحديث عليّ هذا، وإن كان غير منتهض على الاستقلال، ففي الباب من ٢٨٥/٩
الأحاديث ما يصلح للاحتجاج به على المطلوب. وقال بعد ذكر حديث جرهد: الحديث من أدلّة القائلين بأنّ الفخذ عورة وهم الجمهور. انتهى.

هب أنّ النهي عن كشف الأفخاذ تنزيهيّ إلّا أنّه لا شكّ في أنّ سترها أدب من آداب الشريعة، ومن لوازم الوقار، ومقارنات الأبهة، ورسول الله ﷺ أولى برعاية هذا الأدب الذي صدع به هو. قال ابن رشد في تمهيدات المدوّنة الكبرى[٣] (١١٠/١): والذي أقول به أنّ ما روي عن النبيّ عليه الصلاة والسلام في الفخذ ليس باختلاف تعارض، ومعناه أنّه ليس بعورة يجب سترها فرضاً كالقبل والدبر وأنّه عورة يجب

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة: ١٩٢/١.

(٢) نيل الأوطار: ٧٠/٢ ـ ٧١.

(٣) المقدمات الممهدات: ١٣٤/١.

سترها في مكارم الأخلاق ومحاسنها، فلا ينبغي التهاون بذلك في المحافل والجماعات ولا عند ذوي الأقدار والهيئات، فعلى هذا تستعمل الآثار كلّها واستعمالها كلّها أولى من اطّراح بعضها. انتهى.

فعلى كلا التقديرين نحاشي نبيّ العظمة والجلال أن يكشف عن فخذيه في الملأ غير مكترث للحضور ـ وهو أشدّ حياءً من العذراء ـ ولا يأبه بهم حتى يأتي رضيع ثدي الحياء، وربيب بيت القداسة، وليد آل أُميّة، أشدّ الأُمّة حياءً، وقد قتلته أفعاله النائية عن تلك الملكة الفاضلة.

ولا يهولنّك وجود الرواية في الصحيحين فإنّها ـ كما قلنا عنها ـ علبتا السفاسف وعيبتا السقطات وفيهما من المخازي والمخاريق ما شوّه سمعة التأليف، وفتّ في عضد علم الحديث، ولعلّنا سوف ندعم ما ادّعيناه بالبرهنة الصادقة إن شاء الله تعالى، وليتها اقتصرا من الخزاية على رواية كشف الفخذ فحسب ولم يُخرجا تعرّيه ﷺ بين الناس. أخرج البخاري في صحيحه باب بنيان الكعبة[1] (١٣/٦)، ومسلم في صحيحه[2] (١٨٤/١) من طريق جابر بن عبدالله، قال: لمّا بُنيت الكعبة ذهب النبيّ ﷺ وعبّاس ينقلان حجارة، فقال العبّاس للنبيّ ﷺ: إجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة. ففعل، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثمّ قام فقال: إزاري إزاري، فشدّ عليه إزاره.

وفي لفظ لمسلم[3]: إنّ رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العبّاس عمّه: يابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة. قال: فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيّاً عليه، قال: فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً. ٢٨٦/٩

---

(١) صحيح البخاري: ٥٧٣/٢ ح ١٥٠٥.

(٢) صحيح مسلم: ٣٤٠/١ ح ٧٦ كتاب الحيض.

(٣) المصدر السابق: ح ٧٧ كتاب الحيض.

وفي قصّة لابن هشام في السيرة[١] (١٩٧/١) قال: كان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يُحدّث عمّا كان[الله] يحفظه به في صغره وأمر جاهليّته أنّه قال: لقد رأيتُني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلّنا قد تعرّى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنّي لأُقبل معهم كذلك وأُدبر، إذ لكمني لا كم ما أراه، لكمةً وجيعة ثمّ قال: شدّ عليك إزارك، قال: فأخذته وشددته عليّ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتي، وإزاري عليّ من بين أصحابي.

هلمّوا معي أيّها المسلمون جميعاً نسائل هذين الرجلين ـ صاحبي الصحيحين ـ أهذا جزاء نبيّ العظمة على جهوده، وحقّ شكره على إصلاحه؟ أهذا من إكباره وتعظيمه؟ أصحيح أنّ محمداً ﷺ كان يمشي بين ملأ العمّال عارياً قد نضا عنه ثيابه، وألقى عنه إزاره، غير ساتر عن الحضور عورته؟ وكان عمره ﷺ يومئذٍ خمساً وثلاثين سنة كما قال ابن إسحاق[٢].

هب أنّ رواة السوء أخرجوه لغاية مستهدفة، لكن ما المبرّر للرجلين أن يستصحّاه ويُثبتاه في صحيحيهما كأثر ثابت؟ أيحسبان أنّ هذا العمل الفاضح من مصاديق ما أثبتاه له ﷺ ـ وهو الصحيح الثابت ـ من أنّه ﷺ كان أشدّ حياء من العذراء؟[٣] وهل تجد في العذراء من يستبيح هذه الخلاعة؟ لاها الله، لاها الله.

أو يحسبان صاحب هذا المجون غير نبيّ الإسلام الذي نهى جرهداً ومَعْمَراً عن كشف فخذيهما لأنّهما عورة؟ أو ينهى ﷺ عن كشف الفخذ يوماً ويكشف هو عمّا

---

(١) سيرة ابن هشام: ١٩٤/١، وما بين المعقوفين منه.

(٢) راجع سيرة ابن هشام: ٢٠٩/١ [٢٠٤/١]، الروض الأُنف: ١٢٧/١ [٢٢٨/٢]، عيون الأثر: ٥١/١ [٧٥/١]، وما في فتح الباري: ٥/٧ [١٤٥/٧] نقلاً عن ابن إسحاق من أن عمره كان خمساً وعشرين سنة فغير صحيح، والذي صحّ عنه خمس وثلاثون. (المؤلّف)

(٣) راجع ما مرّ في هذا الجزء صفحة ٢٨١. (المؤلّف)

فوقها يوماً آخر؟ أو من الهيّن أن نعتقد أنّ الفخذ عورة لكن ما يعلوها من السوأة ليس بعورة؟

٢٨٧/٩ هلمّ معي نعطف النظرة بين ما أثبته الصحيحان على رسول الله ﷺ وبين ما جاء به أحمد في مسنده[١] (٧٤/١) عن الحسن البصري؛ أنّه ذكر عثمان وشدّة حيائه فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه[٢] أنظر إلى حياء نبيّ العصمة والقداسة، وحياء وليد الشجرة المنعوتة في القرآن، وشتّان بينهما!!

أوَليس هذا النبيّ الأعظم هو الذي سأله معاوية بن حيدة فقال له: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال ﷺ: «إحفظ عورتك إلّا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» قال: فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينّها». قال: فإذا كان أحدنا خالياً؟ قال: «فالله تبارك وتعالى أحقّ أن يُستحيا منه»[٣].

لقد أغرق ﷺ نزعاً في ستر العورة حتى إنّه لم يرض بكشفها والمرء خالٍ حياءً من الله تعالى، واستدّل به من قال: إنّ التعرّي في الخلاء غير جائز مطلقاً[٤]. لكن من عذيري من صاحبي الصحيحين حيث يحسبان أنّه ﷺ كشفها بملأ من الأشهاد؟ والله من فوقهم رقيب. وعلى فرضه ـ وهو فرض محال ـ فأين الحياء المربي

---

(١) مسند أحمد: ١١٨/١ ح ٥٤٤.

(٢) وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة: ١١٧/١ [٣٠٤/١ رقم٤]، والمحبّ الطبري في الرياض: ٨٨/٢ [١٢/٣]. (المؤلّف)

(٣) قال ابن تيميّة في المنتق: رواه الخمسة إلّا النسائي [صحيح البخاري: ١٠٧/١ باب ٢٠، سنن ماجه: ٦١٨/١ ح ١٩٢٠، سنن الترمذي: ٩٠/٥ ح ٢٧٦٩، سنن أبي داود: ٤١/٤ ح ٤٠١٧]، نيل الأوطار: ٤٧/٢ [٦٨/٢]. (المؤلّف)

(٤) راجع نيل الأوطار: ٤٧/٢ [٦٩/٢]. (المؤلّف)

على حياء العذراء؟ وأين الحياء من الله؟ غفرانك اللّهمّ هذا بهتان عظيم.

هل يحسب الشيخان أنّ ذلك الحياء فاجأه ﷺ بعد هذه الوقائع أو الفظائع، وما كان غريزة فيه منذ صيغ في بوتقة القداسة؟ إن كانا يزعمان ذلك فبئس ما زعما، وإنّ الحقّ الثابت أنّه ﷺ كان نبيّاً وآدم بين الروح والجسد[1] وقد اكتنفته الغرائز الكريمة كلّها منذ ذلك العهد المتقادم، شرع سواء في ذلك وهو في عالم الأنوار، أو في عالم الأجنّة، وفي أدوار كونه رضيعاً وطفلاً ويافعاً وغلاماً وكهلاً وشيخاً، صلّى الله عليه وآله وسلم / يوم ولد ويوم مات ويوم يُبعث حيّاً. ٢٨٨/٩

أوَليس مسلم هو الذي يروي من طريق المسور بن مخرمة أنّه قال: أقبلت بحجر ثقيل أحمله وعليّ إزار خفيف فانحلّ إزاري ومعي الحجر لم أستطع أن أمنعه حتى بلغت به إلى موضعه، فقال رسول الله ﷺ: «ارجع إلى إزارك فخذه ولا تمشوا عراة»[2]؟

أفمن المستطاع أن يقال: إنّه ﷺ ينهى مسوراً عن المشي عارياً ويزجره عن حمل الحجر كذلك ويرتكب هو ما نهى عنه؟ إنّ هذا لشيء عجاب.

وأعجب منه أنّه ﷺ كان يرى أنّ المشرك إذا شاهد الناظر المحترم لم يكشف

---

(١) لهذا الحديث عدّة ألفاظ من طريق ميسرة وأبي هريرة وابن سارية وابن عباس وأبي الجدعاء، وأخرجه ابن سعد [في الطبقات الكبرى: ١٤٨/١]، وأحمد بن حنبل [في مسنده: ١١٠/٥ ح ١٦٧٠٠]، والبخاري في التاريخ الكبير [ج٦/٦٨ رقم١٧٣٦]، والبغوي [في تفسيره: ٥٠٨/٣]، وابن السكن، والطبراني [في المعجم الكبير: ٧٣/١٢ ح١٢٥٧١]، وأبو نُعَيم في الحلية [١٢٢/٧ رقم ٣٩٥] والدلائل، وصحّحه الحاكم [في المستدرك: ٤٥٣/٢ ح٣٥٦٦]، والترمذي [في سننه: ٥٤٥/٥ ح٣٦٠٩] حسّنه وصحّحه، وابن حبّان في صحيحه [٣١٢/١٤ ح٦٤٠٤]، وابن عساكر، وابن قانع، والدارمي في السنن، راجع كشف الخفاء للعجلوني: ١٢٩/٢، والجامع الكبير كما في ترتيبه ج٦ [كنز العمّال: ٤٤٩/١١ـ٤٥٠ ح ٣٢١١٤ ٣٢١١٨]. (المؤلّف)

(٢) صحيح مسلم: ١٠٥/١ وفي طبعة مشكول: ١٧٤/١ [٣٤١/١ ح٧٨ كتاب الحيض]. (المؤلّف)

عن عورته، فكيف هو بنفسه؟

جاء في السير في قصّة الغار، أنّ رجلاً كشف عن فرجه وجلس يبول، فقال أبوبكر: قد رآنا يا رسول الله، قال: «لو رآنا لم يكشف عن فرجه». فتح الباري[1] (٩/٧).

وأعجب من الكلّ أنّه ﷺ كان يرى لعورة الصغير حرمة كما جاء في صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك[2] (٢٥٧/٣) من طريق محمد بن عياض، قال: رفعت إلى رسول الله ﷺ في صغري وعليّ خرقة وقد كشفت عورتي، فقال: «غطّوا حرمة عورته فإنّ حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير، ولا ينظر الله إلى كاشف عورة».

وأنّى يصحّ حديث الشيخين إن صحّ ما مرّ عن ابن هشام (ص٢٨٦) من قصّة لعبه ﷺ مع الغلمان في صغره وقد حلّ إزاره وجعله على رقبته، إذ لكمه لاكم فأوجعه، وهتف بقوله: شدّ عليك إزارك. أبعد تلكم اللكمة وذلك الهتاف عاد ﷺ إلى ما نُهي عنه لمّا كبر وبلغ مبلغ الرجال؟

وكيف يتّفق حديث الشيخين مع ما أخرجه البزّار من طريق ابن عبّاس قال: كان ﷺ يغتسل وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قطّ. وقال: إسناده حسن[3]. وأبلغ من ذلك ما رواه القاضي عياض في الشفا[4] (٩١/١) عن عائشة ﵂ قالت: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قطّ.

كوني أنتِ يا أُمّ المؤمنين حكماً عدلاً بيننا وبين رواة السفاسف، واحكمي ٢٨٩/٩

---

(١) فتح الباري: ١١/٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٢٨٨/٣ ح٥١١٩.

(٣) راجع فتح الباري: ٤٥٠/٦ [٥٧٧/٦]، شرح المواهب للزرقاني: ٢٨٤/٤. (المؤلّف)

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٥٩/١.

قسطاً فيمن يعزو إلى بعلك المقدّس ممّا يُربي بنفسه عنه كلّ سافل ساقط، ويقولون: إنّ رجلاً لم ير عورته قطّ أحد حتى حليلته، وأنت من أطلع الناس على خلواته وسرّياته، كان يحمل الحجر بين العمّال عارياً وقد حلّ إزاره وجعله على منكبيه!

أيّها صحيح عنك يا أُمّ المؤمنين ممّا أسندوه إليك؟ أحديثك هذا؟ أم ما حدّثتِ به ـ إن كنتِ حدّثتِ به ـ من حديث عثمان مشفوعاً بما ثبت عن بعلك ﷺ من أنّ الفخذ عورة؟

وكأنّي بأُمّ المؤمنين تقول: حسبك أيّها السائل لقد مُنيتُ بالكذّابة كما مُني بها بعلي ﷺ قبلي، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخرُجُ مِن أَفواهِهِم إِنْ يَقولُونَ إِلّا كَذِبا﴾[1].

وسيعلم المبطلون غبّ ما فرّطوا في جنب رسول الله ﷺ غلوّاً في فضائل أُناس آخرين، ونعم الحكم الله غداً والخصيم محمد ﷺ.

ليت شعري هل كانت عائشة تعتقد باستقرار ملكة الحياء في عثمان في كلّ تلك المدّة التي روت عن أولياتها حديث الفخذين، وطفقت في أُخرياتها تثير الناس على عثمان وتقول فيه تلكم الكلم القارصة الفظّة التي أسلفناها في هذا الجزء صفحة (٧٧ ـ ٨٦) ولم تفتأ حتى أوردته حياض المنيّة؟ وهل كانت ترى استمرار حياء الملائكة منه طيلة ما بين الحدّين؟! أو أنّها ترتئي انفصام عراه بتقطّع حلقات ما أثبتت له من ملكة الحياء؟ ولذلك قلبت عليه ظهر المجن، فإن كان الأوّل فما المبرّر للهجاته الأخيرة؟ وإن كان غيره فالحديث باطل أيضاً لأنّ تبجيل عالم الملكوت لا يكون إلّا على حقيقة مستوعبة لمدّة حياة الإنسان كلّها، والتظاهر بالفضل المنصرم لا حقيقة له تكبرها الملائكة وتستحي من جهتها، هذا إن لم تُعد أُمّ المؤمنين علينا جوابها الأوّل مرّة أُخرى من أنّها مُنيت بالكذّابة، كما أنّه جوابها المطّرد في كلّ ما يُروى عنها من فضل عثمان، وأنّها كلّها من ولائد عهد معاوية المحشوّ بالأكاذيب والمفتريات طمعاً في رضائخه.

---

(١) الكهف: ٥.

٣ ـ أخرج الطبراني[١] من حديث أبي معشر البراء البصري، عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان، عن أبيه عمر بن أبان، عن أبيه أبان بن عثمان بن عفّان، قال: سمعت عبدالله بن عمر يقول: بينا رسول الله ﷺ جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل، ثمّ استأذن / عمر فدخل، ثمّ استأذن سعد بن مالك فدخل، ثمّ استأذن ٢٩٠/٩
عثمان بن عفّان فدخل ورسول الله ﷺ يتحدّث كاشفاً عن ركبته فردّ ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان وقال لامرأته: استأخري، فتحدّثوا ساعة ثمّ خرجوا، فقالت عائشة: يا نبيّ الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخّرني عنك، فقال النبيّ ﷺ: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟ والذي نفسي بيده إنّ الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله، ولو دخل وأنتِ قريب منّي لم يتحدّث، ولم يرفع رأسه حتى يخرج.

ذكره ابن كثير في تاريخه[٢] (٢٠٣/٧) فقال: هذا حديث غريب وفي سنده ضعف. وأوعز الذهبي إليه في الميزان[٣] (٢٥٠/٢) فقال: قال البخاري[٤]: في حديث عمر بن أبان نظر.

قال الأميني: هذه الرواية لدة ما أسلفناه من مسلم وأحمد مشفوعاً بتفنيده وإبطاله ونزيدك هاهنا: أنّ البراء أبا معشر البصري ضعّفه ابن مَعِين، وقال أبوداود: ليس بذاك[٥]، وفيها إبراهيم بن عمر بصريّ أُمويّ حفيد الممدوح، قال أبو حاتم[٦]: ضعيف الحديث، وقال ابن أبي حاتم: ترك أبو زُرعة حديثه فلم يقرأه علينا. وقال

---

(١) المعجم الكبير: ٢٥٢/١٢ ح١٣٢٥٣.

(٢) البداية والنهاية: ٢٢٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٣) ميزان الاعتدال: ١٨١/٣ رقم٦٠٤٧.

(٤) التاريخ الكبير: ١٤٢/٦ رقم١٩٦٢.

(٥) تهذيب التهذيب: ٤٣٠/١١ [٣٧٨/١١]. (المؤلّف)

(٦) الجرح والتعديل: ١١٤/٢ رقم٣٤٢.

ابن حبّان[١]: لا يحتجّ بخبره إذا انفرد[٢]، وقال ابن عدي[٣]: حدّثنا أبو يعلى، عن المقدمي، عن أبي معشر، عن إبراهيم بن عمر بن أبان بأحاديث كلّها غير محفوظة منها: أنّ النبيّ ﷺ أسرّ إلى عثمان أنّه يقتل ظلماً[٤].

٤ ـ أخرج الطبراني من طريق أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفّان، عن مالك، عن أبي الزناد ـ مولى بنت عثمان ـ عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: عثمان حيي تستحي منه الملائكة[٥].

قال الأميني: في الإسناد أبو مروان محمد، قال صالح الأسدي: يروي عن أبيه المناكير، وقال ابن حبّان[٦]: يخطئ ويخالف[٧].

٢٩١/٩ وفيه عثمان بن خالد، قال البخاري[٨]: عنده مناكير، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال العقيلي[٩]: الغالب على حديثه الوهم، وقال أبو أحمد: منكر الحديث، وقال ابن عدي[١٠]: أحاديثه كلّها غير محفوظة، وقال الساجي: عنده مناكير غير معروفة، وقال الحاكم وأبو نعيم: حدّث عن مالك وغيره بأحاديث موضوعة[١١]، وقال ابن

---

(١) كتاب المجروحين: ١/١١٠.

(٢) ميزان الاعتدال: ١/٢٤ [١/٥٠ رقم ١٦٠]، لسان الميزان: ١/٨٦ [١/٨٢ رقم ٢٤٥]. (المؤلّف)

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٥/٥٧ رقم ١٢٣٢.

(٤) لسان الميزان: ٤/٢٨٢ [٤/٣٢٥ رقم ١٦٦٢]. (المؤلّف)

(٥) تاريخ ابن كثير: ٧/٢٠٣ [٧/٢٢٨ سنة ٣٥]. (المؤلّف)

(٦) الثقات: ٩/٩٤.

(٧) تهذيب التهذيب: ٩/٣٣٦ [٩/٢٩٩]. (المؤلّف)

(٨) التاريخ الكبير: ج٦/٢٢٠ رقم ٢٢٢١.

(٩) الضعفاء الكبير: ٣/١٩٨ رقم ١١٩٨.

(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال: ٥/١٧٥ رقم ١٣٣٥.

(١١) روايته هذه عن مالك من تلكم الموضوعات. (المؤلّف)

حبّان[١]: يروي المقلوبات عن الثقات لا يجوز الاحتجاج به[٢]، وقال السندي في شرح سنن ابن ماجه (٥٣/١) في حديث يأتي: إسناده ضعيف، فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتّفاقهم.

وقد فصّلنا القول قُبيل هذا في حياء الرجل بما لا مزيد عليه، وبذلك تعلم أنّ الحديث باطل وإن صحّ إسناده، فكيف به وإسناده أوهن من متنه؟!

٥ ـ أخرج أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٥٦/١) من طريق هشيم أبي نصر التمّار، عن الكوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: أشدّ أُمّتي حياء عثمان بن عفّان.

قال الأميني: تغمرني الحيرة في حياء أُمّة محمد ﷺ ومبلغها منه بعد أن كان عثمان أشدّها حياءً وبين يديك أفعاله وتروكه، فعلى الأُمّة العفا إن صدقت الأحلام. نعم: هذا لا يكون، ونبيّ العظمة لا يسرف في القول، ولا يجازف في الإطراء، والإسناد باطل لا يعوّل عليه لمكان كوثر بن حكيم قال أبو زُرعة: ضعيف، وقال يحيى بن مَعِين: ليس بشيء، وقال أحمد بن حنبل[٣]: أحاديثه بواطيل، ليس بشيء، وقال الدارقطني[٤] وغيره: مجهول، وقال أبو طالب: سألت أحمد عنه فقال: ليس هو من عيالنا، وكان أحمد إذ لم يرو عن رجل قال: ليس هو من عيالنا متروك الحديث، وقال: ضعيف منكر الحديث، وقال الجوزجاني: لا يحلّ كتابة حديثه عندي؛ لأنّه متروك، وقال ابن عدي[٥]: عامّة ما يرويه غير محفوظة، وقال ابن أبي حاتم عن

---

(١) كتاب المجروحين: ١٠٢/٢.

(٢) تهذيب التهذيب: ١١٤/٧ [١٠٥/٧ وانظر أيضاً تهذيب الكمال: ٣٦٤/١٩]. (المؤلّف)

(٣) العلل ومعرفة الرجال: ٤٣٦/١ رقم ٩٧٢ و٤٦/٢ رقم ١٥٠٥.

(٤) الضعفاء والمتروكون: ص ٣٣٢ رقم ٤٤٧.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٧٨/٦ رقم ١٦١٠.

أبيه[١]: ضعيف الحديث، قلت: هو متروك؟ قال: لا، ولا أعلم له حديثاً مستقيماً وهو ليس بشيء، وقال ابن شيبة[٢]: منكر الحديث، وقال أبو الفتح والساجي: ضعيف، وقال البرقاني والدارقطني[٣]: متروك الحديث. وذكره العقيلي[٤] والدولابي وابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء.

٢٩٢/٩ ميزان الاعتدال (٣٥٩/٢)، / لسان الميزان (٤٩١/٤)[٥].

٦ ـ أخرج أبو نُعَيم في الحلية (٥٦/١) من طريق زكريّا بن يحيى المقري[٦] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: عثمان أحيا أُمّتي وأكرمها.

قال الأميني: ما خطر أُمّة محمد ﷺ إن كان أحياها وأكرمها قتيل الصحابة العدول إثر هناته وموبقاته، وليد الشجرة الملعونة في القرآن، وليد أبي العاص وقد صحّ عنه ﷺ في ولده قوله: «إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، ودينه دخلا» وقد كان بلاغهم ثلاثين يوم عثمان وهو أحدهم ورأسهم، وأسلفنا في ذلك قول أبي ذر الناظر إليه وإليهم من كثب. فهل يثمر الشوك العنب؟ لاها الله.

أيحسب الباحث أنّ النبيّ ﷺ أسرّ بهذه المنقبة الرابية إلى ابن عمر فحسب من بين الصحابة؟ أم أعلن بها في ملأ من أصحابه وكان في الآذان وقر؟ أم سمعوها ونسوها من يومهم الأوّل؟ أم حفظوها ونبذوها وراء ظهورهم يوم تركوا جثمان أحيا الأُمّة وأكرمها منبوذاً ثلاثة أيّام في مزبلة من غير دفن؟ ثمّ دفنه عدّة أُناس ليلاً وما

---

(١) الجرح والتعديل: ١٧٦/٧ رقم١٠٠٥.

(٢) في الأصل: ابن أبي شيبة، والتصويب من لسان الميزان مصدر النقل، وهو يعقوب بن شيبة. ومر تصويب أُختها في: ١٥٨/١.

(٣) الضعفاء والمتروكون: ص٣٣٥ رقم٥٢٥.

(٤) الضعفاء الكبير: ١١/٤ رقم١٥٦٦.

(٥) ميزان الاعتدال: ٤١٦/٣ رقم٦٩٨٣، لسان الميزان: ٥٧٩/٤ رقم٦٧٦٨.

(٦) في النسخة: المنقري. (المؤلّف)

أمكنهم تغسيله وتكفينه وتجهيزه والصلاة عليه، دُفن في مقبرة اليهود بعد ما رُجم سريره وكُسر ضلعٌ من أضلاعه، وعُفي قبره خوفاً عليه من النبش.

على أنّ الإسناد لا يصحّ لمكان زكريّا بن يحيى وهو ضعيف وشيخه يخطئ في الإسناد والمتن وقد أخطأ في أحاديث كثيرة، وغرائب حديثه وما ينفرد به كثير.

راجع[١]: تاريخ الخطيب البغدادي وميزان الاعتدال ولسانه.

٧ ـ أخرج ابن عساكر[٢] في ترجمة عثمان من طريق أبي هريرة مرفوعاً: الحياء من الإيمان وأحيا أُمّتي عثمان.

ضعّفه السيوطي في الجامع الصغير[٣] وأقرّه المناوي. راجع فيض القدير (٤٢٩/٣).

لفت نظر: يُعطينا سبر التاريخ والحديث خُبراً بأنّ السيرة المطّردة لرجال الوضع والاختلاق في شنشنة التقوّل والافتعال في الفضائل هي العناية الخاصّة بالملكات التي كان يفقدها الممدوح رأساً. والمبالغة والإكثار في كلّ غريزة ثبت خلافها ممّا عُلم من تاريخ حياة الرجل ومن سيرته الثابتة المشهورة، فنجدهم يبالغون في شجاعة أبي بكر بما لا مزيد عليه حتى حسبوه أشجع الصحابة، وقد شهد مشاهد ٢٩٣/٩
النبيّ ﷺ كلّها وما سلّ فيها سيفاً، ولا نزل في معترك قتال، ولا تقدّم لبراز أيّ مجالد، وما رُئي قطّ مناضلاً، وما شوهد يوماً في ميادين الحراب منازلاً، فأكثروا القول فيها وجاؤوا بأحاديث خرافة في شجاعته رجاء أن يثبت له منها شيء تجاه تلك الدراية الثابتة بالمحسوس المُشاهَد[٤].

---

(١) ميزان الاعتدال: ٧٩/٢ رقم ٢٨٩٤، لسان الميزان: ٦٠٢/٢ رقم ٣٤٧٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٩٢/٣٩ رقم ٤٦١٩ وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٣١/١٦.

(٣) الجامع الصغير: ٥٩٦/١.

(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٢٠٠ ـ ٢١٥. (المؤلّف)

ويبالغون في زهده وتقواه وجعلوا كبده مشويّاً من خوف الله والدخان يتصاعد من فمه إلى السماء مهما تنفّس، ولم يثبت له ميز في العبادة ولم يُروَ عنه الإكثار من الصوم والصلاة ومن كلّ ما يقرّبه إلى الله زلفى[١].

ويبالغون في علم عمر وجعلوه أعلم الصحابة في يومه على الإطلاق وأفقههم في دين الله، وحابوه تسعة أعشار العلم، راجحاً علمه علم أهل الأرض، علم أحياء العرب في كفّة الميزان، وجاؤوا فيه بكثير لدة هذه الخرافات[٢] والرجل قد ألهاه الصفق بالأسواق عن علم الكتاب والسنّة، وكلّ الناس أفقه منه حتى ربّات الحجال أخذاً بقوله وهو الصادق المصدّق فيه[٣].

ويبالغون في إنكاره الباطل وبغضه الغناء ونكيره الشديد عليه، وقد ثبت من شكيمته أنّه كان يتعاطاه ويجوّزه[٤].

ولمّا وجدوا أنّ التاريخ الصحيح وما ثبت من سيرة عثمان ينفي عنه ملكة الحياء ويُمثّله للمجتمع بما يضادّها، نسجوا له هذا النسج المبرم، وأتوا بالمخازي ووضعت يد الافتعال فيها ما سمعت من الأفائك، حتى جعلوه أشدّ أُمّة محمد حياءً، وأحياها وأكرمها، حييّاً تستحي منه الملائكة. فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر وعلم عمر سالبة بانتفاء موضوعاتها، وهي فيهم تُضاهي أمانة معاوية وعلمه الواردين فيما يُعزى إليه ﷺ من قوله: كاد أن يبعث معاوية نبيّاً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي.
٢٩٤/٩ وقوله: / الأُمناء سبعة: اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمد ومعاوية[٥].

---

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٢١٩ ـ ٢٢٢. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ في الجزء السادس: ص ٨٢، ٣٣١ والجزء الثامن: ص ٦٢، ٦٣. (المؤلّف)

(٣) راجع ما أسلفناه في الجزء السادس من نوادر الأثر في علم عمر. (المؤلّف)

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الثامن: ص ٦٤ ـ ٨١، ٨٦، ٩٤ ـ ٩٦. (المؤلّف)

(٥) راجع الجزء الخامس من الغدير: ص ٣٠٨. (المؤلّف)

ويُعرب عن أمانة معاوية ومبلغه من هذه الملكة الفاضلة ما رواه أبوبكر الهذلي قال: إنّ أبا الأسود الدؤلي كان يُحدّث معاوية يوماً فتحرّك فضرط، فقال لمعاوية: استرها عليّ. فقال: نعم. فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكلّ أجوف ضروط. ثمّ أقبل على معاوية فقال: إنّ امرأً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بأن لا يؤمن على أُمور المسلمين.

الأغاني (١١٣/١١)، حياة الحيوان للدميري (٣٥١/١)، محاضرات الراغب (١٢٥/٢)[1].

٨ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[2] (١٠٢/٣)، من طريق الدارمي، عن سعيد ابن عبد الله الجرجسي، عن محمد بن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عمرو ابن أبان بن عثمان ـ المدوح ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُري الليلة رجل صالح أنّ أبابكر نيط برسول الله صلى الله عليه وآله ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر. فلمّا قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله قلنا: أمّا الرجل الصالح فرسول الله، وأمّا ما ذكر من نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيّه صلى الله عليه وآله.

قال الحاكم: قال الدارمي: سمعت يحيى بن مَعِين يقول: محمد بن حرب يسند هذا الحديث، والناس يحدّثون به عن الزهري مرسلاً إنّما هو عمرو بن أبان ولم يكن لأبان بن عثمان ابن يقال له عمرو.

قال الأميني: ألا تعجب من رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وحدّث بها في ملأ

---

(١) الأغاني: ٣٦٠/١٢، حياة الحيوان: ٥٠٠/١، محاضرات الأُدباء: ٢٧٥/٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ١٠٩/٣ ح ٤٥٥١.

الصحابة ولم يسمعها منه ﷺ إلّا جابر بن عبدالله وهو لم يرتّب عليها أي أثر عمليّ، ولم يروها عنه إلّا حفيد عثمان عمرو بن أبان الذي لم يكن له وجود، أو اختلف في أنّه كان أو لم يكن؟ نعم؛ ينبغي حقّاً أن يكون مستدرك الصحيحين أمثال هذه التافهات.

٩ ـ أخرج ابن ماجه في سننه[١] (٥٣/١)، عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفّان، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، / عن أبيه ـ مولى عائشة بنت عثمان ـ عن الأعرج، عن أبي هريرة؛ أنّ رسول‌الله ﷺ قال: لكلّ نبيّ رفيق في الجنّة ورفيقي فيها عثمان بن عفّان. ٢٩٥/٩

رجال الإسناد:

١ ـ أبو مروان، مرّ الايعاز إليه (ص ٢٩٠).

٢ ـ عثمان بن خالد، أسلفنا في هذا الجزء (ص ٢٩١) كلمات الحفّاظ فيه وأنّه ليس بثقة، وأحاديثه كلّها غير محفوظة، وحدّث بأحاديث موضوعة لا يجوز الاحتجاج به. ورواه الترمذي[٢] من طريق طلحة بن عبيدالله وقال: غريب ليس إسناده بالقويّ، وهو منقطع.

٣ ـ عبدالرحمن بن أبي الزناد، قال يحيى بن مَعِين[٣]: ليس ممّن يحتجّ به أصحاب الحديث، ليس بشيء. وقال ابن صالح وغيره عن ابن مَعِين: ضعيف. وقال الدوري عن ابن مَعِين: لا يحتجّ بحديثه. وقال صالح بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث. وعن ابن المديني: كان عند أصحابنا ضعيفاً. وقال النسائي[٤]: لا يُحتجّ

---

(١) سنن ابن ماجه: ١/٤٠ ح١٠٩.

(٢) سنن الترمذي: ٥/٥٨٣ ح٣٦٩٨.

(٣) التاريخ: ٣/٢٥٨ رقم١٢١١.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٦٠ رقم٣٨٧.

بحديثه. وقال ابن سعد[١]: كان كثير الحديث وكان يضعف لروايته عن أبيه.

تهذيب التهذيب[٢] (١٧١/٦).

وبعد ذلك كلّه فإنّي أستغرب هذه الرفاقة وأنّ الرجل بماذا اختصّ بها وحصل عليها من دون الصحابة المقدّمين ذوي الفضائل والمآثر، وفي مقدّمهم صنوه ﷺ أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه وهو نفسه في الذكر الحكيم، وأخوه المخصوص به في حديث الموآخاة المعربة عن المجانسة بينهما في النفسيّات، وهو الذابّ الوحيد عنه في حروبه ومغازيه، ومثله الأعلى في العصمة والقداسة بصريح آية التطهير، وباب مدينة علمه في الحديث المتواتر.

فبماذا اختصّ عثمان بهذه الرفاقة دون عليّ أمير المؤمنين، ألمشاكلته مع صاحب الرسالة العظمى في النسب أو الحسب في العلم والتقوى والملكات الفاضلة؟ أو لاتّباعه ما جاء به ﷺ من كتاب أو سنّة؟ وأنت متى استشففت ما تلوناه في هذا الكتاب من موارد الخليفة ومصادره، وأخذه وردّه، وأفعاله وتروكه، تعلم مبوّأه من كلّ هاتيك الفضائل وتجد من المستحيل ما أثبتته له هذه الرواية الواهية بإسنادها الساقط، تعالى نبيّ العظمة عن ذلك علوّاً كبيراً.

ولست أدري لماذا ردّ الله دعاء نبيّه الأعظم في أبي بكر الوارد فيما أخرجه ابن عدي[٣] من طريق الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنّك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنّة[٤]. ٢٩٦/٩

نعم؛ هذا كحديث ابن ماجه هما سواسية في البطلان، في إسناده محمد بن

---

(١) الطبقات الكبرى: ٤١٦/٥.

(٢) تهذيب التهذيب: ١٥٥/٦.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٨٦/٦ رقم ١٧٧١.

(٤) لسان الميزان: ٤١٨/٥ [٤٧٣/٥ رقم ٨١٦٠]. (المؤلّف)

الوليد القلانسي البغدادي، كذّاب، يضع الحديث كما مرّ في سلسلة الكذّابين (٢٥٦/٥)، ومصعب بن سعيد يحدّث عن الثقات بالمناكير ويصحّف[١]، وكان مدلّساً لا يدري ما يقول وستوافيك ترجمته، وعيسى بن يونس مجهول لا يعرف[٢].

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[٣] (٩٧/٣)، من طريق عبيدالله بن عمرو القواريري البصري، عن القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري، عن أبي عبادة الزرقي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حُصر في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحة أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في مكان كذا وكذا وليس معه من أصحابه غيري وغيرك فقال لك: يا طلحة إنّه ليس من نبيّ إلّا وله رفيق من أُمّته معه في الجنّة وإنّ عثمان رفيقي ومعي في الجنّة؟ فقال طلحة: اللّهمّ نعم. قال: ثمّ انصرف طلحة.

وفي لفظ أحمد في مسنده[٤] (٧٤/١)، بالإسناد نفسه، عن أسلم قال: شهدت عثمان ﷺ يوم حُوصر في موضع الجنائز، ولو أُلقي حجر لم يقع إلّا على رأس رجل، فرأيت عثمان ﷺ أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل ﷺ، فقال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا. ثمّ قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فسكتوا. ثمّ قال: يا أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيدالله، فقال له عثمان ﷺ: ألا أراك هاهنا! ما كنت أرى أنّك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبني، أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ قال: نعم. فقال لك رسول الله ﷺ: يا طلحة إنّه ليس من نبيّ إلّا ومعه من أصحابه رفيق من أُمّته معه في الجنّة، وإنّ عثمان بن

---

(١) لسان الميزان: ٥١/٦ رقم ٨٤٠٤.

(٢) المصدر السابق: ٤٧٤/٤ رقم ٦٤٦٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ١٠٤/٣ ح ٤٥٣٧.

(٤) مسند أحمد: ١١٩/١ ح ٥٥٣.

عفّان ﷺ هذا ـ يعنيني ـ رفيقي معي في الجنّة. قال طلحة: اللّهمّ نعم. ثمّ انصرف.

٩/٣٩٧ صحّحه الحاكم[١] وعقّبه الذهبي، فقال: قلت: قاسم هذا، قال البخاري: لا يصحّ حديثه، وقال أبو حاتم[٢]: مجهول. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب[٣] (٣١٢/٨) وحكى عن البخاري وأبي حاتم ما ذكره الذهبي.

وفي الإسناد عبيد الله القواريري، روى عنه البخاري خمسة أحاديث فحسب، ومسلم أربعين حديثاً[٤] وقد سمع منه أحمد بن يحيى مئة ألف حديث[٥]. فما حكم ذلك الحوش الحائش ممّا جاء به القواريري بعدما لم يأخذ البخاري ومسلم منه إلّا عدّة أحاديث وضربا عن كلّ ذلك صفحاً؟ ومن المستبعد جدّاً عدم وقوفهما عليها.

وفيه: أبو عبادة الزرقي عيسى بن عبدالرحمن الأنصاري، قال أبو زُرعة: ليس بالقويّ. وقال أبو حاتم[٦]: منكر الحديث ضعيف الحديث شبيه بالمتروك لا أعلمه روى عن الزهري حديثاً صحيحاً. وقال البخاري والنسائي[٧]: منكر الحديث. وقال ابن حبّان[٨]: يروي المناكير عن المشاهير فاستحقّ الترك. وقال العقيلي[٩]: مضطرب الحديث. وقال الأزدي: منكر الحديث مجهول. وقال ابن عدي[١٠]: عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه. وقال ابن حبّان أيضاً: لا ينبغي أن يحتجّ بما انفرد به[١١].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٠٤/٣ ح٤٥٣٧، وكذا في تلخيصه.

(٢) الجرح والتعديل: ١٠٩/٧ رقم٦٢٨.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢٨٠/٨.

(٤) و(٥) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٤١/٧ [٣٦/٧]. (المؤلّف)

(٦) الجرح والتعديل: ٢٨١/٦ رقم١٥٥٩.

(٧) التاريخ الكبير: مج٣٩١/٦ رقم٢٧٤١، كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٧٦ رقم٤٤٣.

(٨) كتاب المجروحين: ١١٩/٢.

(٩) الضعفاء الكبير: ٣٨١/٣ رقم١٤١٨.

(١٠) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٤٥/٥ رقم ١٣٩٠.

(١١) تهذيب التهذيب: ٢١٨/٨ [١٩٥/٨]، لسان الميزان: ٤٠٠/٤ [٤٦٢/٤ رقم٦٤٢٧]. (المؤلّف)

قال الأميني: ولا يكاد يصحّ انصراف طلحة مع إصراره الثابت في التشديد على عثمان إلى آخر نفس لفظه الرجل، ولم يقنعه الإجهاز عليه حتى إنّه منعه عن الدفن في مقابر المسلمين، وجعل ناساً هناك أكمنهم كميناً ورموا حملة جنازته بالحجارة وصاحوا: نعثل نعثل. وقال طلحة: يُدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود، ولذلك قال مروان لمّا قتل طلحة لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك، ومروان كان شاهداً عليه من كثب[1].

ومن العجيب أنّ هذه المناشدة كانت في ذلك المحتشد الرحيب بمسمع من أُولئك الجمّ الغفير وكان لو أُلقي الحجر لم يقع إلّا على رأس رجل لكنّها لم تكفّ أحداً منهم، فهل كانوا معترفين بها معرضين عنها؟ فأين العدالة المزعومة فيهم؟ أو أنّهم / عرفوا ٢٩
بطلانها وما صدّقوا الرجلين في دعواهما فتركوها في مدحرة الإعراض؟ أو لم تكن هنالك مناشدةً قطّ؟ وهو أقرب الوجوه إلى الحقّ.

ولو فرضنا أنّها أكفأت طلحة كما يحسبه مختلق هذه الرواية، فإنّه لم يكن إلّا إكفاءً وقتيّاً ثمّ راجع طلحة رشده فعرف أنّها حجّة داحضة فاستمرّ على ما ثار له، وثبت عنه من الثبات على عمله وتضييقه.

هذه غاية ما يمكن أن يقال متى تجشّمنا لوضع هذه المزعمة في بقعة الإمكان، ومن المستصعب ذلك أو المتعذّر، وقد أسلفنا أنّ الرفاقة المزعومة ليس من السهل تصديقها لعدم المجانسة بين الرفيقين قطّ ولو كانت من جهة.

والرفاقة كالأخوّة والصحبة ـ المنبعثة ثلاثتها عن التجانس في الخلل والمزايا ـ تخصّ بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء مرفوعاً: «يا عليّ أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنّة»[2]، وهذا التخصّص تعاضده البرهنة الثابتة، ويؤيّد بالاعتبار.

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص ٩١ ـ ١٠١. (المؤلّف)

(٢) تاريخ الخطيب: ٢٦٨/١٢ [رقم ٦٧١٢]. (المؤلّف)

١١ ـ أخرج[١] أبو يعلى وأبو نُعَيم وابن عساكر في تاريخه (٦٥/٧)، والحاكم في المستدرك (٩٧/٣) من طريق شيبان بن فروخ، عن طلحة بن زيد الدمشقي، عن عبيدة[٢] بن حسان، عن عطاء الكيخاراني، عن جابر بن عبدالله قال: بينا نحن في بيت ابن حشفة في نفر من المهاجرين فيهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: لينهض كلّ رجل منكم إلى كفئه، فنهض النبيّ ﷺ إلى عثمان فاعتنقه، وقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة.

صحّحه الحاكم وعقّبه الذهبي في تلخيصه وقال: قلت: بل ضعيف، فيه طلحة ابن زيد، وهو واهٍ عن عبيدة بن حسان شُوَيخ مقلّ عن عطاء. وقال السيوطي في اللآلئ (٣١٧/١): موضوع، طلحة لا يحتجّ به، وعبيدة يروي الموضوعات عن الثقات. انتهى.

وذكره[٣] المحبّ الطبري في رياضه النضرة (١٠١/٢)، وابن كثير في تاريخه (٢١٢/٧) ساكتين عمّا في إسناده من الغمز شأنهما في فضائل من يحبّانه ويواليانه، ولا يخفى / عليهما قول أحمد: طلحة بن زيد ليس بذاك قد حدّث بأحاديث مناكير. وقوله: ٩/أ
ليس بشيء كان يضع الحديث لا يعجبني حديثه. وقول[٤] البخاري والنسائي: منكر الحديث. وقول النسائي أيضاً: ليس بثقة متروك. وقول صالح بن محمد: لا يكتب حديثه. وقول ابن حبّان[٥]: منكر الحديث لا يحلّ الاحتجاج بخبره. وقول

---

(١) مسند أبي يعلى: ٤٤/٤ ح٢٠٥١، تاريخ مدينة دمشق: ٢٥/٢٥ رقم ٢٩٧٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٨٤/١١، المستدرك على الصحيحين: ١٠٤/٣ ح٤٥٣٦ وكذا في تلخيصه.

(٢) في النسخة هاهنا وفيما يأتي: عبيد. والصحيح ما ذكرناه. (المؤلّف)

(٣) الرياض النضرة: ٢٧/٣، البداية والنهاية: ٢٣٩/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٤) التاريخ الكبير: ٣٥١/٤ رقم ٣١٠٥، كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٤٣ رقم٣٣٢.

(٥) كتاب المجروحين: ٣٨٣/١.

الدارقطني[١] والبرقاني: ضعيف. وقول أبي نعيم: حدّث بالمناكير لا شيء. وقول الآجري عن أبي داود: يضع الحديث. ونسبة ابن المدائني إيّاه إلى وضع الحديث. وقول الساجي: منكر الحديث[٢].

كما لا يخفى على الرجلين رأي الحفّاظ في عبيدة بن حسان، قال أبو حاتم[٣]: منكر الحديث، وقال ابن حبّان[٤]: يروي الموضوعات عن الثقات، وقال الدارقطني: ضعيف. لسان الميزان[٥] (١٢٥/٤).

والغرابة في هذه المماثلة والولاية المنبعثة عنها في الدنيا والآخرة، وهي ليست بأقلّ من الرفاقة التي أسلفنا القول فيها قُبيل هذا، وإنّ من المؤسف جدّاً المقارنة بين رسول العظمة وبين من لم يقم الصحابة الأوّلون ـ العدول كلّهم فيما يرتأون ـ له وزناً ولا رأوا لحياته قيمة، ولا حسبوه لتسنّم عرش الخلافة مؤهّلاً، فلم يزل ممقوتاً عندهم حتى كبت به بطنته، وأجهز عليه عمله، كما قاله مولانا أمير المؤمنين[٦] ولم يفتأ الصحابة مصرّين على مقته حتى أوردوه حياض المنيّة، ولم تبرح أعماله مؤكِّدَة لعقائد الملأ الديني في همزه ولمزه حتى وقع من الأمر ما وقع.

ولا يسع قطّ لعارف عرفان وجه المكافأة بين نبيّ العظمة وبين عثمان، فإنّها إن كانت من ناحية النسب فأنّى هي؟ هذا من شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وذلك من شجرة ملعونة في القرآن.

---

(١) الضعفاء والمتروكون: ص ٢٥٥ رقم ٣٠٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٦٥/٧ [٢٦/٢٥ـ٢٩ رقم ٢٩٧٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٨٤/١١]، تهذيب التهذيب: ١٦/٤ [١٥/٥]، اللآلئ المصنوعة: ٨١/١، ٣١٧ [١٥٦/١، ٣١٧]. (المؤلّف)
[وانظر أيضاً تهذيب الكمال للحافظ المزّي: ٣٩٥/١٣ رقم ٢٩٦٨].

(٣) الجرح والتعديل: ٩٢/٦ رقم ٤٧٥.

(٤) كتاب المجروحين: ١٨٩/٢.

(٥) لسان الميزان: ١٤٥/٤ رقم ٥٤٨٥.

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع: ص ٨٢. (المؤلّف)

وإن كانت من حيث الحسب ففرق بينهما فيه بعد المشرقين ولا حرج، هذا حسيب. وذلك مُقشَّب[١] الحسب؟ وإن كان من جهة الملكات الفاضلة والنفسيّات الكريمة فالمشاكلة منتفية وهما طرفا نقيض، هذا ناصح الجيب، واري الزند[٢] لعلى خلق عظيم، والآخر يحمل منها بين جنبيه ما عرّفناك حديثه. ٩/٢٠٠

ونحن إن أخذنا ما جاء به القوم من قضايا الملكات فالبون بينهما شاسع أيضاً، فالنبيّ الأقدس مثلاً عندهم كما مرّ كان يكشف في الملأ عن ركبتيه وعن فخذيه وعمّا هو بينهما وبين سرّته ولم يكن يبالي. وعثمان إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه، كما مرّ في حديث الحسن (ص٢٨٧).

وإن فرضت المشاكلة من جانب الأخذ بالدين والعمل بما فيه من أفعال أو تروك، فالتباين بينهما ظاهر وأيّ تباين ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾[٣] هذا رسول التوحيد أسلم وجهه لله وهو محسن، يعبد ربّه مخلصاً له الدين تحت راية لا إله إلّا الله، وقرط أُذنه قوله تعالى ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرهُمْ﴾[٤]، وورد لسانه: ﴿وَمَا تَوفِيقِي إلّا بِاللهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ﴾[٥]، وأمّا عثمان فهو أسير هوى مروان ومعاوية وسعيد ومن شاكلهم من أبناء بيته، يسير مع ميولهم وشهواتهم، حتى قال مولانا أمير المؤمنين: «ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك، وإنّ مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يُسار

---

(١) المقشَّب: المزوج الحسب باللؤم.

(٢) رجل ناصح الجيب أي صادق أمين، نقيّ القلب لا غشّ فيه. ويقال: واري الزند. في المبالغة في الكرم والخصال المحمودة. (المؤلّف)

(٣) الزمر: ٢٩.

(٤) الأنعام: ٩١.

(٥) هود: ٨٨.

به[١]» قدم ربّه وقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته.

إيه إيه يا نبيّ العظمة أنزلك الدهر ثمّ أنزلك حتى جعلك كُفو عثمان بعد ما اختارك ربّك واصطفاك من بريّته وجعلك لسان صدق نبيّا! هذا جزاؤك من أُمّتك جزاء سنمّار ﴿وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢].

لفت نظر:

وضعت يد الأمانة الخائنة على ودائع الإسلام المقدّس هذه الرواية تجاه ما صحّ عن النبيّ الأقدس في صنوه الطاهر أمير المؤمنين في حديث طويل عن ابن عبّاس من قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت وليّي في الدنيا والآخرة».

أخرجه أحمد في مسنده[٣] (١/٣٣١) بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات كما مرّ
٣٠١/٩ الإيعاز / إليه في الجزء الأوّل (ص٥٠)، وفي الجزء الثالث (ص١٩٥)، رجاله:

١ ـ يحيى بن حماد أبو بكر البصري، أحد رجال الصحيحين، وثّقه[٤] ابن سعد وأبو حاتم وابن حبّان والعجلي.

٢ ـ أبو عوانة الوضّاح اليشكري، من رجال الصحيحين. وثّقه[٥] أبو زُرعة

---

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص١٧٤. (المؤلّف)

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) مسند أحمد: ١/٥٤٤ ح٣٠٥٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ٧/٣٠٦، الجرح والتعديل: ٩/١٣٧ رقم٥٨٣، الثقات: ٩/٢٥٧، تاريخ الثقات للعجلي: ص٤٧٠ رقم ١٨٠٠.

(٥) الجرح والتعديل: ٩/٤٠ رقم١٧٣، العلل ومعرفة الرجال: ٣/٩٢ رقم٤٣٢٩، الثقات: ٧/٥٦٢، الطبقات الكبرى: ٧/٢٨٧، تاريخ الثقات للعجلي: ص٤٦٤ رقم١٧٦٨، تاريخ أسماء الثقات: ص٣٣٩ رقم١٤٤٣. وانظر تهذيب التهذيب: ١١/١٠٤.

وأبو حاتم وأحمد وابن حبّان وابن سعد والعجلي وابن شاهين. وقال ابن عبد البرّ: أجمعوا على أنّه ثقة ثبت حُجّة.

٣ ـ أبو بلج يحيى بن سليم الواسطي، وثّقه ابن مَعِين وابن سعد[١] والنسائي والدارقطني وابن حبّان وأبو الفتح الأزدي.

٤ ـ عمرو بن ميمون أبو عبدالله الكوفي، أدرك الجاهليّة ولم يلق النبيّ ﷺ. وثّقه[٢] العجلي وابن مَعِين والنسائي وغيرهم، عن ابن عبّاس.

وأخرجه جمع من الحفّاظ وذكره غير واحد من المؤلّفين، ومنهم[٣]:

١ ـ الحافظ أبو عبدالرحمن النسائي المتوفّى (٣٠٣)، في الخصائص (ص٧).

٢ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى (٣٦٠)، كما في الفرائد والمجمع وغيرهما.

٣ ـ الحافظ أبو يعلى النيسابوري المتوفّى (٣٧٤)[٤] كما في البداية والنهاية.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣١١/٧، وانظر تهذيب الكمال للمزّي: ١٦٢/٣٣ رقم ٧٢٦٩.

(٢) تاريخ الثقات: ص٣٧١ رقم ١٢٩٠، التاريخ: ٥٠٦/٣ رقم٢٤٧.

(٣) خصائص أميرالمؤمنين: ص٤٥ ح٢٣، المعجم الكبير: ٧٧/١٢ ح١٢٥٩٢، المستدرك على الصحيحين: ١٤٥/٣ ح٤٦٥٥، المناقب: ص١٢٥ ح١٤٠، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر ـ الطبعة المحققة ـ: رقم ٢٤٩ ـ ٢٥١ وفي مختصر تاريخ دمشق: ٣٢٩/١٧، كفاية الطالب: ص٢٤٢ باب٦٢، الرياض النضرة: ١٥٣/٣، فرائد السمطين: ٣٢٧/١ ح٢٥٥ باب٥٩. البداية والنهاية: ٣٧٣/٧ حوادث سنة ٤٠هـ، وسيلة المآل: ص١٢٩، نُزُل الأبرار: ص٤٩، مفتاح النجا: ص٤٠، مرآة المؤمنين: ص٨٥.

(٤) قال ابن كثير: وقال أبو يعلى: حدّثني يحيى بن عبدالحميد... الخ. ويحيىٰ توفّي سنة ٢٢٨، ولهذا يبعد رواية أبي يعلى ـ المتوفى ٣٧٤ ـ عنه مباشرة، لأن هذا يعني أنّه عمّر بعد سماعه عنه مئة وستاً وأربعين سنة على الأقل ويبدو أنّ أبا يعلى هذا راوٍ لا مؤلف، وهو غير الحافظ أبي يعلى الموصلي صاحب المسند، لأننا لم نعثر على هذا الحديث في مسنده فضلاً عن أنه توفّي سنة (٣٠٧). أما كلمة (النيسابوري) فلم نجدها في تاريخ ابن كثير، ولا في غيره من المصادر التي ذكرت الحديث.

٤ ـ الحافظ أبو عبدالله الحاكم المتوفّى (٤٠٥) في المستدرك (١٣٢/٣) وصحّحه.

٥ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى (٤٥٨) كما في المناقب للخوارزمي.

٦ ـ أخطب خوارزم أبو المؤيّد المتوفّى (٥٦٨) في المناقب (ص ٧٥).

٧ ـ الحافظ أبو القاسم بن عساكر المتوفّى (٥٧١) في الأربعين الطوال والموافقات.

٨ ـ أبو حامد محمود الصالحاني[1] كما في توضيح الدلائل لشهاب الدين أحمد.

٩ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي المتوفّى (٦٥٨) في كفاية الطالب (ص ١١٥).

١٠ ـ الحافظ المحبّ الطبري المتوفّى (٦٩٤) في الرياض النضرة (٢٠٣/٢) وذخائر العقبى (ص ٨٧).

١١ ـ شيخ الإسلام الحمّوئي المتوفّى (٧٢٢) في فرائد السمطين.

١٢ ـ الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفّى (٧٧٤) في البداية والنهاية (٣٣٧/٧).

١٣ ـ الحافظ أبو الحسن الهيثمي المتوفّى (٨٠٧) في مجمع الزوائد (١٠٨/٩) وصحّحه من طريق أحمد.

٣٠٢/٩ ١٤ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى (٨٥٢) في الإصابة (٥٠٩/٢).

١٥ ـ السيّد شهاب الدين أحمد[2] في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل.

١٦ ـ الشيخ أحمد بن الفضل باكثير المتوفّى (١٠٤٧) في وسيلة المآل.

---

(١) هو محمود بن محمد بن حسين بن يحيىٰ ، أبو حامد سعد الدين الصالحاني المتوفّى ٦١٢ هـ. أديب، سكن شيراز وبها حدّث . له تصانيف . أُنظر معجم المؤلفين : ١٩٦/١٢.

(٢) هو السيد شهاب الدين أحمد بن عبدالله الحسيني الشيرازي .

١٧ ـ ميرزا محمد البدخشاني المتوفّى [بعد ١١٢٦][1] في نُزُل الأبرار (ص١٦) ومفتاح النجا.

١٨ ـ شاه وليّ الله الهندي المتوفّى [١١٧٦][2] في إزالة الخفاء (٢٦١/٢).

١٩ ـ الأمير محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني [المتوفّى ١١٨٢] في الروضة النديّة.

٢٠ ـ المولوي وليّ الله الهندي المتوفّى (١٢٧٠)[3] في مرآة المؤمنين. وغيرهم.

هذا ما صحّ عن النبيّ الأعظم من قوله: «أنت وليّي في الدنيا والآخرة»، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم﴾[4].

١٢ ـ أخرج البزّار[5] من طريق خارجة بن مصعب، عن عبدالله بن عبيد الحميري البصري، عن أبيه قال: كنت عند عثمان حين حُصر فقال: هاهنا طلحة؟ فقال طلحة: نعم. فقال: أنشدتك الله أما علمت أنّا كنّا عند رسول الله ﷺ، فقال:

---

(١) في الطبعتين الأُولى والثانية (١١٢٣)، وهو سهو. فالميرزا محمد خان ابن رستم خان المعتمد البدخشي أو البدخشاني ـ ذكر العلّامة السيد عبدالعزيز الطباطبائي ﷺ في الجزء الأول ص٢٩٨ من هذا الكتاب نقلاً عن نزهة الخواطر أنه ـ أتمّ تصنيفه لمفتاح النجا سنة (١١٢٤).

بل وجدنا أنّه كان حيّاً إلى أواخر سنة (١١٢٦)، إذ شرع في كتابه نُزُل الأبرار في رمضان من ذلك العام. فتأمّل.

(٢) اسمه أحمد بن عبدالرحيم، أبو عبدالعزيز الفاروقي الدهلوي الهندي، الملقّب شاه وليّ الله. أرخ الزركلي في الأعلام: ١٤٩/١ وفاته بسنة ١١٧٦ هـ. أورد العلّامة المحقّق السيد عبدالعزيز الطباطبائي طيّب الله ثراه في ترجمته في هامش الغدير: ٢٩٩/١ نقلاً عن نزهة الخواطر أنّ وفاته سنة ١٢٣٩ هـ، وذلك سهو منه ﷺ لمكان التصحيف في الاسم الموجود هناك، والذي لم يلتفت إليه.

ذكره المؤلّف ﷺ على صوابه في: ١٠٧/٦ برقم ١١٨. فتأمل جيداً.

(٣) مرّت ترجمته في الجزء الأول ص ٣٠٣.

(٤) الأعراف: ١٦٢.

(٥) البحر الزخّار: ١٧١/٣ ح٩٥٩.

ليأخذ كلّ رجل منكم بيد جليسه فأخذت بيد فلان، وأخذ فلان بيد فلان، حتى أخذ كلّ رجل بيد صاحبه وأخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال: هذا جليسي في الدنيا ووليّي في الآخرة؟ قال: اللّهمّ نعم.

وذكره ابن حجر في فتح الباري[١] (٣١٥/٥) عن ابن منده من طريق عبيد الحميري المذكور ساكتاً عمّا في إسناده من العلّة، كأنّه ليس هو الذي حكى تلكم الآراء الواردة في جرح خارجة بن مصعب عن الحفّاظ وأئمّة الجرح والتعديل. قال في تهذيب التهذيب[٢] (٧٨/٣): قال الأثرم عن أحمد: لا يكتب حديثه. وقال عبدالله بن أحمد: نهاني أبي أن أكتب عنه شيئاً من الحديث. وقال الدوري ومعاوية وعبّاس عن ابن غير: ليس بثقة، ليس بشيء، كذّاب ضعيف. وقال ابن مَعِين[٣]: ليس بشيء. وقال يحيى بن يحيى: يدلّس. وقال النسائي[٤]: متروك الأحاديث، ليس بثقة، ضعيف. وقال ابن سعد[٥]: اتّقى الناس حديثه فتركوه. وقال ابن خراش وأبو أحمد: متروك الحديث. وقال الدارقطني[٦]: ضعيف. وقال يعقوب: ضعيف الحديث عند جميع أصحابنا. وقال ابن المديني: هو عندنا ضعيف. / وقال أبو داود: ضعيف ليس بشيء. وقال ابن حبّان[٧]: وقع في حديثه الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج بخبره. وذكره ابن الجارود والعقيلي[٨] وابن السكن وأبو زُرعة وأبو العرب وغيرهم في الضعفاء. ٣٠٣/٩

---

(١) فتح الباري: ٤٠٨/٥.

(٢) تهذيب التهذيب: ٦٧/٣.

(٣) معرفة الرجال: ٦٨/١ رقم ١٤٣، التاريخ: ٢٥٣/٣ رقم ١١٨٨.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٩٧ رقم ١٨٢.

(٥) الطبقات الكبرى: ٣٧١/٧.

(٦) الضعفاء والمتروكون: ص٢٠١ رقم ٢٠٤.

(٧) كتاب المجروحين: ٢٨٨/١.

(٨) الضعفاء الكبير: ٢٥/٢ رقم ٤٤٦.

وقال السيوطي في اللآلئ (٣١٧/١): قال ابن حبّان: خارجة يدلّس عن الكذّابين ووقع في حديثه الموضوعات.

ولعلّنا أوقفناك على مقياس صحيح في أمثال هذه الرواية في ذيل الروايتين اللتين تُشبهانها قُبيل هذا، فإنّك إذن لا تجد مقيلاً لها من الصحة والاعتبار نظراً إلى متنها قبل أن تقف على ضعف إسنادها، فدعها ومُرّ بها كريماً، وذر الوضّاعين في غلوائهم يرمون القول على عواهنه.

ولو كان طلحة سمع هذه المزعمة منه ﷺ واعترف بها يوم الحصار في ملأ الصحابة لما كان يأخذ بخناق الرجل ويشدّد عليه، وما كان يثير عليه نقع الفتن حتى يورده مورد المنيّة، ولم يك يمنع عنه إيصال الماء إليه، ولم يرض بإنهاء أمره إلى القتل الذريع، ولم يُرضه دفنه في مقابر اليهود.

لو كان طلحة يعرف شيئاً من هذه الرواية لما استسهل ركوب ذلك المركب الصعب الجموح وهو صحابيّ عادل أحد العشرة المبشّرة كما يحسبون.

١٣ ـ أخرج ابن ماجه في سننه[١] (٥٣/١)، عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفّان، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أنّ النبيّ ﷺ لقي عثمان عند باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل أخبرني أنّ الله قد زوّجك أُم كلثوم بمثل صداق رقيّة على مثل صحبتها. ورواه ابن عساكر[٢] كما في تاريخ ابن كثير[٣] (٢١١/٧).

قال الأميني: أسلفنا فيما مرّ صفحة (٢٩٠) أنّ محمد بن عثمان يخطئ ويخالف ويروي عن أبيه مناكير، وأنّ أباه ليس بثقة وأحاديثه غير محفوظة، وأنّه حدّث

---

(١) سنن ابن ماجه: ٤٠/١ ح ١١٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/٣٩ ـ ٤٠ رقم ٤٦١٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٢٠/١٦.

(٣) البداية والنهاية: ٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

بأحاديث موضوعة لا يجوز الاحتجاج به، ومرّ في صفحة (٢٩٥) أنّ عبدالرحمن بن أبي الزناد ليس ممّن يحتجّ به أصحاب الحديث، وأنّه ضعيف مضطرب الحديث لا يُحتجّ بحديثه، وعليك بمراجعة ما فصّلناه في الجزء الثامن (ص ٢٣١ ـ ٢٣٤).

٣٠٤/٩ ١٤ ـ أخرج ابن عدي[١]، قال: حدّثنا محمد بن داود بن دينار، حدّثنا أحمد ابن محمد بن الحباب البصري، حدّثنا عمرو بن فائد البصري، عن موسى بن سيّار البصري، عن الحسن البصري، عن أنس مرفوعاً: إنّ لله تعالى سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفّان حيّاً، فإذا قُتل جُرّد ذلك السيف فلم يُغمد إلى يوم القيامة، ورواه ابن عساكر[٢] بالإسناد.

قال السيوطي في اللآلئ (٣١٦/١): موضوع آفته عمرو بن فائد، وشيخه كذّاب أيضاً.

قال الأميني: ألا تعجب من السيوطي؟ يحكم هاهنا على الرواية بالوضع ويكذّب راويها ويذكرها في تاريخ الخلفاء[٣] (ص ١١٠) في عدّ فضائل عثمان ويقتصر على قوله: تفرّد به عمرو بن فائد وله مناكير. نعم؛ هكذا يموّهون على الحقائق ويغرون الناس بالجهل، كان على الرجل أن يلغيها عن سياق عدّ الفضائل ـ التي من طبعها أن يُحتجّ بها ـ بعد ما رآها موضوعة رواها كذّاب عن كذّاب، غير أنّه لو اقتصر على ما يحتجّ به في باب الفضائل، وألغى مالا يصحّ منها سنداً أو متناً، لما يجد هو وغيره فضيلة قطّ لعثمان، وهذا ممّا لا يروقه هو ولا يحبّذه قومه.

وللدارقطني، وابن المديني، والعقيلي، وابن عدي، والنسائي، والذهبي، كلمات

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٤٨/٥ رقم ١٣١٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٤٤٤/٣٩ رقم ٤٦١، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٤٩/١٦.

(٣) تاريخ الخلفاء: ص ١٥١ـ١٥٢.

في جرح عمرو بن فائد وبطلان حديثه. راجع[١] لسان الميزان (٣٧٢/٤).

وليحيى القطّان، وأبي حاتم، وابن عدي، وابن مَعين، والذهبي، أقوال في تفنيد موسى بن سيّار البصري وتكذيبه وبطلان حديثه.

راجع[٢]: ميزان الاعتدال (٢١١/٣)، ولسان الميزان (١٢٠/٦).

وفي الإسناد محمد بن داود الفارسي، قال الذهبي في الميزان[٣] (٥٤/٣): من شيوخ ابن عدي، ذكره فقال: كان يكذب. وذكر ابن حجر في اللسان[٤] (١٦١/٥) حديثاً في فضل عليّ أمير المؤمنين فقال: هو من وضع محمد بن داود بن دينار.

هذا شأن هذه المكذوبة، غير أنّ أُناساً من الغالين في الفضائل كالسيوطي والقرماني[٥] وأحمد زيني دحلان[٦] اتّخذوها حجّة عند ذكرهم فضائل عثمان مرسلين إيّاها إرسال المسلّم شأنهم في الموضوعات المفتعلة في الثناء على رجالاتهم. ٣٠٥/٩

١٥ ـ وأخرج الحاكم في المستدرك[٧] (١٠٣/٣) من طريق أحمد بن كامل القاضي، عن أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي، عن الفضل بن جبير الورّاق، عن خالد بن عبدالله الطحّان المزني، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن

---

(١) الضعفاء والمتروكون: ص٣٠٧ رقم٣٩٩، الضعفاء الكبير: ٢٩٠/٣ رقم١٢٩٢، الكامل في ضعفاء الرجال: ١٤٨/٥ رقم ١٣١٢، ميزان الاعتدال: ٢٨٣/٣ رقم٦٤٢١، لسان الميزان: ٤٢٩/٤ رقم٦٣٠٧.

(٢) الجرح والتعديل: ١٤٦/٨ رقم٦٥٩، الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٤٥/٦ رقم١٨٢٥، ميزان الاعتدال: ٢٠٦/٤ رقم٨٨٧٤، لسان الميزان: ١٤٠/٦ رقم٨٦٥٢.

(٣) ميزان الاعتدال: ٥٤٠/٣ رقم٧٤٩٩.

(٤) لسان الميزان: ١٨٢/٥ رقم٧٣٣٠.

(٥) في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير: ٢١٤/١ [٣٠١/١] (المؤلّف)

(٦) في الفتوحات الإسلاميّة: ٤٩٨/٢ [٣٢٨/٢]. (المؤلّف)

(٧) المستدرك على الصحيحين: ١١٠/٣ ح٤٥٥٥، وكذا في تلخيصه.

عبّاس ﷺ قال: كنت قاعداً عند النبيّ ﷺ إذ أقبل عثمان بن عفّان ﷺ، فلمّا دنا منه، قال: يا عثمان تُقتل وأنت تقرأ سورة البقرة، فتقع قطرة من دمك على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[1] وتُبعث يوم القيامة أميراً على كلّ مخذول، يغبطك أهل الشرق والغرب، وتشفع في عدد ربيعة ومضر.

قال الأميني: سكت الحاكم عن صحّة الحديث، وأنصف الذهبي فقال في تلخيصه: كذب بحت، وفي الإسناد أحمد بن محمد بن عبدالحميد الجعفي، وهو المتّهم به. انتهى.

وشيخ الجعفي أيضاً لا يتابع على حديثه، كما قاله[2] العقيلي وحكاه عنه الذهبي في الميزان وابن حجر في لسانه (٤٣٨/٤).

إنّ ممّا يُقضى منه العجب أنّ أحداً من الصحابة العدول لم يسمع هذا الحديث عن النبيّ ﷺ، كأنّ المجلس الذي ألقى ﷺ فيه هذه الكلمة كان خلواً عنهم جميعاً، ومن العجيب أيضاً أنّه لم يروه أحد منهم لصاحبه ـ إن كان سمعه أحد ـ حتى تتداوله الألسن، فعسى أن يكون رادعاً عن التجمهر على عثمان والاتّفاق على نبذه والجرأة على قتله، نعم؛ لم يسمعه أحد منه ﷺ عدا ابن عبّاس الذي كان صبيّاً في عهد النبوّة لم يبلغ الحلم، وقد توفّي ﷺ وابن عبّاس ابن ثلاث عشرة سنة كما قاله الواقدي والزبير، وصحّحه أبو عمر في الاستيعاب، أو عشر سنين كما روي عن ابن عبّاس نفسه من وجوه[3] أو أكثر منها، وربما يُشكّ في أنّه هل كان يحسن التحمّل عندئذٍ أو لا؟ ولعلّه هو أيضاً كان شاكّاً في تحمّله هذا الحديث حيث جاءته استغاثة

---

(١) البقرة: ١٣٧.

(٢) الضعفاء الكبير: ٤٤٤/٣ رقم١٤٩٢، ميزان الاعتدال: ٣٥٠/٣ رقم٦٧١٦، لسان الميزان: ٥١٢/٤ رقم٦٥٤٦.

(٣) راجع: مسند أحمد: ٢٥٣/١ [٤١٩/١ ح٢٢٨٣]، الاستيعاب: ٣٧٢/١ [القسم الثالث/٩٣٣ رقم١٥٨٨]. (المؤلّف)

عثمان[١] وهو يخطب الحاجّ يوم عرفة فتلاها نافع بن طريف، فلمّا أتمّها مضى ابن عبّاس في خطبته غير مكترث لاستغاثة الخليفة وهو بين الناب والمخلب، على حين أنّه كان منصوباً من قبله لإمارة /الحاجّ، فلم يعرض لشيء من شأنه ولا للزوم الدفاع ٣٠٦/٩
عنه، وما ذلك إلّا لإصفاقه مع المجهزين عليه في الرأي وإلّا لكان من واجبه الحثّ على الذبّ عنه، وبيان وجوب إغاثته، وملء سمعه هذا الحديث الذي عُزي إليه وملء فيه روايته ـ وحاشاه عن روايته ـ وكأنّ الحضرة النبويّة نصب عينيه يتلقّى منه الرواية، وهو الذي يقتضيه عدله وتقواه.

وهناك شاهد آخر لعدم إخباته إلى مضمون هذه الرواية وهو أنّه لمّا بعثه عثمان أميراً على الحاجّ لقيته عائشة في بعض المنازل فقالت له: يابن عبّاس إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية[٢] تعني عثمان، فلم يُبد ابن عبّاس لها تجاه تلك الشدّة تجهّماً ولا قولاً ليّناً كمن يوافقها على النزعة، كما ردّ عليها في حثّها على عدم التخذيل عن طلحة وجنوحها إلى تولّيه الأمر، فلو كان ابن عباس يعرف في شأن عثمان شيئاً من هذه الرواية لرواه لها واتّخذه مستنداً في الدفاع عنه، فجامع القول أنّ الخبر لم يسمع ممّا تُقوّل عليه شيئاً، وإنّما هو من مواليد العهد الأمويّ بعد عهد ابن عبّاس.

وليس من المستسهل الكشف عن إمارة المخذولين يوم القيامة، كما أنّ من المستصعب جدّاً عرفان أعيانهم وأشخاصهم، أفيهم أُولئك الصفوة الأبرار من الصحابة والتابعين أمثال أبي ذر وعمّار وابن مسعود ومالك الأشتر وزيد وصعصعة ابني صوحان وكعب بن عبدة وعامر بن عبدقيس وآخرين من صلحاء المدينة والكوفة والبصرة الذين خذلهم عثمان وأبناء بيته؟

---

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء: ص ١٣٤، ١٩٢. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ في هذا الجزء صفحة: ٧٨. (المؤلّف)

ولعلّ في المخذولين الحكم ومروان وآلهما وعبدالله بن أبي سرح وأبا سفيان وولده وأضرابهم الذين خذلهم الإسلام وآواهم عثمان وعزّزهم وسلّطهم على صلحاء الأُمّة من الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان.

ونحن على يقين من أنّ الشفاعة المزعومة التي لا تصدّقها سيرة عثمان ولا تساعدها البرهنة ويضادّها نداء الكتاب الكريم إن حقّقت تُدنّس ساحة الجنّة المقدّسة بإدخال عثمان أرجاس آل أُميّة فيها كما يعرب عنه قوله الثابت المذكور في الجزء الثامن (ص ٢٩١):

لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم.

٣٠٧/٩ ١٦ ـ أخرج الحاكم في المستدرك[1] (٣/١٠٣)؛ عن عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم العدل[2]، عن يحيى بن أبي طالب، عن بشّار بن موسى الخفاف البصري، عن الحاطبي عبدالرحمن[3] بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: لمّا كان يوم الجمل خرجت أنظر في القتلى. قال: فقام عليّ والحسن بن علي وعمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وزيد بن صوحان يدورون في القتلى. قال: فأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوباً على وجهه فقلبه على قفاه ثمّ صرخ ثمّ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فرخ قريش والله. فقال[له][4] أبوه: من هو يا بُنيّ؟ قال: محمد بن طلحة بن عبيدالله. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابّاً صالحاً، ثمّ قعد كئيباً حزيناً، فقال له الحسن: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان. قال: قد كان ذاك يا بُنيّ ولوددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة. قال محمد بن

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣/١١١ ح٤٥٥٧، وكذا في تلخيصه.

(٢) كذا في النسخ، والصحيح: المعدل. (المؤلّف)

(٣) كذا في النسخ، والصحيح: عبدالرحمن بن عثمان بن محمد. (المؤلّف)

(٤) من المصدر.

حاطب: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين إنّا قادمون المدينة والناس سائلونا عن عثمان فماذا نقول فيه؟ قال: فتكلّم عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فقاما وقالا، فقال لهما عليّ: يا عمّار ويا محمد تقولان: إنّ عثمان استأثر وأساء الأثرة وعاقبتم والله فأسأتم العقوبة، وستقدمون على حكم عدل يحكم بينكم، ثمّ قال: يا محمد بن حاطب إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان فقل: كان والله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثمّ اتّقوا وآمنوا ثمّ اتّقوا وأحسنوا والله يحبّ المحسنين وعلى الله فليتوكّل المؤمنون.

قال الأميني: سكت الحاكم عمّا في إسناد هذه الأكذوبة من العلل ولم يصحّحه ولم ينبس فيه بكلمة غمز ولا تصحيح، واكتفى الذهبي فيه بقوله: بشّاربن موسى واهٍ. ونحن نقول:

عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم، قال الدارقطني: فيه لين، وذكره بذلك الخطيب البغدادي في تاريخه (٤١٤/٩).

ويحيى بن أبي طالب، قال فيه موسى بن هارون: أشهد أنّه يكذب عنّي. وقال مسلمة بن قاسم: تكلّم فيه الناس. لسان الميزان[1] (٢٦٢/٦).

وبشّار بن موسى البصري، قال ابن مَعِين[2]: ليس بثقة، وقال: إنّه من الدجّالين. وقال أبو حفص: ضعيف الحديث. وقال البخاري[3]: منكر الحديث، وقد رأيته وكتبت عنه وتركت حديثه. وقال أبوداود: ضعيف. وقال النسائي[4]: ليس بثقة. وقال أبو زُرعة: ضعيف. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. وذكر ٣٠٨/٩

---

(١) لسان الميزان: ٣٢٢/٦ رقم ٩١٥٩.

(٢) معرفة الرجال: ٦٥/١ رقم ١٢٣.

(٣) التاريخ الكبير: ١٣٠/٢ رقم ١٩٣٥.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٦٣ رقم ٨٢.

عند الفضل بن سهل، فأساء القول فيه[١].

وعبدالرحمن الحاطبي، ضعّفه[٢] أبو حاتم الرازي كما في ميزان الاعتدال للذهبي. ووالده عثمان لم أقف على ثناء عليه في معاجم التراجم.

فأيّ عبرة بما يرويه أو يرتئيه أمثال هؤلاء الدجّالين؟ على أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان على بصيرة من مسيره إلى حروبه كلّها ومنقلبه عنها وفي جميع ما ارتكبه فيها أو تركه، وكلّ ذلك كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد منه إليه عليه السلام، وقد عُدّ ذلك من فضائله، وكان صلى الله عليه وآله يحثّ أصحابه على مناصرته يومئذ كما مرّ تفصيله في الجزء الثالث (ص١٨٨ ـ ١٩٥) وكان صلى الله عليه وآله يقول: «سيكون بعدي قوم يقاتلون عليّاً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء»[٣]. وكان أبو أيّوب الأنصاري وغيره من الصحابة يقول: عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نقاتل مع عليّ الناكثين[٤].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحذّر أمّ المؤمنين عائشة عن ذلك التبرّج تبرّج الجاهليّة الأُولى ويقول لها: «يا حميراء كأنّي بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة»[٥]. وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله كما مرّ في (١٩١/٣) قوله للزبير: «إنّك تقاتل عليّاً وأنت ظالم له».

فكان مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مندفعاً إلى ما ناء به من أعباء تلكم الحروب بالأمر النبويّ، ولم يكن قطّ قد غلب على رأيه فلان وفلان، ولم يكن

---

(١) تاريخ الخطيب: ١١٩/٧ [رقم٣٥٦٠]، تهذيب التهذيب: ١٤٤/١ [٣٨٦/١]. (المؤلّف)

(٢) الجرح والتعديل: ٢٦٤/٥ رقم١٢٤٩، ميزان الاعتدال: ٥٧٨/٢ رقم٤٩١٧.

(٣) راجع الجزء الثالث: ص١٩٠. (المؤلّف)

(٤) راجع الجزء الثالث: ص١٩٢ ـ ١٩٥. (المؤلّف)

(٥) راجع الجزء الثالث: ص١٨٩. (المؤلّف)

الإمام المجتبى المعصوم عن كلّ زلّة وهفوة بالذي ينهى أباه عمّا أمر به جدّه الذي
لا ينطق / عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى، ولا أمير المؤمنين ﷺ بالذي يندم على ما ٣٠٩/٩
نهض به من قمّ جذور الفساد وقلع جذومه، ولو سوّغنا عليه الندم في هذه لسوّغنا
عليه فيمن قتله في مغازي الرسول ﷺ من أشياع الكفر وزبانية الشرك والإلحاد،
فإذ كان سلام الله عليه في المقامين جميعاً منبعثاً بباعث إلهيّ ومصلحة دينيّة من
استئصال شأفة العيث وقطع جراثيم الإلحاد، فلا يطرق ساحته المقدّسة الندم في أيّ
من الحالين.

وأيّ صلاح في محمد بن طلحة؟ وقد شهر سيفه يُحارب إمام المسلمين وقد أُمِر
بنصرته والجهاد معه، فحاله حال أبيه في الزيغ والنكوص عن السَّنن اللاحب. هذه
حقيقة الأمر لكن مُهملِجة الخلاف الوضّاعين شاؤوا أن يختلقوا ما يبرّر أعمال الواثبين
مع الهودج فقالوا. ولكن أين؟ وأنّى؟...

وكيف يصحّ عن مولانا أمير المؤمنين ما اختلقوا عليه من قوله لمحمد بن
حاطب؟ وقد صدر عنه من فعل وقول قبل هذا الموقف وبعده ما يعرب عن رأيه في
عثمان، ولا يصدّق الخُبر الخبر، راجع ما مرّ في هذا الجزء (ص٦٩ ـ ٧٧)، وفي الجزء
الثامن (ص٢٨٧ ـ ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١)، وفي الجزء السابع (ص٨١).

وهل تساعد سيرة الرجل أن يراه أمير المؤمنين من الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾[1] الآية؟ وهي التي أركبته النهابير،
وسقته كأس المنيّة، وكانت تخالف الكتاب والسنّة، والصحابة الأوّلون وفي مقدّمهم
سيّدنا الإمام ﷺ كانوا مطبقين على النكير والنقمة عليها، ولأجلها تمخّضت البلاد
عليه، وهي التي أقعدت الصحابة عن نصرته والذبّ عنه، وهي التي زحزحت الأُمّة

---

(١) المائدة: ٩٣.

الصالحة عن تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه، وهي التي دفنته في مقابر اليهود بعد ما بقي جثمانه في مزبلة أيّاماً ولياليٰ تمرّ به عواصف الذلّ والهوان والملأ الديني ينظر إليه من كثب، والناس قد بايعوا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وبيده مقاليد الأُمور يُسمع قوله ويُطاع، وهو الذي يتحمّس لأمر ما، يراه الناس هيّناً وهو عنده عظيم، فيعاتب أصحابه ويقول في خطبته له: «لقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقُلبها وقلائدها ورعاثها[1] ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام ثمّ انصرفوا / وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أُريق ٣١٠/٩
لهم دمّ، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»[2]. هذا أمير المؤمنين وهذا مبلغ غيرته على الإسلام وأهله ولكن:

وابن عفّان حوله لم يجهّز ... ه ولا كفّ عنه كفّ أذاها
لست أدري أكان ذلك مقتاً ... من عليّ أم عفّةً ونزاها

﴿ فَاحكُمْ بَينَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[3]، ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهوَاءَهُم بَعدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[4].

١٧ ـ أخرج ابن أبي الدنيا؛ من طريق فرج بن فضالة الدمشقي، عن مروان بن أبي أُميّة، عن عبدالله بن سلام، قال: أتيت عثمان لأُسلّم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال: مرحباً بأخي، مرحباً بأخي، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الليلة في هذه الخوخة ـ قال: وخوخة في البيت ـ فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم. قال: عطّشوك؟ قلت: نعم، فأدلى دلواً فيه ماء، فشربت حتى رويت حتى إنّي لأجد برده

---

(١) القلب: السوار. الرعاث جمع رعثة بالفتح: القرط. (المؤلّف)

(٢) نهج البلاغة: ٦٩/١ [ص ٦٩ خطبة ٢٧]. (المؤلّف)

(٣) سورة ص: ٢٦.

(٤) البقرة: ١٢٠.

بين ثدييّ وبين كتفيّ، وقال لي: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده. فقُتل ذلك اليوم[١].

قال الأميني: هذه السفسطة من آفات فرج بن فضالة الدمشقي. قال أحمد: يحدّث عن الثقات أحاديث مناكير[٢]. وقال ابن مَعِين: ضعيف الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف لا أُحدّث عنه. وقال البخاري[٣] ومسلم: منكر الحديث. وقال النسائي[٤]: ضعيف. وقال أبو حاتم[٥]: لا يحتجّ به. وقال أبو أحمد: حديثه ليس بالقائم. وقال الدارقطني: ضعيف الحديث. وذكر البرقاني حديثاً للدارقطني من طريق فرج بن فضالة فقال الدارقطني: هذا باطل. فقال البرقاني: من جهة الفرج؟ قال: نعم. وقال عبدالرحمن بن مهدي: حدّث بأحاديث منكرة مقلوبة. وقال الساجي: ضعيف الحديث. وقال الخطيب: لا يغترّ[٦] أحد بالحكاية المرويّة في توثيقه عن ابن مهدي فإنّها من رواية سليمان بن أحمد وهو الواسطي وهو كذّاب، وقد قال البخاري: تركه ابن مهدي. و / قال ابن حبّان[٧]: فرج بن فضالة يقلّب الأسانيد ويلزق المتون ٣١١/٩
الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحلّ الاحتجاج به. وقال الحاكم: هو ممن لا يُحتجّ به[٨].

---

(١) الأنساب للبلاذري: ٨٢/٥ [٢٠١/٦]، تاريخ ابن كثير: ١٨٢/٧ [٢٠٤/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]، الرياض النضرة: ١٢٧/٢ [٦٠/٣]. (المؤلّف)

(٢) أُنظر تاريخ بغداد: ٣٩٥/١٢.

(٣) التاريخ الكبير: ج١٣٤/٧ رقم٦٠٨.

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٩٨ رقم٥١٥.

(٥) الجرح والتعديل: ٨٥/٧ رقم٤٨٣.

(٦) العبارة من هنا إلى نهاية الفقرة لابن حجر في تهذيب التهذيب، وأما عبارة الخطيب في تاريخ بغداد: ٣٩٣/١٢ رقم٦٨٥٦. فهي: وكان ضعيفاً في الحديث.

(٧) كتاب المجروحين: ٢٠٦/٢.

(٨) تهذيب التهذيب: ٢٦٠/٨ ـ ٢٦٢ [٢٣٤/٨ ـ ٢٣٦ وانظر تهذيب الكمال: ١٥٦/٢٣ رقم ٤٧١٤]. (المؤلّف)

هذا فرج بن فضالة، وأمّا شيخه مروان فلست أدري أيّ هيّ بن بيّ هو[١]، لم أقف في المعاجم على ترجمته ولم أجد له ذكراً لا في مشايخ ابن فضالة ولا فيمن يروي عن ابن سلام ولعلّه لم يولد بعدُ، وكم في سلسلة أسانيد الفضائل أمثاله من أُناس لا تعرفهم أُمّ الدنيا، وما صوّرهم قلم التصوير، وإنّما اختلق أسماءهم الغلوّ في الفضائل.

ولست أدري هل أسرّ عثمان بهذه المكرمة إلى ابن سلام فحسب؟ أو أخبر بها هو أو ابن سلام جمهور الصحابة فوجدوها رؤياً لا تنهض للحجّة؟ أو بلغتهم حينما مسّ الحزام الطُّبْيَيْنِ، وبلغ السيل الزبى، واتّسع الخرق على الراقع؟ حينما فاتت الخليفة نهزة الحجاج، وتمّت عليه الحجّة وأصبح محجوجاً، والأُمّة مجتمعة على مقته وقطع أُصول حياته، وهي لا تجتمع على خطأ.

وفي الرواية موقع نظر أيضاً من ناحية صوم عثمان عند من أرّخ قتله بثاني أيام التشريق ـ كما في رواية أبي عثمان النهدي في أنساب البلاذري (٨٦/٥)، وقد رواه الواقدي أيضاً، واختاره المبرّد في الكامل[٢] (٢٤١/٢)، وذكره[٣] أبو عمر في الاستيعاب (٤٧٧/٢)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١١٧/١)، وابن حجر الهيتمي في الصواعق (ص٦٦)، والعسقلاني في تهذيب التهذيب (١٤١/٧)، والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص١٠٩) والديار بكري في تاريخ الخميس (٢٥٨/٢، ٢٦٤)، ومن مؤلّفي اليوم الأُستاذ علي فكري في أحسن القصص (١٦٤/٣) ـ وذلك أنّ الصوم في أيام التشريق محظور عند القوم، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعند مالك لغير المتمتّع[٤]. وقال

---

(١) يقال: هيّ بن بيّ. أو: هيّان بن بيّان. أي مجهول لا يُعرف هو ولا أبوه. (المؤلّف)

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ٤٦/٢.

(٣) الاستيعاب: القسم الثالث/١٠٤٤ رقم١٧٧٨، صفة الصفوة: ٣٠٤/١ رقم٤، الصواعق المحرقة: ص١١١، تهذيب التهذيب: ١٢٨/٧، تاريخ الخلفاء: ص١٥١.

(٤) المحلّى لابن حزم: ٢٨/٧، نيل الأوطار: ٣٥٣/٤ [٢٩٤/٤]. (المؤلّف)

ابن العماد الحنبلي في الشذرات[١] (٤١/١): قوله: قال لي النبيّ ﷺ : وتفطر عندنا، معناه أوّل شيء تستعمله على الريق يكون عندنا لا أنّه فطر صائم، إذ لم يكن يومئذٍ صائماً، فإنّ يوم قتله كان ثاني أيّام التشريق، ولا يجوز صومه. انتهى.

وهذا التأويل يخالف ما أثنى به المؤرّخون على عثمان من أنّه كان يوم قتله ٣١٢/٩
صائماً، وهو من المتسالم عليه عند القوم سلفاً وخلفاً حتى اليوم كما ذكره الأُستاذ علي فكري في أحسن القصص (١٦٤/٣). ويضادّ أيضاً صريح ما أخرجه ابن كثير في تاريخه (١٨٢/٧) من طريق ابن عمر عن عثمان قال: رأيت النبيّ ﷺ في المنام فقال: يا عثمان أفطر عندنا، فأصبح صائماً وقتل من يومه.

وكذلك لا يلتئم هو وما أخرجه الهيثم بن كليب بالإسناد عن نائلة بنت الفرافصة ـ امرأة عثمان ـ قالت: لمّا حُصر عثمان ظلّ اليوم الذي كان فيه قتله صائماً، فلمّا كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه، وقالوا: دونك ذلك الركي[٢] ـ والركيّ في الدار الذي يلقى فيه النتن ـ قالت: فلم يفطر، فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة ـ وذلك في السحر ـ فسألتهم الماء العذب، فأعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت: هذا ماء عذب أتيتك به، قالت: فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال: إنّي أصبحت صائماً، قالت: فقلت: ومن أين [أكلت][٣] ولم أر أحداً أتاك بطعام ولا شراب؟ فقال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ اطّلع عليّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثمّ قال: ازدد، فشربت حتى نهلت، ثمّ قال: أما إنّ القوم سينكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا. قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه[٤].

---

(١) شذرات الذهب: ٢٠٣/١ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٢) والركي: البئر أيضاً.

(٣) من المصدر.

(٤) تاريخ ابن كثير البداية والنهاية: ١٨٣/٧ [٢٠٤/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]. (المؤلّف)

نعم؛ إنّ الحديثين لا يعوّل عليهما أيضاً لما في إسنادهما من داعية إلى الإرجاء يبغض أهل بيت نبيّه، ومن مجهول منكر لا يُعرف، ومن متحامل على أمير المؤمنين من الفئة الباغية، فالحديثان كرواية ابن أبي الدنيا باطلان، وما ذهب إليه القوم من أنّ الرجل كان يوم قتله صائماً منقبة مفتعلة لا تصحّ لاستنادهم فيها إلى تلكم الأباطيل التي اختلقتها يد الغلوّ في الفضائل.

١٨ ـ أخرج الحاكم وابن عساكر[١] وغيرهما من طريق محمد بن يونس الكديمي أبي العباس البصري، عن هارون بن إسماعيل الخزّاز أبي الحسن البصري، عن قرّة بن خالد السدوسي البصري، قال: سمع الحسن البصري، عن قيس بن عباد البصري، قال: شهدت عليّاً عليه السلام يوم الجمل يقول كذا: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من دم
٣١٣/٩ عثمان، / ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وأرادوني على البيعة، فقلت: والله إنّي لأستحيي من الله أن أُبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكة. وإنّي لأستحيي من الله أن أُبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يُدفن بعد فانصرفوا، فلمّا دفن رجع الناس إليّ فسألوني البيعة، فقلت: اللّهمّ إنّي مشفق لما أُقدم عليه ثمّ جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنّما صدع قلبي، فقلت: اللّهمّ خذ منّي لعثمان حتى ترضى. وفي لفظ ابن كثير: فلمّا قالوا: أمير المؤمنين. كان صدع قلبي وأمسكت[٢].

قال الأميني: ألا تعجب من الحاكم يذكر مثل هذه الأضحوكة ويعدّها ممّا استدرك به على الصحيحين ويمرّ بما فيها من اللغو كريماً؟ ولعلّ الذهبي عرف بطلانها، غير أنّه لمّا وجدها في منقبة عثمان سكت عنها نهائيّاً ولم يلخّصها ولم ينبس فيها ببنت

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٥٠/٣٩ رقم ٤٦١٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٥٢/١٦.

(٢) مستدرك الحاكم: ١٠٣/٣ [١١١/٣ ح٤٥٥٦]، تاريخ ابن كثير: ١٩٣/٧ [٢١٦/٧ حوادث سنة ٣٥هـ وفيه: وأسكت بدلاً من: وأمسكت]. (المؤلّف)

شفة، ويدّخر ما في علبة علمه أو في كنانة جهله إلى تزييف حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» وأمثاله من الصحيح الوارد في فضائل مولانا أمير المؤمنين فيجابهها بكلّ جلبة ولغط، ولا تقصر عن أشواطها خُطى ابن كثير في تاريخه فيستند إليها مستدلاً على ما يرومه من دحض الحقّ وترصيف الباطل، ونحن أسلفنا في الجزء الخامس (ص٢٦٦) في سلسلة الكذّابين والوضّاعين نزراً من أقوال الحفّاظ في جرح محمد بن يونس الكديمي وأنّه كان يضع الحديث على النبيّ ﷺ وقد وضع أكثر من ألف حديث، وهاهنا نبسط القول فيها:

قال الآجري: سمعت أبا داود بن الأشعث يتكلّم في محمد بن سنان وفي محمد ابن يونس يطلق فيهما الكذب. وقال ابن التمّار: ما أظهر أبوداود السجستاني تكذيب أحد إلّا في رجلين: الكديمي وغلام خليل. وقال أبوسهل القطّان: كان موسى بن هارون ينهى الناس عن السماع من الكديمي ويقول: قد تقرّب إليّ بأنّي كتبت عن أبيك في مجلس محمد بن القاسم الأسدي وما حدّث أبي قطّ عن محمد بن القاسم الأسدي. وعن موسى بن هارون أنّه كان يقول ـ وهو متعلّق بأستار الكعبة ـ: اللّهمّ إنّي أُشهدك أنّ الكديمي كذّاب يضع الحديث. وقال الشاذكوني: الكديمي وأخو الكديمي وابن الكديمي بيت الكذب. وقال أبوبكر الهاشمي: كنّا يوماً عند القاسم المطرّز وكان يقرأ ٣١٤/٩
علينا مسند أبي هريرة فمرّ في كتابه حديث عن الكديمي فامتنع عن قراءته، فقام إليه محمد بن عبدالجبّار ـ وكان قد أكثر عن الكديمي ـ فقال: أيّها الشيخ أُحب أن تقرأه فأبى وقال: أنا أُحاسبه[1] بين يدي الله يوم القيامة وأقول: إنّ هذا كان يكذب على رسول الله ﷺ وعلى العلماء. وقال الدارقطني[2]: الكديمي يُتّهم بوضع الحديث وقال: ما أحسن القول فيه إلّا من لم يخبر حاله. وقال ابن حبّان[3]: كان يضع

---

(١) في المصدر: أجانبه.

(٢) الضعفاء والمتروكون: ص٣٥١ رقم٤٨٦.

(٣) كتاب المجروحين: ٣١٢/٢.

الحديث لعلّه قد وضع على الثقات أكثر من ألف حديث. وقال ابن عدي[١]: قد اتُّهم بالوضع وادّعى الرواية عمّن لم يرهم، ترك عامّة مشايخنا الرواية عنه، ومن حدّث عنه نسبه إلى جدّه لئلّا يُعرف[٢] وقال ابن عدي[٣] أيضاً: روى الكديمي، عن أزهر، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر حديثاً باطلاً، وكان ـ مع وضعه الحديث وادّعائه ما لم يسمع ـ علّق لنفسه شيوخاً[٤]. وكان ابن صاعد وعبدالله بن محمد لا يمتنعان من الرواية عن كلّ ضعيف كتبا عنه إلّا عن الكديمي فإنّهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره، ولو ذكرت كلّ ما أُنكِر عليه وادّعاءه ووضعه لطال ذلك. وقال الحاكم أبو أحمد: الكديمي ذاهب الحديث تركه ابن صاعد وابن عقدة وسمع منه خزيمة ولم يحدّث عنه، وقد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمّة الحديث[٥].

وذكر السيوطي في اللآلئ المصنوعة[٦] عدّة أحاديث في شتّى الأبحاث من طريق الكديمي، فحكى فيها عن الحفّاظ الحكم بوضعها وقولهم: إنّ آفتها الكديمي وإنّه كذّاب وضّاع. وكأنّه نسي كلّ ما ذكره هنالك فأورد هذه الأكذوبة في تاريخ الخلفاء[٧] (ص ١١٠) محذوفة الإسناد وقال: أخرجه الحاكم وصحّحه. ألم تكن تلك الأقوال الجارحة في الكديمي نصب عينه عند عدّ فضائل عثمان؟ أم أنّ فضائل الرجل لها حساب آخر يسوّغ الغلوّ فيها كلّ كذب واختلاق؟ على أنّ الحاكم سكت عن هذه الأكذوبة ولم يصحّحها، فنسبة التصحيح إليه لمحض إخراجه إيّاها في مستدرك الصحيحين وإلّا فلا صراحة فيه بالتصحيح.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٩٢/٦ رقم ١٧٨٠.

(٢) كما أن الحاكم يعرّفه بالقرشي ولم يذكر نسبته إلى الكديم لئلّا يعرف. (المؤلّف)

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٩٤/٦ رقم ١٧٨٠.

(٤) في طبعة الكامل في الضعفاء المعتمدة لدينا: وادعائه مشايخ لم يكتب عنهم يخلق لنفسه شيوخاً.

(٥) راجع تهذيب التهذيب: ٥٣٩/٩ [٤٧٥/٩]، والمصادر التي مرّت في: ٢٦٦/٥. (المؤلّف)

(٦) اللآلئ المصنوعة: ٢٦٤/٣ و ٤٠٢.

(٧) تاريخ الخلفاء: ص١٥٢.

٣١٥/٩ وبعد هذه كلّها فإنّ المعلوم من نظريّة مولانا أمير المؤمنين في عثمان كآراء بقيّة الصحابة فيه يفنّد نسبة هذه الأقاويل المختلقة إليه، أليس من المضحك ما ينسب إليه صلوات الله عليه من قول: ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان. إلخ؟ ليته ﷺ بدل هذه الكلمة كان يخطو خطوة في التحفّظ على حرمة الرجل وكرامته، ويأمر ولده وذويه بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وليته كان يقيم له مأتماً ويؤبّنه ويذكره بالخير بعدما تسنّم منصّة الخلافة، أو كان يحضر عند تربته ويقوم على قبره ويقرأ له الفاتحة ويأتي بسنّة الله التي جاءت في زيارة قبور المسلمين، وأيّ مسلم لم تكن له معاظم واجبة المراعاة[1]؟

وليته كان يسكت عنه يوم قام به وقعد[2] وقال على رؤوس الأشهاد: «قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

وقال في اليوم الثاني من بيعته في خطبة له: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تُزوّج به النساء، وفُرّق في البلدان، لرددته إلى حاله». إلخ.

وليته كان لم يجابهه بقوله: «ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعقلك، وإنّ مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يُسار به».

وليته كان لم يكتب إلى المصريّين بقوله: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذهب بحقّه، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يُستراح إليه، ولا منكر يُتناهى عنه».

---

(١) يقال: له معاظم واجبة المراعاة. أي حقوق مستعظمة. (المؤلّف)

(٢) يقال: قام به وقعد أي نشر عنه أخبار السوء. (المؤلّف)

وليته كان لم يقل: «ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه». أو كان لم يقل: «ما أمرت ولا نهيت، ولا سرّني ولا ساءني».

وليته كان لم يخطب بقوله: «من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير منّي».

٣١٦/٩ وليته كان لم ينفر أصحابه إلى قتال طالبي دم عثمان بقوله على صهوة المنبر: «يا أبناء المهاجرين انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا».

وليته لمّا قال له حبيب وشرحبيل: أتشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ كان لم يجب بقوله: «لا أقول بذلك»[1].

وليته وليته...

والعجب كلّ العجب من قول عليّ صلوات الله عليه: فلمّا قالوا: أمير المؤمنين صدع قلبي. لماذا صدع قلبه صلوات الله عليه ولم تكن لهذه التسمية جدّة؟ وإنّما سمّاه رسول الله ﷺ بذلك وحكاه عن الله تعالى وعن جبرئيل عليه السلام وما صدع قلبه يوم ذاك، فعليّ من أوّل يومه هو أمير المؤمنين بنصّ من الصادع الأمين، وما أنزل الله آية فيها ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلّا وعليّ رأسها وأميرها[2].

١٩ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات[3] (٤٧/٣) طبع ليدن، عن محمد بن عمر، عن عمرو بن عبدالله بن عنبسة بن عمرو بن عثمان، عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، عن ابن لبيبة، قال: إنّ عثمان بن عفّان لمّا حُصر أشرف عليهم من كوّة في الطمار فقال: أفيكم طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أنشدك الله هل تعلم أنّه لمّا آخى

---

(١) راجع ما مرّ في: ٨١/٧ و ٢٨٧/٨ و ٦٩/٩ و ٧٠، ٧٢، ٧٤، ١٧٢، ١٧٤. (المؤلّف)

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن: ص٨٧، ٨٩. (المؤلّف)

(٣) الطبقات الكبرى: ٦٨/٣.

رسول‌الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بيني وبين نفسه؟ فقال طلحة: اللّهمّ نعم. فقيل لطلحة في ذلك، فقال: نشدني، وأمرٌ رأيته، ألا أشهد به؟

رجال الإسناد:

١ ـ محمد بن عمر، هو الواقدي. راجع ترجمته في ميزان الاعتدال[١] (٣/١١٠).

٢ ـ عمرو بن عبدالله الأُموي حفيد عثمان، لم أجد له ذكراً في المعاجم، ولعلّ فيه تدليساً.

٣ ـ محمد بن عبدالله الأموي حفيد عثمان، قال البخاري[٢]: عنده عجائب، وقال ابن الجارود: لا يكاد يُتابع على حديثه. وقال النسائي مرّة: ثقة، وأُخرى: ليس بالقويّ. راجع تهذيب التهذيب[٣] (٩/٢٦٨).

٤ ـ ابن لبيبة، ويقال: ابن أبي لبيبة محمد بن عبدالرحمن، قال ابن مَعِين[٤]: ليس / حديثه بشيء. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال آخر: ليس بالقويّ[٥]. على أنّ ٣١٧/٩
ابن لبيبة لم يشهد حصر عثمان ولم يروِ عن صحابي، فحديثه عن عثمان وعليّ وسعد مرسل، يروي عن سعيد بن المسيّب وعبدالله بن عمرو بن عثمان وطبقتهما، فالرواية مرسلة، وابن سعد جدّ عليم بأنّ مثل هذه المفتعلة لا يخفى بطلانها على أيّ أحد سواء أرسلها أو أسندها.

وهلّا يعلم مفتعل هذه الأُضحوكة أنّ أئمّة الحديث وحفّاظه ورجال التاريخ

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣/٦٦٢ رقم ٧٩٩٣.

(٢) التاريخ الكبير: ج ١/١٣٩ رقم ٤١٧.

(٣) تهذيب التهذيب: ٩/٢٣٩.

(٤) التاريخ: ٣/١٨٩ رقم ٨٤٥.

(٥) ميزان الاعتدال: ٣/٨٩ [٣/٦١٨ رقم ٧٨٢٩]، تهذيب التهذيب: ٩/٣٠١ [٩/٢٦٨]. (المؤلّف)

أصفقت على أنّ رسول الله ﷺ لم يتّخذ لنفسه أخاً يوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إلّا ابن عمّه عليّ بن أبي طالب؟ وهذا الذي يقتضيه الاعتبار بعد ما نصّ الكتاب العزيز على أنّ عليّاً سلام الله عليه نفس النبيّ الأقدس، وأنّهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنّ ولاية عليّ مقرونة بولاية الله ورسوله[١].

وبعد ما ثبت أنّه سلام الله عليه صنو النبيّ الأعظم في الفضائل، وشاكلته في النفسيّات، ورديفه في الملكات الفاضلة، ونظيره من أُمّته كما جاء عنه ﷺ[٢]، وهو منه ﷺ بمنزلة رأسه من بدنه نصّاً منه ﷺ[٣]، وهو منه ﷺ بمنزلته من ربّه كما ورد عن أبي بكر مرفوعاً[٤]، وهما من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتّى كما روي عنه ﷺ[٥]، وهو الذي ثبت فيه قوله ﷺ: «أنت منّي وأنا منك»[٦]، وهو الذي أنزله ﷺ من نفسه بمنزلة هارون من موسى ولم يستثن له ممّا اختصّه الله به إلّا النبوّة[٧].

---

(١) راجع ما مرّ في: ٤٧/٢ و ١٥٦/٣ ـ ١٦٧. (المؤلّف)

(٢) الرياض النضرة: ١٦٤/٢ [١٠٧/٣]. (المؤلّف)

(٣) تاريخ الخطيب البغدادي: ١٢/٧ [رقم ٣٤٧٥]، الرياض النضرة: ١٦٢/٢ [١٠٥/٣]، مصباح الظلام للدمياطي: ٥٦/٢ [١٣٥/٢]. (المؤلّف)

(٤) الرياض النضرة: ١٦٣/٢ [١٠٦/٣]. (المؤلّف)

(٥) سيوافيك حديثه إن شاء الله تعالى بألفاظه ومصادره. (المؤلّف)

(٦) صحيح البخاري كتاب المناقب: ٢١٩/٥ [١٣٥٧/٣ باب ٩]، مسند أحمد: ٢٠٤/٥ و ٣٥٦ [٢٦٥/٦ ح ٢١٢٧٠ و ٤٨٩ ح ٢٢٥٠٣]، صحيح الترمذي في المناقب: ٢١٣/٢ [٥٩٣/٥ ح ٣٧١٦]، خصائص النسائي: ص ٢٠، ٢٤، ٣٦ [ص ٨٦ ـ ٨٧ ح ٦٨ ـ ٧٠]، وفي السنن الكبرى: ١٢٧/٥ ح ٨٤٥٥ وص ١٤٨ ح ٨٥٢٣ وص ١٦٩ ح ٨٥٧٩]، تاريخ الخطيب: ١٤٠/٤ [رقم ١٨٢٢]، وراجع ما مضى في الجزء السادس: ص ٣٣٨ ـ ٣٥٠. (المؤلّف)

(٧) حديث المنزلة أخرجه أئمّة الحديث بطرق صحيحة في الصحاح والمسانيد. (المؤلّف)

٣١٨/٩ لقد أدّينا البحث عن حديث المؤاخاة حقّه في الجزء الثالث (ص١١٢ ـ ١٢٥) وذكرنا هنالك خمسين حديثاً ممّا وقفنا عليه من أحاديث الإخاء الثابت بين النبيّ الأعظم وأخيه أمير المؤمنين، وقد صحّ عنه ﷺ قوله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» من طريق عمر وأنس وابن أبي أوفى وابن عبّاس ومحدوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبدالله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وغيرهم.

إنّما فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقيّة مآثر الإمام صلوات الله عليه فوضعوا تجاهها أكذوبة[تارة][1] في أبي بكر وأنّه هو أخو رسول ﷺ[2]، وأُخرى في عثمان وأنّ رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه، وثالثة في عليّ عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ آخى بينه وبين عثمان[3]. ورواة السوء يعلمون أنّ رسول الله ﷺ آخى بين أبي بكر وبين عمر في المؤاخاة الأولى بمكة[4]، وبينه وبين خارجة ابن زيد الأنصاري في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بالمدينة[5]، وآخى بين عثمان وبين عبدالرحمن بن عوف في المؤاخاة بمكة[6]، وبينه وبين أوس بن ثابت يوم

---

(١) من الطبعة الأولى.

(٢) راجع: ١١١/٣ من كتابنا هذا، والإصابة: ٣٥٧/١ [رقم١٨٣٩] وضعّفه. (المؤلّف)

(٣) الرياض النضرة: ١٧/١ [٤٣/١]. (المؤلّف)

(٤) راجع تاريخ ابن عساكر: ٩٠/٦ [٩٤/٣٠ رقم ٣٣٩٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٥٧/١٣]، أُسد الغابة: ٢٢١/٢ [٢٧٧/٢ رقم١٨٢٢]، عيون الأثر: ١٩٩/١ [٢٦٤/١]، الرياض النضرة: ١٥/١ و ١٧ [٢٣/١ و٢٤]، فتح الباري: ٢١٧/٧ [٢٧١/٧]. (المؤلّف)

(٥) راجع سيرة ابن هشام: ١٢٤/١ [١٥١/٢]، تاريخ ابن كثير: ٢٢٦/٣ [٢٧٧/٣ حوادث السنة الأولى من الهجرة]، عيون الأثر: ٢٠١/١ [٢٦٦/١]، الرياض النضرة: ١٦/١ [٢٣/١]، فتح الباري: ٢١٦/٧ و ٢١٨ [٢٧١/٧]. (المؤلّف)

(٦) راجع تاريخ ابن عساكر: ٩٠/٦ [٢٥٤/٣٥ رقم ٣٩١١، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٣٤٧/١٤]، عيون الأثر: ١٩٩/١ [٢٦٤/١]، الرياض النضرة: ١٥/١ و ١٧ [٢٣/١ و ٢٤]، فتح الباري: ٢١٨/٧ [٢٧١/٧]. (المؤلّف)

المؤاخاة بالمدينة[١].

فعثمان قطّ لا يُنشد بالمكذوب، وطلحة لا يدّعي رؤية ما لم يره، ولا يشهد بخلاف ما شاهده وعاينه، إن كانا من عدول الصحابة صدقاً، ومن المبشّرين بالجنّة حقّاً، وأنت تعرف حكم هذه الدعاوي من الصحيح الثابت عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «أنا عبدالله وأخو رسوله لا يقولها أحد غيري إلّا كذّاب». قال ابن كثير في تاريخه[٢] (٣٣٥/٧): وقد جاء من غير وجه. وقال ابن حجر: رويناه من وجوه[٣]. و / كان قول أمير المؤمنين هذا أخذاً بما قال له ٣١٩/٩
رسول‌الله صلى الله عليه وآله من قوله: «أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد ـ وفي لفظ: فإن حاجّك أحد ـ فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب»[٤].

وأوّل من فتح باب التجرّي بمصراعيه على هذه الفضيلة الرابية هو عمر بن الخطّاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش، وقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قالوا: إذن والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. قال: «إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله». قال: عمر: أمّا عبدالله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا[٥].

أنا لست أخدش العواطف بالإعراب عن حكم إنكار عمر الأُخوّة الثابتة بتلكم النصوص الصريحة الأكيدة وقد سمعها هو من الصادع الكريم في ذلك اليوم المشهود، غير أنّي جدّ عليم بأنّ حجاج مولانا أمير المؤمنين كان أخذاً بما مرّ قُبيل

---

(١) راجع سيرة ابن هشام: ١٢٥/٥ [١٥١/٢]، تاريخ ابن كثير: ٢٢٧/٣ [٢٧٨/٣ حوادث السنة الأولى للهجرة]، عيون الأثر: ٢٠١/١ [٢٦٦/١]، الرياض النضرة: ١٦/١ [٢٣/١]. (المؤلّف)

(٢) البداية والنهاية: ٣٧١/٧ حوادث سنة ٤٠هـ.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٣٧/٧ [٢٩٦/٧]، وراجع: ١٢١/٣ من كتابنا هذا. (المؤلّف)

(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: ص١١٥. (المؤلّف)

(٥) راجع ما مضى في الجزء السابع: ص٧٨. (المؤلّف)

هذا عن رسول الله ﷺ من قوله: «فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله». وهل قرع هذا سمع عمر أيضاً وجابهه مع ذلك بالشدّة في النكير عليه؟ أنا لا أدري ﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحكُمْ بَينَهُمْ أَو أعرِضْ عَنهُم وَإِنْ تُعرِضْ عَنهُم فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيئاً وَإِنْ حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِين﴾[1].

٢٠ ـ أخرج ابن عدي[2]، من طريق مصعب بن سعيد المصيصي، عن عيسى ابن يونس، عن وائل بن داود، عن البهيّ، عن الزبير ﷺ مرفوعاً: لا يُقتل قرشيّ بعد اليوم صبراً إلّا قاتل عثمان فإن لم يفعلوا فابشروا بذبح مثل ذبح الشاة.

قال الأميني: ذكره الذهبي في الميزان[3] (١٧٢/٣) مع حديثين من طريق مصعب ابن سعيد، فقال: ما هذه إلّا مناكير وبلايا.

وقال ابن عدي: يحدّث مصعب عن الثقات بالمناكير ويصحّف وهو حرّاني[4] نزل المصّيصة[5] وله غير ما ذكر والضعف على رواياته بيّن. وقال ابن حبّان[6]: كان مدلّساً. وقال صالح بن جزرة: شيخ ضرير لا يدري ما يقول[7]. ٣٢٠/٩

وفي الإسناد عيسى بن يونس، قال الدارقطني: مجهول. والبهيّ هو عبدالله أبو محمد مولى مصعب بن الزبير ولا يصحّ روايته عن الزبير بل يروي عن عبدالله بن

---

(١) المائدة: ٤٢.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٦٥/٦ رقم ١٨٤٦.

(٣) ميزان الاعتدال: ١١٩/٤ رقم ٨٥٦١.

(٤) حرّان: قرية من قرى حلب [معجم البلدان: ٢٣٦/٢]. (المؤلّف)

(٥) مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم [معجم البلدان: ١١٤/٥]. (المؤلّف)

(٦) كتاب الثقات: ١٧٥/٩.

(٧) لسان الميزان: ٤٣/٦ [٥١/٦ رقم ٨٤٠٤]. (المؤلّف)

الزبير، وقال أبو حاتم في العلل: لا يحتجّ بالبهيّ وهو مضطرب الحديث.

٢١ ـ أخرج أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٥٧/١)؛ من طريق حامد بن آدم المروزي، عن عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن عثمان بن غياث البصري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط، إذ جاء رجل فاستفتح الباب، فقال: افتح له وبشّره بالجنّة على بلوى تصيبه. فإذا هو عثمان، فأخبرته، فقال: الله المستعان.

قال الأميني: هلّا يعرف أبو نُعَيم مفتعل هذه الأكذوبة حامد بن آدم؟ أو يعرفه بعُجره وبجره، غير أنّ الغلوّ في الفضائل يسوّغ له ولقومه رواية كلّ كذب مختلق في فضائل المستخلفين بالانتخاب الدستوري الذي لم تره عين الدنيا صحيحاً قطّ.

أنّى يخفى على مثل أبي نُعَيم أنّ حامد بن آدم كذّبه الجوزجاني وابن عدي[1]، وعدّه أحمد بن علي السليماني فيمن اشتهر بوضع الحديث. وقال أبو داود السبخي: قلت لابن مَعِين: عندنا شيخ يقال له: حامد بن آدم. إلخ. فقال: هذا كذّاب لعنه الله[2].

على أنّ عثمان لو كان مبشّراً بالجنّة ومصدّقاً بوعد النبيّ الأقدس لما كان في نفسه خيفة من أن يكون هو ذلك الملحد بمكة الذي أخبر ﷺ بأنّ عليه عذاب نصف أهل الأرض كما مرّ في صحيحة أحمد. وأعجب من هذا مهزأة جاء بها الخطيب ألا وهي:

٢٢ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (١٥٧/٨)، من طريق الحسين بن

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ٤٦١/٢ رقم ٥٦٩.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢٠٨/١ [٤٤٧/١ رقم ١٦٧١]، لسان الميزان: ١٦٣/٢ [٢٠٦/٢ رقم ٢٢٤٤]. (المؤلّف)

حميد بن موسى العكّي، قال: حدّثنا حمّاد بن المبارك البغدادي[قال: حدثنا عبدالله ابن ميمون البغدادي][1] قال: حدّثنا إسماعيل بن أُميّة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر، قال: ما صعد النبيّ ﷺ المنبر قطّ إلّا قال: عثمان في الجنّة. قال: قال الدارقطني: كذا قال حمّاد بن المبارك، عن عبدالله بن ميمون، عن إسماعيل بن أُميّة، عن ابن جريج، وهذا الحديث إنّما يُعرف من رواية إسماعيل بن / يحيى بن عبيدالله ٣٢١/٩
التيمي عن ابن جريج والله أعلم. وقال الذهبي في الميزان ٢٨١/١: خبر غير صحيح[2].

راجع لسان الميزان[3] (٣٥٣/٢).

قال الأميني: ألا تعجب من الخطيب يذكر مثل هذه السفسطة بهذا الإسناد الوعر ولم ينبس ببنت شفة؟ ولم يُعرب عن حال رجاله عادته في فضائل كلّ من أعماه حبّه وأصمّه، وأنت تجد نقضه وإبرامه، وجرحه وتعديله، وتصويبه وتصعيده في مناقب آل الله صلوات الله عليهم.

أيخفى على مثل الخطيب قول مسلمة بن قاسم في الحسين العكّي: إنّه مجهول؟ أم لا يهمّه وجود حمّاد بن المبارك في الإسناد وهو المجهول الذي لا يُعرف[4]؟ أم عزب عنه قول البخاري[5] في عبد الله بن ميمون: إنّه ذاهب الحديث، وقول أبي زُرعة: إنّه واهي الحديث، وقول أبي حاتم[6] والترمذي: إنّه منكر الحديث، وقول

---

(١) من المصدر.

(٢) ميزان الاعتدال: ٥٩٩/١ رقم٢٢٦٨.

(٣) لسان الميزان: ٤٢٩/٢ رقم ٢٩٥٠.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢٨١/١ [٥٣٣/١ رقم ١٩٩٤]، لسان الميزان: ٣٥٣/٢ [٤٢٩/٢ رقم ٢٩٥٠]. (المؤلّف)

(٥) التاريخ الكبير: ٢٠٦/٥ رقم٦٥٣.

(٦) الجرح والتعديل: ١٧٢/٥ رقم٧٩٩.

ابن عدي[١]: إنّ عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه، وقول النسائي[٢]: إنّه ضعيف، وقول أبي حاتم[٣] أيضاً: يروي عن الأثبات الملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وقول الحاكم: إنّه يروي أحاديث موضوعة، وقول أبي نعيم: إنّه روى المناكير[٤]؟

أم لا يروق الخطيب الجرح في إسماعيل بن أُميّة العبشمي الأموي وهو ابن عمّ عثمان، وقد جاء بالرواية مختلقة في ابن عمّه الخليفة؟ أم لا ينبّهه ما حكاه عن الدارقطني[٥] من أنّ إسماعيل لا يروي عن ابن جريج، وإنّما الراوي إسماعيل بن يحيى التيمي؟

أم أراد حفظ سمعة الصدّيق أبي بكر في حفيده إسماعيل بن يحيى التيمي[٦] والستر على قول صالح بن جزرة فيه: إنّه كان يضع الحديث، وقول الأزدي: إنّه ركن من أركان الكذب لا تحلّ الرواية عنه. وقول أبي عليّ النيسابوري والدارقطني والحاكم: إنّه كذّاب. وقول الحاكم: روى أحاديث موضوعة. وقول الدارقطني: إنّه كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما. وقول ابن حبّان[٧]: إنّه كان يروي الموضوعات عن الثقات لا تحلّ الرواية عنه بحال[٨]؟

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٨٧/٤ رقم١٠٠٢.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ١٥٠ رقم٣٥٣.

(٣) كتاب المجروحين: ٢١/٢.

(٤) تهذيب التهذيب: ٤٩/٦ [٤٤/٦]. (المؤلّف)

(٥) الضعفاء والمتروكون: ص١٣٧ رقم٨١.

(٦) إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة. (المؤلّف)

(٧) كتاب المجروحين: ١٢٦/١.

(٨) ميزان الاعتدال: ١١٧/١ [٢٥٣/١ رقم٩٦٥]، لسان الميزان: ٤٤٢/١ [٤٩٣/١ رقم١٣٧٨]. (المؤلّف)

نعم؛ هذه كلّها بين يدي الخطيب، غير أنّ الغلوّ في الفضائل أبكمه فبكم[1]. ٣٢٢/٩
وذكر الذهبي هذه الرواية في ميزان الاعتدال[2] في ترجمة حمّاد بن المبارك، وقال: خبر غير صحيح.

ولو كان لهذا الخيال مقيل من الصحّة لاستدعى أن يكون ما اختلق فيه من كون عثمان في الجنّة أهمّ ما صدع به رسول الله ﷺ من المعارف والأحكام والحِكَم، فإنّا لم نجد ولا وجد واجد شيئاً منها يهتم ﷺ له هذا الاهتمام ويصدع به على كلّ منبر صعده، نعم كان يكرّر بعض ما يصدع به في عدّة مقامات للكشف عن أهميّته غير أنّها ممّا تعدّه الأنامل، حتى إنّ الصلاة التي هي عماد الدين لم يكرّرها هذا التكرار المملّ.

وليت شعري هل كون عثمان في الجنّة من أُصول الدين وأُسس الإسلام التي لا تتمّ الشريعة إلّا بها، فطفق ﷺ يبالغ في تبليغه هذه المبالغة في كلّ حين؟ فهل هو حكم شرعيّ؟ أو حكمة بالغة؟ أو ملكة فاضلة؟ أو ناموس إلهيّ يستحق هذا التأكيد والإصرار؟

ثمّ لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تبشير الآيات الكريمة الكثيرة والأحاديث الشريفة الجمّة لهم بالجنّة، فما الحاجة إلى هذا التهالك في تخصيصه بالذكر تهالكاً لم يشاهد له نظير في شيء ممّا بلّغه ﷺ عن ربّه؟

على أنّه لو كان ﷺ مرتكباً ذلك لوجب أن يسمعه منه جميع الصحابة حتى من حظي بالإصاخة إلى قيله ولو مرّة واحدة طيلة حياته، ووجب أن يتواتر الحديث منه ﷺ فلا يختصّ بعزوه المختلق جابر، ولم يك يسنده عنه أُناس دجّالون، وإنّ من

---

(١) بكم بكامة: سكت تعمّداً. (المؤلّف)

(٢) ميزان الاعتدال: ١/٥٩٩ رقم٢٢٦٨.

أهمّ تلكم المنابر منبر يوم الغدير وقد حضره مئة ألف أو يزيدون، فهل سمع أحد من أحدهم من الأعالي والساقة يحدّث أنّه ﷺ هتف عليه بأنّ عثمان في الجنّة؟ وهذه خُطب النبيّ الأعظم هل تجد في شيء منها عمّا تقوّلوه حسيساً أو تسمع منه ركزاً؟ وهل هؤلاء الصحابة البالغون مئات الألوف الذين سمعوا هذا المقال ووعوه تركوه وراء ظهورهم يوم الدار، يوم قالوا له: والله أحلّ الله دمك[1]، يوم كتبوا إليه يدعونه ٣٢٣/٩
إلى التوبة وحاجّوه وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه[2]، يوم سلّم عليهم فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه، وكان فيهم من عُمد الصحابة من فيهم[3]، يوم رفعت أُمّهم عقيرتها وهي تقول: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، إلى أيّام قصصنا عليك حوادثها؟ أو أنّهم كلّهم نسوه فنالوا من الرجل ما نالوا؟

وهل حصل لهم مُذكّر من عند أنفسهم فلم يوافقوه على السماع؟ أو لم يعيروا له أُذناً مُصغية؟ هذا وهم عدول، وإنّ ممّن سمع بطبع الحال هاتيك الكلمة نفس عثمان، فلماذا كان يخاف من القفول إلى مكّة حذار أن يكون هو الذي سمع فيه عن رسول الله ﷺ ما مرّ من أنّه يُلحد بمكة رجل عليه عذاب نصف أهل الأرض؟

٢٣ ـ ذكر ابن كثير في تاريخه[4] عند عدّ مناقب عثمان، عن إسماعيل بن عبدالملك، عن عبدالله بن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه[5] إلّا لعثمان بن عفّان إذا دعا له.

قال الأميني: حذف ابن كثير وغيره ممّن ذكر هذه المهزأة إسنادها وأرسلوها

---

(١) تاريخ الخميس: ٢/٢٦٠. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص١٦٢. (المؤلّف)

(٣) راجع ما أسلفنا في حديث طلحة بن عبيدالله: ص٩٦. (المؤلّف)

(٤) البداية والنهاية: ٧/٢٣٨ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٥) كذا في المصدر، والصحيح: ضبعاه، والضبع وسط العضد، وقيل: العضد كلها، وقيل: الإبط.

إرسال المسلّم ذاهلين عن أنّ في ذكر إسماعيل بن عبدالملك كفاية من عرفان بقيّة رجاله. قال ابن عمّار وأبو داود: ضعيف. وقال[١] ابن الجارود وابن مَعِين والنسائي وأبو حاتم: ليس بالقوي. وقال عبدالرحمن بن مهدي: أُضرب على حديثه. وقال الفلّاس وأبو موسى: كان عبدالرحمن ويحيى لا يحدّثان عنه. وقال ابن حبّان[٢]: كان يقلّب ما يروي[٣].

وأنا لا أدري أنّ عائشة متى روت هذه الرواية، قبل تكفيرها الرجل وتأليب الناس عليه، ثمّ نسيتها؟ وسرعان ما تنسى أُمّ المؤمنين ما حفظته كما نسيت أقوال رسول الله ﷺ لها في مُناوأة أمير المؤمنين عليه السلام وعن كلاب الحوأب ونباحها، أم أنّها روتها حين كانت تثير العواطف على عثمان وترهج عليه نقع الحروب حتى أوردته موارد / الهلكة؟ فاعجب إذن بالمناقضة بين روايتها وعملها دواليك وهي صحابيّة ٣٢٤/٩
عادلة أُمّ الصحابة العدول كما يزعمون.

أم أنّها أسندتها بعد تلكم المعامع؟ بعد أن سوّل لها الناكثان النهضة للطلب بثاراته فخرجا يجرّان حرمة رسول الله ﷺ كما تُجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس رسول الله ﷺ عن خدرها[٤] فثارت لتتدارك ذلك الحوب بما هو أكبر منه، فخالفت القرآن الكريم فيما خصّ زوجات النبي ﷺ بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[٥] فكان من استقرارها في بيتها أن ركبت الجمل وقادت العساكر، وباشرت

---

(١) التاريخ: ٣٠٣/٣ رقم١٤٣٧، كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٤٩ رقم٣٥، الجرح والتعديل: ١٨٦/٢ رقم٦٢٩.

(٢) كتاب المجروحين: ١٢١/١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣١٦/١ [٢٧٦/١]. (المؤلّف)

(٤) راجع ما مضى في هذا الجزء: ص١٠٦. (المؤلّف)

(٥) الأحزاب: ٣٣.

الحرب بنفسها، وعاشرت الرجال الأجانب، ونبذت الكتاب وراء ظهرها، ولم ترعَ لبعلها حرمة ولا كرامة.

وخالفت رسول الله ﷺ في نواهيه المتعاقبة عن خصوص موقف الجمل كما مرّت في الجزء الثالث (ص١٨٨ ـ ١٩١)، وعن مطلق مناوأة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربته فيما روي عنه ﷺ مستفيضاً كما أسلفنا نزراً منه في (١/٣٣٦، ٣٣٧ و ٢/٣٠٠ ـ ٣٠٣ و ٣/٢٦، ١٨٢ ـ ١٨٨ و ٤/٣٢٢ ـ ٣٢٥).

نعم؛ خالفت رسول الله ﷺ في وصاياه المؤكّدة لوصيّه الطاهر، حتى جاء في حديث معمّر: عائشة كانت لا تطيب نفساً لعليّ بخير. وفي حديث آخر: لكنّها لا تقدر على أن تذكره بخير[1].

والحديث صحيح رجاله كلّهم ثقات، أخرجه أحمد في مسنده[2] (٦/٢٢٨)، من طريق معمّر، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة؛ أنّ عائشة أخبرته، قالت: أوّل ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرّض في بيتها، فأُذن له، قالت: فخرج ويدٌ له على الفضل بن عبّاس، ويدٌ على رجل آخر، وهو يخطّ برجليه في الأرض. قال عبيدالله: فحدّثت به ابن عبّاس فقال: أتدرون من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ هو عليّ، ولكن عائشة لا تطيب له نفساً.

وأخرجه البخاري[3] في صحيحه في باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة، غير أنّه / حذف منه قول ابن عبّاس: ولكنّ عائشة لا تطيب له نفساً. وهذا شأن البخاري ٣٢٥/٩
في كلّ ما لا يروقه.

---

(١) فتح الباري: ٢/١٢٣ [٢/١٥٦]. (المؤلّف)

(٢) مسند أحمد: ٧/٣٢٦ ح٢٥٣٨٦.

(٣) صحيح البخاري: ١/٢٣٧ ح٦٣٤.

نعم؛ عائشة لا تقدر أن تسمي عليّاً وتذكره بخير، غير أنّها كانت تصيخ إلى من نال من عليّ ﷺ وتأنس بالوقيعة فيه ولا تنهى عنها، كما في صحيحة رجالها كلّهم ثقات أخرجها أحمد في مسنده[1] (١١٣/٦) من طريق عطاء بن يسار، قال: جاء رجل فوقع في عليّ وفي عمّار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة، فقالت: أمّا علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يُخيَّر بين أمرين إلّا اختار أرشدهما».

لمَ يا أُمّاه لست قائلة شيئاً في عليّ؟ أما سمعت أُذناك من بعلك حديثاً واحداً في فضله مثل ما سمعت في عمّار؟ أما تجدين في كتاب الله ممّا نزل في عليّ ما يعادل حديثك في عمّار؟ وفضل عليّ ﷺ على عمّار كما قال حذيفة اليماني: فوالله لعليّ أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنّ عمّاراً من الأخيار[2].

لم يا أُمّاه لا تكرهين أن يُقذع عندك عليّ ﷺ، وأنت التي كنت كارهة أن يُسبّ عندك حسّان بن ثابت؟ وقد أخبر بذلك عروة قال: كانت عائشة تكره أن يُسبّ عندها حسّان وتقول: إنّه الذي قال:

فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرضِ محمدٍ منكم وقاءُ[3]

أما كانت عندك لمواقف عليّ المشكورة في مغازي رسول الله ﷺ ولمبيته على فراشه ليلة هجرته من مكة وقد باهى الله به ملائكته، قيمة وكرامة مقدار بيت شعر لحسّان؟ وحسّان أنت أدرى به منّي. إي يا أُمّاه؟ شنشنة أعرفها من أخزم!

ومن رشحات ما كانت تحمله أُمّ المؤمنين بين جنبيها من الضغينة على أوّل

---

(١) مسند أحمد: ١٦٣/٧ ح٢٤٢٩٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال: ٧٣/٧ [٥٣٢/١٣ ح٣٧٣٨٥]. (المؤلّف)

(٣) راجع مسند أحمد: ١٩٧/٦ [٢٨٢/٦ ح٢٥٠٩٦]. (المؤلّف)

المسلمين وأولاهم بهم من أنفسهم قولها يوم سمعت بيعة الناس له: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا.

وخالفت العقيدة الراسخة من حرمة قتال خليفة الوقت، وليتني علمت ماذا يكون / جواب أُمّ المؤمنين لو أُحفيت السؤال عن خطيئتها؟ أيّهما أعظم: إجهازها على ٣٢٦/٩
عثمان؟ أم محاربتها الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام؟ غير أنّها اليوم وقد كشف عنها الغطاء تجيب بأنّ الخطيئة كانت واحدة مرتكزة على سنام الجمل وتحت أستار الهودج، وهل كانت روايتها هذه لتبرير عملها الأخير وقد جعلتها معذّرة لها في ثورتها؟ أو أنّها اختُلِقتْ عليها فأخرجتها رواة السفاسف أو حملة الأضغان على البيت النبويّ الطاهر، أو سماسرة البيت الأمويّ الذين حاولوا نشر الفضيلة لهم ولو بالأفائك؟

وكانت أُمّ المؤمنين عالمة جدّاً بأنّ قتل عثمان كان هيّناً عندالله ورسوله في جنب خروجها من عقر دارها، كما قال لها جارية بن قدامة السعدي الصحابي: يا أُمّ المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفّان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس[1].

ثمّ هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو لعثمان بالثبات على الحقّ من اتّباع الكتاب والسنّة؟ فلماذا لم يُستجب ذلك الدعاء فخالفهما؟ وظهر ذلك منه حتى عرفته عامّة الصحابة فأنكروه عليه حتى قتلوه.

---

(١) تاريخ الطبري: ١٧٦/٥ [٤٦٥/٤ حوادث سنة ٣٦هـ]، الكامل لابن الأثير: ٩٠/٣ [٣١٨/٢ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

أو أنّه كان يدعو له بالتوفيق للتوبة؟ فلماذا لم يوفّق؟ فكلّما تاب رجع، وكلّما عهد حنث، حتى عرف ذلك الثائرون عليه فلم يجدوا بدّاً من إعدامه.

أو أنّه كان يدعو له بالمغفرة وإن لم تكن توبته نصوحاً؟ فذلك إغراء بالجهل، وترخيص في المعصية، وهو محال على النبي ﷺ.

أو أنّه كان يدعو له بدفع عادية الناس عنه على ما هو عليه من طاعة أو معصية؟ فهبني قلت: إنّه جائز لكن الدعاء لم يُستجب، وما غناء بقاء رجل هو هكذا سالماً؟ وهو لا يُقتصّ أثره في صلاح، ولا يُقتفى في طاعة، ولا يُتّبع في خير، وإنّما تورث سلامته تجرّياً على المعاصي وولعاً بالميول والشهوات.

أو أنّه كان يدعو له باليسار والثروة ليرغد عيشه ويُرغد عيش من لفّ لفّه واحتفّ به ولو كان بالأثرة لنفسه وذويه على المسلمين عامة متعدّياً حدود الله ٣٢٧/٩
المأثورة في الأموال والصدقات؟ فهل الدعاء لمثل هذا جائز في الشريعة؟ وهل يستسيغ العقل السليم الدعاء للحصول على المآثم.

أو أنّه كان يدعو له بنيل الخلافة؟ وهذا إن صحّ فقد استجيب، غير أنّ النبيّ الأعظم ﷺ كان بواسع علم النبوّة بصيراً بما يؤول إليه أمر الرجل وينوء به ممّا لا تحمده شريعة أو عقيدة، ولا يستتبع خلافته إلّا وهناً في الدين، وذهاباً لأبّهة الإمامة، وقلقاً في مستوى الإسلام وعاصمة النبوّة، وتعكيراً لصفو الألفة بين أفراد المسلمين، وفتّاً في عضدهم، وهواناً على صلحاء الأُمّة في الحواضر الإسلاميّة، وتعطيلاً للأحكام، وتعدّياً للحدود، ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون، وكلّ هذه ممّا عرفته منه الصحابة فتألّبوا عليه، فما كان حاجة النبيّ ﷺ في خليفة هو هكذا؟

هذه محتملات الدعاء المزعوم، ولنا هاهنا مساءلة أُخرى عن السبب الموجب لهذا الدعاء أوّلاً وعن ظرفه ثانياً، أهل كان الموجب له أعماله السابقة على الدعاء؟ أو

ما ارتكبه في أُخريات أيّامه، فجرّ على نفسه ومن اكتنفه الويلات من جرّائه ؟

أمّا الأخيرة فقد عرفت أنّها لا تنهض موجباً لذلك.

وأمّا سوابقه فسل عنه يوم بدر وتخلّفه عنه وكان يُعيّر بذلك طيلة حياته، ووقع فيه عبدالرحمن بن عوف لذلك في أُخريات خلافته بملأ من الناس، فأنهى إليه ذلك الوليد بن عقبة السكّير الفاسق بلسان الوحي المبين[1]، هنالك نحت له عذراً من تمريض رقيّة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله[2] لكن الصحابة ما كانوا يعرفون ذلك العذر المفتعل حتى أولى الناس به أخوه بالمؤاخاة بمكة عبدالرحمن بن عوف، ولو كان ما يقوله صحيحاً لعرفوه وهو بين ظهرانيهم غير مُنتيءٍ عنهم.

وسل عنه يوم أُحد وفراره من الزحف وقد نزل فيه وفيمن فرّ قوله تعالى في سورة آل عمران آية: ١٥٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُم يَومَ التَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعضِ مَا كَسَبُوا﴾ الآية[3].

٣٢٨/٩ وسل عنه ليلة وفاة أُم كلثوم واقترافه الذنب فيها، وهتك رسول الله صلى الله عليه وآله حرمته في صبيحتها بملأ من الصحابة بحرمانه من دفنها وهي زوجته وهو أحقّ الناس بدفنها، راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن (ص٢٣١).

وسل عنه إيواءه عبدالله بن أبي سرح وقد ارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين

---

(١) مرّ تفصيل ذلك في: ٨/٢٧٤ ـ ٢٧٦. (المؤلّف)

(٢) راجع مسند أحمد: ١/٦٨ و٧٥ [١/١٠٩ ح٤٩٢ و ١٢٠ ح٥٥٧]، الرياض النضرة: ٢/٩٧ [٣/٢٢]، تاريخ ابن كثير: ٧/٢٠٦ [٧/٢٣١ حوادث سنة ٣٥هـ]. (المؤلّف)

(٣) راجع مسند أحمد ١/٦٨ [١/١٠٩ ح٤٩٢]، تفسير القرطبي: ٤/٢٤٥ [٤/١٥٧]، تفسير ابن كثير: ١/٤١٩، الرياض النضرة: ٢/٩٧ [٣/٢٣]، تفسير الخازن: ١/٣٠٧ [١/٢٩٥ وانظر أيضاً المعجم الكبير: ١/٨٨ ح١٣٥]. (المؤلّف)

فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح وأمر بقتله ولو وجد تحت أستار الكعبة، لكنّه فرّ إلى أخيه من الرضاعة ـ عثمان ـ فآواه وغيّبه، وكان من واجبه قتله أينما وجده، لكنه بدلاً من ذلك أتى به إلى رسول الله فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً رجاء أن يقتله أحد من الحضور لأنّه ما كان يروقه ﷺ إسعافه ولا يرى لحياة ابن أبي سرح قيمة. راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن (ص ٢٨٠).

وسل عنه إيواءه ابن عمّه المشرك معاوية بن المغيرة بن أبي العاص يوم حمراء الأسد لمّا ظفر به رسول الله ﷺ في خروجه منها فأمر بضرب عنقه صبراً، فلجأ إلى عثمان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه على أنّه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعث ﷺ عمّار بن ياسر وزيد بن حارثة وقال: «إنّكما ستجدانه بموضع كذا وكذا» فوجداه فقتلاه[1].

وما أشبه فعلته هذه بإيوائه الحكم وابنه مروان في خلافته وهما طريدا رسول‌الله ولعيناه![2] فأمره سواسية في المبدأ والمنتهى.

هذا كلّ ما علمناه من سوابق الرجل ولواحقه، وشيء منها لا يصلح أن يكون باعثاً للحبّ والدعاء، كما أنّ شيئاً منها لا يترك للدعاء المزعوم ظرفاً يُستساغ له الدعاء فيه، فزبدة المخض أنّه من مختلق الدور الأُمويّ الذي لم يألُ العبشميون فيه جهداً في وضع الفضائل أو الرذائل.

نعم، ذكروا له ﷺ دعوات عديدة لعثمان عند تجهيزه جيش العسرة ولعلّ المتهالك في حبّ عثمان ينحته موجباً لتلكم الدعوات، والباحث جدّ خبير بأنّه لا

---

(١) سيرة ابن هشام: ٥٧/٣ [١١١/٣]، تاريخ ابن كثير: ٥١/٤ [٥٩/٤]، عيون الأثر لابن سيّد الناس: ٣٧/٢، ٣٨ [٦/٢]، شرح الأشخر على بهجة المحافل: ٢١٣/١ [الأشخر هو محمد بن أبي بكر المتوفى ٩١٩]. (المؤلّف)

(٢) راجع ترجمة الحكم وابنه مروان في الجزء الثامن من كتابنا هذا. (المؤلّف)

٣٢٩/٩ يعدو شيئاً منها وهن في الإسناد لضعف في رجاله أو إرسال فيه، على اضطراب الروايات في كيفيّة التجهيز وكمّية ما أنفقته يده فيه، اضطراباً لا يعدوه الحكم بالبطلان في جميعها:

قال ابن هشام في السيرة[١] (١٧٢/٤): أنفق عثمان بن عفّان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. حدّثني من أثق به أنّ عثمان بن عفّان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار. إلى آخر ما يأتي من حديثه.

وأخذ الطبري[٢] الجملة الأُولى من قول ابن هشام وترك حديثه.

وعند الكلبي مرسلاً كما في أسباب النزول للواحدي[٣] (ص٦١): جهّز بألف بعير بأقتابها وأحلاسها.

وعند قتادة مرسلاً: حمل على ألف بعير وسبعين فرساً.

وعند البلاذري[٤] بإسناد ضعيف مرسل: جهّزهم بسبعين ألفاً.

وعند الطبراني بإسناد ضعيف: مئتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومئتا أوقية من الذهب.

وعند أبي يعلى بسند ضعيف: جاء بسبعمئة أوقية ذهب.

وعند ابن عدي[٥] بسند واه ضعيف جدّاً: جاء بعشرة آلاف دينار.

---

(١) السيرة النبوية: ١٦١/٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ١٠٢/٣ حوادث سنة ٩هـ.

(٣) أسباب النزول: ص٥٥.

(٤) أنساب الأشراف: ١١٢/٦.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٤٠/١ رقم١٦٩.

وعند أبي نعيم[١] بإسنادين باطلين: جاء بألف دينار.

وعند أحمد وأبي نعيم[٢] بإسناد معلول: ثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها.

وعند ابن عساكر مرسلاً: جهّز ثلث ذلك الجيش مؤنتهم.

وعند ابن الأثير[٣] ما ذكره الطبري وزاد عليه: قيل كانت ثلاثمئة بعير وألف دينار.

وعند عماد الدين العامري دعوى مجرّدة: أنفق ألف دينار، وحمل على تسعمئة وخمسين بعيراً، وخمسين فرساً.

وعند الحلبي صاحب السيرة[٤] قولاً بلا دليل: جهّز عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل وهي تسعمئة بعير ومئة فرس والزاد وما يتعلّق بذلك حتى ما تربط به الأسقية.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وعند بعض كما في السيرة الحلبيّة: أعطى ثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً.

وفي رواية عند الحلبي: جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله فصبّت بين يديه، فقال: لعلّ هذه العشرة آلاف غير الذي جهّز بها العشرة آلاف إنسان.

فترى كلّ واحد يكيل ويزن ما أنفقه الرجل في جيش العسرة بكيلة مروءته ٣٣٠/٩
وميزان كرامته، وما تستدعيه سعة صدره، ورحب ذات يده.

---

(١) حلية الأولياء: ٥٩/١.

(٢) مسند أحمد: ٣٨/٥ ح١٦٢٥٥، حلية الأولياء: ٥٩/١.

(٣) الكامل في التاريخ: ٦٣٥/١ حوادث سنة ٩هـ.

(٤) السيرة الحلبية: ١٣٠/٣.

على أنّ هناك أُناساً آخرين شاركوا من جهّز الجيش وأربوا، فلا أدري ما الموجب لاختصاص عثمان بتلكم الأدعية دونهم؟ فمن أُولئك المجهّزين العباس بن عبدالمطّلب فإنّه حمل مالاً يقال إنّه تسعون ألفاً[1] وقال ﷺ: «العبّاس عمّ نبيّكم أجود قريش كفّاً وأحناه عليها» وفي حديث: «أوصلها إليها».

مستدرك الحاكم[2] (٣/٣٢٨).

وأوّل من حمل ماله كلّه هو أبوبكر على زعم القوم؛ فإنّه جاء بماله كلّه، فقال له رسول الله ﷺ: هل أبقيت شيئاً؟ قال: الله ورسوله[3] [أعلم][4].

وهب أنّ ما حمله أبوبكر كان نزراً يسيراً لكنّه أنفق كلّ ماله إن صدق الحديث وكمال الجود بذل الموجود، فما الذي أرجأه من الحظوة بالدعاء له ورسول الله ﷺ يراه أمنّ الناس عليه بماله؟ وقد جاء عنه ﷺ فيما رواه أحمد في مسنده[5] (١/٢٧٠) قوله: ليس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة.

على أنّ طبع الحال يستدعي أن يكون هناك منفقون آخرون، لأنّ عدد الجيش كان ثلاثين ألفاً وعشرة آلاف فرس واثنا عشر ألف بعير عند كثير من المؤرخين، وعند أبي زُرعة كانوا سبعين ألفاً، وفي رواية أربعين ألفاً[6] وما ذكروه من

---

(١) امتاع المقريزي: ص٤٤٦. (المؤلّف)

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/٣٧١ ح٥٤١٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ١/١١٠ [٢/٣٤]، شرح المواهب للزرقاني: ٣/٦٤، السيرة الحلبية: ٣/١٤٥ [٣/١٣٠]. (المؤلّف)

(٤) الزيادة من تاريخ ابن عساكر.

(٥) مسند أحمد: ١/٤٤٥ ح٢٤٢٨.

(٦) طبقات ابن سعد: رقم التسلسل ٦٨٣ [٢/١٦٦]، تاريخ ابن عساكر: ١/١١١ [٢/٣٦]، امتاع المقريزي: ص٦٥٠ [ص٤٥٠]، فتح الباري: ٨/٩٣ [٨/١١٧]، المواهب اللدنيّة: ١/١٧٣ [١/٦٣٠]، إرشاد الساري: ٦/٤٣٨ [٩/٤٥١]، شرح بهجة المحافل: ٢/٣٠. (المؤلّف)

النفقات لعثمان وغيره لا تفي بتجهيز هذا الجيش اللجب، فلماذا حُرِم أولئك كلّهم من الدعاء وحظي به عثمان فحسب؟ أنا أُنبئك لماذا، وجد عثمان بعد ما خُذل وقُتل أنصاراً ينحتون له الفضائل، وتصرّمت أيّام أولئك من غير نصير مُفتعل!

وإليك جملة ممّا روي في الباب وافية للنهوض بإثبات بطلان ما يُهتف به من المبالغة في أمر التجهيز المذكور، منها:

٢٤ ـ أخرج أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٥٩/١) من طريق حبيب بن أبي حبيب أبي / محمد البصري ـ كاتب مالك ـ عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: لمّا جهّز ٣٣١/٩
النبيّ ﷺ جيش العسرة جاء عثمان بألف دينار فصبّها في حجر النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: اللّهمّ لا تنس لعثمان؛ ما على عثمان ما عمل بعد هذا.

قال الأميني: أتخفى على مثل الحافظ أبي نُعَيم أقوال أئمّة الفنّ من قومه في حبيب كاتب مالك؟ قال عبدالله بن أحمد[1] ـ إمام الحنابلة ـ عن أبيه؛ أنّه قال: حبيب ليس بثقة، قدم علينا رجل أحسبه قال من خراسان كتب عنه كتاباً، إلى أن قال: قال أبي: كان يكذب، ولم يكن أبي يوثّقه ولا يرضاه وأثنى عليه شرّاً وسوءاً.

وقال أبو داود: كان من أكذب الناس كان يضع الحديث. وقال أبو حاتم[2]: متروك الحديث روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة. وقال النسائي[3] والأزدي: متروك الحديث، وقال ابن حبّان[4]: كان يُدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم، وقال: أحاديثه كلّها موضوعة. وذكر له عدّة أحاديث عن هشام ابن سعد وغيره وقال: كلّها موضوعة، وعامّة حديثه موضوع المتن، مقلوب

---

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٥٢/٢ رقم١٥٢٨،

(٢) الجرح والتعديل: ١٠٠/٣ رقم٤٦٦.

(٣) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٩٠ رقم١٦٣.

(٤) كتاب المجروحين: ٢٦٥/١.

الإسناد، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات، وأمره بيّن في الكذب. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال سهل بن عسكر: كتبنا عنه عشرين حديثاً وعرضناها على ابن المديني فقال: هذا كلّه كذب، وقال النسائي: متروك، أحاديثه كلّها موضوعة عن مالك وغيره[١].

وأخرجه أحمد[٢] من طريق ضَمْرة بن ربيعة الدمشقي الرملي، قال الساجي: صدوق يهم عنده مناكير. وجاء ضَمْرة عن الثوري عن ابن دينار عن ابن عمر بحديث فأنكره أحمد وردّه رداً شديداً، وقال: لو قال رجل إنّ هذا كذب لما كان مخطئاً. وأخرجه الترمذي[٣] وقال: لا يتابع ضَمْرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث. راجع تهذيب التهذيب[٤] (٤٦١/٤).

ومنها:

٢٥ ـ أخرج أحمد في مسنده[٥] (٧٤/١)؛ من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي البصري، عن محمد بن عبدالله الأنصاري البصري، عن هلال بن حقّ البصري، عن
٣٣٢/٩ سعيد / الجريري[٦] البصري، عن ثمامة القشيري، قال: شهدت الدار يوم أُصيب

---

(١) راجع: ميزان الاعتدال: ٢١٠/١ [٤٥٢/١ رقم١٦٩٤]، تذكرة الموضوعات للمقدسي: ص٩٠ [ص٦٣]، مجمع الزوائد للهيثمي: ٧٤/٩، تهذيب التهذيب: ١٨١/٢ [١٥٨/٢]، اللآلئ المصنوعة: ٨/١ و ٢٣٠ [٤٤٣/١ و٣٩٠/٢]، خلاصة الكمال: ص٦٠ [١٩٢/١ رقم١٢٠٠]، أسنى المطالب: ص٢١٦. (المؤلّف)

(٢) مسند أحمد: ٥٥/٦ ح٢٠١٠٧.

(٣) سنن الترمذي: ٥٨٥/٥ ح٣٧٠١.

(٤) تهذيب التهذيب: ٤٠٣/٤ ـ ٤٠٤.

(٥) مسند أحمد: ١٢٠/١ ح٥٥٦.

(٦) الجريري بضم الجيم وفتح الراء: نسبة إلى جرير بن عباد. (المؤلّف)

عثمان ﷺ فطلع عليهم إطلاعة فقال: ادعوا لي صاحبيكم اللذين[١] ألّباكم عليّ، فدعيا له، فقال: نشدتكما الله أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين وله خير منها في الجنّة، فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أُصلّي فيه ركعتين؟ ثمّ قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلّا رومة، فقال رسول الله ﷺ: من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدليّ المسلمين وله خير منها في الجنّة، فاشتريتها من خالص مالي، فأنتم تمنعوني أن أشرب منها؟ ثمّ قال: هل تعلمون أنّي صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

وذكره البلاذري في الأنساب[٢] (٦،٥/٥) من طريق يحيى بن أبي الحجاج البصري عن سعيد الجريري وزاد: فأنشدكما الله هل تعلمان أنّي جهّزت جيش العسرة من مالي؟ قالا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكما الله هل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ كان بثبير ـ أو قال: بحراء ـ فتحرّك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال: اسكن فما عليك إلّا نبيّ أو صدّيق أو شهيد؟ قالا: اللّهمّ نعم.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٨/٦) من طريق يحيى بن أبي الحجّاج عن الجريري عن ثمامة.

رجال الإسناد:

١ ـ محمد بن عبدالله الأنصاري: قال العقيلي[٣]: منكر الحديث. وقال أبو أحمد

---

(١) يعني طلحة والزبير، ووقعت التسمية في غير واحد من أحاديث المناشدة وكلها أكاذيب. (المؤلّف)

(٢) أنساب الأشراف: ١٠٦/٦.

(٣) الضعفاء الكبير: ١٠٣/٤ رقم ١٦٦٠.

الحاكم: روى يحيى بن خذام عنه عن مالك بن دينار أحاديث منكرة والله أعلم الحمل فيه عليه أو على يحيى. وقال ابن حبّان[١]: منكر الحديث جدّاً يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن طاهر: كذّاب. وقال الحاكم النيسابوري: يروي أحاديث موضوعة. وقال أبو الفضل الهروي: ضعيف. وقال الأزدي: منكر الحديث جدّاً روى عن مالك بن دينار أحاديث معاضيل. تهذيب التهذيب[٢] (٢٥٦/٩).

٣٣٣/٩ لا يحسب الباحث أنّ محمد بن عبدالله الأنصاري هذا هو [أبو] عبدالله البصري محمد بن عبدالله بن المثنّى؛ فإنّه يروي عن سعيد الجريري بلا واسطة كما في تهذيب التهذيب[٣] (٦/٤ و ٢٧٤/٩) والذي يروي عنه بالواسطة هو هذا الأنصاري المترجم له.

٢ ـ سعيد أبو مسعود الجريري: وهو وإن كان ثقة في نفسه لكنّه لا تصحّ روايته لاختلاطه ثلاث سنين من عمره، قال أبو حاتم[٤]: تغيّر حفظه قبل موته، فمن كتب عنه قديماً فهو صالح. وقال يزيد بن هارون ربّما ابتلانا الجريري وكان قد أنكر. وقال[٥] ابن مَعِين عن ابن عدي: لا نكذب الله سمعنا من الجريري وهو مختلط. وقال ابن حبّان[٦]: اختلط قبل أن يموت بثلاث سنين. وقال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس: أسمعت من الجريري؟ قال: نعم. قال: لا ترو عنه، يعني لأنّه سمع منه بعد

---

(١) كتاب المجروحين: ٢٦٦/٢.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٢٨/٩.

(٣) المصدر السابق: ص٢٤٤.

(٤) الجرح والتعديل: ١/٤ رقم١.

(٥) التاريخ: ١٤٦/٤ رقم٢٦٢٣، الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٩٢/٣ رقم٨٢١.

(٦) الثقات: ٣٥١/٦.

اختلاطه. وقال ابن سعد[١]: كان ثقة إن شاء الله إلّا أنّه اختلط آخر عمره.

تهذيب التهذيب (٦/٤).

٣ ـ يحيى بن أبي الحجّاج البصري في طريق البلاذري. قال النسائي وابن مَعِين: ابن أبي الحجّاج ليس بشيء. وقال أبو حاتم[٢]: ليس بالقويّ.

ونحن لو غاضينا العثمانيين على صحّة هذه الرواية وأمثالها فإنّها تعود وبالاً على عثمان أكثر منها منقبة؛ فإنّ في صريحها أنّ الرجلين وهما من العشرة المبشّرة ومن الستّة أصحاب الشورى وفي الجبهة والسنام من الصحابة العدول ـ عند القوم ـ اعترفا له بما استنشدهما لكنّهما لم يأبها بما حاوله عثمان من مفاد الرواية فاستمرّا على التأليب عليه والضغط والتشديد، فهل هو مجابهة منهما لما ثبت عن الرسول ﷺ؟ ويردّه عدلهما وكونهما من العشرة أو أنّهما علما أنّ الشيء حدث بعده شيء أزاح موضوعه. وإنّما كان قول رسول الله ﷺ في مرحلة الاقتضاء من آثار تلكم الأعمال الطبيعيّة إذا استمرّ صاحبها على ما هو عليه في هاتيك الأحوال ولم يحدث موانع، فإنّهما كانا يرتئيان حدوث موانع هنالك سالبة لأثر الاقتضاء. وبهذا الاعتقاد مضيا مصرّين على ما ارتكباه من أمر الخليفة، وهما يريانه حائداً عن الصراط السويّ.

ولعلّ عثمان نفسه ما كان جازماً ببقاء تلكم الآثار التي كان نوّه بها النبيّ الأعظم ﷺ نظراً منه لما أحدث بعد ذلك من الحوادث، ولذلك كان يحاذر أن يكون هو الرجل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ من أنّه يُلحد بمكة رجل عليه / نصف ٣٣٤/٩
عذاب أهل الأرض. كما مرّ حديثه الصحيح في (ص١٥٢) من هذا الجزء.

ويشبه طلحة والزبير بل وعثمان نفسه بقيّة الصحابة المجهزين عليه فيما بيّناه من

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢٦١/٧.

(٢) الجرح والتعديل: ١٣٩/٩ رقم٥٨٨.

الاعتقاد في حقّ الرجل. فراجع ما قدّمناه من أقوالهم وأعمالهم المذكورة في الجزء الثامن وفي هذا الجزء (ص٦٩ ـ ١٦٣)، ولا تنس قولهم له في مناشدته المذكورة في (ص٢٠٤): وأمّا ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله فإنّك قد كنت ذا قدم وسلف وكنت أهلاً للولاية، ولكن بدّلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت.

وقولهم له: وأمّا قولك: إنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة؛ فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت: قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه، وقد بغيت، ومنعت الحقّ، وحلت دونه، وكابرت عليه. إلخ.

ونظير هذه الأقوال الكثير المعرب عن آراء الصحابة فيه وفي أحداثه، وكلّها تكذّب القول بأن يكون رسول الله ﷺ يسمّي الرجل شهيداً. نعوذ بالله من الاختلاق بلا تدبّر.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ومنها:

٢٦ ـ أخرج سيف بن عمر في الفتوح، من طريق صعصعة بن معاوية التيمي، قال: أرسل عثمان وهو محصور إلى عليّ وطلحة والزبير وغيرهم: فقال: احضروا غداً. فأشرف عليهم وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلّا أصحاب النبيّ ﷺ ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: من حفر رومة فله الجنّة. فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنّه قال: من جهّز جيش العسرة فله الجنّة. فجهزته؟ قال: فصدّقوه بما قال.

ذكره ابن حجر في فتح الباري[1] (٣١٤/٥) وقال: وللنسائي من طريق الأحنف ابن قيس أنّ الذين صدّقوه بذلك هم: عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص.

---

(١) فتح الباري: ٤٠٨/٥.

ترى ابن حجر هاهنا ساكتاً عن الغمز في هذه الرواية وهو الذي جمع أقوال الحفّاظ في سيف بن عمر من أنّه ضعيف، متروك، ساقط، وضّاع، عامّة حديثه منكر، يروي الموضوعات عن الأثبات، كان يضع الحديث، واتّهم بالزندقة. راجع (٨٤/٨، ٣٣٣) من كتابنا هذا.

وكأنّه أراد من عدّ من صدّق عثمان في دعواه إثبات فضيلة له ذاهلاً عن أنّ كثرة / المصدّقين في المقامين على تقدير صحّة الخبر ـ وأنّى هي؟ ـ تزيد عاراً وشناراً ٣٣٥/٩
على الرجل، وتعود وبالاً عليه أكثر منها منقبة كما مرّ بيانه، وإنّي لا أشكّ في أنّ الباحث بعد هذا البيان الضافي لا يُقيم لهذه المناشدة وزناً وإن خرّجه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً (٢٣٦/٤)[1] وما أكثر بين دفّتي هذا الصحيح من سقيم يجب أن يُضرب به عرض الحائط كما هو الظاهر لدى من يراجع كتاب (أبو هريرة) لسيّدنا الآية شرف الدين وغيره من تآليفه، وسنوقفك على جليّة الحال في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى.

ومنها:

٢٧ ـ أخرج أسد بن موسى في فضائل الصحابة؛ عن قتادة البصري، قال: حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرساً في العسرة.

ذكره ابن حجر في فتح الباري[2] (٣١٥/٥) وقال: مرسل. ولم يسمّ ابن حجر رجال الإسناد بين أسد بن موسى وبين قتادة، وكذلك من قتادة إلى منتهى السند، فالرواية مرسلة من الطرفين، ولعلّ في مرحلتي السند أُناساً من الوضّاعين

---

(١) أخرجه [١٠٢١/٣ ح٢٦٢٦] من طريق أبي إسحاق السبيعي الشيعي المدلّس، وقد مرّت ترجمته في ٢٧٦/٧ وأنه ضعيف جدّاً لا يحتجّ بحديثه، عن أبي عبدالرحمن العثماني. (المؤلّف)

(٢) فتح الباري: ٤٠٨/٥.

المفضوحين ستر عليهم أسد بني مروان بذيل أمانته، وراقه الإبقاء على كرامة الحديث بإسقاطهم، وأسد بن موسى هو حفيد الوليد بن عبدالملك بن مروان الأُمويّ، قال النسائي مع توثيقه: لو لم يصنّف كان خيراً له. وقال ابن يونس: حدّث بأحاديث منكرة وأحسب الآفة من غيره. وقال ابن حزم: منكر الحديث ضعيف. وقال عبد الحقّ: لا يُحتجّ به عندهم[١].

ومنها:

٢٨ ـ أخرج أبو يعلى من وجه آخر فيه قال: فجاء عثمان بسبعمئة أُوقية ذهب. ذكره ابن حجر في الفتح[٢] (٣١٥/٥) وقال: ضعيف. وليته كان يذكره بإسناده حتى كنّا نوقف الباحث على ترجمة رجاله الكذّابين.

ومنها:

٢٩ ـ أخرج ابن عدي[٣] من طريق عمّار بن هارون أبي ياسر المستملي[٤] عن إسحاق بن إبراهيم المستملي عن أبي وائل عن حذيفة: أنّ رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان / يستعينه في غزاة غزاها، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه ٣٣٦/٩
فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها.

ذكره ابن كثير في تاريخه[٥] (٢١٢/٧) ساكتاً عمّا في إسناده من العلل عادته في

---

(١) ميزان الاعتدال: ٩٧/١ [٢٠٧/١ رقم٨١٥]، تهذيب التهذيب: ٢٦٠/١ [٢٢٨/١]. (المؤلّف)

(٢) فتح الباري: ٤٠٨/٥.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٤٠/١ رقم١٦٩.

(٤) في تاريخ ابن كثير [٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ]: عمّار بن ياسر المستملي. والصحيح ما ذكرناه. (المؤلّف)

(٥) البداية والنهاية: ٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

فضائل من غمره حبّه، وأورده ابن حجر في فتح الباري[١] (٣١٥/٥) فقال: سند ضعيف جدّاً. وقال[٢] في (٤٣/٧): سنده واهٍ. وذكره القسطلاني في المواهب اللدنيّة[٣] (١٧٢/١) ساكتاً عن علله، وعقّبه الزرقاني بقول ابن حجر. راجع شرح المواهب (٦٥/٣)، وستوافيك ترجمة بعض رجال الإسناد الضعفاء في هذا الجزء.

وذكر ابن كثير في تاريخه (٢١٢/٧) وقال: روى الحسن بن عرفة عن محمد بن القاسم الأسدي الشامي عن الأوزاعي الشامي عن حسان بن عطيّة الدمشقي عن النبي ﷺ مرسلاً أنّه قال لعثمان: غفر الله لك ما قدّمت وما أخّرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال الأميني: لو لم يكن في إسناد هذه الأكذوبة المرسلة إلّا محمد بن القاسم الذي كان عثمانيّاً كما قاله العجلي[٤] لكفاه وهناً، أيخفى على ابن كثير المحتجّ بها قول النسائي[٥] في محمد بن القاسم: إنّه ليس بثقة كذّبه أحمد؟ أم قول الترمذي: تكلّم فيه أحمد وضعّفه؟ أم قول أبي حاتم[٦]: ليس بقويّ لا يعجبني حديثه؟ أم قول أبي داود: إنّه غير ثقة ولا مأمون أحاديثه موضوعة؟ أم قول ابن عدي[٧]: عامة ما يرويه لا يُتابع عليه؟ أم قول البراء: حدّث بأحاديث لم يُتابع عليها؟ أم قول الدارقطني[٨]: كذّاب؟ أم قول ابن القاسم: أحاديثه موضوعة ليس بشيء؟ أم قول البخاري[٩] عن

---

(١) فتح الباري: ٤٠٨/٥.

(٢) المصدر السابق: ٥٤/٧.

(٣) المواهب اللدنيّة: ٦٢٧/١.

(٤) تاريخ الثقات: ص٤١١ رقم١٤٩١.

(٥) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٢٢١ رقم٥٧٢.

(٦) الجرح والتعديل: ٦٥/٨ رقم٢٩٥.

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٥٠/٦ رقم١٧٢٧.

(٨) الضعفاء والمتروكون: ص٣٤٨ رقم٤٧٨.

(٩) التاريخ الكبير: ج٢١٤/١ رقم ٦٧٢.

أحمد[١]: رمينا حديثه؟ أم قوله في موضع آخر: كذّبه أحمد؟ أم قول ابن حبّان[٢]: يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يجوز الاحتجاج به؟ أم قول العقيلي[٣]: يُعرف ويُنكر، تركه أحمد وقال: أحاديثه أحاديث سوء؟ أم قول أبي أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم؟ أم قول البغوي: ضعيف الحديث؟ أم قول الأزدي: متروك[٤].

وهذا كافٍ في وهن السند وبطلانه، وإن غضضنا الطرف عن بقيّة ما فيه من
٣٣٧/٩ الشاميّين أعداء الحقّ وأضداد العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، وما فيه من الإرسال الموهن للرواية، ودع عنك ما في متنه ممّا يضادّ الأُصول المسلّمة من الترخيص في المعصية ممّا هو كائن إلى يوم القيامة، فهو يوجب التجرّي على المعاصي فيما يستقبل الرجل من الأيّام، وأيّ إنسان غير معصوم يقال له: إنّ كلّ ما سوف ترتكبه من المآثم مغفور لك، فلا تحدوه شهواته إلى توهين اقترافها، واستسهال ركوبها. والشهوة غريزة في الإنسان تقوده إلى مهاوي الهلكة كلّ حين، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نعم؛ حقّاً يقال: إنّ سيرة عثمان تُصدّق هذه الرواية، فإنّها لا تشبه إلّا سيرة من رُخّص بالمآثم، وأُذن في اقتحام الطامات والموبقات، وبشّر بغفران هناته وعثراته، فكان غير مكترث لمغبّة فعاله، ولا مبالٍ بمعرّة مقاله.

وهب أنّ الحسنات يذهبن السيّئات من غير حقوق الناس والكبائر المخرجة عن الدين التي سلفت من الإنسان، ولكن أيّ عمل بار في الشريعة ـ ولا أقول من أعمال عثمان فحسب ـ يُبيح للمكلّف السيّئات فيما يأتي من عمره إلى يوم القيامة ويبشّره بالمغفرة فيها جمعاء؟ وليس في ميزان الأعمال ما هو أرجح من الإيمان ومع

---

(١) العلل ومعرفة الرجال: ٢/١٧٠ رقم١٨٩٩.

(٢) كتاب المجروحين: ٢/٢٨٧.

(٣) الضعفاء الكبير: ٤/١٢٦ رقم١٦٨٤.

(٤) ميزان الاعتدال: ٣/١٢٢ [٤/١١ رقم٨٠٦٦]، تهذيب التهذيب: ٩/٤٠٧ [٩/٣٦١]. (المؤلّف)

ذلك فهو غير ممتاز عمّا سواه بمغفرة ما يأتي به صاحبه في المستقبل، وإنّما يجبّ ما قبله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[1]، وإلّا لبطلت المواعيد والعقوبات المتوجّه خطابها إلى المؤمنين أجمع.

وإنّا لم نجد في أعمال عثمان عملاً بارّاً يستدعي هذه المغالاة الخارجة عن أُصول الإسلام، غير ما أنفقه على جيش العسرة إن صحّ من ذلك شيء، وما خسره على بئر رومة، وقد علمت أنّ جيش العسرة أنفق عليه غيره ما هو أكثر ممّا أنفقه هو، وما أكثر من حفر الآبار وكرى الأنهار وسبّل مياهها للمسلمين، فلو كان عمل عثمان هذا يستدعي المغفرة إلى يوم القيامة لوجب أن يُغفر لأُولئك الأقوام والأُمم ذنوبهم إلى ما بعد القيامة بفئام وفئام، لكن الحظوظ ساعدت عثمان ولم تساعدهم. فتبصّر واعجب!

وهل علمت الصحابة بهذا الغفران ثمّ نقموا عليه ما كان ينجم منه من هنات بعد / هنات فلم يغفروها له مخالفين لله ولرسوله ﷺ وهم عدول؟ أو أنّهم سمعوا هذه ٣٣٨/٩
الأفيكة ثمّ أودعوها في محفظة الأباطيل؟ غير أنّ ظنّي بها أنّ ميلادها بعد واقعة الدار وأنّها كانت في أصلاب الوضّاعين عند الحصارين، وفي حشّ كوكب، وفي مقبرة اليهود، ولم تلدها بعد أُمّها العاقر، حتى فُسِح المجال لاستيلادها على أيدي قوابل عهد معاوية فما بعد.

٣٠ ـ أخرج أحمد في مسنده[2] (٧٠/١) عن بهز أبي الأسود البصري، عن أبي عوانة الوضّاح البصري، عن حصين، عن عمرو بن جاوان البصري، عن الأحنف ابن قيس البصري، قال: انطلقنا حُجّاجاً فررنا بالمدينة، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال: الناس من فزع في المسجد. فانطلقت أنا وصاحبي فإذا الناس مجتمعون

---

(١) محمد: ٢.

(٢) مسند أحمد: ١/١١٣ ح٥١٣.

على نفر في المسجد، قال: فتخلّلتهم حتى قمت عليهم فإذا عليّ بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقّاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي فقال: أهاهنا عليّ؟ قالوا: نعم. قال أهاهنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلّا هو أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنّي قد ابتعته، فقال: اجعله في مسجدنا وأجره لك؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلّا هو أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: من يبتاع بئر رومة، فابتعتها بكذا وكذا فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنّي قد ابتعتها ـ يعني بئر رومة ـ فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلّا هو أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: من يجهّز هؤلاء غفر الله له، فجهّزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال اللّهمّ اشهد، اللّهمّ اشهد، اللّهمّ اشهد. ثمّ انصرف. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٧/٦) بالإسناد المذكور.

قال الأميني: زعم البصريّون جند المرأة أنّهم يسعهم تدارك تجمهر صلحاء البصرة على عثمان بتسطير أمثال هذه الأفائك المفتعلة، وحسبوا أنّهم يبرّرون ساحة الرجل من تلكم الهنات الموبقة التي سجّلها له التاريخ، ذاهلين عن أنّ صحّة هذه الأساطير تزيد عليه وبالاً، فبعد ما سمع أعاظم الصحابة حجاجه هذا، وقرعت سمعهم تلكم / المناشدات وما أصاخوا إليها، وما زحزحوا عمّا كانوا عليه من خذلانه ٣٣٩/٩
إلى التأليب عليه إلى الوقيعة فيه بكلّ ما يوهنه ويُزريه إلى قتله إلى كسر أضالعه إلى رمي جنازته إلى دفنه في مقابر اليهود، وبعد ما أصرّت الأُمّة على مقته مجمعة على النقمة عليه وهي لا تجتمع على الخطأ كما يحسبون، لم يبق للرجل أيّ قيمة في سوق الاعتبار وإن اختلقت يد الافتعال له ألف أُسطورة.

وتحصّل ممّا قدّمناه أنّ الأجور المذكورة على تقدير الصحّة كانت مرتّبة على

الأعمال ولم تكن حقوقاً ثابتة للرجال فهي تدور مع الأعمال إن لم يبطلها ما هو أقوى منها كما هو الحال في المقتضيات المقارنة بالموانع، وكان معتقد القوم فيما استنشدهم عثمان أنّها مقرونة بها، فلذلك لم يقيموا لكلّ ما استنشدهم فيه وزناً إن كانت للمزاعم حقيقة.

ومنها:

٣١ ـ أخرج البيهقي في السنن الكبرى (١٦٧/٦)؛ من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن أبي عبدالرحمن السلمي، قال: لمّا حُصر عثمان بن عفّان ﷺ وأُحيط بداره أشرف على الناس، فقال: أَنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فقال: اسكن حراء فما عليك إلّا نبيّ أو صدّيق أو شهيد؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة: من ينفق نفقة متقبّلة، والناس يومئذٍ معسرون مجهودون، فجهّزت ثلث ذلك الجيش من مالي؟ قالوا: اللّهمّ نعم. ثمّ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رومة لم يكن يشرب منها أحد إلّا بثمن فابتعتها بمالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللّهمّ نعم. في أشياء عدّدها.

في الإسناد أبو إسحاق السبيعي، وقد مرّ في الجزء السابع (ص٢٧٦) أنّه مدلّس أفسد حديث أهل الكوفة، ضعيف جدّاً لا يحتجّ بحديثه. وأمّا أبو عبدالرحمن فهو عثمانيّ لا يعوّل عليه ولا يركن إلى حديثه.

٣٢ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[1] (١٠/٥) عن المدائني، عن عباد بن راشد البصري، عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: من يجهّز هذا الجيش بشفاعة / مُتقبّلة؟ فقال عثمان: يا رسول الله بشفاعة متقبّلة! قال: نعم على الله ورسوله. قال: أنا أُجهّزهم بسبعين ألفاً. ٣٤٠/٩

قال الأميني: هذا الجيش جهّزه الحسن البصري، بعد سنين من وفاة النبيّ

---

(١) أنساب الأشراف ١١٢/٦.

الأقدس، وقد ولد الرجل لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ولعلّه نظر إلى ذلك الموقف واسترق السمع من وراء ستر رقيق في صلب أبيه، أو أوعز بإرسال الرواية إلى بطلانها، وغير بعيد أن يكون عبّاد بن راشد هو الذي تقوّل بها على الحسن وهو بريء منها. قال الدوري عن ابن مَعِين[١]: حديث عبّاد ليس بالقويّ ولكن يكتب -يعني للاعتبار-. وقال الدورقي عن ابن مَعِين: ضعيف. وقال البخاري[٢] والأزدي: تركه يحيى القطّان. وقال أبو داود: ضعيف. وقال النسائي[٣]: ليس بالقويّ. وقال ابن المديني: لا أعرف حاله. وقال ابن البرقي: ليس بالقويّ. وقال ابن حبّان[٤]: كان ممّن يأتي بالمناكير عن المشاهير، حتى يسبق إلى القلب أنّه كان المتعمّد فبطل الاحتجاج به، روى عن الحسن حديثاً طويلاً أكثره موضوع[٥].

ومنها:

٣٣ ـ أخرج أبو نُعَيم في حلية الأولياء (٥٨/١)؛ من طريق إبراهيم بن سعدان، عن بكر بن بكار البصري، عن عيسى بن المسيب، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة، قال: اشترى عثمان بن عفّان من رسول الله ﷺ الجنّة مرّتين بيع الخلق: حين حفر بئر رومة، وحين جهّز جيش العسرة.

رجال الإسناد:

١ ـ بكر بن بكار أبو عمرو البصري، قال ابن أبي حاتم[٦]: ضعيف الحديث

---

(١) التاريخ: ١٠٣/٤ رقم٣٣٦٩.

(٢) التاريخ الكبير: ج٣٦/٦ رقم١٦٠٨.

(٣) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٧٢ رقم٤٣٠.

(٤) كتاب المجروحين: ١٦٣/٢.

(٥) تهذيب التهذيب: ٩٢/٥ [٨٠/٥].(المؤلّف)

(٦) الجرح والتعديل: ٧٠/٣ رقم٣١٨.

سيّئ الحفظ له تخليط. وقال ابن مَعِين[١]: ليس بشيء. وقال النسائي[٢]: ليس بالقويّ. وقال أيضاً: ليس بثقة. وقال أبو حاتم[٣]: ليس بالقويّ. وذكره العقيلي[٤] وابن الجارود والساجي في الضعفاء[٥].

٢ ـ عيسى بن المسيب، قال يحيى والنسائي والدارقطني[٦]: ضعيف. وقال أبو حاتم[٧] وأبو زُرعة: ليس بالقويّ. وتكلّم فيه ابن حبّان وغيره. وقال أبو داود: ضعيف. وقال / يحيى بن مَعِين[٨] أيضاً: ليس بشيء. وقال ابن حبّان[٩]: يقلّب الأخبار ٣٤١/٩
ولا يفهم ويخطئ حتى خرج عن حدّ الاحتجاج به.

لسان الميزان[١٠] (٤/٤٠٥).

والباحث جدّ عليم بأنّ الصحابة لم تكن على يقين من هذا البيع المزعوم وإلّا لما تجمهروا على مقت الرجل وخذلانه، ولم يكن عثمان نفسه على ثقة بذلك أيضاً وإلّا لما كان حذراً من أن يكون هو الملحد بمكة الذي عليه نصف عذاب أهل الأرض، كما مرّ حديثه في هذا الجزء (ص١٥٣).

---

(١) التاريخ: ٤/٢٠٩ رقم٣٩٩٧.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص٦٥ رقم٨٩.

(٣) الجرح والتعديل: ٢/٣٨٣ رقم١٤٩٢.

(٤) الضعفاء الكبير: ١/١٥٢ رقم١٩٠.

(٥) ميزان الاعتدال: ١/١٦٠ [١/٣٤٣ رقم١٢٧٤]، تهذيب التهذيب: ١/٤٨ [١/٤٢٠]، لسان الميزان: ٢/٤٨ [٢/٥٩ رقم١٧٠١]. (المؤلّف)

(٦) التاريخ: ٣/٣٤٢ رقم١٦٥٧، كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٧٦ رقم٤٤٥، الضعفاء والمتروكون: ص٣١٧ رقم٤١٧.

(٧) الجرح والتعديل: ٦/٢٨٨ رقم١٦٠٠.

(٨) التاريخ: ٣/٣٥٥ رقم١٧٢٠.

(٩) كتاب المجروحين: ٢/١١٩.

(١٠) لسان الميزان: ٤/٤٦٨ رقم٦٤٤٥.

ومنها:

٣٤ ـ أخرج أحمد في المسند[١] (٧٥/٤)، وأبو نُعَيم في الحلية (٥٨/١) من طريقين: أحدهما عن عبدالله بن جعفر، عن يونس بن حبيب، عن أبي داود. والآخر: عن فاروق الخطّابي، عن أبي مسلم الكجي، عن حجّاج بن نصر[٢] ـ أبي محمد البصري ـ قالا: حدّثنا سكن بن المغيرة الأموي ـ البصري مولى آل عثمان ـ، عن الوليد بن أبي هشام البصري، عن فرقد بن أبي طلحة، عن عبدالرحمن بن أبي خباب[٣] السلمي البصري، قال: خطب النبيّ ﷺ فحثّ على جيش العسرة، فقال عثمان: عليّ مئة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثمّ حثّ، فقال عثمان: عليّ مئة أُخرى بأحلاسها وأقتابها قال: ثمّ حثّ فقال عثمان: عليّ مئة أُخرى بأحلاسها وأقتابها. فرأيت النبيّ ﷺ يقول بيده يحرّكها: ما على عثمان ما عمل بعد هذا.

قال الأميني: هلّا مخبر يخبرني عن هذا الصحابيّ البصريّ الذي لا يُعرف إلّا بحديثه هذا، ولا يعلم من تاريخ حياته شيء غير اختلاقه هذه الرواية، ولا يروي عن النبيّ الأعظم إلّا هذه الخطبة المزعومة كما صرّح به ابن عبدالبرّ في الاستيعاب[٤] وابن حجر في الإصابة[٥]، ولم يسمعها صحابيّ قطّ غيره منه ﷺ.

ثمّ يخبرني ذلك المخبر عمّن انتهى إليه الإسناد أنّ فرقد بن [أبي] طلحة من هو؟ ومتى ولد؟ وأين وأنّى كان؟ وما المعروف من ترجمته؟ فكأنّي به وهو يجيبني بما قاله علي ابن المديني: لا أعرفه[٦].

---

(١) مسند أحمد: ٢٨/٥ ح ١٦٢٥٥.

(٢) كذا في النسخ والصحيح: نصير، بضم النون مصغراً. (المؤلّف)

(٣) كذا في النسخ والصحيح: عبدالرحمن بن خباب. (المؤلّف)

(٤) الاستيعاب: القسم الثاني/ ٨٣٠ رقم ١٤٠٣.

(٥) الإصابة: ٣٩٦/٢ رقم ٥١١٠.

(٦) تهذيب التهذيب: ٢٦٤/٧ [٢٣٧/٨]. (المؤلّف)

٣٤٢/٩ وهل تخفى على إمام أو حافظ في الحديث آراء رجال الجرح والتعديل في حجّاج بن نُصَير؟ وقد ورد فيه قول ابن مَعِين[١]: ضعيف. وقول علي بن المديني: ذهب حديثه كان الناس لا يحدّثون عنه، وقول النسائي[٢]: ضعيف. وقوله أيضاً: ليس بثقة ولا يُكتب حديثه. وقول ابن حبان[٣]: يُخطئ ويهم. وقول العجلي[٤]: كان معروفاً بالحديث ولكنّه أفسده أهل الحديث بالتلقين، كان يلقن وأدخل في حديثه ما ليس منه فترك. وقول ابن سعد[٥]: كان ضعيفاً. وقول الدارقطني[٦] والأزدي: ضعيف. وقول أبي أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وقول الآجري عن أبي داود: تركوا حديثه. وقول ابن قانع: ضعيف ليّن الحديث[٧].

وإنّي أحسب أنّ الآفة من سكن بن المغيرة وأنّه أدّى حقوق آل عثمان ـ وهو مولاهم ـ باختلاق هذه المنقبة لعثمان، ولا ينافي ذلك كونه صالحاً إمام جمعة وجماعة، وكم وكم من صلحاء وضّاعين، ومن أئمّة كذّابين! راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا سلسلة الكذّابين والوضّاعين.

ومنها:

٣٥ ـ أخرج أبو نُعَيم في الحلية (٥٩/١)، من طريق عمر بن هارون البلخي، عن عبدالله بن شوذب البصري ثمّ المقدسي، عن عبدالله بن القاسم، عن كثير بن أبي

---

(١) التاريخ: ٢٠٦/٤ رقم ٣٩٧٥.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٩٢ رقم ١٧٠.

(٣) الثقات: ٢٠٢/٨.

(٤) تاريخ الثقات: ص ١٠٩ رقم ٢٥٧.

(٥) الطبقات الكبرى: ٣٠٥/٧.

(٦) الضعفاء والمتروكون: ص ١٨٦ رقم ١٧٤.

(٧) تهذيب التهذيب: ٢٠٩/٢ [١٨٣/٢]. (المؤلّف)

كثير البصري مولى سمرة[١]، عن عبدالرحمن[٢] بن سمرة عامل معاوية بن أبي سفيان على البصرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة، فجاء عثمان بألف دينار فنثرها بين يدي رسول الله ﷺ ثمّ ولّى، قال: فسمعت رسول الله ﷺ وهو يقلّب الدنانير وهو يقول: ما يضرّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم.

وفي لفظ أحمد في المسند[٣] (٦٣/٥): ما ضرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم. يردّدها مراراً.

وذكره ابن الجوزي في التبصرة كما في تلخيصها قرّة العيون المبصرة (١٧٩/١).

قال الأميني: ألا تعجب من حفّاظ يروون عن كذّاب خبيث مرسلين روايته إرسال المسلّم يمرّون بها كراماً؟ أيّ قيمة في سوق الاعتبار لرواية جاء بها عمر بن هارون[٤]؟ وقد جاء فيه قول ابن سعد[٥]: كتب الناس عنه كتاباً كبيراً وتركوا حديثه. وقول البخاري[٦]: تكلّم فيه يحيى بن مَعين[٧] وقال: عمر بن هارون كذّاب قدم مكة ٣٤٣/٩
وقد مات جعفر بن محمد فحدّث عنه. وقول ابن أبي حاتم[٨]: سألت أبي عنه فقال: تكلّم فيه ابن المبارك فذهب حديثه، قلت لأبي: إنّ الأشجّ حدّثنا عنه فقال: هو ضعيف الحديث نخسه ابن المبارك نخسة. وقول قتيبة: قلت لجرير: إنّ عمر بن هارون حدّثنا عن القاسم بن مبرور قال: نزل جبريل على النبيّ ﷺ فقال: إنّ كاتبك هذا أمين ـ يعني معاوية ـ فقال جرير: اذهب إليه فقل له: كذبت. رواها

---

(١) وفي مسند أحمد [٥٥/٦ ح٢٠١٠٧]: مولى عبدالرحمن بن سمرة، عن عبدالرحمن بن سمرة. (المؤلّف)

(٢) في الأصل: عبدالله، والصواب ما أثبتناه، وكذا هو في الحلية، والرواية مرّت في صفحة ٣٤١ فراجع.

(٣) مسند أحمد: ٥٥/٦ ح٢٠١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٧٤/٧ وفيه اسمه: عمرو بن هاون وهو تصحيف على ما يبدو.

(٥) في الأصل: سعيد، والصواب ما أثبتناه، وهو صاحب الطبقات الكبرى.

(٦) التاريخ الكبير: ٢٠٤/٦ رقم٢١٧٧.

(٧) التاريخ: ٣٥٦/٤ رقم٤٧٥٧.

(٨) الجرح والتعديل: ١٤١/٦ رقم٧٦٥.

العقيلي[١]. وعن أحمد أنّه قال: لا أروي عنه شيئاً وقد أكثرت عنه. وقول ابن مهدي: لم يكن له عندي قيمة، حدّثني بأحاديث فلمّا قدم مرّة أُخرى حدّث بها عن ابن عبّاس عن أولئك فتركت حديثه. وقول أبي زكريا: عمر بن هارون: كذّاب خبيث ليس حديثه بشيء، قد كتبت عنه وبتّ على بابه وذهبنا معه إلى النهروان، ثمّ تبيّن لنا أمره فحرّقت حديثه ما عندي عنه كلمة. وقول ابن محرز عن ابن مَعِين: ليس هو بثقة وبنحوه قال الغلابي عنه. وقال عنه مرّة: ضعيف. وقول أبي داود عنه: غير ثقة. وقول ابن أبي خيثمة وغيره عن ابن مَعِين: ليس بشيء: وقول جعفر الطيالسي عن ابن مَعِين: يكذب. وقول عبدالله بن علي بن المديني: سألت أبي عنه فضعّفه جدّاً. وقول إبراهيم بن موسى: الناس تركوا حديثه. وقول الجوزجاني: لم يقنع الناس بحديثه. وقول النسائي[٢] وصالح بن محمد وأبي علي الحافظ: متروك الحديث. وقول الساجي: فيه ضعف. وقول الدارقطني[٣]: ضعيف. وقول أبي نعيم: حدّث بالمناكير لا شيء[٤]. وقول العجلي[٥]: ضعيف. وقول ابن حبّان[٦]: يروي عن الثقات المعضلات ويدّعي شيوخاً لم يرهم[٧].

وفي الإسناد: كثير بن أبي كثير، ذكره العقيلي في الضعفاء[٨]، وقال ابن حزم وعبدالحق: إنّه مجهول، ولو كان لتوثيق العجلي الرجل وزن لما جهله الحافظان ولم

---

(١) الضعفاء الكبير: ١٩٤/٣ رقم١١٩٢.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٩١ رقم٤٩٩.

(٣) الضعفاء والمتروكون: ص٢٩٣ رقم٣٦٨.

(٤) ليت أبا نُعَيم كان على ذكر من رأيه هذا في الرجل حين أخرج من طريقه هذه المنقبة المزيّفة. (المؤلّف)

(٥) تاريخ الثقات: ص٣٦١ رقم١٢٤٧.

(٦) كتاب المجروحين: ٩٠/٢.

(٧) تهذيب التهذيب: ٥٠٢/٧ ـ ٥٠٥ [٤٤١/٧]. (المؤلّف)

(٨) الضعفاء الكبير: ٣/٤ رقم١٥٥٤.

يضعّفه العقيلي، وأيّ قيمة لثقة العجلي[١] وهو يوثّق عمر بن سعد قاتل الإمام السبط الشهيد ونظراءه من المهتوكين المفضوحين ؟!

٣٤٤/٩ وفي طريق أحمد مضافاً إلى كثير ضمرة بن ربيعة، وقد مرّ فيه قول الساجي: صدوق يهمّ، عنده مناكير. وروى ضمرة عن الثوري، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر حديثاً أنكره أحمد وردّه ردّاً شديداً، وقال: لو قال رجل: إنّ هذا كذب لما كان مخطئاً. وأخرجه الترمذي[٢] وقال: لا يُتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث.

فهذه مكانة الرجل من الرواية وإن كان ثقة مأموناً، وأكبر الظنّ أنّ الآفة في هذه الرواية من ابن سَمُرَة وأنّه اختلقها تقرّباً إلى أعطيات معاوية وهباته التي كانت تصل من دون وزن وكيل إلى وضّاعي الأحاديث ورجال الاختلاق الذين لا خلاق لهم.

ومنها:

٣٦ ـ عن مسعر، عن عطيّة، عن أبي سعيد، قال: رأيت رسول الله ﷺ من أوّل الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه لعثمان يقول: اللّهمّ عثمان رضيت عنه فارضَ عنه.

ذكره ابن الجوزي في كتابه التبصرة كما في تلخيصه[٣] (١٧٩/١) مرسلاً إيّاه إرسال المسلّم، وهو أوّل حديث ذكره في فضائل عثمان، وذكره الواحدي في أسباب النزول[٤] مرسلاً (ص٦١) فزاد: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٥]. وذكره ابن كثير في تاريخه[٦] (٢١٢/٧) ولم يذكر من رجال إسناده إلّا

---

(١) تاريخ الثقات: ص٣٥٧ رقم ١٢٣٠.

(٢) سنن الترمذي: ٦٤٧/٣ ح١٣٦٥.

(٣) الموسوم بقرّة العيون المبصرة، تأليف الشيخ أبي بكر ابن الشيخ محمد الملّا الحنفي. (المؤلّف)

(٤) أسباب النزول: ص٥٥.

(٥) البقرة: ٢٦٢.

(٦) البداية والنهاية: ٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

الثلاثة المذكورة، ولعلّه هو ومن رواه مرسلاً وجدوا في سلسلة السند أناساً ساقطين لا يُعبأ بهم ولا يُحتجّ بحديثهم، وما راقهم إبطال هذه المنقبة بابداء علله بذكر أُولئك الرجال.

ومن العجب العجاب هذا الدأب منه ﷺ من أوّل الليل إلى منتهى الفجر على الدعاء لعثمان الذي فوّت عليه مرغّباته وفرائضه، فإنّ صلاة الليل والوتر كانت فريضة عليه ﷺ دون الأُمّة[١]، ولا أدري هل نزل عليه ﷺ وحي جديد يأمره باستبدال نوافله وفرائضه في تلك الليلة بالدعاء لعثمان؟ أو ماذا كان فيها؟ نعم، الذي يظهر من السيوطي في الخصائص الكبرى[٢] (١٦٤/٢ ـ ١٧٠) أنّ ذلك الوحي لم ينزل، وأنّ الدعاء لعثمان لم يكن فضلاً عن استيعابه الليل كلّه فإنّه ذكر فيها كلّ من دعا له رسول الله ﷺ / وسمّاهم حتى يهودياً سمّت[٣] رسول الله ﷺ ولم يعدّ منهم عثمان. ٣٤٥/٩

ولو كان إنفاق عثمان في جيش العسرة موجباً للدعاء المستوعب ليله ﷺ كما يظهر من رواية الواحدي، فإنفاق أبي بكر الذي أنفق كلّ ما كان يملكه ذات يده ـ كما يحسبه القوم ـ وكان يراه رسول الله ﷺ أمنّ الناس عليه بماله[٤] يستوجب دعاءً مستغرقاً ليله ونهاره، فأين؟ وأنّى؟ ولو كان كلّ إنفاق في مهمّة يستدعي دعاء الليل فكان عليه ﷺ أن يقضي حياته ليلاً ونهاراً بالدعاء للمنفقين، وما أكثرهم! ولو كان ﷺ رافعاً يديه لعثمان فعليه ﷺ أن يديم رفعهما في الدعاء لأبي بكر ولرجال الأنصار المكثرين من الإنفاق في السلم والحرب ولغيرهم من أهل اليسار الذين بذلوا كنوزاً عامرة من الدرهم والدينار في مهامّ الإسلام المقدّس والدعوة إليه والذبّ عنه.

---

(١) راجع الخصائص الكبرى: ٢٢٩/٢ [٣٩٧/٢]. (المؤلّف)

(٢) الخصائص الكبرى: ٢٧٩/٢ ـ ٢٩٦.

(٣) التسميت: الدعاء للعاطس، وهو قولك له: يرحمك الله، أُخذ من السمت إلى الطريق والقصد. كأنه قصده بذلك الدعاء.

(٤) راجع ما مضى في: ٣٠٧/٧ و ٣٣/٨، ٥٨. (المؤلّف)

وأمّا زيادة الواحدي من نزول الآية الكريمة في عثمان[١]؛ فقد فصّلنا القول فيه وأنّه لا يصحّ في الجزء الثامن (ص٥٧).

بقيّة مناقب عثمان

٣٧ ـ قال ابن كثير في تاريخه[٢] (٢١٢/٧): قال ليث بن أبي سُلَيم (بن زنيم القرشي مولاهم): أوّل من خبص الخبيص عثمان، خلط بين العسل والنقي ثمّ بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أُمّ سلمة فلم يصادفه، فلمّا جاء وضعوه بين يديه، فقال: من بعث هذا؟ قالوا: عثمان. قالت: فرفع يديه إلى السماء، فقال: اللّهمّ إنّ عثمان يترضّاك فارضَ عنه.

وذكره السيوطي في مسامرة الأوائل (ص٨٧) نقلاً عن البيهقي[٣] وابن عساكر[٤] من طريق ليث.

قال الأميني: خبص ابن زنيم هذا الخبيص لعثمان بعد لأي من وفاة رسول‌الله ﷺ وقد مات الرجل بعد المئة والأربعين من الهجرة، ولم يدرك النبيّ ﷺ، ولم نعرف الذي أخذ الرواية منه ممّن شهد قصعة الخبيص وحضر مشهد الدعاء، كما لا يُعرف أحد من بقيّة رجال الإسناد، فالرواية مرسلة من الطرفين.

وأمّا ابن زنيم فقد جاء فيه عن عبدالله بن أحمد قال: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً منه في ليث وابن إسحاق وهمام، لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم. وقال ابن أبي شيبة وأبو حاتم[٥] والجوزجاني: كان ضعيف الحديث. وضعّفه ابن

---

(١) أسباب النزول: ص٥٥.

(٢) البداية والنهاية: ٢٣٨/٧ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٣) شعب الإيمان: ٩٨/٥ ح٥٩٣٢.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ١٢٤/١٦.

(٥) الجرح والتعديل: ١٧٧/٧ رقم١٠١٤.

سعد[١] وابن مَعِين / وابن عيينة. وقال أحمد[٢] وأبو حاتم[٣] أيضاً وأبو زُرعة: ٣٤٦/٩
مضطرب الحديث لا تقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث. وقال يحيى: عامّة شيوخه لا يُعرفون. وقال ابن حبّان[٤]: اختلط في آخر عمره فكان يقلّب الأسانيد ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم، تركه القطان وابن مهدي وابن مَعِين وأحمد. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. وقال أبو عبدالله الحاكم: مُجمَع على سوء حفظه[٥].

ألا تعجب من حافظ كابن كثير يذكر رواية هذا شأنها وهذه عللها وذلك متنها المعلول ويرسلها إرسال المسلّم في مقام الحجاج ويعدّها من فضائل عثمان؟ ويأتي إلى حديث المؤاخاة الصحيح الثبت المتواتر الوارد من طرق مسندة معنعنة في الصحاح والأسانيد ويتخلّص منه بقوله[٦]: أسانيدها كلّها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجّة، والله أعلم[٧]. ويروي في تاريخه[٨] (٣٥٧/٧) نزول آية الولاية في عليّ ﷺ فقال: هذا لا يصحّ بوجه من الوجوه لضعف أسانيده، ولم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيّته[٩]. حيّا الله الأمانة! وقاتل الله الحبّ المعمي والمصمّ.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٤٩/٦.

(٢) العلل ومعرفة الرجال: ٣٧٩/٢ رقم ٢٦٩١.

(٣) الجرح والتعديل: ١٧٧/٧ رقم ١٠١٤.

(٤) كتاب المجروحين: ٢٣١/٢.

(٥) تهذيب التهذيب: ٤٦٨/٨ [٤١٧/٨]. (المؤلّف)

(٦) راجع تاريخ ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ: ٣٣٥/٧ [٣٧١/٧ حوادث سنة ٤٠هـ]. (المؤلّف)

(٧) مرّ حديث المؤاخاة بطرقه المفصّلة في ١١٢/٣ ـ ١٢٥، ومرّ الإيعاز إليه في هذا الجزء صفحة: ٣١٧. (المؤلّف)

(٨) البداية والنهاية: ٣٩٥/٧ حوادث سنة ٤٠هـ.

(٩) أسلفنا في: ١٥٦/٣ـ١٦٧ تفصيل القول في نزول الآية في علي ﷺ، وصحّة روايته، وإطباق الفقهاء والمتكلّمين والمحدّثين والمفسّرين على ذلك. (المؤلّف)

ولو كان ﷺ يرفع يديه لكلّ هديّة ولو كانت لقمة خبيص للزمه أن لا ينزلها في أغلب أوقاته لكثرة الهدايا إليه وكثرة مهديها، ولم تكن لعثمان ولخبيصه خاصّة توجب أداء حقّها دون المؤمنين عامّة وهداياهم.

٣٨ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (٣٢١/٦)؛ من طريق عبدالله بن الحسن بن أحمد، عن يزيد بن مروان الخلّال، عن إسحاق بن نجيح الملطي، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ لكلّ نبيّ خليلاً من أُمّته وإنّ خليلي عثمان بن عفّان.

قال الأميني: حسبك من عرفان رجال الإسناد كذّابان: الخلّال والملطي، أمّا الخلّال فقال يحيى بن مَعِين: الخلّال كذّاب. وقال الدارمي: وقد أدركته وهو / ضعيف قريب ممّا قال يحيى. وقال أبو داود: ضعيف. وقال الدارقطني: ضعيف جداً[1]. ٣٤٧/٩

هذا مجمل القول في الخلّال، وأمّا الملطي فقال أحمد[2]: إسحاق من أكذب الناس، وقال ابن مَعِين[3]: كذّاب عدوّ الله رجل سوء خبيث. وقال ابن أبي شيبة عنه: كان ببغداد قوم يضعون الحديث منهم إسحاق بن نجيح. وقال ابن أبي مريم: إنّه من المعروفين بالكذب ووضع الحديث، وقال عمرو بن عليّ: كذّاب كان يضع الحديث. وقال الجوزجاني: غير ثقة ولا من أوعية الأمانة. وقال ابن عدي[4]: أحاديثه موضوعات وضعها هو، وعامّة ما أتى عن ابن جريج فكلّه منكر ووضعه عليه، وهو بيّن الأمر في الضعفاء، وهو ممّن يضع الحديث. وقال النسائي[5]: كذّاب.

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣١٨/٣ [٤٣٩/٤ رقم ٩٧٥٠]، لسان الميزان: ٢٩٣/٦ [٣٥٩/٦ رقم ٩٢٨٦]. (المؤلّف)

(٢) العلل ومعرفة الرجال: ٣٠/٢ رقم ١٤٥٤.

(٣) معرفة الرجال: ٥١/١ رقم ٧.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ١ /٣٢٩ رقم ١٥٥.

(٥) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٥٣ رقم ٥٠.

وقال ابن حبّان[١]: دجّال من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً. وقال البرقاني: نُسب إلى الكذب. وقال الجوزقاني: كذّاب وضّاع لا يجوز قبول خبره ولا الاحتجاج بحديثه ويجب بيان أمره. وقال أبو سعيد: مشهور بوضع الحديث. وقال ابن طاهر: دجّال كذّاب. وقال ابن الجوزي: أجمعوا على أنّه كان يضع الحديث[٢].

ومن العجب سكوت الخطيب عن هذه الرواية وعمّا في إسنادها من العلل، وقد ذكر هو كثيراً من آراء الحفّاظ المذكورة في ترجمة إسحاق، ولعلّه اكتفى بذكرها عن تفنيد الرواية صريحاً، وكأنّ مفتعلها لم يقف على المفتعلة الأخرى المرفوعة: لكلّ نبيّ خليل وخليلي سعد بن معاذ[٣]. ويضادّ كلاهما ما جاء به البخاري في صحيحه[٤] (٢٤٣/٥) من القول المعزوّ إلى رسول الله ﷺ: لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبابكر. وقد قدّمنا الكلام حول ذلك في الأجزاء الماضية وأنّه موضوع مختلق أيضاً.

٣٩ ـ روى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبدالملك، قالت: انتبه عمر ابن عبد العزيز ذات ليلة وهو يقول: لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة، فقلت: أخبرني بها، فقال: حتى نصبح، فلمّا صلّى بالمسلمين دخل فسألته، فقال: رأيت كأنّي دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنّها بساط أخضر، وإذا فيها قصر كأنّه الفضّة، فخرج منه خارج / فنادى: أين محمد بن عبدالله؟ أين رسول الله؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى ٣٤٨/٩
دخل ذلك القصر، ثمّ خرج آخر فنادى: أين أبو بكر الصدّيق؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عمر بن الخطّاب؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عثمان بن عفّان؟ فأقبل فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عليّ بن أبي طالب؟ فأقبل

---

(١) كتاب المجروحين: ١٣٤/١.

(٢) تاريخ الخطيب: ٣٢١/٦ ـ ٣٢٤ [رقم٣٣٦٦]، تهذيب التهذيب: ٢٥٢/١ [٢٢١/١]. (المؤلّف)

(٣) كنز العمّال: ١٨٣/٦ [٧٢٠/١١ ح٣٣٥١٦]، منتخب الكنز هامش مسند أحمد: ٢٣١/٥ [٢١١/٥]. (المؤلّف)

(٤) صحيح البخاري: ١٣٣٨/٣ ح٣٤٥٧.

فدخل، ثمّ خرج آخر فنادى: أين عمر بن عبدالعزيز؟ فقمت فدخلت فجلست إلى جانب أبي[1] عمر بن الخطّاب، وهو عن يسار رسول الله ﷺ وأبوبكر عن يمينه، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ثمّ سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه، وهو يقول: يا عمر بن عبدالعزيز تمسّك بما أنت عليه واثبت على ما أنت عليه، ثمّ كأنّه أُذِن لي في الخروج فخرجت، فالتفت فإذا عثمان بن عفّان وهو خارج من القصر وهو يقول: الحمد لله الذي نصرني ربّي، وإذا عليّ في أثره وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربّي. وذكره ابن كثير في تاريخه[2] (٢٠٦/٩).

قال الأميني: أنا لا أزال أُرحّب بقوم يحاولون إثبات الحقائق بالأطياف، ويجابهون ما ثبت في الخارج بالخيال، فتصوّرهم ريشة الأوهام عثمان منزّهاً عن كلّ وصمة عرفتها فيه الصحابة العدول من أُمّة محمد الناظرين إليه من كثب والمشاهدين أعماله الناقمين عليه بها، وقد أهدروا دمه من جرّائها، وهم الذين يُقتدى بهم وبأقوالهم وأفعالهم عند القوم ويُحتذى مثالهم، وبأمثال هذه السفاسف يُجرّئون البسطاء على التورّط في المآثم بالنظر إلى هذا الإنسان المغمور فيها في نظّارة مكبّرة تُريه منزّهاً عن دنس كلّ حوب، منصوراً من الله بعد أن خذلته الصحابة جمعاء.

ولهم هناك نظّارة أُخرى تصغّر المنظور إليه من إمام المسلمين وسيّد الخلفاء خير البشر بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام إلى حدّ أثبتوا له ذنباً مغفوراً.

ألا من مسائل إيّاهم عن أنّه متى صدر هذا الذنب عن إمام المسلمين؟ أحين عدّه النبيّ ﷺ نفسه كما في الذكر الحكيم؟ أم حين طهّره الجليل بقوله تعالى:

---

(١) عمر بن الخطّاب جدّ عمر بن عبدالعزيز من أمّه أُمّ عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب. (المؤلّف)

(٢) البداية والنهاية: ٢٣٢/٩ حوادث سنة ١٠١هـ.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيُطهِّرَكُم تَطهِيراً﴾[١]؟ أم حين قرن ولايته بولايته / وولاية نبيّه ﷺ بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ٣٤٩/٩
آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢]؟ أم حين أكمل بولايته الدين وأتمّ نعمته على المسلمين بقوله عزّ من قائل: ﴿اليَومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[٣]؟ أم حين جعله ﷺ أولى بالناس من أنفسهم كما هو أولى بهم من أنفسهم فرشّحه للخلافة الكبرى في حديث الغدير المتواتر المقطوع بصدوره؟ أم حين جعله عدل القرآن في حديث الثقلين الثابت المتواتر؟ أم حين أنزله من نفسه بمنزلة هارون من موسى، وفصل بينه وبين نفسه بالنبوّة فحسب فقال: «إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٤]؟

أم..؟ أم..؟ إلى ألف أم؟؟

على أنّه ـ سلام الله عليه ـ كان حلس بيته والناس متجمهرون على عثمان لا يشاركهم في شيء من أمره، ولعلّ في الفئة المهملجة من يعدّ ما كان ينوء به الإمام عليه السلام ـ من نهي عثمان عمّا نقم عليه به من هنات وعثرات وأمره إيّاه بالمعروف والعمل بالكتاب والسنّة فلا يجد منه أُذناً مصيخة حتى قال: «ما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغُلِبت على أمرك»[٥] ـ ذنباً مغفوراً له، ويعدّه تقوية لجانب الثائرين على الرجل، وما هو من ذلك بشيء، وإنّما أراد عليه السلام كشف المثلات عنه بإقلاعه عمّا كان يرتكبه من الموبقات ولكن على حدّ قول الشاعر:

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: ص١٥٦ ـ ١٦٧. (المؤلّف)

(٣) راجع ما أسلفناه في الجزء الأوّل: ص ٢٣٠ ـ ٢٣٨. (المؤلّف)

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الثالث: ص١٩٩ ـ ٢٠٢. (المؤلّف)

(٥) راجع ما مرّ في هذا الجزء: ص١٧٢ ـ ١٧٥. (المؤلّف)

أمـــرتكمُ أمـــري بمنعرج اللـوىٰ فلم تستبينوا النصح إلّا ضحى الغدِ

أو على حدّ قوله:

وكم سقتُ في آثارِكمْ من نـصيحةٍ وقـــد يســـتفيد الظـنّة المـستنصّح

فزهٍ زهٍ بهذه المعرفة وحيّا الله العلم الناجع الذي يرى صاحبه الواجب ذنباً والمذنب منصوراً.

٣٥٠/٩ وأحسب أنّ الذي افتعل هذه الأكذوبة الخياليّة رجل من بسطاء الأكراد / أو الأعجام البعداء عن العربيّة، وإلّا فالعربيّ الصميم لا يقول: الحـمد لله الذي نصرني ربّي، والحمد لله الذي غفر لي ربّي.

ولعمر بن عبدالعزيز منام أشنع من هذه المهزأة يحوي فصل الخصومات الواقعة بين الإمام أمير المؤمنين ومعاوية بن هند، أخرجه أبوبكر بن أبي الدنيا أيضاً بالإسناد عن عمر بن عبدالعزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبوبكر وعمر جالسان عنده فسلّمت عليه وجلست، فبينا أنا جالس إذ أتي بعليّ ومعاوية، فأُدخـلا بـيتاً وأُجيف الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليّ وهو يقول: قُضي لي وربّ الكعبة، ثمّ ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غُفر لي وربّ الكعبة[1].

ويظهر من الجمع بين المنامين أنّ موقف أمير المؤمنين عليّ مـن عـثمان كـان كموقف معاوية من عليّ صلوات الله عليه، موقف الخروج على إمام الوقت، موقف البغي والجور، لا ضير إنّا إلى ربّنا منقلبون، والله هو الحكم العدل يوم لا ينفع طيف ولا خيال.

٤٠ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[2] (٣/٥) من طريق سعيد بن خالد، عن صالح

---

(١) تاريخ ابن كثير: ٨/١٣٠ [٨/١٣٩ حوادث سنة ٦٠هـ]. (المؤلّف)

(٢) أنساب الأشراف: ٦/١٠١.

ابن كيسان ـ أمويّ النزعة مؤدّب ولد عمر بن عبدالعزيز ـ عن سعيد بن المسيّب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال: هذا التقيّ المؤمن الشهيد شبيه إبراهيم.

قال الأميني: كأنّ سعيدبن خالدبن عمرو بن عثمان بن عفّان الأموي، أو سعيد ابن خالد الخزاعي المدني المجمع على ضعفه لم يجد في صحابة النبيّ الأقدس من يتحمّل عبء هذا السرف من القول والغلوّ في الفضيلة، فتركه مرسلاً مقطوع العرى بين سعيد بن المسيب المولود بعد سنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطّاب وبين رسول الله ﷺ.

لعلّ الباحث بعد قراءة ما سردناه من سيرة الممدوح وآراء الصحابة فيه وإصفاق الأُمّة على النقمة عليه بأفعاله وتروكه الشاذّة عن التقوى لا يخفى عليه أنّ تشبيه الرجل بإبراهيم النبيّ المعصوم عليه السلام جناية على المعصومين وسفه من القول وتَرَهٌ، نعوذ بالله من التقوّل بلا تعقّل.

ولو كان التشبيه بمن كان من الأنبياء مقبولاً لأمكن أن يتصوّر له وجه شبه ولو مع ألف فارق، غير أنّ نوبة الظلم عند وضع هذا الحديث كانت قد انتهت إلى خليل الله سلام الله عليه.

٣٥١/٩ وإنّي أحسب أنّ مصحّح هذه المهزأة قرع سمعه حديث التشبيه الوارد في مولانا أمير المؤمنين المذكور في الجزء الثالث (ص ٣٥٥ ـ ٣٦٠) وراقه من ذلك تشبيهه بخليل الرحمن فحابى الرجل بذلك، وقد أعماه الحبّ عن عدم وجود وجه شبه ولو من جهة واحدة مع التمحّل بين نبيّ معصوم خُصّ بفضيلة الخلّة من المولى سبحانه وبين من قُتل دون هناته وسقطاته.

أنا لا أدري أنّ هتاف النبيّ ﷺ هذا الذي سمعه سعيد بن المسيّب المولود بعده هل سمعته عائشة ومع ذلك كانت تهتف بقولها: اقتلوا نعثلاً قتله الله فإنّه قد كفر؟ وبقولها لابن عبّاس: يابن عبّاس إن الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإيّاك أن ترد الناس

عن هذا الطاغية؟ وبقولها: وددت والله أنّه في غرارة من غرائري هذه وأنّي طوّقت حمله حتى ألقيه في البحر؟ وبقولها لمروان: وددت والله أنّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحاً وأنّكما في البحر؟ وبقولها للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وإن عثمان قد أبلى سنّته؟ وبقولها لمّا بلغها نعيه: أبعده الله؛ ذلك بما قدّمت يداه وما هو بظلّام للعبيد؟ وبقولها: أبعده الله قتله ذنبه؛ وأقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه[1]؟

وهل سمع حديث التشبيه في عثمان أُولئك الصحابة الذين سمعت أقوالهم وأفعالهم حول الرجل؟ أو أنّ الحديث كان باطلاً فلم يسمعه أحد منهم؟ الحكم في ذلك أنت أيّها القارئ الكريم.

وأخرج رواة السوء من طريق عائشة في التشبيه ما هو أعظم من هذا وأهتك لناموس الإسلام ونبيّه الأقدس، وإليك نصّه:

عن المسيّب بن واضح السلمي الحمصي، عن خالد بن عمرو بن أبي الأخيل السلفي الحمصي، عن عمرو بن الأزهر العتكي البصري قاضي جرجان، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة: رضي الله عنها، قالت: لمّا زوّج النبيّ ﷺ أُمّ كلثوم قال لأُمّ أيمن: خذي بنتي وزفّيها إلى عثمان واخفقي بالدفّ. ففعلت، فجاءها النبيّ ﷺ بعد ثالثة فقال: كيف وجدتِ بعلك؟ قالت: خير رجل. قال: أما إنّه أشبه الناس بجدّك إبراهيم وأبيك محمد[2]. ٣٥٢/٩

ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال[3] في ترجمة عمرو بن الأزهر فقال: هذا موضوع. ونحن نقول: رجال الإسناد:

---

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء من حديث عائشة: ص٧٧ ـ ٨٦. (المؤلّف)

(٢) ميزان الاعتدال: ٢٨١/٢ [٢٤٥/٣ رقم٦٣٢٨]، لسان الميزان: ٣٥٣/٤ [٤٠٧/٤ رقم٦٢٤٥]. (المؤلّف)

(٣) ميزان الاعتدال: ٢٤٥/٣ رقم٦٣٢٨.

١ ـ المسيّب بن واضح، قال أبو حاتم[١]: صدوق يخطئ كثيراً، فإذا قيل له لم يقبل. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال الساجي: تكلّموا فيه في أحاديث كثيرة. وقال عبدان: هو وعبدالوهّاب بن الضحّاك كلاهما سواء[٢]. وعبد الوهّاب كما مرّ في الجزء الخامس (ص٢٤٢): كذّاب يضع الحديث متروك كثير الخطأ والوهم وكان معروفاً بالكذب في الرواية.

٢ ـ خالد بن عمرو، كذّبه الفريابي، ووّهاه ابن عدي[٣] وغيره، وقال الدارقطني[٤]: ضعيف. وقال ابن عدي: له أحاديث مناكير. وذكر الذهبي حديثاً من طريقه فقال: باطل ومن بلايا الأخيل[٥] حديث كذب في مشيخة ابن شاذان[٦].

٣ ـ عمرو بن الأزهر العتكي، قال أبو سعيد الحدّاد: كان يكذب مجاوبة، وعن ابن مَعِين[٧] أنّه ليس بثقة ضعيف، وقال البخاري[٨]: يُرمى بالكذب. وقال النسائي[٩] وغيره: متروك. وقال أحمد: كان يضع الحديث. وقال عبّاس الدوري عن يحيى: كان كذّاباً ضعيفاً. وقال الدولابي: متروك الحديث. وقال الجوزجاني: غير ثقة.

ميزان الاعتدال (٢/٢٨١)، لسان الميزان (٤/٣٥٣)[١٠].

---

(١) الجرح والتعديل: ٨/٢٩٤ رقم١٣٥٥.

(٢) ميزان الاعتدال: ٣/١٧١ [٤/١١٦ رقم٨٥٤٨]، لسان الميزان: ٦/٤١ [٦/٤٧ رقم٨٣٩٤]. (المؤلّف)

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣/٣٣ رقم٥٩٤.

(٤) الضعفاء والمتروكون: ص١٩٩ رقم٢٠١.

(٥) في الطبعة المعتمدة لدينا من ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب: أبي الأخيل.

(٦) ميزان الاعتدال: ١/٢٩٩ [١/٦٣٦ رقم٢٤٤٨]، تهذيب التهذيب: ٣/١١٠ [٣/٩٥]. (المؤلّف)

(٧) التاريخ: ٤/٣٨٠ رقم٤٨٧٦.

(٨) التاريخ الكبير: ٦/٣١٦ رقم٢٥٠٧.

(٩) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٨٦ رقم٤٧٨.

(١٠) ميزان الاعتدال: ٣/٢٤٥ رقم٦٣٢٨، لسان الميزان: ٤/٤٠٦ رقم٦٢٤٥.

وأعطف إلى هذه المكذوبة ما أخرجه ابن عدي من طريق زيد بن الحريش، عن عمرو بن صالح قاضي رامهرمز، عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ مرفوعاً: إنّا نشبّه عثمان بأبينا إبراهيم.

قال الذهبي[١]: منكر جدّاً، وقال ابن عدي[٢] في ذكر عمرو بن صالح بعد هذا الحديث: وله غير هذا ممّا لا يُتابع عليه.

٤١ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[٣] (٧/٥) عن الحسين بن علي بن الأسود عن / عبدالرحمن قال: قمت في الحجر فقلت: لا يغلبني عليه أحد الليلة فجاء رجل من ٣٥٣/٩
خلفي فغمزني فأبيت أن ألتفت، ثمّ غمزني فأبيت أن ألتفت، ثمّ غمزني الثالثة فالتفتّ فإذا عثمان فتأخّرت عن الحجر فقرأ القرآن في ركعة ثمّ انصرف.

وأخرجه أبو نُعَيم بالإسناد في حلية الأولياء (٥٦/١، ٥٧) ولفظه: قال عبدالرحمن: لأغلبنّ الليلة على المقام، فلمّا صلّيت العتمة تخلّصت إلى المقام حتى قمت فيه، قال: فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي فإذا هو عثمان بن عفّان. قال: فبدأ بأمّ القرآن فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد، ثمّ أخذ نعليه فلا أدري أصلّى قبل ذلك شيئاً أم لا؟

قال الأميني: سل عن راوي هذه الفضيلة الحافظ ابن عدي[٤] أنّه قال: الحسين ابن علي كان يسرق الحديث، وأحاديثه لا يُتابع عليها. وسل عنه الأزدي؛ فإنّه قال: إنّه ضعيف جدّاً يتكلّمون في حديثه. وسل عنه أحمد إمام الحنابلة؛ فإنّك تسمع منه ما

---

(١) ميزان الاعتدال: ٢٦٩/٣ رقم ٦٣٨٨.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٣٢/٥ رقم ١٢٩٤.

(٣) أنساب الأشراف: ١٠٧/٦.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٦٨/٢ رقم ٤٩٩.

سمعه أبوبكر المروزي لمّا سأله عنه من قوله: لا أعرفه[١].

ثمّ هلمّ معي نسائل عبد الرحمن التيمي هلّا كان من واجبه أن يُخبر ابن عمّه طلحة بن عبيدالله التيمي بهذه السيرة الصالحة يوم ضيّق على صاحبها الخناق، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، يوم هتك حرمته، وأباح دمه، وأورده المنيّة، ومنع جنازته عن أن تُدفن في مقابر المسلمين؟

ولنا أن نسائل الممدوح عثمان ألم يكن في الحجر مكان يسعه إلّا موقف عبدالرحمن؟ وهل كان له أن يغمز الرجل مرّة بعد أُخرى وهو في محراب الطاعة؟ أو أن يزيحه عن مكانه والوقف لمن سبق؟ وقد جاء في السنّة الشريفة من طريق جابر مرفوعاً: «لا يقيمنّ أحدكم أخاه يوم الجمعة ثمّ ليخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول: افسحوا».

صحيح مسلم[٢] (١٠/٧).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ومن طريق ابن عمر مرفوعاً: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثمّ يجلس فيه ولكن تفسّحوا وتوسّعوا» وزاد في حديث ابن جريج قلت: في يوم الجمعة؟ قال: «في يوم الجمعة وغيرها».

صحيح مسلم (١٠/٧)، مسند أحمد (٢٢/٢)، صحيح البخاري (٩٤/٢)[٣].

وفي لفظ لمسلم: «لا يقيمنّ أحدكم الرجل من مجلسه ثمّ يجلس فيه». وفي لفظ ٣٥٤/٩
له أيضاً: «لا يقيمنّ أحدكم أخاه ثمّ يجلس في مجلسه».

---

(١) راجع تهذيب التهذيب: ٢٤٣/٢ [٢٩٧/٢]. (المؤلّف)

(٢) صحيح مسلم: ٣٨١/٤ ح ٣٠ كتاب السلام.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٨٠ ح ٢٨ كتاب السلام، مسند أحمد: ٩٦/٢ ح ٤٧٢١، صحيح البخاري: ٢٣١٣/٥ ح ٥٩١٥.

قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري[١] (٤٧٩/٨): هذا النهي للتحريم، فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحقّ به، ويحرم على غيره إقامته منه لهذا الحديث.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري[٢] (١٦٩/٢): ظاهر النهي التحريم، فلا يُصرف عنه إلّا بدليل، فلا يجوز أن يقيم أحداً من مكانه ويجلس فيه، لأنّ من سبق إلى مباح فهو أحقّ به، ولأحمد[٣] حديث: إنّ الذي يتخطّى رقاب الناس أو يفرّق بين اثنين بعد خروج الإمام كالجارّ قُصبه[٤] في النار، والتفرقة صادقة بأن يزحزح رجلين عن مكانهما ويجلس بينهما.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار[٥] (٣٠٦/٣): من سبق إلى موضع مباح سواء كان مسجداً أو غيره في يوم الجمعة أو غيرها لصلاة أو لغيرها من الطاعات فهو أحقّ به، ويحرم على غيره إقامته منه والقعود فيه.

فإقامة عثمان عبدالرحمن من مكانه الذي كان هو أحقّ به وغمزه إيّاه مرّة بعد أُخرى محظور محرّم شاذّ عن السنّة الثابتة.

ثمّ هل تسع الليلة لقراءة القرآن ختمة واحدة؟ ولعلّها تسع بالتمحّل من كون الليلة من ليالي الشتاء الطويلة، ومن قدوم عثمان الحجر بعد فريضة العشاء بلا فصل، وأنّه كان طلق اللسان خفيفه، وإن كنّا لا نعلم شيئاً من ذلك.

أليس عثمان هذا هو الذي صعد المنبر وأُرتج عليه وقام مليّاً لا يتكلّم فقال: إنّ

---

(١) شرح صحيح مسلم: ١٦٠/١٤.

(٢) إرشاد الساري: ٦٥٩/٢ ح١١١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٤١٧/٣ [٤٢٨/٤ ح١٥٠٢١]. (المؤلّف)

(٤) القُصب ـ بضم القاف ـ: الظهر. المعي، جمعه أقصاب. (المؤلّف)

(٥) نيل الأوطار: ٢٨٣/٣.

أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً وإنّي لم أُزوّر له خطبة ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول[١]؟ أيّ خطيب يعوزه الكلام ويفتقر إلى تزوير مقال وفي ذاكرته كلام الله المجيد؟ وفيه بلغة وكفاية عن كلّ تلفيق وترميق وترميغ.

وهلّا كان على الرجل أن يعمل بالقرآن الذي كان يختمه في صلاته؟ ألم يك في ٣٥٥/٩
قرآنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احتَمَلُوا بُهتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[٢] أو لم يكن أبو ذر وعمّار وابن مسعود والأُمّة الصالحة أمثالهم من المؤمنين؟ وقد آذاهم بالنفي والضرب والتنكيل وبكلّ ما كان يمكنه.

أما كان فيه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]؟ وقد آذى الرسول في كريمته أُمّ كلثوم باقترافه ليلة وفاتها، وبإيواء من طرده ولعنه، وبإزراء صحابته الأكرمين وفي مقدّمهم ابن عمّه الطاهر، وبتبديل سنّته والحياد عن محجّته.

أما كان فيه قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤]؟ وقد خالف الله ورسوله ولم يطعهما ونبذ الكتاب والسنّة وراء ظهره في غير موضع من الأموال والصدقات والزكاة والصّلات والصلاة والقطائع والأوقاف والحجّ والنكاح والحدود والديات[٥].

أما كان فيه ذكر لحدود الله؟ أو لم يكن فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦]؟ وقد تعدّى الحدود، ونسي العهود، ونقض التوبة، وحنث

---

(١) راجع الجزء الثامن: ص١٦٣ ـ ١٦٤. (المؤلّف)

(٢) الأحزاب: ٥٨.

(٣) التوبة: ٦١.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) فصّلنا القول في ذلك كله في الجزء الثامن. (المؤلّف)

(٦) البقرة: ٢٢٩.

الإلّ، وجاء بما لا يُحمد عقباه، وأتى بنهابير أوردته القتل الذريع، وجرّت عليه الويلات كما جرّتها على الأُمّة حتى اليوم.

أما كانت في قرآنه آية المباهلة أو آية التطهير؟ والله يعدّ في الأُولى عليّاً نفس النبيّ الأعظم، ويطهّره من الرجس بالثانية كما طهّر نبيّه. وكان عثمان يرى مروان لعين رسول الله وطريده أفضل منه ﷺ[1].

وليت الرجل ترك تلك التلاوة المتعبة والتزم بالعمل بالقرآن الكريم وأقام حدوده واقتصر من التلاوة على ما تيسّر.

٤٢ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[2] (٧/٥) عن خلف البزّار، عن عبدالوهاب ابن عطاء[3] الخفاف البصري، عن سعيد بن أبي عروبة أبي النضر البصري، عن ابن / أخي[4] مطرف بن عبدالله بن الشخير، عن مطرف البصري قال: لقيت عليّاً ٣٥٦/٩
يوم الجمل فأسرع إليّ بدابته فقلت: أنا أحقّ أن أسرع إليك، فقال: أحسب عثمان منعك من إتياننا، فأقبلت أعتذر إليه، فقال: لئن أحببته لقد كان أبرّنا وأوصلنا.

رجال الإسناد:

١ ـ خلف البزّار، الثقة الأمين السكّير. راجع من الجزء الخامس (ص٢٩٥).

٢ ـ عبدالوهاب بن عطاء: قال المروزي: قلت لأحمد: عبدالوهاب ثقة؟ فقال[5]: ما تقول؟ إنّما الثقة يحيى القطّان. وقال الساجي: صدوق ليس بالقوي

---

(١) مضى حديثه في الجزء الثامن: ص٢٩٧.

(٢) أنساب الأشراف: ١٠٨/٦.

(٣) في النسخة: عبدالوهاب عن عطاء، والصحيح ما ذكرناه. (المؤلّف)

(٤) هو عبدالله بن هاني بن عبدالله بن الشخير البصري. (المؤلّف)

(٥) العلل ومعرفة الرجال: ٣٥٢/٢ رقم٢٥٥٨.

عندهم. وقال البخاري: ليس بالقويّ عندهم وهو يحتمل. وقال النسائي[١]: ليس بالقويّ. وقال أبو حاتم[٢]: ليس عندهم بقويّ في الحديث. وقال ابن أبي شيبة: ليس بكذّاب ولكن ليس هو ممّن يُتّكل عليه. وقال الميموني عن أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث. وقال البزّار: ليس بالقويّ وقد احتمل أهل العلم حديثه[٣]. تهذيب التهذيب[٤] (٤٥١/٦).

٣ ـ سعيد بن أبي عروبة. قال أبو حاتم[٥]: هو قبل أن يختلط ثقة. وقال دحيم: اختلط. وقال الأزدي: اختلط اختلاطاً قبيحاً. وقال ابن سعد[٦]: كان ثقة كثير الحديث ثمّ اختلط في آخر عمره. وقال ابن حبّان[٧]: بقي في اختلاطه خمس سنين ولا يحتجّ إلّا بما روى عنه القدماء مثل يزيد بن زريع وابن المبارك، وقال عبدالوهاب ـ الراوي عنه ـ: خولط سعيد سنة (٤٧) وعاش بعد ما خولط تسع سنين. وقال النسائي: من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء. وقال ابن عدي[٨]: من سمع منه قبل الاختلاط فإنّ ذلك صحيح حجّة ومن سمع منه بعد الاختلاط لا يُعتمد عليه. وقال أبو بكر البزّار: ابتدأ به الاختلاط سنة (١٣٣)[٩].

فعلى الأخذ بقول أبي بكر البزّار في ابتداء اختلاطه وقول ابن حبّان من أنّه مات سنة (١٥٥) تربو أعوام اختلاطه على اثنتين وعشرين سنة. هذا أكثر ما قيل في

---

(١) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص١٦٣ رقم٣٩٥.

(٢) الجرح والتعديل: ٧٢/٦ رقم٣٧٢.

(٣) احتمال الحديث إنما هو للاعتبار كما جاء مصرّحاً به في كثير من الضعفاء. (المؤلّف)

(٤) تهذيب التهذيب: ٣٩٨/٦.

(٥) الجرح والتعديل: ٦٥/٤ رقم٢٧٦.

(٦) الطبقات الكبرى: ٢٧٣/٧.

(٧) كتاب الثقات: ٣٦٠/٦.

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٩٣/٣ رقم٨٢٢.

(٩) تهذيب التهذيب: ٦٣/٤ ـ ٦٦ [٥٦/٤]. (المؤلّف)

مدّة اختلاطه وأقلّه خمس سنين وبينهما أقوال أُخر.

٣٥٧/٩ هذه علل الرواية إسناداً، وأما هي من ناحية المتن فسل عنها مولانا أمير المؤمنين ورأيه المدعوم في عثمان، وقد أسلفناه في هذا الجزء (ص٦٩ ـ ٧٧)، أتراه صلوات الله عليه يرى الرجل أبرّهم وأوصلهم ثمّ يرفع عقيرته على صهوة الخطابة بمثل قوله فيه: «قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»[1]؟

وقوله فيه: «إنّ بني أُميّة ليفوّقونني تراث محمد ﷺ تفويقاً»[2]؟

وقوله في إقطاعه وأعطياته: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوّج به النساء، وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله». راجع (٢٨٧/٨).

أنّى كانت صلات عثمان مشروعة مرضيّة عند أمير المؤمنين حتى يثني بها عليه ويراه أبرّهم وأوصلهم، وقد أوقفناك في الجزء الثامن على شطر مهمّ من هباته ومدرّها فاقرأ وتبصّر.

٤٣ ـ أخرج ابن عساكر[3] عن يزيد بن أبي حبيب كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي[4] (ص١١٠)، أنّه قال: بلغني أنّ عامّة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامّتهم جُنّوا. وفي لفظ القرماني في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير[5]

---

(١) راجع الجزء السابع: ص٨١. (المؤلّف)

(٢) راجع الجزء الثامن: ص٢٨٧. (المؤلّف)

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤٤٦/٣٩ رقم ٤٦١٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٥٠/١٦.

(٤) تاريخ الخلفاء: ص١٥٣.

(٥) أخبار الدول: ٣٠١/١.

(٢١٣/١): إنّ عامّة من أشار إلى قتل عثمان جُنّوا.

قال الأميني: أليست هذه المهزأة من فنون الجنون؟ انظر إلى عقل من جاء بها. أوّلاً: يزيد بن أبي حبيب، ثمّ ارجع البصر كرّتين إلى عقل أولئك الحفّاظ الذين عدّوا مثل هذا الترّه التافه من فضائل عثمان وكراماته، وإنّي أحسب أنّ في قول ابن سعد في ترجمة يزيد بن أبي حبيب: إنّه كان حليماً عاقلاً، دفعاً لما يدخل هاجسة القارئ من روايته هذه، لكنّه لا يثبت له العقل بعد ما حفظها له التاريخ، كيف يصدّق ذو مسكة هذه السفسطة والركب السائرون إلى عثمان تُعدّ بالآلاف من رجال الحواضر الإسلاميّة وهم معروفون مشهورون ولم يُعرف أحد منهم بما قذفهم ابن /أبي حبيب؟ ٣٥٨/٩
وما الذي أخفى ما عرف منهم الرجل على كلّ الصحابة والتابعين في الأوساط ولم يعلم به إلّا هو فحسب؟

على أنّا نعرف جماهير من القوم لا نشكّ ولا يشكّ عاقل في ثبوت كمال العقل لهم إلى أن ماتوا أو قتلوا كسيّدنا عمّار بن ياسر ومالك الأشتر، وكعب بن عبده، وزيد ابن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وعمرو بن بُديل بن ورقاء، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق، إلى نظرائهم الكثيرين وجلّهم من رجال الصحاح والمسانيد، أخرج أئمّة الحديث من طرقهم أحاديث جمّة وصحّحوها، ولم يتوقّف أحد منهم في شيء منها للجهل بصدورها قبل جنونهم أو بعده.

ولو أخذنا بلفظ القرماني فلا يشذّ من الجنون جلّ الصحابة من المهاجرين والأنصار إن لم نقل كلّهم لإطباقهم على قتل الرجل، وفي مقدّمهم طلحة والزبير وعمرو بن العاص والسيدة عائشة أُمّ المؤمنين.

ولعمر الحقّ إنّ المعتوه من شوّه صحيفة التاريخ بهذه الخزايات غلوّاً منه في فضائل أُناس من الشجرة المنعوتة في القرآن. والله هو الحكم العدل.

٤٤ ـ أخرج الواحدي في أسباب النزول[١] (ص ٢١٠)، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبوبكر الأنباري، قال: حدّثنا جعفر بن محمد ابن شاكر، قال: حدّثنا عفّان، قال: حدّثنا وهيب، قال: حدّثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: نزلت: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لاَ يَقدِرُ عَلَى شَيءٍ﴾[٢] في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرّاً وجهراً ومولاه أبو الجوزاء الذي كان ينهاه، فنزلت: ﴿وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَينِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقدِرُ عَلَى شَيءٍ﴾[٣] فالأبكم منهما الكلّ على مولاه هذا السيّد أسد بن أبي العيص، ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وهو عثمان بن عفّان ﷺ. وبهذا الإسناد أخرجه البلاذري في الأنساب[٤] (٣/٥).

وذكر ابن سعد في طبقاته[٥] (٤١/٣) مرسلاً عن عكرمة، عن ابن عبّاس نزول ﴿هَلْ / يَستَوي هُوَ وَمَن يَأمُرُ بِالعَدْلِ﴾ الآية. في عثمان. وكذلك المحبّ الطبري في الرياض النضرة[٦] (١٠٣/٢). ٣٥٩/٩

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال الأميني: لعلّ الباحث لا يطالبنا البحث عن إسناد هذه الأكذوبة التي حرّفوا بها الكلم عن مواضعها ويراها شاهد صدق على قول سعيد بن المسيّب لبرد مولاه: يا برد إيّاك وأن تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس[٧].

---

(١) أسباب النزول: ص١٨٨.

(٢) النحل: ٧٥ وتمام الآية: ﴿وَمَن رَزَقنَاهُ مِنّا رِزقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرّاً وَجَهراً هَل يَستَوونَ الحمدُ للهِ بَل أكثَرُهم لا يَعلَمُونَ﴾. (المؤلّف)

(٣) ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَولاهُ أَينَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأتِ بِخَيرٍ هَل يَستَوِي هُوَ وَمَن يَأمُرُ بِالعَدلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ﴾ تمام الآية ـ النحل: ٧٦. (المؤلّف)

(٤) أنساب الأشراف: ١٠٢/٦.

(٥) الطبقات الكبرى: ٦٠/٣.

(٦) الرياض النضرة: ٣٠/٣.

(٧) معارف ابن قتيبة: ص١٩٤ [ص٤٣٨]. (المؤلّف)

ولك أن ترجع البصر كرّتين، وتمعن النظر دواليك في صحيفة تاريخ عثمان، في أيّ يوميه تجد منه ما يعاضد هذه الأُسطورة؟ ومتى كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم؟ أمّا أيّامه مع النبيّ الأعظم ﷺ فحسبك منها ما ذكرناه في الجزء الثامن (ص ٢٣١ ـ ٢٨٠)، وفي هذا الجزء (ص٣٢٧). وأمّا أيّام خلافته فحدّث عنها ولا حرج وقد سجّل التاريخ له فيها هنات لا تغفر وعثرات لا تُقال. وقد وصف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تلكم الأيّام في كتابه إلى أهل مصر بقوله: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه، وذُهب بحقّه، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يُستراح إليه، ولا منكر يُتناهى عنه» راجع (ص٧٤) من هذا الجزء.

ووصفها أبو أيّوب الأنصاري بقوله: عباد الله أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس؟ وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام، فذو حقّ محروم مشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، ومُلئ بالعراء. إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء (ص١٢٥).

أكان من العدل وعلى الصراط المستقيم إيواؤه طريد رسول الله ولعينه؟ أم خضمه مع أبناء بيته مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع؟ أم أياديه عند أهل العيث والفساد وأُعطياته من مال المسلمين أبناء بيته الساقط من فاسق مستهتر إلى لعين طريد إلى شاب مُترف إلى أُغيلمة سفهاء، وتسليطهم على ناموس الإسلام ورقاب المسلمين بتولّيهم الأمر في البلاد وبين يديه قوله ﷺ: «من تولّى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أنّ فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسُنّة رسوله فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين»[1]؟ وقوله ﷺ في صحيحة الحاكم[2] ٣٦٠/٩

(١) مجمع الزوائد: ٢١١/٥. (المؤلف)

(٢) المستدرك على الصحيحين: ١٠٤/٤ ح٧٠٣٣.

من طريق ابن عباس: «من استعمل رجلاً من عصابةٍ وفي تلك العصابة من هو أرضىٰ لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»، وقوله ﷺ في صحيحة[1] أُخرى من طريق أبي بكر: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم».

إزالة الخفاء (١٦/١).

أكان من العدل وعلى الصراط المستقيم إزراؤه بصلحاء الأُمّة وعظماء الصحابة وإيذاؤهم بغير ما اكتسبوا وقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا، وهم بين مُسيّر هالك في تسييره، ومعذّب في قعر السجون وظُلَمِ المطامير، ومشتوم مهان يُنادى عليه بذلّ الاستخفاف، ومضروب قد دُقّت بالضرب أضلاعه، وآخر أُعذر متنه وفُتق بطنه، ومحروم عن مال الله لأمره بالمعروف وإنكاره المنكر؟ أم سبّه الصحابة ـ العدول ـ وتكفيره إيّاهم بكتابه وخطابه؟ أم مجابهته صنو رسول الله ﷺ ونفسه بتلكم القوارص؟ أم عدّه مروان الوزغ الطريد اللعين أفضل من سيّد العترة؟ أم رأيه فيه سلام الله عليه بأنّه أولى الناس بالنفي من جوار النبيّ الأقدس؟ أم إبعاده إيّاه عن المدينة مرّة بعد أُخرى؟ أم نقضه العهود والمواثيق المؤكّدة؟ أم نبذه كتاب الله وراء ظهره، وشذوذه عن السنّة الشريفة في صَلاتِهِ وصِلاته وحجّه وزكاته وإدخال آرائه الشاذّة في جميع ذلك؟ أم.. أم.. إلى ما شاء الله.

هلّا عرفت الصحابة عدل هذا الإنسان وكونه على الصراط المستقيم يوم حسبوه جائراً في الحكم، حائداً عن العدل، متنكّباً عن الصراط، باغياً ساعياً في الأرض فساداً ولم يبرحوا ناقمين مؤلّبين عليه إلباً واحداً حتى تمخّضت عليه البلاد، وأسعرت وراءه ناراً، ولم تنطفئ إلّا باختلاسه وإخماد أنفاسه؟ أو أنّهم عرفوا ذلك غير أنّ الضغائن حدتهم إلى ما ارتكبوا منه؟ فأين إذن عدالة الصحابة؟

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٠٤/٤ ح ٧٠٣٤.

وإن كان الرجل آمراً بالعدل وهو على صراط مستقيم فعهده على نفسه سنة (٣٥) بأن يعمل بالكتاب والسنّة لماذا؟ وتوبته مرّة بعد أُخرى على صهوات المنابر عن ماذا؟ والتزامه بالإقلاع عمّا هو عليه وتغيير خطّته لماذا؟ وما تلكم الأقوال من الصحابة الواقفين عليه وعلى أعماله من كثب؟ مثل قول عليّ أمير المؤمنين له: «ما رضيت من / مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة ٣٦١/٩
يُقاد حيث يُسار به» وقوله: «أذهبتَ شرفك وغُلبتَ على أمرك» وقول عمّار: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله.

وقول عمرو بن العاص لعثمان: ركبت بهذه الأُمّة نهابير من الأُمور فركبوها معك وملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل.

وقول سعد بن أبي وقّاص: لكنّ عثمان غيّر وتغيّر، وأحسن وأساء.

وقول مالك الأشتر: الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سُنّة نبيّه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره.

وقول صعصعة بن صوحان له: ملت فمالت أُمّتك، اعتدل يا أمير المؤمنين، تعتدل أُمّتك.

وقول هاشم المرقال: إنّما قتله أصحاب محمد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب.

وقول عبدالرحمن العنزي: هو أوّل من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحقّ.

وقول أصحاب حجر بن عدي: هو أوّل من جار في الحكم، وعمل بغير الحقّ.

وقول الصحابة له: بلونا منك من الجور في الحكم، والأثرة في القسم، والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس.

وقول نائلة بنت الفرافصة زوجته له: اتّق الله وحده لا شريك له، واتّبع سنّة صاحبيك من قبلك.

إلى كلمات كثيرة لأُمّة كبيرة من الصحابة مرّت في هذا الجزء، فنزول الآية الكريمة في عثمان لا تساعده تلكم الأقوال، وتضادّه سيرته المعروفة، هكذا يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذُكّروا به.

٤٥ ـ أخرج ابن عساكر[١] كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي[٢] (ص ١١٠) عن ابن عبّاس أنّه قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء. وذكره القرماني في أخبار الدول هامش الكامل[٣] (١/٢١٤).

قال الأميني: للباحث أن يُسائل راوي هذه المزعمة المرسلة المعزوّة إلى حبر الأُمّة عن أنّ الطلب بدم عثمان هل كان أمراً مشروعاً يرتضيه الله ورسوله؟ أو كان غير ذلك؟ فإن كان الأوّل فلماذا كان رسول الله ﷺ يعهد إلى عليّ أمير المؤمنين أن يقاتل الناكثين والقاسطين الطالبين بدم عثمان، ويحثّ عيون أصحابه على مناصرته عليه السلام متى واثبه القوم، ويحذّر مناوئيه في المقامين وينهاهم عن قتاله عليه السلام، ويصفهم بالظلم إن فعلوا؟ راجع الجزء الثالث (ص١٨٨ ـ ١٩٥). ٣٦٢/٩

ولماذا كان مولانا أمير المؤمنين يناضلهم ـ فضلاً عن عدم اشتراكه معهم في الطلب ـ ولا يسلّم إليهم قتلة عثمان وآواهم؟ وهو الذي يدور الحقّ معه حيثما دار، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا على النبيّ الحوض[٤].

وكيف كانت الصحابة العدول يقاتلون معه عليه السلام الثائرين بدم عثمان؟ وفي يوم

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٩/٤٤٧ رقم ٤٦١٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٦/٢٥٠.

(٢) تاريخ الخلفاء: ص١٥٢.

(٣) أخبار الدول: ١/٣٠١.

(٤) راجع ما ذكرناه في الجزء الثالث: ص١٧٦ ـ ١٨٠. (المؤلّف)

الجمل تحت رايته عيون الصحابة ووجهاء الأُمّة، وفي صفّين شهد معه الإمامان السبطان الحسنان وممّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان وخمسون كما في مستدرك الحاكم[١] (١٠٤/٣) ويقال: ثمانمئة نفس فقتل منهم ثلاثمئة وستون[٢] نفساً[٣] وكان معه ثمانون بدريّاً على رواية ابن ديزيل والحاكم[٤]. وجاء في خطبة سعيد بن قيس: سبعون بدريّاً[٥]. وفي كلام لمالك الأشتر: قريب من مئة بدريّ[٦] ومن أُولئك الصحابة وفي مقدّمهم البدريّون:

١ ـ أُسيد بن ثعلبة الأنصاري، بدريّ.

٢ ـ ثابت بن عبيد الأنصاري، بدريّ قتل بصفّين.

٣ ـ ثعلبة بن قيظي بن صخر الأنصاري، بدريّ.

٤ ـ جبر بن أنس بن أبي زريق، بدريّ.

٥ ـ جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، بدريّ.

٦ ـ الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي، بدريّ.

٧ ـ الحارث بن النعمان بن أُميّة الأنصاري الأوسي، بدريّ. ٣٦٣/٩

٨ ـ حصين بن الحارث بن المطلب القرشي، بدريّ.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١١٢/٣ ح٤٥٥٩.

(٢) كذا في الإصابة، وفي الاستيعاب: ثلاث وستون.

(٣) الاستيعاب في ترجمة عمار [القسم الثالث/١١٣٨ رقم١٨٦٣]، الإصابة: ٣٨٩/٢ [رقم٥٠٧٥]. (المؤلّف)

(٤) مستدرك الحاكم: ١٠٤/٣ [١١٢/٣ ح٤٥٥٩]، تاريخ ابن كثير: ٢٥٤/٧ [٢٨٣/٧ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

(٥) كتاب صفّين لابن مزاحم: ص٢٦٦ [ص٢٣٦]، شرح ابن أبي الحديد: ٤٨٣/١ [١٨٩/٥ الأصل٦٥]. (المؤلّف)

(٦) كتاب صفّين لابن مزاحم: ص٢٦٨ [ص٢٣٨]، شرح ابن أبي الحديد: ٤٨٤/١ [١٩١/٥ الأصل٦٥]. (المؤلّف)

٩ ـ خالد بن زيد بن كليب أبو أيّوب الأنصاري، بدريّ.

١٠ ـ خريمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي، بدريّ قُتل بصفّين.

١١ ـ خليفة ـ ويقال: عليفة ـ بن عدي بن عمرو البياضي، بدريّ.

١٢ ـ خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي، بدريّ.

١٣ ـ ربعي بن عمرو الأنصاري، بدريّ.

١٤ ـ رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي، بدريّ.

١٥ ـ زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي، بدريّ.

١٦ ـ جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري السلمي، بدريّ.

١٧ ـ خباب بن الأرت أبو عبدالله التميمي، بدريّ.

١٨ ـ سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، بدريّ.

١٩ ـ سماك بن أوس بن خرشة الأنصاري الخزرجي، بدريّ.

٢٠ ـ صالح الأنصاري، بدريّ.

٢١ ـ عبدالله بن عتيك الأنصاري، بدريّ.

٢٢ ـ عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري، بدريّ.

٢٣ ـ عمّار بن ياسر المطيّب الطيّب الشهيد بصفّين، بدريّ.

٢٤ ـ عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي، بدريّ.

٢٥ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي، بدريّ.

٢٦ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، بدريّ.

٢٧ ـ كعب بن عامر السعدي، بدريّ.

٢٨ ـ مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري، بدريّ.

٢٩ ـ أبو الهيثم مالك بن التّيهان البلوي المستشهد بصفّين، بدريّ.

٣٠ ـ أبو حبّة عمرو بن غزيّة، بدريّ.

٣١ ـ أبو عمرة بشربن عمرو بن محصن الأنصاري المستشهد بصفّين، بدريّ.

٣٢ ـ أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفّين، بدريّ. ٣٦٤/٩

٣٣ ـ أبو محمد الأنصاري، بدريّ.

٣٤ ـ أبو بردة هانئ بن نيار. ويقال: نمر، بدريّ.

٣٥ ـ أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي، بدريّ.

٣٦ ـ أسود بن عيسى بن أسماء التميمي.

٣٧ ـ أشعث بن قيس الكندي، كان أميراً على الميمنة يوم صفّين.

٣٨ ـ أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي.

٣٩ ـ الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي.

٤٠ ـ أعين بن ضبيعة الحنظلي، أحد الأمراء بصفّين.

٤١ ـ بريد الأسلمي، قتل بصفّين، وفيه يقول أمير المؤمنين:

جزى الله خيراً عصبةً أسلميّةً ... حِسانَ الوجوه صرّعوا حول هاشمِ

بريدٌ وعبدُالله منهم ومنقذٌ ... وعروةُ إبنا مالكٍ في الأكارمِ

٤٢ ـ البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي.

٤٣ ـ بشر ـ بشير ـ بن أبي زيد الأنصاري.

٤٤ ـ بشير بن أبي مسعود الأنصاري.

٤٥ ـ ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري.

٤٦ ـ جارية بن زيد المستشهد بصفّين.

٤٧ ـ جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي.

٤٨ ـ جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري.

٤٩ ـ جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري.

٥٠ ـ جندب بن زهير الأزدي الغامدي، كان من أُمراء الجيش بصفّين.

٥١ ـ جندب بن كعب العبدي أبو عبدالله الأزدي الغامدي.

٥٢ ـ الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.

٥٣ ـ حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفّين.

٥٤ ـ الحبشي بن جنادة بن نصر السلولي.

٣٦٥/٩ ٥٥ ـ الحجّاج بن عمرو بن غَزِيّة الأنصاري.

٥٦ ـ حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير، كان من الأمراء يوم صفّين.

٥٧ ـ حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي.

٥٨ ـ حنظلة بن النعمان الأنصاري.

٥٩ ـ حيّان بن أبجر الكناني.

٦٠ ـ خالد بن أبي خالد الأنصاري.

٦١ ـ خالد بن أبي دجانة الأنصاري.

٦٢ ـ خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي، كان من أُمراء عليّ يوم صفّين.

٦٣ ـ خالد بن الوليد الأنصاري، كان ممّن أبلى بصفّين.

٦٤ ـ خرشة بن مالك بن جرير الأودي.

٦٥ ـ رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي.

٦٦ ـ ربيعة بن قيس العدواني.

٦٧ ـ ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي.

٦٨ ـ زبيد بن عبد الخولاني شهد صفّين مع معاوية وكانت معه الراية، فلمّا قُتل عمّار تحوّل إلى عسكر عليّ عليه السلام أخذاً بقوله صلى الله عليه وآله: «عمّار تقتله الفئة الباغية».

٦٩ ـ زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي.

٧٠ ـ زيد بن جارية الأنصاري.

٧١ ـ زيد بن حيلة ـ بالمهملة والياء ويقال: بالمعجمة والموحّدة.

٧٢ ـ زياد بن حنظلة التميمي.

٧٣ ـ سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري، استشهد يوم صفّين.

٧٤ ـ سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.

٧٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد.

٧٦ ـ سليمان بن صرد بن أبي الجون أبو مطرف الخزاعي، كان أميراً على رجّالة الميمنة يوم صفّين.

٧٧ ـ سهيل بن عمرو الأنصاري، قتل بصفّين مع عليّ عليه السلام.

٧٨ ـ شبث بن ربعي التميمي اليربوعي أبو عبدالقدوس. ٣٦٦/٩

٧٩ ـ شبيب بن عبدالله بن شكل المذحجي.

٨٠ ـ شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك أبو المقدام الحارثي.

٨١ ـ شيبان بن محرث.

٨٢ ـ صُدي بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي.

٨٣ ـ صعصعة بن صوحان العبدي.

٨٤ ـ صفر بن عمرو بن محصن، قتل بصفّين.

٨٥ ـ صيفي بن ربعي بن أوس.

٨٦ ـ عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري، المستشهد بصفّين.

٨٧ ـ عائذ بن عمرو الأنصاري.

٨٨ ـ عامر بن واثلة بن عبدالله أبو الطفيل الليثي.

٨٩ ـ عبدالله الأسلمي، ممّن استشهد بصفّين وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين كما مرّ (ص ٣٦٤).

٩٠ ـ عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قُتل بصفّين.

٩١ ـ عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطلب بن هاشم، كان على الميسرة يوم صفّين.

٩٢ ـ عبدالله بن خراش أبو يعلى الأنصاري.

٩٣ ـ عبدالله بن خليفة البولاني الطائي.

٩٤ ـ عبدالله بن ذباب بن الحارث المذحجي.

٩٥ ـ عبدالله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي.

٩٦ ـ عبدالله بن كعب المرادي، قُتل يوم صفّين، وكان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين.

٩٧ ـ عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي.

٩٨ ـ عبدالرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء يوم صفّين.

٩٩ ـ عبدالرحمن بن حسل الجمحي، قتل بصفّين.

١٠٠ ـ عبيد بن خالد السلمي.

٣٦٧/٩ ١٠١ ـ عبيد الله بن سهيل الأنصاري.

١٠٢ ـ عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب.

١٠٣ ـ عبيد بن عمرو السلماني أبو عمرو صاحب ابن مسعود.

١٠٤ ـ عبد خير بن يزيد بن محمد الهمداني، من كبار أصحاب الإمام عليه السلام.

١٠٥ ـ عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي.

١٠٦ ـ عروة بن زيد الخيل الطائي.

١٠٧ ـ عروة بن مالك الأسلمي، قتل بصفّين وأثنى عليه الإمام عليه السلام كما مرّ (ص ٣٦٤).

١٠٨ ـ عقبة بن عامر السلمي.

١٠٩ ـ العلاء بن عمرو الأنصاري.

١١٠ ـ عليم بن سلمة الفهمي.

١١١ ـ عمرو بن بلال، كان من المهاجرين.

١١٢ ـ عمير بن حارثة الليثي.

١١٣ ـ عمير بن قرّة السلمي.

١١٤ ـ عمّار بن أبي سلامة بن عبدالله بن عمران.

١١٥ ـ عوف بن عبدالله بن الأحمر الأزدي.

١١٦ ـ الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي الخطمي، قُتل بصفّين.

١١٧ ـ قيس بن أبي قيس الأنصاري.

١١٨ ـ قيس بن المكشوح أبو شدّاد المرادي، من شهداء صفّين.

١١٩ ـ قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي.

١٢٠ ـ كرامة بن ثابت الأنصاري.

١٢١ ـ كعب بن عمر أبو زعنة.

١٢٢ ـ كميل بن زياد النخعي، يقال: أدرك من الحياة النبويّة ثماني عشرة سنة وكان شريفاً مطاعاً ثقة. الإصابة (٣١٨/٣).

١٢٣ ـ مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشتر.

١٢٤ ـ مالك بن عامر بن هانئ بن خفاف الأشعري.

١٢٥ ـ محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء صفّين. ٣٦٨/٩

١٢٦ ـ محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، يقال: قُتل بصفّين.

١٢٧ ـ مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي، كان على راية الأزد بصفّين.

١٢٨ ـ معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي.

١٢٩ ـ المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطّلب الهاشمي.

١٣٠ ـ منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة بن مالك، ممّن استشهد بصفّين كما مرّ في شعر مولانا أمير المؤمنين (ص ٣٦٤).

١٣١ ـ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي، استشهد بصفّين.

١٣٢ ـ نضلة بن عبيد الأسلمي أبو برزة.

١٣٣ ـ النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقي.

١٣٤ ـ هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال، كان صاحب الراية واستشهد بصفّين.

١٣٥ ـ هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي، كان من أُمراء عليّ عليه السلام.

١٣٦ ـ وداعة بن أبي زيد الأنصاري.

١٣٧ ـ يزيد بن الحويرث الأنصاري.

١٣٨ ـ يزيد بن طعمة بن جارية بن لوذان الأنصاري الخطمي.

١٣٩ ـ يعلى بن أُميّة بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الحنظلي، يقال: إنّه قُتل بصفّين.

١٤٠ ـ يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي.

١٤١ ـ أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثمّ الأبرهي، قتل مع عليّ عليه السلام بصفّين.

١٤٢ ـ أبو ليلى الأنصاري والد عبدالرحمن.

١٤٣ ـ أبو جحيفة السوائي.

١٤٤ ـ أبو عثمان الأنصاري.

١٤٥ ـ أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري.

٣٦٩/٩ والإمام أمير المؤمنين قد أتمّ الحجّة يوم الجمل على طلحة بما أسلفناه في الجزء الأولّ (ص١٨٦، ١٨٧)، وعلى الزبير بما مرّ في (١٩١/٣)، وما قاتلهما إلّا بعد إقامة الحجّة عليهما، ودحض أعذارهما المفتعلة، فما وجدهما مخبتين إلى الحقّ مصيخين إلى ما اعترفا به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان موقفهما موقف المستهزئ اللاعب بالدين الحنيف. جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله شيئاً؟ فقام طلحة ولم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا، ولكن بلغنا أنّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها[1].

ولمّا بايع أهل البصرة الزبير وطلحة، قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ فإمّا بيّته وإمّا صبّحته لعلّي أقتله قبل أن يصل إلينا، فلم يجبه أحد. فقال: إنّ هذه لهي الفتنة التي كنّا نحدّث عنها. فقال له مولاه: أتسمّيها فتنةً وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنّا نُبصر ولا نَبصُر، ما كان أمر قطّ إلّا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر

---

(١) تاريخ الطبري: ١٨٣/٥ [٤٧٥/٤ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

فإنّي لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر[١]!

وقد تحقّق يوم ذاك ما كان يحذر منه عمر بن الخطّاب[٢] وصدّق الخبر الخبر، قال عبدالله بن عمر: جاء الزبير إلى عمر فقال لعمر: ائذن لي أن أخرج فأقاتل في سبيل الله. قال: حسبك قد قاتلت مع رسول الله ﷺ. فانطلق الزبير وهو يتذمّر، فقال عمر: من يعذرني من أصحاب محمد ﷺ؟ لولا أنّي أمسك بفم هذا الشعب لأهلك أُمّة محمد ﷺ[٣].

اللّهمّ ما كان ذنب حكيم بن جبلة وسبعين أبرياء آخرين من عبدالقيس قتلهم طلحة والزبير قبل وقوع الواقعة بعد ما نادى مناديهما بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممّن غزا المدينة فليأت بهم، فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب فقتلوا. قال: حكيم بن جبلة: لقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عزّ وجلّ؟ بما تستحلّون سفك الدماء؟ قال ابن الزبير: بدم عثمان بن عفّان رضي الله عنه، قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟ أما تخافون مقت الله؟ فقال له عبدالله ابن الزبير: / لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع علياً، فقُتل حكيم بن جبلة وسبعون رجلاً من عبدالقيس[٤]. ٣٧٠/٩

فعلى الرجلين وأُمّهما دم ستّة آلاف أو يزيدون قتلى تلك الحرب الدامية، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[٥]، و﴿مَنْ قَتَلَ نَفساً بِغَيرِ نَفسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[٦]. ولنعم ما قال فتى بني سعد يوم ذاك:

---

(١) تاريخ الطبري: ١٨٣/٥ [٤/٤٧٥ ـ ٤٧٦ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

(٢) إشارة إلىٰ قول عبدالله بن عمر في صدر الرواية: قد كان يخاف منه الذي كان. أي خروجه.

(٣) تاريخ بغداد: ٤٥٣/٧ [رقم ٤٠٢٤]. (المؤلّف)

(٤) تاريخ الطبري: ١٨٠/٥، ١٨٢، ١٨٣ [٤/٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٥ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

(٥) النساء: ٩٣.

(٦) المائدة: ٣٢.

صُنتم حلائلكم وقُدتم أُمّكمْ هـذا لعمرُكَ قلّةُ الإنصافِ
أُمِـرَتْ بجرِّ ذيولِها في بيتِها فهوت تشقُّ البيدَ بالإيجافِ
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها بالنبل والخطّي والأسيافِ
هُتكت بطلحة والزبير ستورُها هـذا المخبِّرُ عنهمُ والكافي[1]

ولم يكن حول الجمل إلّا حُثالة من ذنابي الناس أهل الشرّه والترّه ـ من ضبّة والأزد ـ الذين كانوا يلتقطون بعر الجمل ويفتّونها ويشمّونها ويقولون: بعر جمل أُمّنا ريحه ريح المسك. يأتي حديثه في مستقبل الأجزاء إن شاء الله. كما لم يكن في جيش معاوية إلّا ساقة الناس ورعاعهم الذين وصفهم مولانا أمير المؤمنين بقوله يوم ذاك: «انفروا إلى بقيّة الأحزاب، انفروا بنا إلى ما قال الله ورسوله إنّا نقول: صدق الله ورسوله. ويقولون: كذب الله ورسوله»[2].

وقال سيّدنا قيس بن سعد في كلام له: هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابيّاً أو يمانيّاً مستدرجاً[3]؟

وفي كلام لسيّدنا عمّار بن ياسر: إنّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين، وإنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب[4].

وفي مقال لسيّدنا مالك الأشتر: أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ﷺ، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ، فما

---

(١) تاريخ الطبري: ١٧٦/٥ [٤٦٥/٤ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

(٢) أخرجه البزّار بإسنادين كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: ٢٣٩/٧. (المؤلّف)

(٣) استدرجه: خدعه وأدناه. (المؤلّف)

(٤) كتاب صفين لابن مزاحم: ص٣٦٣ [ص٣٢١]، شرح ابن أبي الحديد: ٥٠٦/١ [٢٥٧/٥ خطبة ٦٥]. (المؤلّف)

يشكّ في قتال / هؤلاء إلّا ميّت القلب[١]. ٣٧١/٩

ولم تكن الغايات في حرب معاوية تخفى على أيّ أحد حتى على النساء في خدورهنّ، فهي كما قالت أُمّ الخير بنت الحريش: إنّها إحَنٌ بدريّة، وأحقاد جاهليّة، وضغائن أُحديّة، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس، قاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون[٢].

وكيف يكون هذا الطلب مشروعاً والذين وتروا عثمان هم الصحابة العدول كلّهم حتى أنّ طلحة كان أشدّ الناس عليه، وحسب مروان أنّه أخذ منه ثاره برمية منه جرّعته المنيّة. وقد تثبّط معاوية عن نصرته حتى قتلوه؟

وإن كانت النهضة بثارات عثمان غير مشروعة يمقتها الله ورسوله ﷺ ـ كما هو المتسالم عليه عند وجوه السلف ـ فكيف يُدرأ بها العذاب عمّن قام بها؟

ولو صدقت الأحلام لوجب أن يكون أصحاب الجمل مكلوئين عن كلّ سوء، لكن عوضاً عن ذلك وافاهم العذاب من شتّى النواحي وقُتلوا تقتيلا، وقطع الله أيدي الذين أخذوا بزمام الجمل حتى وردوا الهلكة صاغرين.

وأمّا معاوية فسل عنه ليلةالهرير ويومه، فقد قُتل فيهما سبعون ألف قتيل (٤٥) ألفاً من أهل الشام و (٢٥) ألفاً من أهل العراق[٣]. وهل استمرّ على الطلب بالثار لمّا تمهّد له عرش الملك؟ أو أنّه اقتنع بالحصول على سلطة غاشمة وملك عضوض؟

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم: ص٢٦٨ [ص٢٣٨]، شرح ابن أبي الحديد: ٤٨٤/١ [١٩١/٥ الأصل ٦٥]. (المؤلّف)

(٢) بلاغات النساء: ص٣٦ [ص٥٧]، العقد الفريد: ١٣٢/١ [٢٢٤/١] نهاية الأرب: ٢٤١/٧، صبح الأعشى: ٢٤٨/١ [٢٩٧/١]. (المؤلّف)

(٣) كتاب صفّين لابن مزاحم: ص٥٤٣ [ص٤٧٥] تاريخ ابن كثير: ٢٧٤/٧، ٣١٢ [٣٠٤/٧ حوادث سنة ٣٦هـ و ٣٤٦ حوادث سنة ٣٧هـ]، فتح الباري: ٧٣/١٣ [٨٤/١٣]. (المؤلّف)

نعم؛ حصر هو تعقيبه بالأبرياء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فقتلهم أينما ثقفهم تحت كلّ حجر وشجر، وأمّا ثار عثمان فلم ينبس عنه بعد ببنت شفة فضلاً عن أن يثأر له ولم يُرم بالحجارة، فدونك تاريخ معاوية، فاقرأ واحكم.

٤٦ ـ أخرج الخطيب في تاريخه (٣٦٤/١٢)، من طريق أحمد بن محمد بن المغلس الحماني، عن أبي سهل الفضل بن أبي طالب، عن عبدالكريم بن روح البزّاز، عن أبيه روح / بن عنبسة بن سعيد بن أبي عياش الأُموي مولاهم البصري، عن أبيه ٣٧٢/٩
عنبسة[1]، عن جدّته ـ لأبيه ـ أُمّ عياش وكانت أمة لرقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما زوّجت عثمان أُم كلثوم إلّا بوحي من السماء.

قال الأميني: لا تعجب من إخراج الخطيب هذا الحديث المرمّع وسكوته عن علله، فإنّه أسير صبابته إلى هوى آل أُميّة، وقد أعمته عن آراء رجال الجرح والتعديل في أحمد بن محمد، وأنسته ما ذكره هو في ترجمة الرجل، قال ابن عدي[2]: ما رأيت في الكذّابين أقلّ حياء منه، وقال ابن قانع: ليس بثقة. وقال ابن أبي الفوارس: كان يضع الحديث. وقال ابن حبّان[3]: راودني أصحابنا على أن أذهب إليه فأسمع منه، فأخذت جزءاً لأنتخب فيه فرأيته حدّث عن يحيى.. إلخ. وعن هنّاد. إلخ. فعلمت أنّه يضع الحديث. وقال الدارقطني[4]: كان يضع الحديث. وقال الحاكم: روى عن القعنبي ومسدّد وابن أبي أويس وبشر بن الوليد أحاديث وضعها، وقد وضع أيضاً المتون مع كذبه في لقي هؤلاء. وقال الخطيب نفسه: حدّث عن أبي نُعَيم وغيره بأحاديث أكثرها باطلة هو وضعها. وحكى عن بشر بن الحارث ويحيى بن مَعين وعليّ بن مَعين وعليّ بن المديني أخباراً جمعها بعد أن وضعها في مناقب

---

(١) في النسخة: عن أبيه عن عنبسة، والصحيح ما ذكرناه. (المؤلّف)

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال: ١٩٩/١ رقم ٤٤.

(٣) كتاب المجروحين: ١٥٣/١.

(٤) الضعفاء والمتروكون: ص١٢٣ رقم٥٩.

أبي حنيفة. وقال الدارقطني أيضاً: مناقب أبي حنيفة موضوعة كلّها وضعها أحمد بن المغلّس الحماني قرأته غير مرّة. إلى كلمات آخرين[١].

وفي الإسناد: عبدالكريم بن روح أبو سعيد البصري، قال أبوحاتم[٢]: مجهول. وقال عمرو بن رافع: دخلت عليه ولم أسمع منه ويقال: إنّه متروك الحديث. وقال ابن حبّان[٣]: يخطئ ويخالف. وضعّفه ابن أبي عاصم والدارقطني[٤]. أضف إليه في الجهالة أباه وجدّه وجدّته. راجع ميزان الاعتدال[٥] للذهبي والخلاصة[٦] للخزرجي[٧].

وأخرجه ابن عدي[٨] من طريق عمير بن عمران الحنفي وعدّه من بواطيله وأقرّه الذهبي[٩] وابن حجر، وقال ابن عدي: والضعف على روايته بيّن، وقال العقيلي[١٠]: في حديثه وهم وغلط.

لسان الميزان[١١] (٤/٣٨٠).

نعم؛ أنا لا أشكّ في أنّ كلّ ما فعله النبيّ ﷺ أو لهج به إنّما هو عن وحي ٣٧٣/٩
منزل من السماء فإنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، غير أنّ المصلحة في الإيحاء تختلف باختلاف الموارد، فليس كلّ صلة منه ﷺ أو برّ تدلّ على فضيلة في

---

(١) راجع المصادر المذكورة في الجزء الخامس: ص٢١٦. (المؤلّف)

(٢) الجرح والتعديل: ٦/٦١ رقم٣٢٥.

(٣) الثقات: ٨/٤٢٣.

(٤) تهذيب التهذيب: ٦/٣٧٢ [٦/٣٣٢]. (المؤلّف)

(٥) ميزان الاعتدال: ٢/٦٤٤ رقم٥١٦١.

(٦) خلاصة الخزرجي: ٢/١٧٢ رقم ٤٤٠٠.

(٧) في الأصل: لابن الجزري، وهو تصحيف بيّن، وعليه سارت جميع الطبعات، ومنها طبعتنا الأُولى للأسف.

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال: ٥/٧٠ رقم١٢٤٩.

(٩) ميزان الاعتدال: ٣/٢٩٦ رقم٦٤٨٩.

(١٠) الضعفاء الكبير: ٣/٣١٨ رقم١٣٣٦.

(١١) لسان الميزان: ٤/٤٣٩ رقم٦٣٤٥.

الموصول أو المبرور فإنّها قد تكون لإتمام الحجّة عليه، كما أنّها في المقام لإيقاف الملأ الدينيّ على أنّ العداء المحتدم في صدور العبشميّين على بني هاشم لا يزيحه أيّ عطف وصلة، فإنّه لابرّ أوصل من المصاهرة ولا سيّما ببضعة النبوّة، لكن هل قدّر ذلك زوج أُمّ كلثوم؟ أو أنّه اقترف ليلة وفاتها[1] ولم يكترث للانقطاع عن شرف النبوّة، حتى أهانه رسول العظمة بملأ من الأشهاد، وحرّم عليه الدخول في قبرها وهو في الظاهر أولى الناس بها بعد أبيها؟

ولعلّ كل صهر أو مواصلة وقع بين بني هاشم والأمويّين كان من هذا الباب، حاول الهاشميّون وفي مقدّمهم مشرّفهم ﷺ تخفيض نائرة الإحن وتصفية القلوب من الضغائن، لكن هل حصّلوا على الغاية المتوخّاة؟ أو انكفأوا على حدّ قول القائل:

لقد نفختُ في جُذىً مشبوبةٍ ... وقد ضربتُ في حديد باردِ

ولولا هذه المصاهرة وأمثالها لطالت الألسنة على الهاشميين لسبق المهاجرة والقطيعة بين الفريقين، وحملوا كلّ ما وقع بينهما على تلكم السوابق، لكن الفئة الصالحة رُوّاد الإصلاح درأوا عن أنفسهم هاتيك الشُبه بضرائب هذه المواصلات، وعرّفوا الناس أنّ العقارب لُسّب من ذاتها، فلا يُجدي معها أيّ لين وزلفة.

ولعلّك هاهنا تجد الميزة بين الصهرين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وصاحب سيّدتنا أُم كلثوم، وتعلم سيرة الإمام مع الصدّيقة الطاهرة حتى قضت نحبها وهي عنه راضية، كما أنّه فارقها وهو عنها راضٍ، وغادر رسول الله ﷺ الدنيا وهو راضٍ عنها.

وانظر إلى آخر يوميها؛ هذا يقترف ليلة وفاة أُمّ كلثوم ما لا يرضي الله ورسوله ولا يهمّه فراقها ولا يشغله الهمّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيّ ﷺ عن المقارفة، وذلك يندب الصدّيقة الطاهرة ويطيل بكاءه عليها وهو يقول: «السلام عليك

---

(١) مرّ حديثه في الجزء الثامن: ص ٢٣١ ـ ٢٣٤. (المؤلّف)

يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعةاللحاق بك، قلّ يا رسولالله
عن / صفيّتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فرقتك وفادح ٣٧٤/٩
مصيبتك موضع تعزّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقد استُرجِعتِ الوديعة، وأُخذتِ الرهينة، أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتصافر أُمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطُلِ العهد، ولم يخلق منك الذكر، والسلام عليكما، سلام مودّع لا قالٍ ولا سئمٍ، فإن أنصرف فلا عن ملامة[١]، وإن أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين». ثمّ تمثّل عند قبرها فقال:

لكلّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ ... وكلُّ الذي دون الممات قليلُ
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ[٢] ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ[٣]

٤٧ ـ أخرج الأزدي عن عبدالواحد بن عثمان بن دينار الموصلي، عن المعافى ابن عمران، عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لعثمان: أنت من أصهاري وأنصاري، وعهد عهده إليّ ربّي أنّك معي في الجنّة.

قال الذهبي في الميزان[٤] في ترجمة عبدالواحد (١٥٨/٢): خبر باطل ذكره الأزدي.

٤٨ ـ أخرج الطبراني، قال: حدّثنا بكر بن سهل قال: حدّثنا محمد بن عبدالله

---

(١) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة ص ٣٢٠ خطبة ٢٠٢: ملالة، وهو الأنسب بالسياق.
(٢) وفي لفظ: وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد. (المؤلّف)
(٣) راجع أعلام النساء: ١٢٢٢/٣ [١٣١/٤]. (المؤلّف)
(٤) ميزان الاعتدال: ٦٧٥/٢ رقم٥٢٩٦.

ابن سليمان الخراساني، عن عبدالله بن يحيى الإسكندراني، حدّثنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: لمّا طُعِن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت: يا أبت إنّ الناس يقولون: إنّ هؤلاء القوم الذين جعلتهم في الشورى ليسوا برضى. فقال: أسندوني. فأسندوه فقال: عسى أن تقولوا في عثمان! سمعت رسول الله ﷺ يقول: يموت عثمان يصلّي عليه ملائكة السماء. قلت: لعثمان خاصّة أو للناس عامّة؟ قال: بل لعثمان خاصّة. الحديث بطوله لكلّ واحد من الستّة أصحاب الشورى منقبة[1].

قال الذهبي في الميزان[2]: حديث موضوع. وقال ابن حجر في اللسان: الوضع عليه ظاهر.

٣٧٥/٩ **قال الأميني**: بكر بن سهل الدمياطي، ضعّفه النسائي، كما ذكره الذهبي، وفي لسان الميزان: ومن وضعه قوله: بكرت يوم الجمعة فقرأت إلى العصر ثماني ختمات. ثمّ قال: فاسمع إلى هذا وتعجّب. وقال مسلمة بن قاسم: تكلّم الناس فيه ووضعوه من أجل الحديث الذي حدّث به عن سعيد بن كثير[3]. وفي الإسناد محمد بن عبدالله مجهول لا يُعرف.

٤٩ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (١٦٩/١١)، من طريق عيسى بن محمد بن منصور الإسكافي، عن شعيب بن حرب المدائني، عن محمد الهمداني، قال حدّثنا شيخ في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ عن النعمان بن بشير، قال: كنّا عند عليّ بن أبي طالب فذكروا عثمان، فقال عليّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ

---

(١) لسان الميزان: ٢٢٦/٥ [٢٥٦/٥ رقم ٧٥٨٣]. (المؤلّف)

(٢) ميزان الاعتدال: ٦٠٥/٣ رقم ٧٧٩٢.

(٣) ميزان الاعتدال: ٨٤/٣ [٣٤٥/١ رقم ١٢٨٤]، لسان الميزان: ٥٢/٢ و ٢٢٦/٥ [٦٣/٢ رقم ١٧١٨ و ٢٥٦/٥ رقم ٧٥٨٣]. (المؤلّف)

﴿أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾[١] هم عثمان وأصحاب عثمان، وأنا من أصحاب عثمان.

قال الأميني: لنا أن نسائل الخطيب عن عيسى بن محمد بن منصور الإسكافي من هو؟ وما محلّه من الإعراب؟ وهو الذي ترجمه هو ولا يعرف منه إلّا اسمه، ونسائله عن محمد الهمداني وعن شيخه الذي لم يسمّه هو ولا غيره كأنّه لم يكن ولم يولد، وعن النعمان بن بشير، من هو؟ وما خطره؟ وما قيمة روايته؟ وهو الخارج على إمامه يوم صفّين ومحاربه في صفّ الطغام الطغاة، وهو الذي عرّفه قيس بن سعد الأنصاري يوم ذاك بقوله له: وأنت والله الغاشّ الضالّ المضلّ، وهو القائل لقيس: لو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكانت واحدة بواحدة، ولكنّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً.

وهلّا عليّ هذا هو الذي سأله عثمان أيّام حوصر أن يخرج إلى ينبع حتى لا يغتمّ به ولا يغتمّ به عليّ؟ وهلّا هو ذلك القائل: «والله الذي لا إله إلّا هو ما قتلته، ولا مالأت على قتله ولا ساءني»؟ والقائل: «ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه، ولا سرّني ولا ساءني»؟

والقائل لأصحابه يوم صفّين: «انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص أوزارهم شيئاً»؟

وهلّا هو الكاتب إلى أهل مصر بقوله: «إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه، وذهب بحقّه، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر». ٣٧٦/٩

وهلّا هو ذلك الذي لم يشهد لعثمان أنّه قُتل مظلوماً؟ كما مرّ حديثه[٢].

---

(١) الأنبياء: ١٠١.

(٢) تجد هذه الأحاديث في هذا الجزء: ٦٩ ـ ٧٧. (المؤلّف)

وهلّا هو ذلك الخطيب القائل في خطبته الشقشقية: «إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه..» إلىٰ آخر ما مرّ في (٨١/٧).

وما شأن أصحاب عثمان وفيهم مثل عليّ ـ أخذاً بهذه الرواية ـ لا يوجد له منهم ناصر؟ ولا يُسمع من أحدهم في أمره ركز؟ ولا ينبس أي منهم في الدفاع عنه ببنت شفة؟ والرجل قُتل بين ظهرانيهم جهراً، وأُلقيت جثّته في المزبلة ثلاثة أيّام تجري عليه العواصف، ثمّ دُفن بأثوابه في مقابر اليهود، ينادى عليه بذلّ الاستخفاف، وقد أخذت الحجارة مجهّزيه، وطمّوا جثمانه خائفين مترقّبين، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلْمٍ﴾[1]، ﴿وَاللهُ يَعلَمُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾[2].

٥٠ ـ إنّ عثمان بن عفّان رأى درع عليّ عليه السلام يُباع بأربعمئة درهم ليلة عرسه على فاطمة عليها السلام فقال عثمان: هذا درع عليّ فارس الإسلام لا يُباع أبداً، فدفع لغلام عليّ أربعمئة درهم وأقسم أن لا يخبره بذلك وردّ الدرع معه، فلمّا أصبح عثمان وجد في داره أربعمئة كيس في كلّ كيس أربعمئة درهم مكتوب على كلّ درهم: هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفّان. فأخبر جبريل النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك، فقال: هنيئاً لك يا عثمان.

قال الأميني: ذكر الحلبي في سيرته[3] (٢٢٨/٢)، عن فتاوي جلال الدين السيوطي أنّه سُئل عن صحّة هذه الرواية، فأجاب بأنّها لم تصحّ. فقال: أي، وهي تصدّق بأنّ ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع. انتهى. ومرّ في الجزء الخامس في سلسلة الموضوعات ص (٣٢٢). قول ابن درويش الحوت: إنّه كذب شنيع.

---

(١) الأنعام: ١٤٤.

(٢) التوبة: ٤٢.

(٣) السيرة الحلبية: ٢٠٦/٢، الحاوي للفتاوي: ١٨٤/٢.

ختام المناقب

قال الجرداني في مصباح الظلام[1] (٢/٢٩):

فائدة: من كتب هذه الأسماء وغسل بها وجهه فإنّه لا يعمى، ومن كتبها وشربها على الريق لا ينسى، ومن كتبها وشربها لا يعجز عن النساء، وهم: عثمان بن عفّان، معاذ بن جبل، عبد / الرحمن بن عوف، زيد بن ثابت، أُبيّ بن كعب، طلحة بن ٣٧٧/٩
عبدالرحمن، تميم الداري ﷺ.

قال الأميني: فليمتحن من لا يخاف عن العمى والنسيان والعنن. أضف إلى هذه الأساطير أو المخازي ما مرّ في الجزء الخامس من المناقب الموضوعة لعثمان خاصّة (ص٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٩).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

منتهى القول

إلى هنا نُنهي القول عن فضائل عثمان التي اختلقتها وثّابة الشره ومُهملجة المطامع والشهوات في العصور الأمويّة طمعاً في رضائخ أُولئك المقعين على أنقاض عرش الخلافة، وأكثر هؤلاء شاميّون أو بصريّون جُبلوا بحبّ العبشميّين ومناوأة سروات المجد من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، فليس وضع تلكم الروايات عنهم ببعيد، ولعلّ هناك من ضرائب ما ذكرناه أشياء لكن سبيلها سبيل هذه الطامّات في الأسانيد والمتون ومنشأ الكلّ هو المغالاة في الفضائل من غير تفهّم ولا رويّة.

ولعلّ القوم في عذر ممّا هم عليه من عدم الأخذ بآراء الحفّاظ وأئمّة الفنّ الواردة في باب الجرح والتعديل، وعدم إجرائها في رجال تلكم المسانيد سلسلة

---

(١) مصباح الظلام: ٢/٧١ ح٣٦٢.

البلايا والطامّات التي اتّخذوها حجّة في الفضائل، وعلّوا عليها الدعوة إلى أُناس والتخذيل عن آخرين، ولا مندوحة لأُولئك من رواية مرمّعات الحديث، والأخذ بالموضوع المختلق، لأنّهم إن جنحوا في باب الفضائل إلى الصحيح الثابت في التاريخ والحديث فحسب، واقتصروا على ما صحّ منها، وصفحوا عن الباطل المزيّف، وتركوا كلّ تلكم التلفيقات المخزية، لتبقى تلكم الصحائف السوداء بيضاء خالية فارغة عن كلّ مأثرة وفضيلة، وهذا عزيز عليهم جدّاً لا يحبّذه الحبّ الدفين، ولا تسوّغه العصبيّة، ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أعمَالَهُم ﴾[1]، ﴿ فَقَد جَاءوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾[2]، ﴿وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدحِضُوا بِهِ ٱلحَقَّ ﴾[3] ﴿ وَيَحسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيءٍ أَلَا إِنَّهُم هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾[4]، ﴿ ٱنظُرْ كَيفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤفَكُونَ ﴾[5].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) الفرقان: ٤.

(٣) غافر: ٥.

(٤) المجادلة: ١٨.

(٥) المائدة: ٧٥.

المغالاة في فضائل الخلفاء الثلاثة

أبي بكر، عمر، عثمان

٣٧٨/٩ لقد أوقفناك على شيء من الغلوّ الفاحش في كلّ فرد من هؤلاء، وعرّفناك أنّ كلّ ما لفّقه القوم ورمّقه من الفضائل إنّما هي من مرمّعات الحديث لا يساعدها المعروف من نفسيّاتهم وملكاتهم، ولا يتّفق معها ما سجّل لهم التاريخ من أفعال وتروك، وهلمّ الآن إلى لون آخر ممّا تمتّته يد الافتعال يشملهم كلّهم، ولا نكترث من ذلك إلّا لما جاء بصورة الرواية دون الأقوال والكلمات، فإنّ رمي القول على عواهنه ممّا لا نهاية له، وما حدت إليه الأهواء والشهوات لا تقف على حدّ، فنمرّ بما جاء به أمثال أبناء حزم وتيميّة والجوزي والجوزيّة وكثير وحجر ومن لفّ لفّهم من السلف والخلف كراماً، فأنّى يسع لنا التبسّط تجاه مزعمة نظراء التفتازاني وأمثاله، قال في شرح المقاصد[1] (٢٧٩/٢): احتجّ أصحابنا على عدم وجوب العصمة بالإجماع على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ مع الإجماع على أنّهم لم تجب عصمتهم، وإن كانوا معصومين، بمعنى أنّهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها.

وقال أبو الثناء شمس الدين محمود الأصبهاني المتكلّم الشهير في مطالع الأنظار (ص ٤٧٠): ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيلية والاثني عشريّة لنا: إمامة أبي بكر والأُمّة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة لا أقول إنّه غير معصوم. انتهى. وأقرّ عصمة عثمان الحافظ نور محمد الأفغاني في كتابه تاريخ مزار شريف (ص ٤).

---

(١) شرح المقاصد: ٢٤٩/٥.

ونحن وضعنا أمامك صحائف من كتب أعمال هؤلاء المعصومين التي قضوا[١] أكثرها على العادات الجاهليّة، وأوقفناك على أنّ ما طابق منها عهد الإسلام ممّا لا يمكن أن يكون صاحبه عادلاً فضلاً عن أن يُعدّ معصوماً، وهاهنا لا نحاول أكثر من لفت نظر القارئ إلى تلكم الصحائف من غير توسّع نكرّره، ففيما سبق في الجزء السادس والسابع والثامن من الطامّات والجنايات والأحداث والشنائع والفظائع وممّا لا تقرّره طقوس الإسلام ويشذّ عن سنن الكتاب والسنّة غنى وكفاية.

وأمّا ما استنتجه التفتازاني من الإجماعين فمن أفحش أغلاطه:

٣٧٩/٩ **أمّا أوّلاً**: فلمنع / الإجماع في كلّ من الثلاثة؛ فإنّ خلافة أبي بكر إنّما تمّت بعد وصمات سوّدت صحيفة تاريخه، وأبقت على الأُمّة عاراً إلى منصرم الدنيا، لا تُنسى قطّ بمرّ الجديدين وكرّ الملوين، إنّما تمّت ببيعة رجل أو رجلين أو خمسة، ومن هنا حسبوا أنّ الخلافة تنعقد برجل أو رجلين أو خمسة[٢] مع تقاعد جمع كثير عنها من عمد الصحابة وأعيانهم، كما فصّلناه في الجزء السابع (ص٩٣) ثمّ لم يجمعهم مع القوم إلّا الترعيد والترعيب ومحاشد الرجال وبروق الصوارم وكان من حشدهم اللهام رجال من الجنّ رموا سعد بن عبادة أمير الخزرج.

وأمّا خلافة عمر فكانت بالنصّ من أبي بكر مع إنكار الصحابة عليه ونقدهم إيّاه بذلك، وكم أُناسٍ كانوا يشاركون طلحة في قوله لأبي بكر: ما تقول لربّك وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً[٣].

وأمّا عثمان فنصبته الشورى على هنات بين رجال الشورى، وعقد له

---

(١) أي: ارتكبوا.

(٢) راجع ما مرّ في الجزء السابع: ص١٤١ ـ ١٤٣. (المؤلّف)

(٣) مرّت كلمته في: ١٥٢/٧. وراجع الرياض النضرة: ١٨١/١/ [٢٢٤/١]، كنز العمّال: ٣٢٤/٦ [٦٧٨/٥ ح١٤١٧٨ و١٤١٧٩]. (المؤلّف)

عبدالرحمن بن عوف ولم يشترطوا كما قال الإيجي[١] إجماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأُمّة. نعم؛ عقد عبدالرحمن البيعة لصاحبه وسيفه مسلول على رأس الإمام عليّ بن أبي طالب قائلاً له: بايع وإلّا ضربت عنقك. ولحقه أصحاب الشورى قائلين: بايع وإلّا جاهدناك. أنساب البلاذري[٢] (٢٢/٥).

والتمحّل بحصول الإجماع بعد ذلك تدريجاً لا يُجديهم نفعاً، فإنّ الخلافة قد ثبتت عندهم بالبيعة الأولى فجاء متمّمو الإجماع بعد ذلك على أساس موطّد.

وأمّا ثانياً: فإنّ من الممكن على فرض التنازل مع التفتازاني أن يكون إجماعهم على خلافة الثلاثة لكونهم معصومين كما ينصّ به هو، وأمّا الإجماع المنقول عنهم بعدم وجوب العصمة فممّا لاطريق إلى تحصيله من آراء الصحابة، فمتى سبر التفتازاني نظريّات السلف وهم معدودون بمئات الألوف فعلم من نفسيّاتهم أنّهم لا يرون وجوب العصمة في خلفائهم وهم رهائن أطباق الثرى؟ ومن ذا الذي كان يسعه أن يعلمها فينهيها إلى التفتازاني وهلمّ جرّاً إلى دور الصحابة؟ ومتى كانوا يتعاطون المسائل الكلاميّة ويتفاوضون / عليها فيحفي هذا خبر ذاك ثمّ ينقله إلى ثالث إلى أن ٣٨٠/٩
يتسلسل النقل فيشيع؟ والسابر لصحائف دور الخلافة الأولى منذ يوم السقيفة إلى يوم الشورى لا يجد لأمر العصمة في منتديات القوم ذكراً ولا يسمع منه ركزاً، وإنّما اتّخذوا أمر الخلافة كملوكيّة يتسنّى لهم بها الحصول على أمن البلاد وحفظ الثغور وقطع السارق والاقتصاص من القاتل وما إلى هذه من لداتها كما فصّلنا القول فيه تفصيلاً (١٣٦/٧) وعلى ذلك جرى العلماء والمتكلّمون، فليس لهم في الشروط النفسانيّة من العلم والتقوى والقداسة أخذ ولا ردّ إلّا كلمات سلبيّة حول اشتراطها، ومتى كانت الخلافة عند السلف إمرة دينيّة حتى يبحثوا عن حدودها؟ ولم تكن إلّا سياسة وقتيّة مدبّرة بليل.

---

(١) مرّت كلمته في الجزء السابع: ص١٤١. (المؤلّف)

(٢) أنساب الأشراف: ١٢٨/٦.

وأمّا ثالثاً: فإنّا لا نحتجّ بالإجماع إلّا بعد ثبوت حجيّته، فإذا ثبتت فإنّها لا تختصّ بمورد دون آخر فيجب أن يكون حجّة في الخلافتين معاً من أبي بكر وعثمان، ذلك على نصبه، وهذا على استباحة قتله، والنقض بخروج ثلاثة أو أربعة من ساقة الأمويّين أو ممّن يمت بهم ويحمل بين جنبيه نزعتهم في الإجماع على عثمان مقابلٌ بخروج أُمّة صالحة عن الإجماع الأوّل من أعيان الصحابة وفي طليعتهم سيّد العترة وإمام الأُمّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والإمامان الحسنان والصدّيقة الطاهرة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، إلى غيرهم من بني هاشم والعمد والدعائم من المهاجرين والأنصار، ووفاقهم الأخير مشفوعاً بالترهيب لا يُعدّ وفاقاً ولا يكون متمّماً للإجماع، فإنّهم كانوا مستمرّين على آرائهم وإن ألجأتهم الظروف وحذار وقوع الفرقة إن شهروا سيفاً وباشروا نضالاً إلى المغاضاة عن حقّهم الواضح والمماشاة مع القوم كيفما حلّوا وربطوا، فهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد منصرم أيّام الثلاثة في رحبة الكوفة:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أَصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجىً، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده. ثمّ تمثّل / بقول الأعشى: ٣٨١/٩

شتّان ما يَوْمي على كورِها ويومُ حيّانَ أخي جابر

فيا عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء يغلُظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس

لها تفحّم، فَمُني الناس ـ لعمر الله ـ بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيالله وللشورىٰ، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر، لكنّي أسففت إذا سفّوا وطرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»[1].

تُعرب هذه الخطبة الشريفة عن رأيه عليه السلام في الخلافة، وكلّ جملة منها تشهد على عدم العصمة المزعومة، أو تمثّل أُولئك المعصومين للملأ بعُجرهم وبُجرهم، أضف إليها قوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية: «ذكرت إبطائي عن الخلفاء، وحسدي إيّاهم، والبغي عليهم، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون، وأمّا الكراهة لهم فوالله ما أعتذر للناس من ذلك، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت وعمل به الناس ما قد بلغك»[2].

وقوله عليه السلام من خطبة له لمّا أراد المسير إلى البصرة: «إنّ الله لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله: استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافّة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يُمخض مخض الوطب يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقلّ خلق، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء، والله وليّ تمحيص سيّئاتهم والعفو عن هفواتهم»[3].

---

(١) راجع الجزء السابع: ص٨١ ـ ٨٥ [فللمؤلف قدس سره كلمة حول هذه الخطبة]. (المؤلّف)

(٢) العقد الفريد: ٢٨٦/٢ [١٣٨/٤]. (المؤلّف)

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ١٠٢/١ [٣٠٨/١ الخطبة ٢٢]. (المؤلّف)

٣٨٢/٩ وقوله عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قُبض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناس أبا بكر، فبايعت كما بايعوا، ثمّ إنّ أبا بكر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناس عمر بن الخطّاب، فبايعت كما بايعوا، ثمّ إنّ عمر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فجعلني من ستّة أسهم، فبايع الناس عثمان»[1].

وقوله عليه السلام يوم قال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليّاً. فذهب إلى عليّ، فقال: «ما حاجتك؟» فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليّ: «لسريع ما كذبتم على رسول الله». فرجع فأبلغ الرسالة، ثمّ قال أبو بكر: عُد إليه فقل له: أمير المؤمنين[2] يدعوك لتبايع. فجاءه قنفذ فأدّى ما أُمر به، فرفع عليّ صوته فقال: «سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له». الحديث. الإمامة والسياسة[3] (١٣/١).

إلى كلمات أُخرى توقف الباحث على جليّة الحال.

فأين العصمة المزعومة؟ ثم أين الإجماع المدّعى عليه؟ وأنّى كان الإجماع على الخلافة؟ ومتى تحقّق؟ وإن تمّ الإجماع فيجب أن يحتجّ به في الخلافتين وصاحبيهما، وإن أبطلناه ففيهما معاً.

ونحن لو اندفعنا إلى تفنيد أمثال هذه السفاسف المنبعثة عن الغلوّ في الفضائل لضاق بنا المجال عن السير في مواضيع الكتاب على أنّها غير مُبتنية على أُسس رصينة تستحقّ أخذاً بها أو ردّاً عليها، وإنّما ذكرنا هذه الأُسطورة فحسب لنعطيك شيئاً من نماذج تلكم الأقاويل المسطّرة بلا أيّ تعقّل وتدبّر، فدونك شيئاً ممّا عزوه إلى الروايات من فضائل الثلاثة:

---

(١) تاريخ الطبري: ١٧١/٥ [٤٥٨/٤ حوادث سنة ٣٦هـ]. (المؤلّف)

(٢) في المصدر: خليفة رسول الله.

(٣) الإمامة والسياسة: ١٩/١ ـ ٢٠.

١ ـ أخرج الإمام الفقيه المحدّث الثقة[١] أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي المتوفّى (٣٧٧) في كتابه التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع[٢] (ص٢٣)، قال: قال محمد بن عكاشة رحمه الله: أخبرني معاوية بن حمّاد الكرماني، عن الزهري، قال: من اغتسل ليلة الجمعة وصلّى ركعتين يقرأ فيهما ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ﴾ ألف مرّة رأى النبيّ ﷺ في منامه.

٣٨٣/٩ قال محمد بن عكاشة: فدمت عليه كلّ ليلة جمعة أُصلّي الركعتين أقرأ / فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد﴾ ألف مرّة طمعاً أن أرى النبيّ ﷺ في منامي فأعرض عليه هذه الأُصول، فأتت عليّ ليلة باردة فاغتسلت وصلّيت ركعتين ثم أخذت مضجعي فأصابني حلم، فقمت ثانية فاغتسلت وصلّيت ركعتين، وفرغت منهما قريباً من الفجر فاستندت إلى الحائط ووجهي إلى القبلة إذ دخل عليّ النبيّ ﷺ ووجهه كالقمر ليلة البدر وعنقه كإبريق فضّة فيه قضبان الذهب على النعت والصفة، وعليه بردتان من هذه [البُرد][٣] اليمانيّة قد ائتزر بواحدة وارتدى بأخرى، فجاء واستوفز على رجله اليمنى وأقام اليسرى فأردت أن أقول: حيّاك الله فبادرني وقال: حيّاك الله. وكنت أحبّ أن أرى رباعيّته المكسورة فتبسّم فنظرت إلى رباعيّته، فقلت: يا رسول الله إنّ الفقهاء والعلماء قد اختلفوا عليّ وعندي أُصول من السنّة أعرضها عليك. فقال: نعم. فقلت:

الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله، والنهي عمّا نهى الله عنه، والإخلاص بالعمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشرّه من الله، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع

---

(١) كذا وصفوه وأنت تعرف صدق وصفه من حديثه. (المؤلّف)

(٢) التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع: ص١٥ ـ ١٧.

(٣) الزيادة من المصدر.

أهل القبلة، والصلاة على من مات من أهل القبلة سُنّة، والإيمان يزيد وينقص، قول وعمل، والقرآن كلام الله، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من جور وعدل، ولا يُخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ولا ينزل أحد من أهل التوحيد جنّة ولا نار، ولا يكفّر أحد من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا الكبائر، والكفّ عن أصحاب محمد ﷺ ـ فلمّا أتيت: والكفّ عن أصحاب محمد ﷺ بكى حتى علا صوته ـ وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ. قال محمد بن عكاشة: فقلت في نفسي في عليّ: ابن عمّه وختنه. فتبسّم عليه السلام كأنّه قد علم ما في نفسي.

قال محمد: فدمت ثلاث ليال متواليات أعرض عليه هذه الأُصول، كلّ ذلك أقف عند عثمان وعليّ فيقول لي عليه السلام: ثم عثمان ثم علي. ثم عثمان ثم علي: ثلاث مرّات. قال: وكنت أعرض عليه هذه الأُصول وعيناه تهملان بالدموع قال: فوجدت حلاوة في قلبي وفمي فمكثت ثمانية أيّام لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى ضعفت عن صلاة الفريضة، فلمّا أكلت ذهبت تلك الحلاوة واللذّة، والله شاهد عليّ وكفى بالله شهيداً.

٣٨٤/٩ وقال أمير المؤمنين المتوكّل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه: يا أحمد / إنّي أُريد أن أجعلك بيني وبين الله حجّة، فأظهرني على السنّة والجماعة وما كتبته عن أصحابك عمّا كتبوه عن التابعين ممّا كتبوه عن أصحاب رسول الله فحدّثه بهذا الحديث.

قال الأميني: نحن نجد الباحث في غنىً عن البحث عن هذه الأُسطورة وما فيها من مضحكات الثكلى، ونجلّ أحمد عن أن يتّخذها حجّة بينه وبين الله فيلقّنها خليفة وقته، ونُربي به عن تصديق مثل محمد بن عكاشة الذي جاء فيه قول ابن عساكر[1] بعد روايته هذه الرؤيا: قال سعيد بن عمرو البردعي: قلت لأبي زُرعة: محمد بن

---

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٦٢/٢٣.

عكاشة الكرماني، فحرّك رأسه فقال: رأيته وكتبت عنه وكان كذّاباً. قلت: كتبت عنه الرؤيا التي كان يحكيها؟ قال: نعم كتبت عنه فزعم أنّه عرض على شبابة: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص فيه، أي به، وأنّه عرض على أبي نعيم: عليّ ثم عثمان، فقال به، وهو كذوب ولا يحسن أنّه يكتب[١] أيضاً، يعني أنّ شبابة لا يقول بذلك وكذا أبو نعيم، قلت: أين رأيته؟ قال: قدم هنا مع محمد بن رافع وكان رفيقه، كنت أرى له سمتاً، ولقيني محمد بن رافع فكره أن يقول فيه شيئاً، وقال لي: لا يخفى عليك أمره إذا فاتحته، فقلت: إن رأيت أن تفيدني شيئاً، قال: نعم. ثم كاد يصعق واضطرب بطنه، فهالني ذلك، ثم أقبل عليّ فقال: إنّ أوّل ما أملى عليّ أن كذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى عليّ وعلى ابن عبّاس... إلخ[٢].

وذكره الحاكم في الضعفاء فقال: منهم جماعة وضعوا كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل أبي عصمة ومحمد بن عكاشة الكرماني ثم نقل عن سهل بن السري الحافظ أنّه كان يقول: وضع أحمد الحويباري ومحمد بن تميم ومحمد بن عكاشة على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث. راجع ما أسلفناه في سلسلة الكذّابين (٢٦١/٥)، ولسان الميزان[٣] (٢٨٦/٥ ـ ٢٨٩).

فرجل هذا حاله وتلك صفته وذلك حديثه ليس بالمستطاع تصديقه على دعاويه المجرّدة في المبادئ والمعتقدات، والعجب كلّ العجب من الفقيه الثقة الذي يعتمد على مثلها من خزاية، قاتل الله الحبّ المعمي والمصمّ هو الذي حدا القوم إلى تفتين بسطاء الأُمّة بمثل هذه الخزعبلات، والله يعلم إنّهم لكاذبون.

٢ ـ أخرج البلاذري في الأنساب[٤] (٥/٥) عن خلف البزّار، عن أبي شهاب ٣٨٥/٩

---

(١) في المختصر: ولا يحسن أن يكذب أيضاً.

(٢) لسان الميزان: ٢٨٧/٥ [٣٢٤/٥ رقم٧٧٦٨]. (المؤلّف)

(٣) المصدر السابق: ٣٢٤/٥ ـ ٣٢٧ رقم٧٧٦٨.

(٤) أنساب الأشراف: ١٠٥/٦.

الحنّاط[١]، عن خالد الحذّاء البصري، عن أبي قلابة البصري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أرحمكم أبوبكر، وأشدّكم في الدين عمر، وأقرؤكم أُبيّ، وأصدقكم حياءً عثمان، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضكم زيد بن ثابت، وإنّ لكلّ أُمّة أميناً وأمين هذه الأُمّة أبو عبيدة الجرّاح.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه[٢] (٣٢٥/٢) محذوف الإسناد بلفظ: أرحم أُمّتي أبوبكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم أُبيّ بن كعب... إلخ.

ورواه[٣] في (١٩٩/٦) من طريق أبي سعيد الخدري، وعقّبه: قال العقيلي: أسانيد هذه الأحاديث غير محفوظة والمتون معروفة.

قال الأميني: ألا تعجب من أُسطورة جاء بها خلف البزّار الثقة الأمين العابد الفاضل السكّير؟ قال أبو جعفر النفيلي: كان من أصحاب السنّة لولا بليّة كانت فيه: شرب النبيذ.

وذُكر خلف عند أحمد ـ إمام الحنابلة ـ فقيل: يا أبا عبدالله إنّه يشرب. فقال: قد انتهى إلينا علم هذا عنه، ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين شرب أو لم يشرب[٤].

والرواية نفسها شاهد صدق على ما انتهى إلى إمام الحنابلة علمه من خلف البزّار، والذين أخذوها منه ورووها عنه إنّما أقحمتهم فيها سكرة الهوى لا نشوة السلافة.

---

(١) عبد ربّه بن نافع الكناني، ثقة ليس بالقوي يهمّ في حديثه ويخطئ. (المؤلّف)

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣٢٧/٧ رقم ٥٥٨، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١٩٩/٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١٣/٢١ رقم ٢٥٩٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٤١/١٠، الضعفاء الكبير: ١٥٩/٢ رقم ٦٦٤.

(٤) إقرأ واحكم. (المؤلّف)

ولتقديس ذيل هذا الثقة الأمين عن رجاسة النبيذ جاء الخطيب البغدادي[١] بما رواه عن محمد بن أحمد بن رزق، عن محمد بن الحسن بن زياد النقّاش، قال: سمعت إدريس بن عبدالكريم الحدّاد يقول: كان خلف بن هشام يشرب من الشراب على التأويل، فكان ابن اخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[٢] فقال يا خال! إذا ميّز الله الخبيث من الطيّب أين يكون الشراب؟ قال: فنكّس رأسه طويلاً ثم قال: مع الخبيث. قال: فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث؟ قال: يا بنيّ امض إلى المنزل / فاصبب كلّ شيء فيه، وتركه، فأعقبه الله ٣٨٦/٩
الصوم، فكان يصوم الدهر إلى أن مات.

حبّذا هذا التنزيه لو صدقت الأحلام، وهو وإن كان معقولاً أحسن من رأي الإمام أحمد من أنّه الثقة الأمين شرب أو لم يشرب. فإنّه رأي تافه لا تساعده البرهنة ولا يوافقه الشرع والعقل والمنطق، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٣] غير أنّ من المأسوف عليه جدّاً بطلان إسناده لمكان محمد بن الحسن النقّاش، فإنّه كذّبه طلحة بن محمد، ووهّاه الدارقطني، ودلّسه أبوبكر، وقال البرقاني: كلّ حديثه منكر، وذكر عنده تفسيره فقال: ليس فيه حديث صحيح. وكلّ هذا ذكره الخطيب نفسه فبماذا يُنزّه الرجل؟ وأنّى يتأتّى له أمله.

وإنّي أشكر من انتهى إليه وضع هذه الأكذوبة على أنّه لم يذكر مع القوم مولانا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام الذي هو أربى من كلّهم في جميع الصفات المذكورة؛ فإنّه يُرفع عن أن يُذكر في عداده أيّ أحد، كما أنّ فضائله أربى من أن تُذكر معها فضيلة.

وهاهنا لا نناقش متن الرواية في الأوصاف التي حابت القوم بها، فلعلّ فيها ما

---

(١) تاريخ بغداد: ٣٢٥/٨ رقم ٤٤١٧.

(٢) الأنفال: ٣٧.

(٣) الحجرات: ٦.

هو مدعوم بالبرهنة، فيشهد على كون أبي بكر أرحم الأُمّة إحراقه الفجاءة، وغضّه الطرف عن وقيعة خالد بن الوليد في بني حنيفة وخزايته مع مالك بن نويرة وزوجته[1]، وعدم اكتراثه لأمر الصدّيقة فاطمة في دعواها، وكانت له مندوحة عن مجابهتها باسترضاء المسلمين واستنزال كلّ منهم عن حصّته من فدك إن غاضينا القوم على الفتوى الباطلة والرواية المكذوبة في انقطاع إرث النبوّة خلافاً لآيات المواريث المطلقة وإرث الأنبياء خاصّة، على أنّ فاطمة سلام الله عليها وابن عمّها ما كانا يجهلان بما تفرّد بنقله أبوبكر وصافقته على قوله سماسرته من الساسة لأمر دبّر بليل، وأمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأُمّة وباب مدينة علم النبي، والصدّيقة فاطمة بضعته وما كان يشحّ صلى الله عليه وآله عليها من إفاضة العلم ولا سيّما علم الأحكام وعلى الأخصّ ما يتعلّق بها، وهو صلى الله عليه وآله يعلم أنّها سوف تقيم الدعوى على صحابته المتغلّبين على فدك وأنّها ستُمنع عنها ويحتدم بينها و / بينهم الشجار، ويستتبع ذلك انشقاقاً بين الأُمّة إلى يوم ٣٨٧/٩
القيامة، فمن مزدلفة إلى بضعة النبوّة، ومن جائحة إلى من منعها عن حقّها، فكان من الواجب أن يسبق صلى الله عليه وآله إلى ابنته بتفصيل حكم هذا شأنه قبل أبي بكر.

ألم تكن لأبي بكر مندوحة تصحّح إقطاع فاطمة فدكاً وردّها إليها حتى لا يفتح باب السوأة على الأُمّة كما ردّها عمر إلى ورثة النبيّ الأقدس، وأقطعها عثمان مروان، وأقطعها معاوية مروان وعمرو بن عثمان ويزيد بن معاوية على الأثلاث، إلى ما رأى فيها الخلفاء بعدهم من التصرّف كتصرّف الملّاك في أملاكهم[2]؟

سل عن صفة أبي بكر هذه فاطمة وهي صدّيقة يوم خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة!!»[3].

---

(١) راجع الجزء السابع: ص١٥٦، ١٥٧، ١٥٨ ـ ١٦٨. (المؤلّف)

(٢) راجع: ١٩٤/٧ ـ ١٩٥. (المؤلّف)

(٣) راجع: ٧٧/٧. (المؤلّف)

وسلها عنها يوم لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس[1].

وسلها عنها يوم قالت لأبي بكر: «والله لأدعونّ عليك بعد كلّ صلاة أصلّيها».

وسلها عنها يوم ماتت وهي واجدة على أبي بكر، وهي التي طهّرها الجليل بآية التطهير، وصحّ عن أبيها قوله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها»[2].

وقوله: «فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني»[3].

وقوله: «إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[4].

٣٨٨/٩ وسل عنها أمير المؤمنين وهو الصدّيق الأكبر يوم قادوه كما يُقاد الجمل المخشوش إلى بيعة عمّ شؤمها الإسلام، وزرعت في قلوب أهلها الآثام، وعنّفت سلمانها، وطردت مقدادها، ونفت جندبها، وفتقت بطن عمّارها، وحرّفت القرآن، وبدّلت الأحكام، وغيّرت المقام، وأباحت الخمس للطلقاء، وسلّطت أولاد اللعناء على الفروج والدماء، وخلطت الحلال بالحرام، واستخفّت بالإيمان والإسلام، وهدمت الكعبة، وأغارت على دار الهجرة يوم الحرّة، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوأة، وألبستهنّ ثوب العار والفضيحة، ورخّصت لأهل الشبهة

---

(١) راجع: ١٩٢/٧. (المؤلّف)

(٢) راجع: ٢٣١/٧ ـ ٢٣٥. (المؤلّف)

(٣) راجع: ٢٣٥/٧. (المؤلّف)

(٤) راجع: ٢٣٥/٧. (المؤلّف)

في قتل أهل بيت الصفوة وإبادة نسله، واستئصال شأفته، وسبي حرمه، وقتل أنصاره، وكسر منبره، وإخفاء دينه، وقطع ذكره. إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وسل عنها أمير المؤمنين يوم لاذ بقبر أخيه رسول الله ﷺ وهو يبكي ويقول: «يابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[1].

إلى غير هذه من دلائل كون أبي بكر أرحم الأُمّة.

وأمّا كون عمر أشدّهم في الدين فمن جليّة الواضحات أنّ الشدّة في الدين ليست هي الفظاظة والغلظة فحسب، وإنّما هي التهالك في التمسّك بعروتي الكتاب والسنّة والعمل بهما والأخذ والقيام بما جاء فيهما من الحدود، وما أكثر ما خالفهما الرجل ونبذهما وراء ظهره واتّخذ برأيه الشاذّ عنهما! ودع عنك ما جهله منهما. وما قيمة شدّة بلا علم؟ وما مقدار شدّة مع التنكّب عن أساسيّات الدين، مع الخروج عن طقوس الإسلام، مع التمسّك بالأهواء والشهوات؟ راجع نوادر الأثر في علم عمر من الجزء السادس (ص٨٣ ـ ٣٣٣) فإنّك تجد هنالك شواهد قويّة على إثبات هذه الصفة فاقرأها وتبصّر.

وأمّا كون عثمان أصدقهم حياءً فيكفي دلالة عليه الجزء الثامن والتاسع من هذا الكتاب، وكلّ صحيفة منهما آية من آيات صفته تلك، مضافاً إلى ما سردناه في هذه الجزء (ص٢٧٤ ـ ٢٩٢) من البحث الخاصّ في حياته.

وأمّا الثلاثة الباقون؛ فلا نطيل البحث عن إثبات ما ذكر لهم، ففيه تضييع للوقت وشغل عمّا هو أهمّ من ذلك، ومن سبر كتابنا هذا عرف أعلم الأُمّة وأفرضها وأمينها / وعلم أنّه غيرهم، فلا يدنّس ساحة الأُمّة بأمثال المذكورين، ولا يُخاف عليه ٣٨٩/٩
ممّا كان يخاف النبيّ الأقدس ﷺ على أُمّته كما جاء عنه: «أخاف على أُمّتي من

---

(١) راجع الجزء السابع: ص٧٨. (المؤلّف)

بعدي ضلالة الأهواء، واتّباع الشهوات، والغفلة بعد المعرفة».

أُسد الغابة[1] (١٠٨/١).

٣ ـ في كتاب المناقب من صحيح البخاري[2] (٢٤٩/٥)، عن محمد بن الحنفيّة، قال: قلت لأبي: أيّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبوبكر. قلت: ثمّ من؟ قال: ثمّ عمر، وخشيت أن يقول: ثمّ عثمان، قلت: ثمّ أنت؟ قال: ما أنا إلّا رجل من المسلمين.

وفي لفظ الخطيب في تاريخه (٤٣٢/١٣): قال قلت: يا أبت! من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: يا بُنيّ أو ما تعلم؟ قال: قلت: لا. قال: أبو بكر. قال: قلت: ثم مَن؟ قال: يابنيّ أو ما تعلم؟ قال: قلت: لا. قال: ثمّ عمر. قال: ثمّ بدرته فقلت: يا أبت ثمّ أنت الثالث. قال: فقال لي: يا بُنيّ أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

قال الأميني: ليست هذه أوّل سقطة من سقطات البخاري، ومن عرف معتقد أمير المؤمنين علي عليه السلام في الذين تقدّموه وما استمرّ عليه دأبه من التصريح بذلك المعتقد تارة والتلويح إليه أُخرى لا يشكّ في أنّ ما عُزي إليه بهتان عظيم.

وليس ابن الحنفيّة ذلك الذي لا يعرف أباه ولا نظريّته في القوم بعد اللتيا والتي، حتى يسأله عن أُولئك الرجال ثمّ يخاف عن أن يقول في المرّة الثالثة عثمان وهو يعرفه بعُجره وبُجره لا محالة، ويعلم أنّه هو أحد الثلاثين من بني أبي العاص الذين صحّ فيهم قول رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولا، وعباده خولا، ودينه دخلا»[3].

---

(١) أُسد الغابة: ١٢٧/١ رقم ٢٠٥.

(٢) صحيح البخاري: ١٣٤٢/٣ ح ٣٤٦٨.

(٣) راجع ما مرّ في الجزء الثامن: ص ٢٥٠، ٢٥١، ٣٠٥. (المؤلّف)

لماذا كتم أمير المؤمنين عليه السلام عن ابن الحنفيّة رأيه هذا يوم مقتل عثمان لمّا أراد الإمام عليه السلام أن يأتي الرجل وينصره فأخذ ابن الحنفيّة بضبعيه أو بكفيّه أو بحقويه يمنعه من ذلك[١]؟

حاشا ابن الحنفيّة من الجهل بما جاء في أبيه الطاهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من
٣٩٠/٩ قوله: إنّه خير البريّة، وإنّه خير البشر، وإنّه خير من أتركه بعدي، وإنّه خير الناس، وإنّه خير الرجال، وإنّه أحد الخيرتين[٢]. ومحمد بن الحنفيّة هو الذي كان ينشد شاعره كثير عزّة بين يديه قوله:

أنت ابنُ خيرِ الناسِ من بعد النبي يابن عليٍّ سرْ ومن مثلُ علي[٣]

وأنّى تصحّ نسبة هذه المزعمة إلى عليّ عليه السلام وقد جاء عنه من عدّة طرق أنّه قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري فقال: «أي علي؟ ألم تسمع قوله تعالى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٤]؟ أنت وشيعتك». وورد عن جابر: إنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله كانوا إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البريّة. راجع ما أسلفناه في (٥٢/٢). أخرجه مضافاً إلى ما ذكرناه هنالك من المصادر ابن أبي حاتم في تفسيره، قال السيوطي في لآليه (١٢/١): التزم ابن أبي حاتم أن يخرج في تفسيره أصحّ ما ورد ولم يخرج حديثاً موضوعاً البتّة. انتهى.

ولو كان يرى أمير المؤمنين أنّ أبابكر خير الناس فلماذا تقاعد عن بيعته إلى أن توفّيت سيدة النساء فاطمة؟ وكان له وجه عند الناس أيّام حياتها كما أخرجه البخاري[٥]

---

(١) الأنساب: ٩٤/٥ [٢١٦/٦]. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مضى في الجزء الثاني: ص٥٧، ٢٢/٣، ٢٤. (المؤلّف)

(٣) طبقات ابن سعد: ٧٩/٥ [١٠٧/٥]. (المؤلّف)

(٤) البيّنة: ٧.

(٥) صحيح البخاري: ١٥٤٩/٤ ح٣٩٩٨.

نفسه، وصافقه على ذلك بنو هاشم ومن وافقهم من غيرهم من وجوه الأُمّة وأعيان الصحابة، أوَلم يكن فيهم من يعرف منزلة الصدّيق هذه؟ وما بال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل الصدّيقة الطاهرة على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة على خير البشر؟[1] ولماذا لم يكن في مقال الدعاة إلى أبي بكر أيضاً يوم السقيفة وبعده ما يومي إلى أنّه خير البشر؟ بل كان رطب ألسنتهم: إنّه السبّاق المسنّ وثاني اثنين إذ هما في الغار[2] مشفوعاً كلّ ذلك بالإرهاب والترعيد ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴾[3].

هب أنّ الصحابة يوم ذاك ما كانوا يعرفون منزلة الرجل، فهلّا نبّههم عليه أمير المؤمنين وأمرهم باتّباع خير الناس وفيهم من كان أطوع له من الظلّ لذيه، فقمّ بذلك جذوم الفتنة، واستأصل جذورها، وكسح الخلاف من بين المسلمين، فلم يتركها فتنة ٢٩١/٩
عمياء تحتدم عليها الإحن، وتتعاقب المحن؟ حاشا مولانا أمير المؤمنين من كلّ هذه، لكنّه لم يعرف ما عُزي إليه من حديث خير الناس ولا اعترف بمفاده طرفة عين، بل كان صلوات الله عليه يرفع عقيرته بما يضادّ هذه المزعمة في صهوات المنابر بين الملأ الدينيّ، وقد مرّ شطر من تلكم الكلم في هذا الجزء.

نحن هاهنا لسنا في مقام إثبات أنّ عليّاً خير البشر بعد صنوه الطاهر صلّى الله عليهما وآلهما. كلّا ثم كلّا.

ولسنا في صراط بيان المفاضلة بينه سلام الله عليه وبين خلفاء الانتخاب الدستوري، حاشا ثم حاشا.

وإنّما يروقنا جدّا أن نمركز لهذا الإنسان الكامل في الملأ الدينيّ مكانة فرد من

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٢/١ [١٩/١]. (المؤلّف)

(٢) راجع الجزء السابع: ص٩١. (المؤلّف)

(٣) المؤمنون: ٦٨.

آحاد المسلمين، ونجعلها كلمة سواء بيننا وبين القوم، ونتصافق على هذا فحسب. اللّهمّ غفرانك وإليك المصير.

يا حبّذا بعدما صدّق القوم ما عُزي إليه صلوات الله عليه من قول: ما أنا إلّا رجل من المسلمين، أو قوله لابنه: يا بنيّ أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، كانوا يعدّونه رجلاً منهم وأجروا عليه أحكام من آمن بالله وأسلم، وكان له ما لهم وعليه ما عليهم. بل ليتهم كانوا اتّبعوا رأي عثمان فيه ويرون مروان بن الحكم اللعين بن اللعين بلسان النبيّ الأقدس أفضل منه. وليتهم ساووا بينه وبين سفلة الأعراب، والطبقة الواطئة الساقطة من الصحابة، لكن: أنّى؟ ثمّ أنّى؟

قل لي بربّك أيّ مسلم شريف أو وضيع لعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر، ولم ينبس ابن أُنثى ببنت شفة في الدفاع عنه؟

قل لي بربّك أيّ مسلم سائد أو سوقة غير سيّد العترة سُنّ سبّه في الجمعة والجماعة في الحواضر الإسلاميّة جمعاء، وتختم بلعنه أندية الوعظ والخطابة، ومن نهى عن ذلك يُنفى عن عقر داره؟ قال الجنيد بن عبدالرحمن بن عمرو: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي، فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج، فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيبة القاصّ، يقصّ على الناس، فرغّب فرغبنا، وخوّف فبكينا، فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فلعنوا أبا تراب عليه السلام، فالتفتّ إلى من على يميني، فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته، وأوّل الناس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين. إلى آخر ما في تاريخ ابن عساكر[1] (٤٠٧/٣) وفيه أنّ الجنيد استنكر الأمر ولطم وجه الرجل، فشكى إلى هشام بن عبدالملك فنفى الجنيد إلى السند، فلم يزل بها إلى أن مات[2]. ٣٩٢/٢

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٢٩٠/١١ ـ ٢٩١ رقم ١٠٨٥، وفي مختصر تاريخ دمشق: ١١٧/٦.

(٢) مرّت حكايتها في: ٣٣٤/٣.

قل لي بربّك أيّ عزيز تحت ظلّ النبوّة غير عزيزنا المفدّى، اضهده[١] نير المذلّة، وأصبح ضُهدة لكلّ أحد، جرّعته يد الإحن كاسات المحن، حتى سئم من حياته، وصبر وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، يرى تراثه نهبا؟

قل لي بربّك أيّ صحابيّ غير عليّ ﷺ لا يستقيم الأمر لأُمّة محمد إلّا بسبّه؟ يقال لمروان: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ فيقول بملء فمه: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[٢].

قل لي بربّك أيّ موحّد إسلاميّ في الملأ الدينيّ يُتبرّأ منه في بيعة خليفة المسلمين بيع الله ورسوله سوى عليّ ﷺ؟ وقد اشترط معاوية البراءة منه ﷺ في بيعته[٣].

قل لي بربّك أيّ إنسان ثقل اسمه على الناس غير عليّ صلوات الله عليه؟ هذه عائشة لم تسمّه ولا تقدر على أن تذكره بخير، ولا تطيب له نفساً[٤]، وكان معاوية أو عبدالملك بن مروان أو هما معاً يأمران ابن عبّاس أن يغيّر اسم ولده عليّ وكنيته[٥]، وكان عليّ بن الجهم السلمي يلعن أباه لأنّه سمّاه عليّاً[٦].

قل لي بربّك أيّ رجل أسلم وجهه لله وهو محسن غير أوّل المسلمين يُرى لاعنوه وشاتموه ومعاندوه وقاتلوه وخاذلوه متأوّلين مجتهدين لا يستحقّون مقتاً ٩٣/٩
ولا أخذاً ولا هواناً ولا عقاباً؟

---

(١) يقال: ضهده وأضهده، أي: ظلمه وقهره.

(٢) الصواعق لابن حجر: ص٣٣ [ص٥٥]. (المؤلّف)

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: ٨٥/٢ [٧٢/٢]. (المؤلّف)

(٤) مرّ الحديث بإسناد صحيح في هذا الجزء: ص٣٢٤ ـ ٣٢٥. (المؤلّف)

(٥) تاريخ الطبري: ٢٣٠/٨ [١١١/٧ حوادث سنة ١١٨هـ]، حلية الأولياء: ٢٠٧/٣ [رقم٢٤٣]، الكامل للمبرّد: ١٥٧/٢ [٤٩٧/١]، العقد الفريد: ٢٨٦/٣ [٦٣/٥]، الكامل لابن الأثير: ٧٨/٥ [٣٥٣/٣ حوادث سنة ١١٨هـ]، تاريخ ابن خلكان: ٣٥٠/١ [٢٧٤/٣]، تهذيب التهذيب: ٣٥٨/٧ [٣١٢/٧]، شذرات الذهب: ١٤٨/١ [٧١/٢]. (المؤلّف)

(٦) لسان الميزان: ٢١٠/٣ [٢٤٢/٤ رقم٥٧٦٦]. (المؤلّف)

قل لي بربّك أيّ ابن أُنثى من أبناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة استحقّ شيعته ومحبّوه وأهله وذووه في المجتمع السبّ واللعن والقتل والسبي والإزراء والضرب والنكال والسوأة والحبس في ظُلَم المطامير وقعر السجون، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت؟

الهضيمة كلّ الهضيمة دفاع ابن حجر عن مثل حَكَم بن أبي العاص طريد النبيّ ولعينه، وعن الوقيعة فيه بما تحقّق منه وعلم من الفاحشة، وذبّه عنه لمكان كونه صحابيّاً[1].

الهضيمة كلّ الهضيمة ذبّ ابن حزم عن عبدالرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين وعدم تجويزه لعنه وتبريره عمله بأنّه مجتهد مخطئ[2].

الهضيمة كلّ الهضيمة نصرة القاضي حسين الشافعي عمران بن حطّان مادح ابن ملجم قاتل الإمام الطاهر بقوله:

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا

يحكم بعدم جواز لعنه زعماً بكونه صحابيّاً[3] ذاهلاً عن أنّ ابن حطّان لم يكن صحابيّاً، وإنّما هو من رؤوس الخوارج الملعونين بلسان النبيّ الأقدس، ولد الرجل بعده ﷺ بمدّة.

الهضيمة كلّ الهضيمة تبرير ساحة معاوية الربا والخمور من دنس طامّاته وموبقاته وجناياته الكبيرة على الإسلام والمسلمين وقتله آلافاً من صلحاء أُمّة محمد ﷺ بكلمة واحدة موجزة، بأنّه كان مجتهداً متأوّلاً مخطئاً[4].

---

(١) راجع ما مضى في الجزء الثامن: ص٢٥١. (المؤلّف)

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الأوّل: ص٣٢٣. (المؤلّف)

(٣) الإصابة: ١٧٩/٣ [رقم٦٨٧٥]. (المؤلّف)

(٤) الفصل لابن حزم: ٨٩/٤، تاريخ ابن كثير: ٢٧٩/٧ [٣١٠/٧ حوادث سنة ٣٧هـ]. (المؤلّف)

الهضيمة كل الهضيمة الاعتذار عمّا اقترفه يزيد الخمور والفجور، وتنزيه ساحته / من أرجاسه المكفّرة، والنهي عن لعنه وذكره بالسوء بأنّه مسلم لم يثبت كفره ٣٩٤/٩
وأنّه إمام مجتهد[١].

إلى مناصرات ومدافعات عن أمثال هؤلاء بشروى تلكم الكلم الفارغة، وأمّا سيّدنا المفدّى حبيب الله وحبيب رسوله فلسنا مغالين إن قلنا: إنّ الأُمّة كانت مصرّة على مقته، مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولده إلّا القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ فيه، فليت القوم أخذوا من بُخاريّهم وخطيبهم هذه الكلمة المعزوّة إلى أمير المؤمنين: ما أنا إلّا رجل من المسلمين ـ وإن كانت مختلقة ـ وأجروا عليه حكمها. لكن. لكن ....

ثم كيف تُعزى إليه سلام الله عليه هذه المفاضلة وقد جاء عن النبيّ الأقدس قوله لفاطمة الصدّيقة: «زوّجتك خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً؟» مرّ في (٩٥/٣).

وقوله ﷺ: «عليّ خير من أتركه بعدي».

وقوله ﷺ: «خير رجالكم عليّ بن أبي طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمد».

وقوله ﷺ: «عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر».

وقوله ﷺ: «من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر».

وقوله ﷺ لفاطمة سلام الله عليها: «إنّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيّاً، ثمّ اطّلع الثانية فاختار بعلك».

وقوله لها: «إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك»[٢].

---

(١) تاريخ ابن كثير: ٢٢٣/٨، ٩/١٣ [٢٤٥/٨ حوادث سنة ٦٣هـ، ١٣/١٣ حوادث سنة ٥٩٠هـ]. (المؤلّف)

(٢) راجع ما مرّ في: ٢٠/٣ ـ ٢٣. (المؤلّف)

وليت شعري كيف تصحّ عنه هذه المفاضلة وقد اتّخذه رسول الله له نفساً كما جاء في الذكر الحكيم، وطهّره الجليل بآية التطهير، وقرن بين ولايته وولاية رسوله وبين ولاية عليّ في نصّ الكتاب الكريم، وأنزله ﷺ من نفسه منزلة هارون من موسى، ولم يستثنِ لنفسه إلّا النبوّة، واتّخذه ﷺ أخاً لنفسه يوم المؤاخاة المُبتنية على أساس المشاكلة في الملكات والنفسيّات؟ فكيف تتمّ هذه كلّها وفي / الأُمّة من هو أولى منه؟ ٣٩٥/٩

ولست أدري كيف كان عليّ أمير المؤمنين أحبّ الخلق إلى الله وإلى رسوله ﷺ وفي الأُمّة من هو خير منه؟ وقد صحّ عنه ﷺ قوله في حديث الطير المشويّ الآتي ذكره إن شاء الله: «اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي». فأتاه عليّ عليه السلام.

وقوله ﷺ لعائشة: «إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ وأكرمهم عليّ فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه».

وقوله: «أحبّ الناس إليّ من الرجال عليّ».

وقوله: «عليّ أحبّهم إليّ وأحبّهم إلى الله».

ولا تنس هاهنا قول عائشة: والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ. ولا قول بريدة وأُبيّ: أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة ومن الرجال عليّ[1].

ثمّ ما بال الصدّيقة فاطمة تموت وهي واجدة على أبي بكر وعمر وهما خير البشر؟ ما بالها ونداؤها بعد في آذان الأُمّة المرحومة وهي باكية لاذت بقبر أبيها وتقول: «يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة؟»؟

ما بالها وقولها للخيّرين: «إنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه»؟ وحديث أنينها بعد دائر سائر بين حملة التاريخ.

---

(١) راجع ما مرّ في: ٢١/٣ ـ ٢٣. (المؤلّف)

ما بالها وهي توصي بأن تدفن ليلاً ولا يُصلّي عليها أبوبكر، ولا يحضر الخيّران تجهيزها وتشييعها؟ وهذا النبأ العظيم بعد يدور في أندية الرجال[١].

نعم، السرّ في ذلك كلّه أنّ الصدّيقة كابن عمّها أمير المؤمنين لا تعرف شيئاً من قول الزور، ولعلّ الواقف على الجزء السادس والسابع من هذا الكتاب يُطلّ على كون الرجلين خير البشر بأقرب من هذا.

ونحن على يقين من أنّ الباحث النابه الحرّ بعد الوقوف على ما في غضون الأجزاء / الخمسة الأخيرة من العشرة الأولى من أجزاء كتابنا هذا لا يبقى له قطّ ريب ٣٩٦/٩
في أنّ رواة هذه الأساطير المختلقة والقائلين بمغزاها والمحبتين إليها صمّاً وعمياناً هم الغلاة في الفضائل حقّاً: ﴿فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾[٢] ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنهُم لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعلَمُونَ﴾[٣] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[٤] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدقِ إِذْ جَاءَهُ﴾[٥] ﴿فَاصفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوفَ يَعلَمُونَ﴾[٦].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

انتهى الجزء التاسع

من كتاب الغدير ويتلوه العاشر إن شاء الله

يُبدأ فيه ببقيّة مناقب الخلفاء الثلاثة

---

(١) راجع ما مرّ في: ٢٢٧/٧. (المؤلّف)

(٢) الفرقان: ٤.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) البقرة: ٥٩.

(٥) الزمر: ٣٢.

(٦) الزخرف: ٨٩.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

محتويات الكتاب

بقية البحث في فضائل عثمان بن عفّان ..... ١١ ـ ١٠٣

٤٢ ـ الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً ١١

هذا ابن مسعود ٢٣

ـ مواقف الخليفة مع عمّار ٢٨

صورة مفصّلة ٣٠

عمّار في الذكر الحكيم ٣٨

الثناء الجميل على عمّار ٤٢

هذا عمّار ٤٩

ـ تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام ٥٢

صورة مفصّلة ٥٥

الأشتر ٦٢

٤٥ ـ تسيير الخليفة كعب بن عبدة وضربه ٧٥

ـ تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري ٨٢

ـ تسيير الخليفة عبدالرحمن الجمحي ٩٠

ـ تسيير الخليفة علياً أمير المؤمنين ٩٢

ـ آية نازلة في الخليفة ٩٦

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٥٠ ـ الخليفة لا يعرف المخلص من النار ٩٨
٥١ ـ ترك الخليفة التكبير في كلّ خفض ورفع ١٠٠
نتاج البحث ١٠١
الأحاديث في حق عثمان بن عفّان ..... ١٠٤ ـ ٣٠٠
١ ـ حديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ١٠٤
٢ ـ حديث عائشة بنت أبي بكر أُمّ المؤمنين ١١٥
٣ ـ حديث عبد الرحمن بن عوف ١٢٨
٤ ـ حديث طلحة بن عبيد الله ١٣٤
٥ ـ حديث الزبير بن العوام ١٥٠
٦ ـ حديث طلحة والزبير ١٥٢
٧ ـ حديث عبدالله بن مسعود ١٦٢
٨ ـ حديث عمّار بن ياسر ١٦٣
٩ ـ حديث المقداد ابن الأسود الكندي ١٦٨
١٠ ـ حديث حجر بن عدي الكوفي ١٧٢
١١ ـ حديث عبد الرحمن ابن حسّان العنزي الكوفي ١٧٦
١٢ ـ حديث هاشم المرقال ١٧٧
١٣ ـ حديث جهجاه بن سعيد الغفاري ١٧٩
١٤ ـ حديث سهل بن حنيف أبي ثابت الأنصاري ١٨١
١٥ ـ حديث رفاعة بن رافع الأنصاري ١٨١
١٦ ـ حديث الحجّاج بن غزيّة الأنصاري ١٨١
١٧ ـ حديث أبي أيوب الأنصاري ١٨٢
١٨ ـ حديث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ١٨٣
١٩ ـ حديث فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري ١٨٦

٢٠ ـ حديث محمد بن عمرو الأنصاري ١٨٧
٢١ ـ حديث جابر بن عبدالله الأنصاري ١٨٨
٢٢ ـ حديث جبلة بن عمروالأنصاري ١٨٩
٢٣ ـ حديث محمد بن مسلمة الأنصاري ١٩١
٢٤ ـ حديث ابن عباس ١٩٣
٢٥ ـ حديث عمرو بن العاصي ١٩٦
٢٦ ـ حديث عامر بن واثلة أبي الطفيل ٢٠٠
٢٧ ـ حديث سعد بن أبي وقّاص ٢٠٢
٢٨ ـ حديث مالك الأشتر بن الحارث ٢٠٤
٢٩ ـ حديث عبدالله بن عكيم ٢٠٥
٣٠ ـ حديث محمد بن أبي حذيفة ٢٠٦
٣١ ـ حديث عمرو بن زرارة النخعي ٢٠٩
٣٢ ـ حديث صعصعة بن صوحان ٢١٠
٣٣ ـ حديث حكيم بن جبلة العبدي ٢١٢
٣٤ ـ حديث هشام بن الوليد المخزومي أخي خالد ٢١٣
٣٥ ـ حديث معاوية بن أبي سفيان الأموي ٢١٣
٣٦ ـ حديث عثمان نفسه ٢١٨
الإنسان على نفسه بصيرة ٢١٩
قريض يؤكد ما سبق ٢٢٠
٣٧ ـ حديث المهاجرين والأنصار ٢٢٣
٣٨ ـ كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور ٢٣٠
٣٩ ـ كتاب المهاجرين إلى مصر ٢٣١
٤٠ ـ كتاب أهل المدينة إلى عثمان ٢٣١
الإجماع والخليفة ٢٣٢

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤١ ـ قصّة الحصار الأوّل ٢٣٧
كتاب المصريّين إلى عثمان ٢٣٩
عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنّة ٢٤٠
عهد آخر بعد حنث الأوّل ٢٤٧
سياسة ضئيلة ٢٤٩
٤٢ ـ قصّة الحصار الثاني ٢٤٩
الخليفة توّاب عوّاد ٢٥٦
نظرة في أحاديث الحصارين ٢٥٩
لفت نظر ٢٦٣
كتب عثمان أيام الحصار ٢٦٤
كتابه إلىٰ أهل الشام ٢٦٦
كتابه إلىٰ أهل البصرة ٢٦٦
كتابه إلىٰ أهل الأمصار ٢٦٧
كتابه إلىٰ مكة ومن حضر الموسم ٢٦٨
نظرة في الكتب المذكورة ٢٦٩
يوم الدار والقتال فيها ٢٧٤
لفت نظر ٢٨٢
٤٣ ـ حديث مقتل عثمان ٢٨٢
تجهيز الخليفة ودفنه ٢٨٨
سلسة الموضوعات في قصة الدار ..... ٣٠١ ـ ٥١٤
صورة مفصلة ٣٢٩
نظرة في الموضوعات ٣٣١
نظرة في المؤلّفات ٣٣٧

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب: الفتوحات الإسلامية ٣٣٨
كتاب: الفتنة الكبرىٰ ٣٤٢
كتاب: عثمان بن عفّان ٣٤٦
كتاب: إنصاف عثمان ٣٤٩
نظرة في كتب أخرى ٣٥٦
عهد النبيّ الاقدس ﷺ إلى عثمان ٣٥٨
نظرة في أحاديث العهد ٣٦٩
نظرة في مناقب عثمان الواردة في الصحاح ٣٧١
لفت نظر حول فضائل الخلفاء الثلاثة ٣٩٧
لفت نظر ٤٠٨
بقية مناقب عثمان ٤٧٢
ختام المناقب ٥١٣
منتهى القول ٤٠٨
المغالاة في فضائل الخلفاء الثلاثة ..... ٥١٥ ـ ٥٣٧

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی